

مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشِقَ



المُعْصَرُونَ

لطف

تأليف

محمد كرد علي

علق عليه واشرف على طبعه

محمد المصري

١٤٥٧٣

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



الكتاب رقم ٣٠١١٨/٣
٣٠١١٨/٣
٣٣-٦٦

المعاصرُونَ

تأليف
محمد كرد علي

علق عليه واشرف على طبعه

محمد المصري

مطبعة دار ابو بكر

١٩٤٠ - ١٩٤١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله

وبعد ، فقد كان مجمعنا احتفل سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ،
بمرور مئة عام على ميلاد مؤسسه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
رحمه الله . وكان بودنا إذ ذاك لو ظفرنا ببعض ما لم ينشر من آثار
الأستاذ لنقدمه الى جمهور العلماء والباحثين في تلك المناسبة . ولما لم
يتيسر لنا ذلك في حينه ، عمدنا الى بعض ما كان الأستاذ نشره من
آثار السلف - وهو كتاب « حكماء الاسلام » لليهقي - فأعدنا طبعه
بالتصوير ، بالإضافة الى إعادة طبع المجلد الثاني من مجلة مجمع اللغة
العربية .

ثم كان عقيب الاحتفال أن قدّم إلينا مشكوراً المهندس الأستاذ
طريف كرد علي - نجل الأستاذ الرئيس - ظرفاً أصابه بأخرة في مخلفات
والده ، وقد كتب عليه بخطه « المعاصرون » وهو يشتمل على أوراق
شتى تبين أنها أصول كتاب لم يفرغ الأستاذ من تنقيحه وتحريره ، وقد
ترجم فيه طائفة ممن اتصلت أسبابه بأسبابهم من علماء البلاد العربية
وأدبائها ، ومن المستشرقين ، منهم من كانت تربطه بهم صداقة راسخة ،
ومنهم من جمعه وإياهم بعض المؤتمرات والندوات العلمية ، ومنهم من
اتصلوا به واتصل بهم عن طريق المراسلة . وقد ترجم كلاً منهم بما
عرف عنه ، مبيناً رأيه فيه وفي أعماله بصراحته المعهودة في كل ما

كتب . وقد كان من هذه التراجم ما نشره الأستاذ في بعض الصحف
والمجلات - ومنها مجلة مجبعتنا - فاقتطعه منها ، ومنها ما طبع بالآلة
الكتابة . إلا ان أكثرها كان مسودات بخطه ، وكان قد اعاد النظر في
بعضها فالحق بها ما الحق ، واصلح منها ما اصلح بقلم الرصاص تارة
وبالبرق تارة . ولما كان الظفر يشل هذا الكتاب - وان كان جله
مسودات لم تنقح - غناً للمعنيين بتاريخ النهضة العربية وأعلامها
حرصنا على اخراجه للناس ، وورغنا الى بعض الاساتذة ان ينظر في هذه
الأصول وبعد الكتاب للطبع ، ولكنه ردها الينا بعد اشهر من تكليفه
معتدرا بان اعماله الكثيرة حالت بينه وبين إعداد الكتاب على النحو
الذي ينبغي له . فكلفنا بالأمر الاستاذ محمد المصري ، فلم يأل
جهداً في إعداد الكتاب عن هذه الاصول وإخراجه على أمثل صورة
سكنة ولم يدع التعليق عليه بما رأى من المفيد ان يعلق به ، ثم صنع له
فهارس متعددة تيسر الافادة منه ، فله الشكر الجزيل .

وإننا لنأمل أن يوفق المجمع وآل الاستاذ الرئيس الى الكشف عن
آثار اخرى من آثاره ولا سيما ما تبقى من مذكراته، فقد حدثني صديقي
الاستاذ السيد أحمد عبيد (وهو الذي نشر له الأجزاء الأربعة التي
طبعت منها) أن الأستاذ وقفه على الجزء الخامس وقرأ له أشياء منه
إلا أنه لما يعثر على هذا الجزء . ولن يأل المجمع جهداً في نشر ما يقع
اليه من هذه الآثار إن شاء الله .

٢٠ من صفر ١٤٠١ هـ

٢٧ من كانون الأول ١٩٨٠ م

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور حسني سبيح

- ب -

التحقيق

جريت في تحقيق الكتاب على النهج التالي :

- ١ - نسخت الكتاب دون أن يفوتني تصحيح طراً على عبارة أو
عبارة مقحمة بين السطور أو بين اظهر الأوراق المتنوعة .
- ٢ - يضم الكتاب سبعا وأربعين ترجمة رتبها حسب حروف
الهجاء ، وجعلت لها أرقاماً متسلسلة .
- ٣ - أكملت بعض أسماء المترجمين التي جاءت في مطلع كل
ترجمة ، ووضعت تحت كل اسم عربي تاريخي ولادته ووفاته بالتاريخين
الهجري والميلادي ، وتحت كل أجنبي اسمه الأعجمي وتاريخي ولادته
ووفاته بالتاريخ الميلادي .
- ٤ - أما الحواشي فقد أوردت فيها بعض المراجع لراغب في
زيادة ، ككتب التراجم والدراسات وبعض ما ألف عن صاحب الترجمة
من كتب وأبحاث .
- ٥ - ترجمت للأعلام الواردة ضمن التراجم كلما دعت الى ذلك
حاجة . كما عرفت الأماكن وغيرها .
- ٦ - شرحت بعض الألفاظ والعبارات بإيجاز .
- ٧ - أتست وصححت بعض العبارات التي أصابها الخلل لسهو
أو زلة قلم أو لتلف لحق بها ، وأشرت الى ذلك في موضعه ، ووضعت
إضافاتي ضمن قوسين []

- ج -

تحدث على الشعراء وذلك خاصة في البلاد من بعد أخرى
 الى ان قال غير كلها الهالي ولكن أين من ربيع الكتاب ويقرا
 وهي طويلة فالها يابسة طهور روبات عالي الشهور في سنة ١٩١٠
 وكتب الى الأميرة الكندرية قهريه (كريمة مستظلمين يوم الجورسيه)
 برغب اليها في ان تعيد مجلتها (ليس الجلبس الى القهوجى جدا احتجابا وذلك سنة ١٩٠٤)
 حوى القوم باحمية (التذكرة) در ا باره العن والدركه
 حارو حه الايسر اعدا احتجاب من شعور سبك مأم الأوبه
 فوري فوه كل تحت جديد بقف اخفى في صدور النساء
 انت لعايات حقا علينا ليس يحق الا في الجلاء
 انه في حوضه هذه الأميرة الشعر لطيفه والقابل ان الأبيات التي اشهرت
 به فالها فيها وهو مما كتبه تحت بينن لالتعا واما :

تدبلك يا عاجري قبل ترافعي بالعا
 سورت عليك الهمي ونعت اكرى سدى
 نقال اعاجيرني اثناني لوانح لا تشعي
 مست في موكب السون وما تلت ما تشعي
 انانيل مات الاديب بانقصة آت هي
 لما قرأت آياته كذبت تخشعا

زمالك قولي اشعي ولا يرجع الشعري
 محبي انت ازمي بعصك ان تشعي

أراني استعدت في قلمي هذا الشعر العذبة وكل شعر مصري لط واحد في
 العذبة والتلاوة ذلك لأنه كتب من يطلع شعرا قبل شوره مثل حافظ
 ابراهيم مؤلف قال في هذا الشعر

شعر القوم عرسه الثاني فأخره ألا اشوقم بالأفكار ولا آخر
 فاقدر كلامك غير القادرين كخط عالي التيسير من ليو ومن عذر

والجربا بجاب اشهرت في العدي والاسم نظيرها
 يا اربابا صديقين مختلفين
 نبيه كالتريه صان حلالا
 مصري صديق اثنى خطه وسيله
 وابنه الى العاشق المتكلم منه

لقد فرغوا من اتمام حيا تخشعا
 نداء في سنة الامم حيا
 تطولت مفاصل العيش اليها
 لهما في السر والعلني حيا

والله اعلم
 واستمعوا له يا ايها الذين آمنوا
 ان في ذلك لعظة لمن كان ذا قلب واع
 الحكيم الخبير

يوم كسر الجمل الكافين
 في حيا صديقين مختلفين
 عطف الى كرامه حيا

نموذج احدي القصاصات التي كان اقتطعها من احدي المجلات

٨ - أتت أسماء بعض الكتب وعرفت بها .

٩ - خرجت القصائد والأبيات الواردة خلل التراجم وصححت بعضها بعد الرجوع الى دواوين شعرائها . وأشرت الى ذلك في موضعه .

١٠ - قيّدت بعض الكلمات بالشكل كلما كان ذلك ضرورياً .

١١ - أشرت الى ما نشر من الترجمات في مجلة أو صحيفة ، رغم ما أدخله المصنف من تعديل .

١٢ - أخيراً صنعت القهارس اللازمة .

محمد المصري

المعاصر

الطبعة

[Faint, illegible text visible through the paper from the reverse side]

• ابراهيم الحوراني •

١٢٦٠ - ١٣٣٤ هـ

١٨٤٤ - ١٩١٦ م

كان في القرن الماضي من تنافس البرتستانتية مع الكتلثة والارثوزكسية من طوائف النصرانية في لبنان أن تقدم لخدمة العربية رجال كفاءة علموا وألقوا وترجموا ، ومنهم بنو اليازجي وبنو البستاني ، وهذا الشيخ الذي تترجم له ابراهيم الحوراني •

هو ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن يعقوب بن سليمان بن فرح الحوراني • كان أبوه من سكان حمص ، وشخص الى حلب مُسَجِّراً ، وفيها ولد ابنه ابراهيم ، وترعرع وتعلم مبادئ العربية والحساب ، وكان يجمع أترابه ويدرسهم ما درسه ، وولع بالزجل والمواليا ، وهو في الحادية عشرة ، ونظم الشعر الفصيح في الثانية عشرة • وفي سنة ١٨٦٠ نرح والده الى دمشق فتعرف الى الدكتور ميخائيل مشاققة ، وكان عالم عصره من الانجيليين ، فأشار على والده أن يدخل ابنه الى مدرسة عبيدة الاميركية ، ففضى فيها أربع سنين ، وعاد الى دمشق فآتم دراسته في الرياضيات والمنطق والفلك ، وشدا شيئا من الانكليزية ،

* ترجمته في الاعلام ١ / ٥٠ ومعجم المؤلفين ١ / ٧٢ ، وباريس الصحافة ٢ / ١١١ ، وهديفة العارفين ١ / ٤٥ وانظر ايضاح المكنون ١ / ٦ ، ٣٦٣ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٥٦٤ / ٢ الموسوعة العربية ٣٠٤ واكتفاء القنوع لفانديك : ٤٤٧ ، ٤٨٩ ، ومعجم المطبوعات : ٨٠٢ - ٨٠٣ وقال الزركلي في الاعلام : ان ترجمة مطولة له محفوظة لديه بخطه ، وفيها مختارات من شعره •

وقال عن نفسه انه استفاد من تعليم نفسه أضعاف ما استفاده من كان يعلمه . وغلبت عليه الرياضيات والفلك ، وحذق علم قياس المثلثات والانساب والفلسفة الطبيعية والكيمياء والنبات والحيوان . وفي سنة ١٨٧٠ عين أستاذا في الكلية الاميركية في بيروت ، فعلم البلاغة والمنطق والرياضيات نحو عشر سنين ، وأتقن العلوم وابتكر بعض القواعد الرياضية . ودرّس في المدرسة البطريركية ، وفي مدرسة البنات ، وفي مدرسة اللاهوت الانجيلية الى آخر حياته ، واتصل بجماعة الانجيليين ، ومنهم العلامة الدكتور فانديك (١) صاحب الايادي البيضاء في تخريج بعض رجال الشام ، ووضع التأليف العلمية بالعربية . ومنذ سنة ١٨٨٠ تولى الحوراني كتابة النشرة الاسبوعية وتصحيح مطبوعات المطبعة الاميركية ومعارفها ، فكتب مئات من المقالات العلمية والادبية والتقى الخطب ، وقيل : ان تأليفه ومترجماته وتصحيحاته بلغت خمسة وعشرين (٢) مصنفاً . ومن كتبه « الشهب الثواقب » ، « جلاء الدياجي في الالغاز والمعميات والاحاجي » ، و « مناهج الحكماء في مذهب النشوء والارتقاء » (٣) ، « الحق اليقين في الرد على مذهب دروين » (٤) ، « الآيات البيئات في عجائب الارض والسموات » (٥) ، « ضوء المشرق

(١) انظر ترجمة له في هذا الكتاب .

(٢) الاصل : خمسا وعشرين .

(٣) كذا الاصل ، وقد طبع بعنوان : مناهج الحكماء في نفي مذهب النشوء والارتقاء (معجم المطبوعات ٨٠٤) وكذلك ورد في ايضاح المكنون وغيره .

(٤) كذا الاصل ، وقد طبع بعنوان : الحق اليقين في الرد على بطل داروين ، وهذا يوافق المصادر الاخرى كهدية العارفين وايضاح المكنون .

(٥) كذا الاصل . وقد طبع ايضا بعنوان : الآيات البيئات في غرائب الارض والسموات . وهو يوافق المصادر الاخرى .

في علم المنطق (١) « الى غير ذلك مما ألفه (٢) . وما لم يطبع ديوان شعره ، ولو جمع شعره كله وما قاله في المجون والزجل والمعنى لبلغ عدة مجلدات . وقد عرب كثيرا وصحح كتباً كثيرة ، وأكثرها بغير اسمه ، وما صححه : « النهج القويم في التاريخ القديم » لبورته ، و « قاموس الكتاب المقدس » لبوست ، وآزر في عدة جرائد ومجلات ، وحرر جريدة « المحروسة » في مصر ستين .

وعرف الشيخ الحوراني بشدة صبره على البحث والتنقيب ، وقيل : انه كان يعرب من الانكليزية - وكان يفهمها ولا يحسن النطق بها - في الموضوعات العلمية ما يرضى عنه أجل العلماء والباحثين . وبهذا يمكن القول بأنه وزع قواه ، ولم يخرج للناس كتباً توازي علمه وأدبه . والتعليم في العادة يفيد صاحبه مرانا كثيرا ، ولا يبقى له وقتا كافيا لامعان النظر فيما غلب عليه من ضروب المعارف واستخراج ما يتحمل ابداعا وابتكارا .

كان من أجداد الشيخ من يقول الشعر ، ويشارك في بعض العلوم ، فانتقل ذلك في دمه ، فنشأ بالفطرة شاعرا . سمع أباه يحثه على تحدي جده في قول شعر . فقال مضمنا ذلك :

يقول أبي بني الشعر فخر

لمن بمقاله الفاوين يهدي

فزاول نطقه واثثر علينا

ذكي الثشر من وردم وند

(١) طبع بعنوان : الضوء المشرق في علم المنطق (معجم المطبوعات) .

(٢) من ذلك : سواء السبيل في اسكان ارض النيل (هدية

العارفين) ، حكم الانصاف في رجال التلفراف (ايضاح المكنون ومعجم

المطبوعات) .

فجددك كان ذا شعير قيسر

فقلت : انثر لنا ثغحات جدي

فقال : إليك ما نلت حنادة

به كانت مطي الشوق تحدي

« ألا دع ما استطعت حديث نجد »

ففي ذلك الحديث قديم وجد »

« فتجز تلك الربوع فإن فيها »

ثعلتي عادة ربوات لحد »

فقلت : طربت من ذا الجد جداً

سأبذل في نظام الشعر جهدي

.....

وقال في مذهب في الشعر :

مك قبل نقد العالم

هدب كلامك في نظا

سم فيه عقل الناظم

قالشعر كالمرآة ينثر

.....

وقال :

وعذاب أرباب الفضائل لذة

وكفى الأفاضل أن غدوا أبرارا

إن كان موتي في النفيلة رفعة

فليقض ربي أن أموت ميرا

.....

وارتجل هذين البيتين :

على طروق الرمدي ماتوا

جيع الناس في به

ولولا التيه ما ماتوا

فلولا الجهل ما تاهوا

.....

- ٤ -

ومن آياته في الحكمة :

لا خير في عقله ولا علمه ولا

دينه ولا ماله بغير عفاف

.....

أخاف وكم خفت من واعظ

كثير الصلاة قليل التقى

.....

إنني لأعلم أنني لا أعلم

وكفى بذا علماً لمن يتفهّم

إن الجهول الغير يحسب أنه

أدري من الشيخ الحكيم وأعلم

.....

وقال :

يا نفس لست بدرك كل الذي

تبغينه فدعي عناءك واقصري

إن الذي في دفتر الأقدار لا

يأتي على وفق الذي في دفثري

ولقد دخلت الأرض غير مخير

وسأترك العبراء غير مخير

.....

وقوله ينصح الفتاة التي ترغب في مال خطيبها لا في كماله :

ما كل ذي مال شريف فاطلبي

من شرفته في الوري أخلاقه

كم من غني مجده أمواله

كالزهري كل جماله أوراقه

.....

- ٥ -

وله في كأس الخمر :

في هذه الكأس الهلاك فلا تذوق

حلب العصير صديد أهل جهنم

عكت لظى لآلائها من نارها

وحبابها نث الحباب الأرقم^(١)

وقال في الكهرباء والحب :

كاني في الهوى العذري عصف
دنت مني ومستني لهذا
وليلي في المحاسن كهرباء
علقت بها كما حكم القضاء

ومن ثره من خطبة في عالم الحس وعالم الخيال : « ومن فوائد الخيال أنه زهرة المعتزل ، ففيه يرى الحقائق الغناء توقع عليها قيان الورق أطيّب الالخان ، وتجري تحتها جداول زلال الذ من بيث ألعانه ، وتحيط بنابتها بواسم الازهار كما يحيط بالمعاصم السوار ، وترى مدافع الشواق تقذف بلجين الماء على در الحصباء في الاودية الخضراء فترده أمامه المهى وفضاً الطيب ، فتصبو الى الورد ، ولا تطفىء أواما فتتن وجدأ وتنشر هيأماً .

ألا قل لكان وادي الحسى هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا فنحن عطاش وأتم ورود
ثم اذا مللت مشاهد النهار توجهت الى مشاهد الليل ، وبدلت

(١) الحباب (بفتح الحاء) : الفقايع . والحباب (بضم الحاء) : الحبة . والأرقم : ما فيه بياض وسواد ، أو اخبث الحيات .

طلعة الشمس بحيا سهيل^(١) ، فترى هناك النجوم دررا في باطن الخيمة الزرقاء والمجرة نهراً عظيماً تدفق في حديقة نرجس ، وفروعها جداول البطحاء ، وترى هناك تباين المؤتلفات ، وائتلاف المتباينات ، فتشاهد الطائر والواقع ، والذاهب والراجع ، والخفي والظاهر ، والثابت والسائر ، والاسد بين السرطان والعذراء ، والسرطان بين الاسد والجوزاء^(٢) . والابراج والمنازل والطوالع والاولائل ، فترى العالمين على العالم الاصغر ، وتنسى أنك العالم الاكبر ، ثم تنتبه الى المعتزل واليه تبوء فتعلم صحة قولهم : الوحدة خير من جليس السوء « ا . هـ

وله آراء وحكم كثيرة . منظومة ومنشورة ، توخى فيها السهولة في التركيب . وكان مزاجه لطيفاً ويصغي للنكتة ، ويأتي ساعات الفراغ بأنواعها ، وزجلياته آية ، ومنها ما لا يجوز المعاصرون اقتباسه في الكتب والصحف لمخالفته آداب العصر بزعمهم .

دعي مرة ليخطب في حفلة مدرسية فافتتح بأبيات غزلية وأشار الى شيخوخته بقوله :

قدم الزمان وصبوتي تتجدد

فكأنني في كل عصر أولد

شيخاً أرى بين الشيوخ وأمردا

في المرد مما شاب منه الأمرد

قالت غواني الرقمتين وقد رأت

ثلج المشيب أظن نارك تخمد

فأجبتها ما الشيب بل لهب الهوى

في الرأس مما في الحشا يتوقد

(١) سهيل : نجم .

(٢) الاسد والسرطان والعذراء والجوزاء : ابراج سماوية .

قالت : مثنىك أسود" في ناظري

قلت : الحقيقة أن لحظك أسود

وقال في امرأة تركت مهذباً لفقره ، وتزوجت خشناً لغناه فعذبها :

لقد هَجَرْتِ أَخَا فَهْمٍ قليلاً مالُهُ يَعْلَمُ
وودعت بعده وحشاً كثيرَ المال لا يفهمُ
فالت من مخالبه جراحاً مالها بلسمُ
وذاك جزاءُ تاجرةٍ تبيع الحُبَّ بالدرهمُ

وقال في فتاة جميلة متعصبة كانت تعنفه على مزاحه وتبكيه عند ضحكه :

غراءُ شسُ فهارنا من وجهها وهلالُ ليلتنا مثالُ جبينها
ما كان أطربني لطيب حديثها لو أن رِقَّةً خصرها في دينها

ومما قاله فيه أحد من أطالوا في الترجمة له صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف : انه أرهف يراعه منذ الصبا فأجاد في الموضوعات التي دبجها به ، ولم يبق بحثاً لم يتناوله بأسلاته^(١) فتفنن في مقالاته فننا لا يجيد فيه الا من كان مثله كثير الاطلاع ، متضلعا من العلوم والآداب ، متقنا للمعقول والمنقول ، فتراه يذهب بعقل المطالع لكتاباته الوضيحة البليغة كل مذهب وينحو به كل منحى ، فيمر على المدن والديساكر^(٢) ، ويريه الشوارع والمنعطفات ، ويسدد خطواته في مناهج الحقيقة ، ويثير به في عالم الخيال ، ولكنه لا يتيه بالقاري ولا يضلّه

(١) مفردا اسلة ، والاسل ، الرماح ، والنبل ، والاسلة : كل عود لا عوج فيه ، وتستعار لليراع .

(٢) مفردا دسكرة ، وهي القرية والصومعة والارض المستوية ويوت الشراب والملاهي .

سيلا ، بل يملأ مخادع حافظته صور تعابير بليغة ، ويطبع في مخيلته أصح الآراء وأسد الافكار فيعود مطالع ابحاثه مستفيدا كل الاستفادة ، مع تفنن في التعبير ، وخلوص من التعقيد ، وبساطة في التركيب . صرف حياته بالتدريس والبحث والجمع وتوسيع المدارك بالمطالعة ، وانتظم في سلك الجمعيات العلمية والادبية ودعي الى بعض المؤتمرات العلمية في أوروبا ، وعرفه الاوربيون والاميريكيون بسو المدارك . ومن مكتشفاته معادلة الجيوب ، ومعادلة معرفة أضلاع الاشكال القياسية الوترية من المسبع والمتسع وذوي الاحدى عشرة وما فوق ذلك الى غير نهاية . . وكثيرا ما برهن المنطق بالجبر ، وأجاب على أسئلة في جميع الموضوعات بسداد رأي ودقة نظر ، وعرف طريق رسم الاشكال القياسية كلها وقيمتها العددية بلا تكعيب . ولم تكن معارفه اللغوية أقل من معارفه العلمية ، فاذا أورد لفظة ثبت فيها ، وأشار الى اول من استعملها مثل شبه جزيرة ملعقة (ملقة) كما قال الشيخ داود البصير الانطاكي في تذكروته^(١) . وهكذا استخرج من بطون الكتب المصطلحات القديمة ، وحقق آراء العصر فيها ، ومن أوضاعه المشهورة : المرقب والمجهر والحوصلة « الكبسول » والمضلع « القباجور » والنجيري « المدخنة » والقوارة « النوفرة » .

لا جرم أن العلامة الحوراني كان من أعظم دعائم النهضة الشامية أو العربية ما كان فيه جمود العلماء ولا تبدل الادباء . عاش يعلم الناس

(١) داود بن عمر الانطاكي (ت ١٠٠٨ هـ ، ١٦٠٠ م) عالم بالطب والادب ، انتهت اليه رئاسة الاطباء في عصره ، وقرا المنطق والرياضيات وشيئا من الطبيعيات ، واحكم اللغة اليونانية ، ولد بانطاكية ، ولكنه هاجر الى القاهرة وبها توفى . وتذكروته المشهورة كتاب في الطب سماه (تذكروته اولي الالباب) ، وله كتب اخرى (الاعلام ٩/٢) .

* ابراهيم اليازجي *

١٢٦٣ - ١٢٢٤ هـ

١٨٤٨ - ١٩٠٦ م

هاجر من حصص أحد أجداد بيت اليازجي سنة ١٦٩٠ ، ونزل قرية كفر شيما من سواحل بيروت ، وكان أهل هذا البيت على مذهب الروم الارثوذكس فاتحلوا الكثلركة ، ودخل بعضهم في خدمة الدولة العثمانية كاتباً ، فأطلق عليه اسم « يازجي » أي الكاتب ، حُرِّفَتْ بعدُ فصارت « يازجي » .

ولد ابراهيم في بيروت ، وظهرت عليه مخايل النجابة في سن العاشرة ، وكان أبوه الشيخ ناصيف من رجال النهضة العربية الاولى ، وله مقام عال في الادب والشعر . ولقب الشيخ كان في لبنان يطلق على الطبقة التي كانت ترتفع عن العامة ، وتنحط عن طبقة الامراء .

وتخرج ابراهيم بأبيه في علوم العربية ، وحفظ القرآن في صباه ،

* ترجمته في الاعلام ٧٢/١ ومعجم المؤلفين ١٢٠/١ وانظر معجم المطبوعات ١٩٢٧ ففيه ترجمة له بقلم جبران النحاس ، ورواد النهضة الحديثة : ١٦٤ ، قدماء ومعاصرون : ١٤٩ ، تاريخ الادب العربي للفاخوري : ١٠٧٦ تراجم مشاهير الشرق ١٤٤/٢ والاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث : ١٠٦ دراسات في الشعر العربي المعاصر ٢٤٠ ولعيسى خليل سابا كتاب عنه . ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٧ ص ٣ - ١٧ .

منذ كتب له أن يتعلم ، وقد تخرج به كثير من الشبان والشابات ، ونشر العلوم الطبيعية والرياضية مع المحافظة على روح الدين ، والتزام القصد فيما ألف ونشر . وهو من غرائب الرجال . جمع الادب الغض - على مالا يتأتى مثله لغير أفراد من كبار الادباء - الى الاطلاع الواسع على العلوم التي كانت قبل مدارس الاميركان في الديار الشامية مجهولة عند الخاصة جهلاء فاضحاً ، والفضل لها في الاكثر ، لانها أخذت بيد مثل الحوراني وأعاتته على نشر معارفه وتعليم الجاهلين فكان دعامة من دعائم النهضة الشامية .

وأسعدني الحظ فاختلفت الى مجلسه ، وزرته في بيته غير مرة ، وهو بين خاصته وتلاميذه فأقدت من علمه وتجاربه . وزرته مودعا أقصد القاهرة لانثىء مجلة « المقتبس » ومما قاله لي^(١) : « انك ستنجح في مشروعك الجديد ، لانك ستبدأ به وأنت شاب . وأنا أنشأت مجلة « الرئيس » في الشيخوخة فما أفلحت » . وهذا من صراحة العلماء المحبوبة ، وكنت اذا زرته أكبر علمه وأعجب بأدبه وأشهده لا يخلي جلالة من فوائده ، كما لم يخل قراء كته ورسائله ومقالاته من تعليم وثقيف .

★ ★ ★

(١) الاصل : له .

وأخذ الفقه الحنفي عن الاستاذ محيي الدين اليافي ، وأولع بالرسم والنقش والحفر، وامتاز بجمال خطه، وهو الذي نقش بعدد أمهات حروف مجلتيه : « البيان » و « الضياء » ، وحروف المطبعة الادبية ، وكانت منها حروف معظم المطابع في الشام ومصر .

وتعلم الفرنسية والانكليزية ، وأخذ بطرف من الالمانية . وقال أحد مريديه في الكلام على اتقانه الفرنسية انه سمعه يقرأ فصولا استملح عربيتها ، ثم تبين أن نظره كان يجول في السطور الفرنسية فيلقبها لسانه بالعربية الفصحى .

قال لي المترجم له : لو كان لي الخيار لآثرت أن أكون رساما مصورا ، الا أنني رأيت الاجدر بي الانصراف الى خدمة اللغة العربية حتى لا يعلق بيتنا بانقراض أفراد المعنيين بهذه اللغة ، فيفوتني شرف خدمتها ، على ما كان الحظ لأبي في هذه الخدمة .

انضم الشيخ في أول شبابه الى الجمعية العلمية السورية ، فألقى فيها الخطب وأثمد القصائد ، ثم تولى تحرير جريدة « النجاح » فحبر المقالات ، وترسل ، فكانت هذه الجمعية وهذه الجريدة مدرسته الاولى في البيان والصحافة .

وعهد اليه الآباء اليسوعيون بتقويم ترجمة الاسفار المقدسة ، وكانت عربت عن أصلها العبراني واليوناني عدا ثلاث ترجمات عربية كانت أمام من قاموا على تصحيحها . وكان تعريب المزامير والانجيل مقيدا بترجمة عبد الله زاخر لشهرة نصوصها في المعابد . فقضى الشيخ في هذا العمل ثلثي سنين ، واضطرته معارضة الترجمة على المتن الاصلي الى التبحر في بعض اللغات السامية ولا سيما العبرانية والسريانية ،

وآلف في العبرانية كتاب نحو وصرف نسج فيه على منوال النحو العربي وصرفه .

علم الشيخ دهرا في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت خلتا لآبيه فتخرجت به طائفة من الادباء كانت لهم منزلة رفيعة في الآداب . وفي سنة ١٨٨٤ نشر بالاشتراك مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة مجلة « الطيب » سنة واحدة ، ثم هاجر الى مصر ، فأصدر فيها مجلة « البيان » بالاشتراك مع الدكتور زلزل سنة واحدة ، واستقل بعد ذلك بإصدار مجلة « الضياء » ، وقد اطرد صدورها ثلثي سنين حتى سنة وفاته ، وكانت من أمتع المجالات العربية بجمال أسلوبها وطلاوة عباراتها وطرافة أبحاثها، وفي « الضياء » ظهرت شخصيته . كان ما كان مضى من حياته العلمية في لبنان قبل أن تصح عزيمته على نشر مجلته في مصر ، كان دور استعداد تجلبي بعده نبوغه على أكمل حالته ، وما سبق له من نشر آيات علمه وأدبه ، كان كالمقدمة قدمها بين يدي كتابه الشامل .

وفي « الطيب » و « البيان » و « الضياء » توفر على نشر أبحاث متسلسلة استخرج من بعضها كتباً برأسها مثل : لغة الجرائد^(١) . ومن أبحاثه الممتعة : آمال^(٢) لغوية ، أغلاط العرب ، أغلاط المولدين ، اللغة العامية واللغة الفصحى ، اللغة والعصر ، أغلاط لسان العرب ، المجاز ، الشعر ، التعريب ، العلوم عند العرب . الى غير ذلك من المقالات والابحاث الممتعة . ومن كتبه : « نجمة الرائد في المترادف والمتوارد »^(٣) ، ومنها : اختصار أو تصحيح بعض كتب والده كمختصر « نار القرى » ومختصر

(١) طبع .

(٢) الاصل : آمالي .

(٣) طبع بعنوان : نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد كما طبع له كتاب مطالع السعد لمطالع الجواهر الفرد .

« الجبارة » وشرح ديوان المتنبي سماه « العرف الطيب » والى ذلك يشير في آخر هذا الديوان إشارة تنم عن بره بوالده قال : « وأنا أبقيت عنوان الشرح باسمه - باسم أبيه - رعاية لكونه هو واضع الاصل ، فلم أوتر أن أتفضل عليه في نسبة الكتاب ، وإن تطلعت عليه في التأليف ، واني لأرجو أن يكون قد وهبني الله السلامة في ذلك كله ، وأنزلي من هذا الشرح منزلة توجب استدرار الرحمة على واضعه ، ولا تكون مدرجة لنقص برِّي به بأن أمر عليه تبعة تلزمني دونه ، أو ينسب إلي فضل هو أحق به مني ، ومعاذ الله أن أدعي لنفسي في جنبه فضلا أو علما ، فانما أنا اهتديت بمناره واقتديت بآثاره ، واني لا علم لي الا ما علمني » .

وصحح الشيخ كتب كثيرة ومنها ، تاريخ بابل وآشور^(١) ، ونفح الازهار^(٢) ، ودليل الهائم^(٣) ، ونخب الملح ، والعقود الدرية في شرح شواهد المختصر^(٤) ، ورسالة الغفران للشمري ، والفرائد الدرية ، وهو معجم عربي فرنسي . ونقد القسم الذي ترجمه باريه دي مینار ، من مستعربي الفرنسيين من كتاب « مروج الذهب » للمسعودي ، كما نقد « تكملة المعجمات العربية » لدوزي ، ومعجم « محيط المحيط » للبستاني وسماه الحواشي ، ومعجم « أقرب الموارد » للشرتوني ، و « الدرة اليتيمة » لشكيب أرسلان وناقش أرباب « المقتطف »

(١) لجميل نخلة المدور .

(٢) تنمة عنوانه : في منتخبات الاشعار ، جمعه شاعر البتلوني بإرشاده .

(٣) تنمة عنوانه : في صناعة النائر والناظم جمعه شاعر البتلوني بإرشاده .

(٤) عنوان الكتاب الصحيح : عقود الدرر في شرح شواهد المختصر لشاهين عطية .

وصاحب « الجوائب » فيما وقع لهم من الاغلاط وغير ذلك^(١) .

وصرف شطرا من حياته في تأليف معجم سماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » قال : انه شرع في وضعه مقتصرا على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح ، لانه رآهما طرفين لا يلتقيان ، ولا تؤلف منهما حلقتا بطن ، فضلا عما يقتضي بحث الطارىء من التجرد والجهد ، واخلاء الذرع للبلوغ الى باحة القصد ، فلا بد من افراد هذا القسم في كتاب مخصوص يحاط به بعد مراجعة الكتاب والنصوص . قال : « وقد وضعت الكتاب على نسق لم اكن متابعا فيه ولا مقلدا ، ولا متحديا ممن سبقني أحدا . فاني اعتبرت فيه جانب المعاني في كل مادة ، فقدمت منها ما حسبته الاصل في ذلك التركيب ، ثم ألحقت به ما تفرع عنه من طريق المجاز الاقرب بالاقرب الى ان تنقطع سلسلة الترتيب ، وما بقي بعد ذلك مقتضبا من ذلك النظام ذيلته في آخر المادة ، وضمت المشهور من الأعلام . وكل ذلك على أسلوب مختصر اطرحت فيه الوحشي من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء . وتجنبيت ما يستحي منه من ألفاظ السوءات ، وما يضاف إليها ما تبدؤه نفوس الأدباء ، وكنت قد بلغت في تسويده الى آخر حرف الحاء المهمله ما يقدر بالربع أو يزيد » . اهـ

أولع الشيخ ببلاغة القرآن . حدثني تلميذه صديقي خليل مطران الشاعر أنه كثيراً ما كان يقول لتلاميذه اذا تصدوا للكتابة ونشر المقالات أن يستشهدوا بآيات القرآن ليكون بها روثق لما يكتبون . أو ما هذا معناه . فمن كان هذا اعتقاده لا يعقل أن يطعن ببلاغة

(١) وله ديوان شعر عنوانه (العقدة) طبع في البرازيل ، الا انني لم اتمكن من العثور على نسخة منه .

الكتاب العزيز وفصاحته ، على ما اتهمه بذلك بعض الطوائف . من أنه عارض القرآن وحطاً من شأنه في رسالة له نحلته إياها ، وما هي الا من أقلام بعض دعائهم .

وكان أعداء الشيخ من الفريق الذي أصلاهم نار نقده مثل صاحبي « المقتطف » وسعيد الشرتوني ، وشكيب أرسلان ، وجماعة اليسوعيين . وعلى مطبوعات هؤلاء حمل حملة شعواء ، وكثيراً ما عمد في حوارهم الى السخرية ، وربما انتهى بعض هذه المناقشات بالمهاترة أحياناً ، وأدى بعضها الى ما كان يودّ أحباب الشيخ لو تصوّن عنه .

وقيل : ان الشيخ كان ينشر أشياء باسم بعض تلاميذه أو بأسماء مستعارة فيما لا يريد أن ينسب اليه . وهذا أيضاً لا يخلية من تبعة ، خصوصاً وهو في بعده عن اللغو ، والتحلي بالقضايا النفسية المثل الأعلى . بيد أنه جبل على حب المطارحات والمناظرات ، وبها تجلت ملكته في البيان هذا التجلي الرائع اذا أريد التنظير بين كلامه وكلام معاصره . وفي المناقشة التي دارت بينه وبين العلامة أحمد فارس كان أكثر اعتدالاً مع أنه كان شاباً وخصمه كان شيخاً .

كان الشيخ يألم ممن يرتكب غلظاً لغوياً ألمه ممن يسيء اليه مباشرة ، فما كان يغفل عن نقد معظم ما كان يهدى اليه من الكتب الجديدة لتقريبه والتنويه بصاحبه ، وكل ذلك حتى لا يعيب باللغة عابث ، و « كان أقصى أمانيه أن يعيد الى اللغة بهجتها الأولى ، ويرد الناشئة من كتاب العصر الى النهج القويم من الاحتفاظ بقواعدها وأصولها المقررة في أمهات المعاجم وكتب البلاغة المعروفة بصحة التعبير وفصاحة الالفاظ . وألا يعدل الى المولد الدخيل الا بعد طول البحث

والتنقيب ، واجماع أهل العلم الواسع من المحققين ، وبعد اليأس من الوقوع على الفصيح الاصيل » .

ومما كان يحزنه أن اللغة لا تفي بمطالب العلم في هذا العصر ، ولذلك وضع الفاظاً لمسيات افرنجية سري بعضها على أسلات أقلام الكتاب والصحافيين في حياته . وعرب بعض المصطلحات تعريباً صحيحاً . ولو طال به الاجل لاستكثر من كل ما يفيد اللسان العربي حتى يداني بسادته العلية لغات العلم عند الافرنج ، ويؤدي على أيسر وجه معاني بعض الالفاظ الجاري استعمالها في العلم والاجتماع والفن والصناعة .

قال لي مرة وأنا أسأله رأيه في اللغة العصرية : اني معتبط بأن اللغة علت بلهجتها وقل فيها الابتذال الذي كان لها أول نهضتها ، ويتخللها الآن من الفصيح ما لم يكن يعهد فيها في عصور الانحطاط . وكيف لا يفرح لسو اللغة وهو من أول العارفين بجرس الالفاظ ورثتها وخفتها وثقلها وإدراك أجدر المواضع باستعمالها .

درج حياته على تصفح كتب البلغاء والتقاط الفاظها وتراكيبها الجميلة، يتسلها ويدمج في تضاعيف كلامه ما تقضي الصناعة بادماجه، بقرنها الى أمثالها مما وعاه صدره ، وبهذا ارتفعت كتابته عن كتابة غيره ، اذ توفرت لها المادة والقوالب ، وعرف أساليب الكتاب على اختلاف العصور ، فبعد عن مستوى غيره . يعين على ذلك ذوق سام جمع بين أدب الافرنج والعرب .

هذا وهو لم يعالج من فنون الانشاء الا ما أخذ من نفسه ، ولا تتعلق همته على الاكثر بغير الموضوعات الادبية والتاريخية القريبة المأخذ ، مما لا يتعاصى تفهمه على من شدوا شيئاً من الآداب .

كانت مجلة « الضياء » كتابه الام ، حفلت بالفوائد الادبية
واللغوية ، حتى ليستخرج منها عدة كتب ، ومن اهم ما ينتزع منها
مجسوة جميلة من نقده الادبي وسخرياته ، يستخرج منها أسفار نافعة
حري بالناشئة أن تجعلها سرها في خلوتها ، وتتخذها أصولا للبلاغة .
وفي مجلته هذه يتسل لعينيك جهده في انشائها ، وتوفره على اتقان
أبحاثها ، حتى لقد صدته عن النظر في سائر مؤلفاته ، ومنها معجمه .
ويبدو لناظرك أن صاحبها قد نقى اللغة وغربلها وطحنها ونخلها وعجنها
وخبزها . ف جاء منها بكل لقمة كريمة وحلواء لذيذة .

وكان باب النقد ما يجب مجلة الضياء الى القراء ، ذلك لانه
كان على مثل اليقين أن أبحاثها لا تخلو من جفاف فيداويه بشيء من
الفكاهات والاقاصيص ، يكتبها له أهل هذا الشأن من تعريبيهم
أو تاليفهم ، والناس أميل الى تلقف ما يسليهم منهم الى الجنوح الى
ما يتعلمون منه ، ولو يحصر أذهانهم دقائق معدودة ، والبحث في
الآداب ما يثقل على السواد الاعظم ، وهم لا عهد لهم بالنظر في هذه
الابحاث ويعدونها من الأبحاث الجامدة .

وكانت « الضياء » تبرز الى قرائها في حلة لبنانية بروحها
وموضوعها^(١) ، تراءى لمن يقرؤها أنها تكتب في لبنان وتطبع في مصر،
وترى منشؤها فيها وقد التف حوله تلاميذه وذوو قرباه ومواطنوه من
الشاميين يؤازرونه في انشاء مجلته فيما يتقنون من الموضوعات ، فلا
يكاد المتأمل يقع بينهم على كثير من النابيين المصريين ينشرون أبحاثهم
في مجلته . ولعل العلة في ذلك ابتعاد الشيخ عن الاختلاط بالناس ،
فاكثر الشاميين يعيشون بين جالياتهم لا يسترجون بالمصريين كثيرا .
على أنه يندر يومئذ في المصريين رجال من الطراز الذي تعجب صاحب
المجلة كتابته وبحثه .

(١) وهي التي كانت تصدر بمصر .

لم ينصرف الشيخ الى الشعر انصرافه للنثر ، ولذلك يعد من
المقلين منه^(١) ، استخدمه في أغراض اجتماعية على الاغلب ، كان يذكر
العرب بسجدهم ، أو يدعو القوم الى كسر قيود الاستبداد وتطلب الحياة
الحرية ، والقضاء على من وقفوا عثرة في سبيل نهوض العرب ، وكانوا
سببا في تدنيهم وخسولهم . فن شعره في هذه المعاني :

وما العَرَبُ الكرامُ سوى نصالٍ

لها في أجفُن العَلِيّا مقامٌ

لَعَمْرُكَ نحن مصدرٌ كلٌّ فضلٌ

وعن آثارنا أخذ الأنامُ

ونحن أولو المآثر من قديمٍ

وإن جحدتْ مآثرنا اللئامُ

فقد علم العراق لنا قديماً

أيادي ليس تشكرها الشّامُ

وفي أرض الحجاز لنا فيوضٌ

يسيل لها إلى اليمنِ انجمُ

وفوق الأندلس لنا بنودٌ

لهامات النجوم بها اعتمامُ

وسل في الغرب عن آثار فخرمٍ

لها في جبهة الزمن ارتسامُ

وله السينية المشهورة ومطلعها :

دع مجلس الغيد الأوانسُ وهوى لواحظها النواعسُ

(١) طبع له ديوان شعر بعنوان « العقد »

إلى أن يقول :

فأثرة كل الثر ما
والخير كل الخير سي
ما هم رجال الله في
يشون بين ظهوركم
أي النعيم لمن يبي
ولمن تراه بأنا
ولمن أزمته بكيف عداه
ينظلم وهو آيس
ولمن نباع حقوقه
ودماؤه يبع الخسائس^(٢)
ولمن يرى أوطانه
خرباً كأطلال دوارس^(٣)

وقال في الترك :

فأترك قوم لا يفو
أو لستم العرب الكرا
فاستوقدوا لقتالهم
عنت قبائحهم فاض
حال بها طاب التبت... ثم للوغى والموت عابس
وحلا بها سفك الدما
ز لديهم إلا المشاكس
م ومن هم ثم المعاطس^(٤)
نارا تروّع كل قايس
حت لا تحيق بها الفهارس
وسفكها للجور حابس

ومثلها قصيدته^(٥) :

(١) المراد بكلمة « باس » الاخيرة الذي يقبل وقد صاغها من قول
العامة (باس فلان يد فلان) .

(٢) الاصل : ولمن تباح ، ولعله سهو .

(٣) الاصل : الثم المعاطس ، ولعله سهو .

(٤) نظمتها سنة ١٨٦٨ ونشرت سرا ، ولم تهند الحكومة العثمانية
الى معرفة ناطقها وفي كتاب عيسى ميخائيل سابا عنه واحد وعشرون
بيتا منها انظر صفحة ٤٩ منه .

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب^(١)

فقد طما الخطب حتى غاصت الركب^(١)

فيسم التعلل بالآمال تخدعكم

وأتم بين راحت القنا سلب

كم تظلمون ولستم تشتكون وكم

تستغضبون فلا ييدو لكم غضب

ثم يعرض بحكام تلك الأيام فيقول :

سلاحهم في وجوه القوم مكرهم

وخير جندهم التدليس والكذب

لا يستقيم لهم عهد إذا عقدوا

ولا يصح لهم وعد إذا ضربوا

بالله يا قومنا هبوا لشانكم

فكم تناديكم الأسفار والخطب

الستم من سطوا في الأرض واقتحوا

شرقا وغربا وعزوا أينما ذهبوا

.....

فما لكم ويحكمم أصبحتم هملا

ووجه عزيزكم بالهون منتقب

لا دولة لكم يشتد أزركم

بها ولا ناصر للخطب يشتدب

أقداركم في عيون الترك نازلة

وحقكم بين أيدي الترك مفتصب

(١) طما ، يطمو ويظمي : زاد وارتفع .

وأظن هذه القصيدة هي التي اتهم بها أحد الأدباء يومئذ ، وحبس
بها سنة ، كما قال لي الشيخ رحمه الله .

وهذه القصائد تنادي بأنه كان حرا يدعو الى الحرية ، وغريبا
يكي لمجد العرب ، ويحاول أن ينزعوا من ربقتهم حكم العثمانيين ،
وينجوا من الاستعباد . وهو ما كان يطيّب له ادعاء هذه القصائد ، لأن
قصده مجرد عن الغاية ، فلا يطمع في الظهور والتسجد . ولو ظهر عليه
أدنى أثر من الانكار على الدولة لناله من العقوبات أفظعها ، فهو بعقله
وحيطة يتقيهم ولا يرتكب مالا يرضيهم ، على ما كان يتقي أهل بيئته ،
وبيئته كانت جد متعصبة جامدة ، وكنت تلمح حرية فكره تلمع أشعتها
من خلال ما ينشره ، ويتجلى للناقد البصير أنه معلم حكيم ، يرمي الى
تهذيب النفوس بكل ما لديه من الذرائع ، ويحاول اخراج أمته الى
طريق سليم ليدخلها في غمار الامم التاهضة ، وهو الذي يعرف مبلغ
أمته من معاونته ومعاونة أمثاله ، ولذلك لم يجاهر بدعوته ، لأن الامة
خلت من هذه المعاني ، وما كانت تفكر الا في الساعة التي هي فيها .

وما سلم الشيخ من عيوب الشعراء المتأخرين ، فقد كان أصحابه
وجيرانه وأهله يريدونه على أن ينظم تواريخ لأضرحة موتاهم ، وكان
يرجى أن لا يقبل اضاءة وقته في مثل هذه المنظومات ، ومنها المدح
والرثاء . وما كان الحامل له على نظمها على ما يظهر الا ارادة التخلص
من تعجيز المعجزين ، وقد اعتاد الناس ألا يرضوا عن الشاعر الا اذا مدح
أحياءهم ورثى موتاهم . وقد آثرت له رسائل لك أن تدعوها من جنس
الإخوانيات ، كان يبعث بها الى أحبائه أو الى أرباب الوجاهة لدفع
مغرم وجلب مغنم لمن يتوسطه ، يكتبها من حاضر الوقت ، لا يتعمل
فيها ، وأكثرها مسجوع ، اذا تلوتها تراءى لك أنه ينسج فيها على

منوال الهذلي والخوارزمي والصاحب . ومن شعره الجليل يذكر
حصن منبت أجداده .

وسقى الله أرض حصن وحيث
تفحات الرضا خصب تراها
هي فردوسي القديم ومنها
ثمرات الحياة كان جناها
ومنه :

ليس الوقعة من شاني فإن عرّضت
أعرّضت عنها بوجه بالحياة ندي
إني أضين بعرضي أن يلتم به
غيري فهل أتولى خرقه بيدي

وقال في ساعة دقاقة :

ومحصية أعمارنا كلما انقضت
لنا ساعة دقت لها جرس الحزن
فيا بنت هذا الدهر سرت بسيره
فهل أنت دون الناس منه على أمن

وقال في عود الطرب :

وعود صفا الندمان قديماً بظلكه
وما برحت تصفو لديه المجالس
تعشقه طير الأراكه أخضراً
وحن إليه ريشه وهو يابس

وقال في بعلبك :

يا بَعْلَبِكَ غريبة الأزمانِ
والعهدِ والصناعِ والبيانِ
لم تَبْلِكِ الأيامُ في حِدِّها
إلا لتظهِرَ قدرةَ الرحمنِ

وقال :

تَعْجَبُ قومٌ من تأخّرِ حالنا
ولا عجبٌ في حالنا إن تأخراً
فدأصبحتُ أذناننا وهي أروُسُ
غَدونا بحكمِ الطبعِ نشي الى الورا

وقال في الحكيم (١) :

حياةُ أَسْرَ العيشِ فيها مَذَمٌّ
وناسٌ بها قلبُ الخليِّ مُتَيِّمٌ
سَقَتْ كلُّ قلبٍ كلَّ يومٍ مَشَارِباً
توهَّمُ فيها لذةٌ وهي علقمٌ
وما الأرضُ إلا قفْرةٌ زارتُ بها
أسودُ المنايا حولنا وهي حوَمٌ
لها كلُّ يومٍ بيننا كلُّ منذرٍ
ينادي علينا سُمْعاً وهو أبكمٌ
تبهنا بعضاً ببعضٍ فتشني
وأجفاننا في غفلةٍ اللهم نوِّمُ

(١) وردت هذه القصيدة في كتاب عيسى سابا ص ٤٣ بعنوان
ميرة الاقلام على أنها في رثاء الامير محمد ارسلان وقد توفي في
القسطنطينية .

خَلَّتْ دونها شمْ الحصون فلم تكن

لساكنها من غارةِ البينِ تعصمُ
وأصبحَ مَنْ " قد كان يثرهَبُ بأثمه
يُنَاحُ عليه بعد حينٍ ويُرْحَمُ
ترابٌ " من الأرضِ استوى تحت صورة
تلوحُ عليها مدهٌ ثم تهدمُ

إذا ما دَفَعْنَا للبليةِ مرةً

ولم ننتفعِ بالحزنِ فالصبرُ أحزمُ
جرى قدرُ المولى بما شاءَ واستوى
لديه جَزوعٌ " في الأسيِّ ومسلَّمُ
وليس لنا من مطعمٍ فات تَيْلَهُ
إذا كان ما نبيغيه ما ليس يتغنمُ

وما كان ما لا بُدَّ منه مؤخراً

يهونُ لديه الرثاءُ وهو مقدمُ
وما الفرقُ في الحالينِ إلا هنيهةٌ

تَمَرُّ سريعاً والقضا مُتَحَمُّ

ومن قوله في الحكيم أيضاً :

وإنما نحن في داءٍ إذا اعتبرتُ
ليست سوى مأتمٍ ناحت به البشرُ
في كل يومٍ أناسٌ فوقها فجمعوا
على أناسٍ طوتهم تحتها الحفرُ
بئس الحياة التي ما زال واردها
يمازج الورد في كاساته الصدرُ

حالان إحداها مملوءة حذراً

ما يليها وأخرى فاتها الحذر

قال في مصير الارض من مقالة :

« واعتبر ذلك في الارض وما يؤلف أديبها من الجواهر ، ويشتمل عليه جوها من العناصر ، وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحراء ، والحيوان السارح على وجه الغبراء ، والسابح في لجتي الماء والهواء ، تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها بأسفلها ، ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها الى أولها ، بل ترى الارض نفسها عرضة للطبيعة ، تغزوها بالسيول الجوارف والرياح النواصف ، والامواج التي تهاجم تغورها ، والزلازل التي تصدع صخورها ، متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار ، الى أن يأتي يوم تنحل فيه الجبال ، وترسب في درك الحار ، ثم لا تزال المياه تسحل وجه الارض حتى لا يبقى فيه أمت^(١) ولا انحاء ، وحتى يغيرها الماء من كل ناحية ، وقد عاد سطحها مستويا تحت الماء كاستواء سطح الماء ، فعادت كما كانت في أول خلقها . ماء عامر ، وكون بائر ، قد خلا من عالمي البر والهواء ، ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء .

هذا اذا لم تصب الارض قبل ذلك بالهرم ، وينضب ماؤها بعد خلود ما في باطنها من الضرم ، ولم تشرب هواءها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان ، ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران ، على حد ما تم ذلك في القمر ، حتى لم يبق فيه وشل^(٢) لمرتاد ، وحتى

(١) الامت : المكان المرتفع ، او التلال الصفار ، والانخفاض والارتفاع ، والاختلاف في الشيء .

(٢) الوشل : الماء القليل او الكثير (ضد) .

تجرد من ثوب هوائه أو كاد ، وحتى أصبح قرأ هامدا لا ينبت عليه شجر ، ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر ، بل لو بقي هواء الارض وهو خال من بخار الماء لجمد البر وسطحها تجسيدا ، وانقبض الاحياء من وجهه حيث يقع شعاع الشمس عسودا ، ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقا على توالي الحقب الى أن تنوت آخر عشيرة منهم بالبرد والسغب^(١) ، فتدقها الثلوج حيث لا تنكشف رسمها الا يوم التلاقي ، وتخط يد القضاء على أديم الارض « سبحان الحي الباقي » .

وهذا اذا لم تهزم الشمس فتقلب نارها بردا ، ولكنه يرد بغير سلام ، فتهم السيارات والآثار من حولها في فضاء من الزمهرير والظلام ، ويومئذ لا ييزغ الصباح فيذهب آفاق المشرق ، ولا يقبل الماء فيخيم على أرجائه بجيشه المطبق ، ولا يكون اذ ذلك كسوف ولا خسوف ، ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف ، ولكنها تلتحف السواد حدادا على عالمها بالامس ، وقد التف بكفن من الثلج فأوته منها الى مثل ظلمة الرمس . ويومئذ تتجمد البحار فلا يكون موج يتنفس ، ولا سحب ينبجس ، ولا سيل يتدفق ، ولا جدول يترقرق ، وتركد حركة الهواء ، فلا تهب شمال ولا صبا^(٢) ، ولا تجري نسمة على الوهاد والربى ، وأنى والشمس مصدر الحركة في العوالم ، وقوام الحياة لكل قائم ، فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب ، واذا دبت النسم فالشمس هي التي تدب ، واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر ، واذا انهرت الغيوث فهي التي تنهر . الا وهي الشمس التي تجري في

(١) السغب : الجوع .

(٢) الشمال : ربح تهب من الشمال . والصبأ : ربح تهب من مطلع

الشمس عند استواء الليل والنهار .

الانهار ، وهي التي تغرد في الامطار ، وهي التي تزهر في الرياض ، وهي التي يسبح حفيفها في الغياض ، وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها ، واذا ماتت الافئدة فبحال أن تعيش اجسادها» ١٠ هـ

وبعد ، فلم ينبغ لبنان أكتب من الشيخ فيما اعتقد ، ولا أجزل حظا منه في علوم البيان ، وندر أن كملت لغيره ما كمل له من عبقرية صقلتها العناية أي صقل ، ومن قام بواجبه في خدمة اللغة ، وسلك كل طريق نافع الى غرضه ، فقد قال فيه الاستاذ الامام محمد عبده : انه أكتب من أديب بكثير ، بل هو أكتب المعاصرين فيما أرى . وناهيك بها من شهادة . وقال فيه الاستاذ شيخو : ان كلامه يظهر لقارئه كأنه المرأة الضعيلة أو الماء الزلال ، فكان لا يزال يردد النظر فيما كتب وينقحه مرارا حتى يخرج كالبرد القشيب والخميلة الناعمة .

وقال الاستاذ عبود : « ان انشاء الشيخ ليس بالانشاء المنمق العالي اذا استئينا صدر مقالتي الزهرة والقمر ، وفيهما ظهر أنه ناثر فني من الطراز الاول ، فخياله طريف فيها ، وسجعه أنيق ظريف ، كأنه الشعر أو فوق الكثير من الشعر ، وقد كتب جل ثمره بأسلوب العلماء والمؤرخين والكتاب الاجتماعيين ، وتضلعه من اللغة ، وادراكه أسرارها أدى به الى العدول عن المجاز . وله فضل على النهضة بتعايره الصحيحة ، وكان له أبعاد الاثر في توجيه كتاب النهضة نحو الكلام الصحيح السليم ، ولئن كان في انشائه جفاف أساليب العلماء فلا تنس أن فيه صحة وشدة أسر » .

كان سمت الشيخ سمت العلماء ، وعلى جانب عظيم من الوقار ، تقرأ في طلعت جلال العلم وجمال الادب ، وتحس في كلامه كأنك في مجلس

فنان ، أفنى أيامه في التحقيق والتدقيق : عقل عالم ، وحكمة حكيم ، وعين فنان ، وذوق شاعر .

كان الشيخ مأخوذا بعلمه ، مخلصا له ، لم يتعلق من الحياة بغير المعنويات ، دار حياته في دائرة ما حدثته نفسه أن ينخطها قيد أنملة فلم يخرج فيها عن نشر العلم والآداب ، وخدم لغة القرآن خدمة لم يوفق الي أكثر منها أكبر علماء الاسلام . وعاش مقلا متقنفا لم يطرق أبواب الملوك ، ولا قصد رجال المال ليستعين بهم على ما يضطلع به ، ومع أنه سبق للدولة المصرية قبله أن عاونت اللبنانيين العظميين بطرس البستاني وأحمد فارس من رجال النهضة الاولى ، فهو لم يجد من حكومة مصر العربية عوناً ، وغفل أغنياء المصريين والشاميين عن الاخذ بيده ، وكان يشير في الأحايين الى هذا النقص في أخلاق الامة ويردد أن الاغنياء وأرباب الشأن بمعزل عن تشدان المطالب العالية والمشاركة في الامور النافعة .

عاش الشيخ عزيز النفس ، وما أسفك الى ما أسفك [اليه] أكثر علماء عصره ، ومات لم يتزوج ولم يعرف سعادة البيوت وعطف الولد ، ومن أغرب ما يسجل أن حكومة لبنان اقترحت عليه أن توليه « قائم مقام »^(١) على زحلة ، وهو عمل يقوم به بعض تلاميذه ، على أنه لم يخلق للإدارة ولا للسياسة . وكافاته الجالية السورية في البرازيل بعد وفاته بأن صنعت له تمثالا نصبته ببيروت ، في احدى ساحاتها .

قلت فيه يوم نعيته في جريدة « المؤيد » : « قضى حياة المتعلم

(١) منصب اداري يشغله من يدير امور منطقة تشمل على عدة قرى ، ويقابله اليوم منصب « مدير المنطقة » .

أحمد الاسكندري *

١٢٩٢ - ١٣٥٧ هـ

١٨٧٥ - ١٩٢٨ م

ولد أحمد الاسكندري في مدينة الاسكندرية في ٢٦ شباط سنة ١٨٧٥ ، وبعد أن حفظ القرآن التحق بالمعهد الديني بالاسكندرية . ولما لم تشبعه مناهج التدريس أخذ يقرأ الكتب التي تقع تحت يده ، فأولع بالادب ، وقرض الشعر ، ورأى الافق العلمي في الاسكندرية محدودا فرغب في النزوح الى القاهرة ، فلم يوافق والده مع أنه كان يتعهده بالتعلم ، فصمم على الرحلة ، وجمع كتبه وحزمها ، وخرج في غفلة من أهل الدار ، وليس في جيبه الا درهما ، وركب مركبا في ترعة المحمودية بلغ به كفر الزيات ، وهنا فقد زاده ودرهاته ، فحل كتبه على ظهره ومشى على قدميه حتى وصل القاهرة والتحق بالازهر .

وفي سنة ١٨٩٤ دخل دار العلوم وهو أصغر زملائه سنا ، وكان من عادة المدرسة يومئذ أن تعقد في أول كل سنة دراسية اختبارا عاما لطلبة المدرسة في كتب تعيينها لهم وتختبر درجتهم في المعلومات العامة ، فكان الاسكندري كل عام فارس الحلبة فتخصه المدرسة بجوائزها .

تخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٨ واشتغل بالتدريس في المدارس الاميرية ، ثم كان ناظرا لمدرسة المعلمين في القيوم فللمنصورة ، وفي سنة

* ترجمته في الاعلام ١ / ١٧٧ معجم المؤلفين ١٤/٢ وانظر معجم المطبوعات ٣٩٤ ، ٤٣٨ ومقالاته في مجلة المجمع العلمي ، المجلد ٧ ص ٢٦٣ ، ٣٢٦ و ٤٢١/٩ ، ٤٦١ ، ٤٢٩/١١ وغيرها .

والمعلم والعالم على أكمل وجوهها . وبرز خاصة في علوم العربية على أقرانه فعد من آحاد زمانه . نشأ في بيت كان ربه يتغنى ليله ونهاره بالشعر والادب فشب وشاب فيما نشأ عليه وأنشئ له . وناهيك بمن يرضع اللغة من صغره ، ويعاني الادب في جميع أدواره ، لا يصل الى سعه غيره ، ولا تقع عينه على ما سواه ، والجميع مستحسن له ومصفق ومؤمن على أقواله ومصديق . . . ولا بد لمن يتحضر للانتقاد أن يلاقي ما لقي الشيخ اليازجي فيصاب ويصيب . والناس لم يالفوا الانتقاد ، وكان أكثر المتقدمين يعدون الانتقاد ثلما لشرفهم واسقاطا لأقذارهم ، والناقد كيفما كانت الحال لا تصفو له القلوب» (١) .



(١) توفي بخلوان . ونحدث عن جنازته شاهين القزري في كتابه (ذكريات) وأقيم له تمثال وضع عليه شيخ العروبة أكليلا من الزهور سنة ١٩٢٦ (انظر كتاب ذكريات وكتاب أحمد زكي لأنور الجندي) .

١٩٠٧ انتقل الى دار العلوم لتدريس مادتي الانشاء والادب العربي . وظل يزاوّل هذا العمل في تلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاما ، ألف في أثناءها كتاب « الادب العربي في العصر العباسي » وقد أجمع الادباء على أنه كان المعين الذي استقى منه جميع من بحثوا في تاريخ الادب بعده . وهو أول من اقترح تدريس فقه اللغة في دار العلوم ، وكان غير معروف من قبل في المدارس المصرية فحمل عبء تدريسه . وقسمه قسمين : قسم فلسفي نظري يتعلق بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات وغير ذلك . وقسم نظري يتناول وضع الالفاظ اللغوية للمسيات .

وفي سنة ١٩٢٢ عرض عليه كبير أن يسزج بنفسه في المعترك السياسي فأبى اجابة مقترحه محتجا بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة . وجميع من تخرجوا في دار العلوم من سنة ١٩٠٧ الى ١٩٣٤ تلتذوا له ماعدا فرقتين تنتين .

وفي سنة ١٩٣٣ عين أستاذا للادب العربي في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وكان في المكتب الفني عضوا عاملا ، واشترك في وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، وفي مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس . ولما أنشئ المجمع اللغوي الملكي في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٣٢ وقع عليه الاختيار ليكون فيه عضواً . ومن يراجع محاضراته في سبب ذلك . ولقد ساهم في أكثر اللجان الفرعية فكان عضواً في سبع لجان من احدى عشرة لجنة .

كان يحب العربية ويتعصب لها تصعبا شديدا ، ويعتبر التساهل وفتح الباب للغات الاجنبية لغزو اللغة العربية جريمة شنعاء ، ويعجب

من يعيبون على المجمع استعمال الفاظ غريبة لمسيات جديدة ، لانه كان يرى أن هذه الالفاظ وان بدت غريبة الآن فانها بالاستعمال تسهل على السمع وتجري على اللسان . هكذا كان يجاهد جهادا شديدا حتى وافق المجمع على عدم اللجوء الى التعريب الا لضرورة قصوى .

قال فيه أحد من ترجم له : « كان يعتقد ان اللغة جسم يمكن ان ينسو ويربو بوسائله الذاتية من غير لقاح او غذاء خارجي . فتعلق بفكرة أن اللغة العربية لغة اشتقاق لا غير . ثم قصر اجازة الاشتقاق على الصيغ القياسية ، والمقصود بالصيغ القياسية تلك الصيغ التي ورد فيها كثير من الكلمات المصوغة على وزانها . أما الصيغ الأخرى وهي الأكثرية الكبرى فكان يقول على مذهب قدامى اللغويين انها صيغ سماعية ، أي تسمع عن العرب فقط ولكن لا يقاس عليها . بذلك تحصر الدائرة وتضييق ، ويصبح وضع المصطلحات العلمية واسماء الشؤون العامة مقتصرأ على استخدام وسيلة واحدة هي الاشتقاق من الصيغ القياسية في اللغة . هذا الى جانب المجاز ، وهو ان يوضع لفظ " استعمال معنى قديم ليؤدي معنى جديدا تجوزاً لعلاقة بين المعنيين ، سواء كانت العلاقة كبيرة أو صغيرة » .

« كان من مذهبه في اللغة ان الفصيح من كلام العرب وحده هو الذي يحق له البقاء ، أما ما دون ذلك فدخيل لا حق له في الحياة أو البقاء . ومعنى الفصيح عنده ما نقل عن العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري قبل أن يولد المولدون في اللغة شيئا ، وقبل أن تختلط اللغة الفصيحة بعجمة العناصر البعيدة عن العربية السليمة . ولقد يسلم بنا هذا القول الى أن اللغة العربية ملك للعرب ، وليس للعرب عامة ، وإنما للعرب الذين عاشوا الى نهاية القرن الثالث الهجري . ذلك في حين أن

الثابت على مقتضى حكمة النشوء والارتقاء أن اللغة ملك لمن يتكلمونها
ويستعملونها ويتخذونها أداة للتفاهم ، تنمو بنماتهم وتتطور بتطورهم ،
وتصب في القوالب التي تدعو الحاجة إليها . والواقع أن لكل زمان
حاجاته ، وأن من التحكم ان نلزم تلك الأساليب التي اتحاشا اسلافنا
كأننا غير مخلوقين لزمان بعيد عن زمانهم عشرات القرون » .

أول مؤلفاته « تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي » ثم ألف
كتاباً في اللهجات العامة قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١ ثم كتاباً
للسطالعة في المدارس الثانوية وسماه « نزهة القاريء »^(١) ثم كتاباً جامعاً
في الأدب العربي في جميع عصوره لم يطبع . وله مؤلفات في هذه اللغة ،
واشترك مع غيره في وضع كتب مدرسية في التاريخ العام وتاريخ الأدب
والنصوص الأدبية . وفي سنة ١٩١١ سافر إلى مؤتمر المستشرقين في
اليونان بصحبة الأمير فؤاد (الملك فؤاد الأول) وأحمد شوقي وأحمد
زكي وحفني ناصف وغيرهم .

هذا غاية ما دون من حياة الشيخ الاسكندري . وقد كتب لي أن
عرفته وصحبه من سنة ١٩٠١ ، وكانت اجتماعاتنا تتوالى وتجري
مذاكراتنا غالباً في شؤون تعود علينا وعلى الناس بالنفع . وكان الجهد
يتجلى فيه ما أحب غيره .

كان مثال رجل يحسن القيام بالواجب ، وبلغ في الإخلاص بعلمه
وعمله غاياته . أخلص في تلقي العلم ، وأخلص في تلقيه ونشره فعدياً
حقاً من أركان نهضة العربية الأخيرة ، وكل تلاميذه سويعدون بالملئات
معجبون بعلمه وأخلاقه ، ذلك لأنه كان من الأساتذة الذين يجب أن
يُخرج الناشئة بأقصر وقت من أقصر طريق . كان على وداعة ظاهرة

(١) طبع .

وتواضع محمود ، بريناً من الدعوى ، يحسن الدفاع عما اعتقد صحت
من القضايا العلية ، لا يصانع ولا يدالس ، أحسن تهذيب نفسه
وتهذيب من وكل إليه أمر تهذيبهم ليتولوا بعده تهذيب أبناء وطنهم .
ولما انتخب عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية كان لسانه
والسنة رصفائه : العوامري ووالي وحشوش والجارم أطلق السنة
اعتادوا الكلام أكثر من اعتيادهم حمل الأقلام ، وذلك لمراهم على
الإلقاء منذ أن كانوا يتولون التدريس ، وما كان ينقصهم إلا معرفتهم
لغة عربية ليتدبروا بأنفسهم أصل وضع اللفظ الذي يراد وضع
مسمى له .

ويعد من مزايا الاسكندري أنه ما خرج عن الخطة التي اختطها
لنفسه منذ كان غلاماً ، وهجر دار أبيه في الاسكندرية ليطلب العلم في
أزهر القاهرة ، سار على وتيرة واحدة ما غير فيها ولا بدّل ، ولا طمع
بسال ولا حدثته نفسه بظهور من المظاهر . وكان يعد السعادة ما هو
فيه ، ولسان حاله أنه سعى فنجح سعيه وجدّ فنال ثرة جده ، وكان
يخيل إلي أن صديقي لو سع بأن في الصين رجالاً يخدم اللغة العربية
لتقدم وعقد معه صلات ليعاونه فيما هو بسيله .

حدث مرة أن ألف المجمع اللغوي لجنة للنظر في تعريب الأعلام
الجغرافية فلما لم ير أسى من أعضائها قام والغضب أخذ منه ، وأقسم
بالله أن كتابي « خطط الشام » أرقى من خطط المقرئ ، فمن يؤلف
مثل « خطط الشام » كيف لا يضم إلى لجنة تبحث في الجغرافية ،
فبادرت وشكرته على حسن ظنه ، ولم أقبل مشاركة اللجنة ، واكتفيت
بأن صححت لها مخطط الشام وكان محرراً تحريفاً مخجلاً ، ولم أرض
أن يذكر أسى في المحضر بأني صححت هذه الأعلام . ذكرت هذه

القصة مثالا من غيرة الشيخ الاسكندري على العلم وإنصافه بإنصاف
المشتغلين به .

- ٤ -

* احمد تيمور *

١٢٨٨ - ١٣٤٨ هـ

١٨٧١ - ١٩٣٠ م

كان جد أحمد تيمور من أكراد الموصل ، جاء مصر وجده أمير
الشعراء أحمد شوقي بوصاة من والي عكا الى محمد علي الكبير ،
فارتقى في وظائف الدولة ، وأخلص الخدمة حتى أصبح من قواد صاحب
مصر ، وغدا ابنه بعده رئيس الديوان الخديوي ، وخلق تروة لا بأس
بها ، ومات وأحمد طفل ، وكان ولد سنة ١٢٨٨ فكفلته أخته عائشة
التيمنورية^(١) الشاعرة المشهورة . ودرس في بيته مبادئ العربية
والفرنسية والتركية والفارسية ، ثم أدخل مدرسة مارسيل الفرنسية .

* نشر هذا البحث في جريدة الاهرام المصرية ١٩١٥٧ لسنة
٦٤ تاريخ ١٠ ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ١٢/١/١٩٣٨ م . وهو
محاضرة كان قد القاها في قاعة بورث التذكارية في الجامعة الامريكية
بالقاهرة .

ترجمته في الاعلام ١/٩٥٠ . ومعجم المؤلفين ١/١٦٦ وانظر معجم
المطبوعات ٦٥٢ ومقدمة طه حسين لكتاب (اوام شعراء العرب)
وكذلك مقدمة خليل ثابت ، ومرآة العصر ٢/٣٢٩ وانظر ايضا مجلة المجمع
العلمي ٢/١٤٧ ، ٢٨٩ ، ٣٢١ ، ٤٠/٩ ، ١٦٠ . وفيها مقالات له .

وفي مجلة العربي العدد الرابع لسنة ١٩٧٤ مقال بعنوان مجالس
أحمد تيمور لأحمد الجندي .

(١) شاعرة اديبة من نوابغ مصر ، كانت تنظم الشعر بالعربية والتركية
والفارسية توفيت سنة ١٣٢٠ هـ ، ١٩٠٢ م من مؤلفاتها : حلية الطراز
(ديوان شعرها العربي) ، نتالج الاحوال (في الادب) ، وكنشوفة
(ديوان شعرها التركي) . (الاعلام ٤/٥ - ٦) .

- ٣٧ -

اختاره المجمع العلمي العربي^(١) عضوا مراسلا فأكبر هذه الإشادة
وعند الى مؤازرة مجلته بقدر ما اتسع له وقته على ما لم يفعل بعضه
أكثر الأعضاء المصريين . وما نشره في مجلة المجمع بحث مستوفى في
حياة ابن خلدون وفلسفته وتأليفه ، وآخر في ابن خفاجة الأندلسي ،
وتالت في صفي الدين الحلبي ، ورابع في أثر الأدب العربي في شعر
شوقي .

كانت تأليف الاسكندري محصورة في تعليم الآداب العربية
خاصة وما تعداها الى موضوعات أخرى . وهذا مما يعد أيضا في
باب غيرته على خدمة اللغة من طريقها الموصل للمعبد . فاللغة هي التي
دار في دائرتها الواسعة منذ جلس على مقعد التدريس ، وما كان يلتفت
الى معالجة أبحاث غيرها .

وثره النثر المرسل الخالي من التكلف ، الحالي بالسلاسة ، وما
ترك له التدريس وقتا يصرفه في الشعر ، وان علمه ونقده وعرف جيده
من رديئه وخرج من تحت يده شعراء وكتاب وأساتذة يحق له أن
يفخر بهم ، ويحق لهم بأن يفخروا بالأخذ عنه .

(١) بدمشق .

- ٣٦ -

وكانت خاصة بأبناء الأعيان ، ففضى فيها خمس سنين أتقن خلالها اللغة الفرنسية وأخذ العلوم اللسانية والدينية والعقلية من علماء عصره ، ومنهم الشيخ رضوان المخللاتي ، ولازم الشيخ حسن الطويل أعظم علماء عصره اثنتي عشرة سنة ، ثم لازم الشيخ العدوي والشيخ الهوريني والشيخ الحسيني ، وأخذ عن الشيخ محمود التركي الشنقيطي ، وعن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وصحب العلامة الشيخ طاهر الجزائري ثلاث عشرة سنة .

تخرج أحد بهؤلاء الأعلام فجمع بين الثقافتين ، وربما زادت ثقافته العربية على ثقافته الغربية ، فقد استخدم ثقافته العربية طول حياته ، وما كانت ثقافته الغربية التي تثقفها في صباه الا خادمة للثقافة الأخرى ، وقلنا نساها في كبره . ونشأ متدينا تقيا عطوفا على الفقراء ، يارا بالضعفاء ، يقيم الصلوات ويبارس شعائر الإسلام ، ويتصدق في السر تقربا الى الله واحتساباً ، يعطي من حر ماله المئات من الجنيهات ، وهو مع ذلك يرمى بالبخل .

لم يطح أحد تيسور في خدمة الدولة على النحو الذي كان عليه أبوه وجده . بل شغل نفسه بتهذيبها وتعليبها ، فكان كل يوم من أيام صباه يزداد علماً ومعرفة ، ولما كان من خلقه الابتعاد عن الناس لم يجد حب الظهور والتجد والتعظيم مكاناً من قلبه . طمحت نفسه الى ما هو أسى من كل هذه المظاهر ، طمحت الى أن يكون عالماً باحثاً ، وخادماً أميناً لأمة وتاريخها وأدبها ، معالجا أمراضها بدرياق العلم وبلسم الفضائل . والمرء حيث وضعت فطرته وبيئته .

نشأ غرام أحمد تيسور بالكتب وهو طفل في المدرسة ، وبدأ باقتناء المطبوعات ، وما لبث أن أخذ يبتاع المخطوطات ، ثم توفر على اقتناء

كل مهم يقع له من الكتب المخطوطة ، فيشتريها ويطلعها ، ويعلق عليها ويفهرسها ويوبوها ، حتى كانت في نظامها وفهارسها غاية في الإحكام . وترك بأخرة خزائنه ثلاثة عشر ألف مجلد ، نصفها مخطوط ، وقد حوت من النوادر الشيء الكثير ، ومنها ما هو بخطوط مؤلفيها ، ومنها قرىء عليهم وأجازوه ، ومنها ما أخذه بالتصوير الشسسي من خزائن أوروبا أو استنسخه من خزائن الشرق . عمل في هذه الخزائنه سنين طويلة ثم أوصى بأن تكون وقفا على أمته لتستفيد منها كما استفاد هو ، وكان منذ جمعها لا يظن على باحث ولا طابع ولا ناشر من أبناء الشرق والغرب بإعارته ما يريد إذا أيقن أنه يفيد منها ويستفيد . ومن مكارم أخلاقه أنه قد يعير المخطوط وهو في حاجة الى أن يكون عنده . وقد يعرض له إشكال يقتضيه الرجوع الى ذلك السفر فيذهب بنفسه للسراجعة فيه عند من أعاره اياه ، ولا يجوز أن يقول له أعد إلي كتابي فقد ملال مكثه عندك . وكرمه في هذا الباب ظاهر ، وهو لخدمة العلم يخاطر بأعز الأشياء على قلبه . وقد يعادل ثمن المخطوط وزنه تبراً .

أريد أن أتوسع في أخلاق صاحبي ، لأنها هي موضع العجب ، كما هو مثال يعجب به لعلمه وبحثه ، شهدته منذ تشرفت بزيارته بدرب سعادة (١) ، ثم في داره في عين شمس وفي الحلمية وفي الزمالك عزوفاً عن بعض الناس ، يحتاط فلا يتهور في اصطحاب من لا يعرف ماضيه وحاضره ، ويكره طبعاً وتطبعاً كل من وقع في نفسه أنهم زانغوا عن محجة الدين ، ووجد الإلحاد الى قلوبهم سيلاً ، وكل من وصم بهذه الوصمة ضعف حظه من صداقته وصان مجلسه عن ذكر اسمه .

ولما شاعت دعوة أنصار القديم والحديث ودعوة الرجوع الى

(١) احد احياء القاهرة .

الفرعونية والزهد في كل ما هو عربي آلى على نفسه أن لا يطالع من الجرائد الا جريدة الأخبار لصاحبها أمين الرافعي رحمه الله ، لأنها تدافع عن الإسلام ، وتقاوم الإلحاد المعبر عنه في لسان العصر بالجمود أو الرجعية . ولما تعرض صديقه أحمد زكي باشا للسامون وغزوه أخذ يعالجه بالوسائط المتنوعة حتى اعتدل وعاد للاتصار للعرب ومدنيتهم قائلاً : انه لا سبيل اليه إلا أن يعود الى سيرته الأولى التي لم ينل شهرته الا بها . ولما سي البرلمان بصصر باسم افرنجي وعدلوا عن سيته بدار الندوة أسف أن سُي أكبر مظهر من مظاهر الاستقلال باسم أعجبي مع وجود الاسم العربي عند العرب من زمن الجاهلية .

كان من عادته أن يتبسط في الحديث مع خاصته تبسطاً لا يخرجه عن حدود الأدب والدعابة البريئة والنكات والتنادر ، ثم ينقلب الى البحث في الكتب مطبوعها ومخطوطها ، وفي المؤلفين وما يؤلفون ، وفي الكتاب وما يكتبون . يخوض في كل ذلك من الجد بذوق وشوق وتقدير وإنصاف . ويهتم كثيراً بأمر المسلمين والإسلام والعرب والعربية ، لا يخص مصر فقط بعنايته ، بل يُعنى بسياسة غيرها عنايته سياستها .

وكان غرامه بصداقة رجال العلم والأدب من أهل عصره على اختلاف مذاهبهم يوازي غرامه بكتب علماء السلف ، فهو يحب الأحياء كما يحب الموتى ، ولما سكن الإمام محمد عبده في عين شمس اتخذ داراً في جواره مدة ، ونقل اليها خزانة كتبه . فلما انتقل الإمام الى جوار ربه اسودت الدار في عينه فانتقل الى جهة أخرى ، وعرض دار عين شمس للبيع ، وبادر فنقل خزائنه الى احدى مزارعه في قويسنا من عمل المنوفية ، وكانت هذه المزرعة محببة الى أبيه وأمه فنشأ هو على

حبها أكثر من جميع ضياعه . ولما ذكرت له ما ربما يصيب خزائنه من الحريق وهي بالقرب من مساكن الفلاحين والقصب في سقوف دورهم طسني بأنه ابتاع أرضاً في الزمالك ، وأنه ينوي أن ينشئ فيها داراً لخزانة كتبه . وبعد أن أنجز بناءها نقلها من قويسنا وقضى فيها بقية أيامه ، وكانت داره هذه كسائر الدور التي سكنها من قبل أرباب القرائح والعبقرية . ومن خلقه أن يشارك أصحابه في سعادتهم وشقائهم ، ويرمضه^(١) أمرهم اذا نزلت بهم نازلة ، وكان الوفاء لأصحابه من أيسر صفاته .

قلنا انه كان يتصدق في السر بأن يجري مشاهرات على من قعد بهم الدهر عن الاكتساب ، ويفضل على بيوت كثيرة من المحاويع المساتير ، ويدر عليهم رواتب مقررّة تأتيهم في بيوتهم رأس كل شهر ، ويأبى عليه شرفه ودينه ومكارمه إذاعة ما تجود به نفسه ، لذلك أخذ العهود على من كان يعطيهم ما يقوم بأودهم أن لا يذكرها أنهم يرزقون منه . ولما باح أحدهم بالسر لضغط شديد وقع عليه شق ذلك على هذا المحسن فقطع المشاهرات والإدرات كلها متظاهراً بالضائقة ، وعاد بعد مدة يرسل بواسطة المصرف حوالات مالية بأسائهم وهم لا يعرفون مصدرها ، بل ان المصرف نفسه لا يعرف حقيقة اسم المرسل ، ولذلك صح لنا أن نقول : انه كان لا ينفق ماله على غير العلم وعمل الخير ، ويبالغ في كتمان صدقاته حتى لا تدري شاله بما فعلت بينه ، وكانت أطيانه^(٢) تزيد ، وربيعها ينسو ، ونعمته تفسو مع هذا البذل الكثير .

ولئن كانت أحداث الأيام قد تفرق بيننا بعض السنين ، لا سيما زمن الحرب العامة ، فما استطاعت ان تفرقتنا بالمراسلة . وعندني من

(١) ارمضه : اوجعه واحرقه .

(٢) اي ما يملك من الاراضي ، وهي في اللغة المصرية الدارجة .

رسائله أكثر من مئة وأربعين رسالة هي في خزائني أجمل ذكر وذكرى، وفيها صورة من علمه وأدبه وخلقه ومنازعه ومراميه . وقد جاء في بعضها كلام جليل يجدر اقتباسه ، لأنه صادر من صديق إلى صديق ييوح له أبداً بذات نفسه ، فمنها ما كتبه عندما وجهت إليه رتبة الباشوية ، وكيف ضاق صدره بها ، وضاق صدره أيضاً لما صدر الأمر الملكي بتعيينه عضواً في مجلس الشيوخ ، وحاول أن يستقيل غير مرة لولا حرصه على رضا الملك فؤاد الأول رحمه الله الذي أنعم عليه بالرتبة والعضوية بدون توسط أحد . دعاه إلى هذا الشرف فرط محبته لتيسور وتقديره لنبله وفضله .

تولى أحمد تيسور أعمالاً علمية عامة كانت في نظره ألد من كل مظهر : كان عضواً في مجلس دار الكتب المصرية ، وعضواً في المجمع المصري ، وعضواً في المجمع العلمي العربي^(١) ، وقد خدم هذه المجمع والمجالس خدمات جليلة ، وأحسن إلى مجمع دمشق أنواع الإحسان ببقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلته ، وبإهدائه أمهات من المخطوطات المصورة ، وبمنحه مجموعة نفيسة جداً من النقود الذهبية والفضية والنحاسية والزجاجية انتهت إليه من جده وأبيه ، وهي اليوم في متحف عاصمة الشام ، تنادي بلسان الحال أن أحمد تيسور كان يعطف على كل بلد عربي عطفه على مصر . وما أنشئت خزانة كتب في بلاد الشرق إلا كانت هدايا أحمد تيسور إليها أسبق الهدايا ، وتنشيطه للقائمين بها أبلغ تنشيط .

قلنا انه كان عزوفاً عن الناس ، يؤثر العزلة ، وكان يود لو مكنته أعماله في القاهرة من الانقطاع إلى مزرعته في قويسنا ، يأنس بجانب

(١) بدمشق .

خزائنه ، ويستخرج فوائدها لقومه . ثم ان هذا كان من الصعب عليه أيضاً ، لأنه كان على عزوفه الوفاً يالف من تربطه بهم ووحدة الفكر ووحدة الروح . كتب إليّ في رجب ١٣٣٨ هـ يقول : « وقد كان سيدنا وأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ورضي عنه مغزعي الوحيد عندما أكون في القاهرة فشاخ القدر أن يفجعنا به ولا يبقى لنا من تلك الأيام الا الذكرى المؤلمة والأسف المتواصل . حالنا ياسيدي الأخ عجيب غريب في هذا التطور الجديد ، فقد أصبحت العامة والخاصة ، الجهال والعلماء في مستوى واحد من الآراء . ونعمت والله الحالة لولا أنه عدل صالح مرفوع إلى أسفل ، ونتيجة منطقية تابعة للأخس من المقدمين ، فقل لي ، بعيشك ، أي أنس في الاجتماع ، وأية لذة في المخالطة ، وقد أصبح من المتحتم على المرء قبول كل ما يقال على تغييره وتناقضه كل يوم ، وإلا فالويل له ثم الويل ، ولهذا تراني في أكثر أوقاتي جانحاً إلى وحدتي بقويسنا ، مكتفياً بسلامة كتبي . . . » .

وكتب في رسالة : « أما الأحوال العامة فيسيدي عالم بها من الجرائد الضالة المضلة ، والمصير مجهول ، والله لطيف بعباده » .

ولما أنسى المجمع اللغوي الأول في مصر ، وانضم إلى أعضائه كتب : « انه انضم إليه من هب ودب ، وانه اميل إلى التشاؤم بعد أن سمع اقتراحات بعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانتصارهم للعجمة ، وفتح الصدر لكل دخيل » .

هذه صورة صغيرة من منازع أحمد تيسور وأخلاقه . بقي علينا أن نلمح إلمامة خفيفة بتأليفه ، وبها تتبين صورة علمه وأدبه . فاهم

ما كتب : « معجم الألفاظ العامية المصرية » بيّن فيه أصول تلك الألفاظ واشتقاقها وما يرادفها من الفصح ، وهو من أفيد التأليف ، يدل على بجر مترجنا في اللغة ، وعلى بعد غوره في فنونها . وهو لم يطبع .

ومن تأليفه المطبوعة : « تصحيح أغلاط القاموس المحيط » و « تصحيح أغلاط لسان العرب » وهي رسائل تدل على نؤوبه وعبقريته ومعرفة الواسعة باللغة . هي بضع رسائل ، وتعد من أهم الكتب ، وقيمة التأليف بفائدتها وإمتاعها لا بطولها وعرضها وثقل حجتها وكثرة أوراقها . ومن كتبه المطبوعة رسالة في اليزيدية ، وأخرى في حدوث المذاهب الأربعة ، وثالثة في العلم العشاني ، ورابعة في قبر السيوطي ، وخامسة في أبي العلاء المرعي وعقيدته ، وسادسة في الحلقة المفقودة في تاريخ مصر ، وسابعة في الألقاب والرتب وغير ذلك .

وما لم يطبع ، أو طبع في إحدى المجالات العلمية « طبقات المهندسين^(١) » لأنه باقتراحي من اجابة لرجائي ، وكنت آسف أن تضع تراجم أولئك العظماء الذين خلفوا لنا هذه المصانع والعايدات ، وما رأيت أقدر من أحد يسور على وضع كتاب في سيرهم .

ومن رسائله : التصوير عند العرب ، والأمثال العامية ، وهي خمسة آلاف مثل عامي ، ولعب العرب ، ونقد القسم التاريخي من « دائرة معارف فريد وجدي » ، وذيل طبقات الأطباء ، والآثار النبوية ، ومفتاح الخزانة للبغدادي ، وأعيان الشرق في القرن الثالث عشر ، جعله

(١) نشر أكثره في مجلة (الهندسة) بمصر . ثم زاد فيه وافرده في جزء لطيف طبع بعد وفاته بمصر سنة ١٩٥٧ بعنوان (اعلام المهندسين في الإسلام) .

ذيلاً لسلك الدرر للمراي^(١) ، ثم الحقه بذيل في تراجم أعيان أوائل القرن الرابع عشر . ومنها : نوادر المسائل او معجم الفوائد والبرقيات ، وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة . الى غير ذلك من رسائله ومقالاته وتحقيقاته ما نشره في « المؤيد » والأهرام والمقتطف والضياء والمقتبس والهلل والهندسة والسلفية والآثار والزهراء ومجلة المجمع العلمي العربي ومنها ما نشر له بعد وفاته في « الرسالة » التي ما كان يكتبه في المناسبات .

أما الكتب التي استرشد فيها العلماء والناشرون بأرائه فكثيرة جداً ، يتألف منها كتاب من أمتع الكتب في النقد والبحث ، هذا الى رسائله الى علماء الشرق والغرب . وكان يكتب كل ذلك بيده ، لا يعتمد فيه على كاتب أو مساعد ، وهو سريع الإجابة على ما يرد عليه من الأسئلة ، إلا اذا اقتضى الحال التعق في البحث فإن جزائره وتعليقه كانت متقنة يهتدي بها الى ما يريد لساعته .

وبعد ، فإنني لا أعرف في بلاد العرب من أقصى شمالي إفريقية على البحر الأطلنطي الى خليج فارس رجلاً جمع مثل هذه الصفات ، وأحب العلم هذه المحبة الشديدة ، وخدمه في نطاق طاقته هذه الخدمة ، وهو في أصله من طبقة النبلاء وأرباب الثراء . فما أبطرته النعمة ، ولا استهواه الغنى والجاه ، وراح في كل أدوار حياته يتعد عن الشهرة والشهرة تلحقه كعادتها مع من لا يتطلبها . وربما كانت شهرته في البلاد الخارجة عن القطر المصري أوسع من شهرته هنا . وقد رأيت يتبرم بها ظاهراً وباطناً .

(١) في أعيان القرن الثاني عشر وهو في أربعة اجزاء والمرادي هو شيخ الإسلام محمد خليل بن علي بهاء الدين محمد المرادي مقني الاحناف بدمشق توفي سنة ١٢٠٦ هـ .

ان هذه الصيانة وهذه التقوى وهذا الرفق قلّ حتى في رؤساء الدين مثله . هذا مع اتساع الفكر لكل جديد ، وفتح الصدر لكل بحث اذا لم يصادم العقل فيه النقل .

كان إماما مدققا في علوم اللغة والبيان ، كاتباً تقي العبارة ، يكتب على أجسل ما يكتب نبغاء المؤلفين ، لا تعتل ولا تصنع ، يحيط بالتاريخ الإسلامي عامة وبتاريخ مصر خاصة إحاطة واسعة ، وقد رزق ذاكرة قوية ، لا ينسى ما يقيد ولا مالا يقيد ، وغلب عليه التواضع ، وتلكه الحياء ، والحياء من الإيمان ، فكانه من جنس أولئك العلماء الذين ذكرهم الإمام محمد عبده يوماً في مجلسه ، وكان ذلك فيما أذكر في دار أحمد تيسور بدرب سعادة ، وقد سأله أحد الحضور أما آن لمصر أن تنشئ جامعة تخرج أبناءنا في العلوم بالعربية ؟ فأجاب الأستاذ الإمام : حقا لقد حان الوقت لذلك ، ومتى تهيأت لنا الأسباب لتأسيسها نجلب ، ان شاء الله ، لتدريس بعض الفروع فيها أساتذة من سويسرا . فاستغرب أحد الحضور هذا التخصيص بالسويسريين ، وسأل الأستاذ عن هذا السر فأجابه : نعم من سويسرا ، ذلك لأن علماءها كالبنات العذارى اذا أحدثت النظر في وجوههم أخذهم الحياء واحمروا خجلاً .

ان محصول الأستاذ أحمد تيسور في العلم لا يعد قليلا اذا اعتبرنا جودة ما أتى به من الأبحاث ، واذا أدركنا أن التعليق على مخطوطاته استغرق جانبا عظيما من وقته ، وأن غرامه بالكتب كان يتقاضاه صرف الساعات الطويلة أيضا ، أكبرنا ما أتى به ، خصوصا اذا علمنا أنه كان يتولى كل أمر بنفسه حتى كتابة الفهارس . ولو نبغ مثله عند أمة غربية من الأمم الكبرى أو غيرها لكان اسمه في كل لسان ، ورسه في كل عين ، ولكن هو الشرق يكبر الصغير ويصغر الكبير ، وينسى رجاله

أو يتناساهم ، لأن الرجال فيه كثر ، وقد يستفيض شهرة من لا يحسن أكثر من استفاضة شهرة من يحسن . ولا يبجل في الأغلب الا من دجّل ودكّس وعبث بعقول الناس ، وكان وسطا في قريحته (١) .



(١) انظر ما ورد فيه أيضا اوآخر ترجمة احمد زكي القادمة .
ومجلة المجمع ، المجلد ١١ ص ١٢٦ ففيها محاضرة عنه للمؤلف .

احمد زكي *

١٢٨٤ - ١٣٥٣ هـ

١٨٦٧ - ١٩٣٤ م

كان أحمد زكي إماما في التاريخ وعالما بأدب أمته ، ومحكما أدب الافرنج ، وكان الى ذلك خطيبا مبصّقا ، ولد في المحرم سنة ١٢٨٤ بمدينة الإسكندرية ، واختلف المترجمون في جده وأبيه ، والإجماع على أنه من أصل مغربي رحل جده أو أبوه الى يافا في فلسطين في التجارة ، ثم انتقل الى « رشيد » ، الا أن المترجم كان يكتب أن أباه ولد في يافا ، وبعبارة أصرح أنه فلسطيني الأصل . وكفله أخوه محمود رشاد ، ودفعه الى مدارس الحكومة حتى بلغت به خاتمة المطاف الى مدرسة الحقوق ، وكان اسمها مدرسة الإدارة في عهده . وظهرت أمارات النبوغ عليه منذ كان يدرس الدروس الابتدائية ، ثم دخل في خدمة الحكومة بالمسابقة ودخل أولا مترجما في محافظة الإسماعيلية ، ثم انتقل الى قلم المطبوعات في وزارة الداخلية حتى بلغ أمانة السر في مجلس النظار (١٨٨٩ م) وأصبح في آخر أيام خدمته أمين سر هذا المجلس .

هذه نظرة عجلية في نشأة أحمد زكي وعمله الرسمي ، ولو كان موظفا كأكثر الموظفين ما سمع به أحد غير أهل بيئته والمحتفين به ، ولا تعدت شهرته حدود مصر ، ولكن كان أحمد زكي رجلا من غير

* ترجمته في الاعلام ١٢٢/١ ومعجم المؤلفين ٣٢٥/١ وانظر معجم المطبوعات : ١٧١ الراحلون : ٤٣ ومجلة المجمع مجلد ١٣ ص ٣٩٤ ومجلة العربي العدد الاول لسنة ٧٦ ص ٦٩ مقال للدكتور حسان حنوت ، ولانور الجندي كتاب عنه في سلسلة اعلام العرب برقم ٢٩ صادر سنة ١٩٦٤

هذا الطراز . كان رجل علم وأدب وبحث منذ وعى على نفسه (١) ، لم تشمله مشاغل الإدارة والكتابة عن عمله ، ودرس فن الترجمة فزاد إحكاما للغتين العربية والفرنسية ، وقل من أتقن الفرنسية من أبناء مصر إتقانه ، فقد كان ينشئ فيها ويخطب كما ينشئ أدباء الفرنسيين ويخطبون . وكان اذا سمع الخطاب العلمي في أحد المجامع بالفرنسية ينقله حالا وبدون استحضار الى العربية ، وبالعكس لا يكاد يخرم منه معنى ، ولا يتلجلج ولا يتلصق ، وهذا لم يكتب لغير أفراد قلائل من البلغاء .

سافر أحمد زكي ثلاث مرات الى مؤتمرات المستشرقين في الغرب نائبا عن الحكومة المصرية ، وبذلك اتصل بأكثر المستعربين من علماء المشرقيات في الديار الأجنبية ، كانوا يسألونه فيما يقع لهم من المشاكل فيحلها لهم أحسن حل ، ويساعدهم على ما هم بسبيله من خدمة العلم ولا سيما فيما له مساس بالمدينة الإسلامية ، ولقد قال لي أستاذاي الشيخ طاهر الجزائري ، وكان من أعظم الرجال علما بالتاريخ الإسلامي ودقائقه ومشكلاته : إنه ليس على أديم الأرض رجل عرف المدينة العربية والإسلامية كما عرفها أحمد زكي . بدءا في هذا الفرع المسلمين وغير المسلمين .

وأعانه اتصاله بالحكومة على اختصار صندوق الحروف العربية في المطابع ، وبدأ ذلك بالمطبعة الأميرية ، واختار النمط الذي راقه ، وأملى إرادته في ذلك على أرباب الاختصاص . وكان درس الطرق لهذا الإصلاح في رحلتين له الى الغرب . وهو الذي أدخل طريقة الاختزال الى اللغة العربية ، وكذلك طريقة الترقيم لتعرف الجملة العربية ان

(١) كذا الاصل ، ولعل الصواب : وعى نفسه .

كانت في التعجب أو الاستفهام أو متصلة بما تقدمها ومنفصلة عما تأخر عنها . وسافر الى اليمن في آخر أيامه لخدمة السياسة العربية فما نسي العلم ، واتصل بإمامها ، فوقف على كتب اليمن ، واستنسخ ما راقه منها ، وكتب جزازات مفيدة في أسماء بلاد اليمن وارجاعها الى أصولها القديمة ، ورحل مرات الى القسطنطينية ، واستنسخ منها لنفسه أو لدار الكتب المصرية عشرات من أمهات الكتب العربية بالتصوير الشمسي . أما خزانة كتبه التي وقفها على الأمة فقد جعلت أولاً في جناح خاص في دار الكتب المصرية ، ثم نقلت الى قبة الغوري ثم أعيدت بعد وفاته الى دار الكتب مثل الخزانة التيمورية ، وهي من الخزائن المهمة جداً .

كتب لي يوم ١٤ جمادى الأولى ١٣٣٧ (١٥ فبراير ١٩١٩) : «ولعله يترك أن تعرف أن خزانتي قد انتقل عديدها من الألفين فبلغ الاثنى عشر ألفاً الآن ، وأنا أشكر الله تعالى طلباً للمزيد » .

وأتيح لي أن أصف بالتنزيل خزانتي أحمد تيمور وأحمد زكي في مجلة المقتبس . وقد رأيت المخطوطات النادرة جدا في خزانة الأول ، والمطبوعات النادرة في العرب والإسلام باللغات العربية والإفريقية في خزانة الثاني . لا جرم ان ثروة صاحب الخزانة التيمورية أعانته كثيراً على التوسع في اقتناء الأطياف من المخطوطات على ما اعترف بذلك أحمد زكي^(١) نفسه . أما صاحب الخزانة الزكية فقد بدأ بجمع الخزانة وهو تلميذ أيضاً بـدرسة الحقوق سنة ١٨٨٣ فكانت النقود التي يرضخ بها له^(٢) أخوه محمود رشاد يشتري بها كتباً إفريقية، وأخوه يتباع له الكتب الثمينة ، فتولد فيه الغرام بالكتب كما قال . ولما دخل

(١) كذا الاصل ، ولعل المراد أحمد تيمور .
(٢) رضح له : اعطاه عطاء قليلاً . وبعضهم يستعملها بمعنى خضع وهو خطأ .

في خدمة الحكومة خصص نصف راتبه الشهري لشراء الكتب . وكانت الديون التي عليه الى آخر أيامه للوراقين والطابعين وباعة الكتب العتيقة والجديدة في أوروبا ومصر ، وأكثر كتبه الإفريقية ومنها ما كتب باللاتينية والألمانية والانجليزية والاسبانية والإيطالية ، واجتمع له معظم الكتب العربية التي طبعها علماء الافرنج منذ القرن الخامس عشر ، والمخطوطات العربية التي ضمتها خزانته هي منتقاة أيضاً ، وأكثرها في التاريخ والأدب .

ومن خصائصه أنه كان محيطاً بكل ما حوت خزانته كعمل أحمد تيمور ، وقد علق عليها شروحا وحواشي، وشفعها بمفكرات وجزازات . أما تنسيقها فأقل من تنسيق الخزانة التيمورية ، لأن صاحب هذه الخزانة^(١) انقطع اليها سنين ، وما أضاع أوقاته في الإدارة والسياسة والتوسع في معرفة الناس .

كانت زوج أحمد زكي من فضليات العقائل^(٢)، وعاونته بثروتها على الظهور والبذل ، وكانت داره في جيزة القسطنطينية في الثالث الأخير من حياته محط رحال رجال العلم والأدب من الأقطار الشرقية والغربية والأقاليم المصرية . واختار لها اسم « بيت العروبة » وهو اسم موفق ، وافق فيها الاسم المسمى^(٣) ، وأنشأ بجوارها جامعاً ومدفناً فلم يتم الجامع على ما يجب من الهندسة العربية والزخرف . نقول : « بيت العروبة »

(١) اي احمد تيمور .
(٢) جمع عقيلة ، وهي الكريمة المخدرة ويقصد بها اليوم الزوجة .
(٣) وزين جدرانها بثلاثة أبيات أجمل فيها هدفه وخطته في احياء التراث العربي هي :

وقفت على احياء قومي براعتي وقلبي وهل الا البراعة والقلب
ولي كل يوم موقف ومقالة انادي ليوث الرب وبحكم عبوا
قيام حياة تبعث الشرق ناهضاً واما فناء وهو ما يرقب الغرب
انظر وحي القلم ج ٢/٢٥٩

ويسكن أن يطلق عليه « بيت شعوب الخافقين » ولطالما دعا الى داره
عشرات من الآسيويين والإفريقيين والأوروبيين والأميركيين فمزجهم
مزجا ، وخطبهم واستخطبهم ، وتجلت فيه مكارم الشرقيين بل مكارم
المصريين .

كان يحب المناقشة . فإذا آنس من كاتب غلطة استفظعها وكتب فيها
المقالات ، أو يقر له من قارف تلك الشنعاء معتذرا ، وهو قد يعتذر
أيضا اذا ارتكب خطأ ، وقد يعترف به جهارا ، شأن العلماء . كان يبادر
الى إطلاع الناس على أعماله ، وقد يبائع فيها ، فاستفاضت لذلك شهرته ،
وساعد على إنسانتها قوة بيانه وشدة عارضته ، وتوفره على خدمة علماء
العرب في كل ما يعن لهم من الأسئلة ، على حين كان يتلكأ عن اجابة
المترشدين به من علماء الشرق . فإذا أخذوه على إهماله زعم أنه
كسول^(١) .

كان أحمد زكي يتجوز فيما لا يتجوز فيه أرباب التقوى ، فكانه
تخلق بأخلاق من عاصرهم وعاشرهم ، وما رأى حرجا في ذلك ، ويضطره
العبث واللعب الى الإسراف . ولذلك أتفق كل ما دخل في يده من مال
قربنته أولا ، ثم من مال شقيقه ثانيا ، أتفق جميع ما خلفه له أخوه من
نقد ، وهو مبلغ لا يستهان به في سنين قليلة ، غير حاسب للأيام حسابا ،
وربما أفرط في ذلك ، ولعل إفراطه لكونه لم يُعقب ولداً . وقيل : انه
ترك خدمة الحكومة مختارا ، وقيل : انه أريد على ترك الخدمة ،
لأنه أتى أشياء تخالف قانون الإدارة .

هذا ما عرفته من أخلاق أحمد زكي ، وما أدركته مما نهض به من
الأعمال ، بقي أن ألمّ إلمامة خفيفة بتأليفه . وتأليفه على ما رأيت ككثير
من العلماء أقل من علمه العظيم . وقد كان مما يؤاخذ عليه أنه يريد

(١) كسول : صفة للأنثى وكذلك كسلة وكسلانة ومكسال أما
صفة المذكر فكسلان وكسل (بفتح فكسر) .

الاستثثار بكل شيء ، وأن يغوص عباب كل مبحث . ولما وضعت وزارة
المعارف المصرية مبلغ ٩٣٩٢ جنيه مالا احتياطيا خصصته لمشروع إحياء
الآداب العربية ، وطبع سبعة وعشرين كتابا من أهم كتب التاريخ
والآداب والعلوم القديمة أحب أن ينفرد وحده بهذا العمل العظيم . واذ
كان يحب التدقيق ، ولا يثق بتحقيقات غيره أبداً بالطبيعة في إخراج
العمل فاسترجع المبلغ الذي كان خصص لهذه الغاية .

ومن تأليفه : « الدنيا في باريز » ، « السفر الى المؤنسر » « قاموس
الجغرافية القديمة » ومنها : محاضرات وأبحاث نشرت بالفرنسية والعربية
أو بالعربية فقط في المجالات والصحف وكلها في موضوعه الذي هام به :
« المدينة العربية ، والآثار الإسلامية ، وسيرة رجال الإسلام ، وتاريخ
المشرق » . وقد طبع الجزء الأول من « مسالك الأبصار » لابن فضل
الله العسري^(١) ، وأجاد في التعليق عليه . وطبع كتاب « الأخلاق » ونسبه
للجاحظ ، وعلق عليه ، وبقي مصرأ على نسبه للجاحظ ، وليس هو
كذلك . وطبع كتاب « الأصنام » لابن الكلبي^(٢) . و« نكت الهنيان
في نكت العيان » للصفدي^(٣) ، وغير ذلك . وترجم من الفرنسية

(١) أحمد بن يحيى مؤرخ حجة في معرفة الممالك وخطوط
الاقاليم والبلدان ، له عدا هذا الكتاب كتب أخرى منها (التعريف
بالمصطلح الشريف) في مراسم الملك وما يتعلق به وغيره وله شعر
في منتهى الرقة . توفي سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٩ م (الاعلام ١ / ٢٥٤) .

(٢) هشام بن محمد المشهور بابن السائب الكلبي (ت : ٣٠٤ هـ
= ٨١٩ م) مؤرخ وعالم بانساب العرب واخبارها وابامها ، ومن
اهل الكوفة ، كثير التصانيف ، له نيف ومئة وخمسون كتابا ، فقد
اكثرها .

(٣) خليل بن ابيك ، المشهور بصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦١ هـ
= ١٣٦٣ م) اديب ومؤرخ وكثير التصانيف .

« الرق في الإسلام » والأصل لمؤرخ مصر صديقنا أحمد شفيق . ونقل « تاريخ المشرق » لمسيرو^(١) . وبينما كان يبلي دروسا في الحضارة الإسلامية على طلبة الجامعة القديمة اذا هو يكتب في « رسائل إخوان الصفا » وتقويم العرب قبل الإسلام ، ويبحث في اختراع البارود والمدافع وما قاله العرب في ذلك . ثم ينتقد العهد النبوية الموجودة صورتها في دير الطور ، ويكتب تقارير في الكتب العربية التي خلفها العرب في الأندلس ، ويبحث في « الفيثوم » وبلاده في أيام الأيوبيين ، وفي تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى ، وفي الترقيم وعلامته في اللغة العربية ، وفي غرام العرب بالكتب ، وفي علاقات المصريين مع الأندلسيين ، وفي أهل الكهف ، وفي الأسباب التي ارتقى بها الإسلام ، وفي الطيران في الإسلام ، وفي مؤساسة العيان في دول الإسلام ، وفي مصر وحظها من خدمة الجغرافيا ، وفي العرب وأميركا ، وفي بقايا العرب الخالدة في أوروبا . وفي الشام والحرية ، وفي التجارة في الإسلام ، وفي سراديب خلفاء الفاطميين ، الى غير ذلك من أبحاثه الطريفة ، وكلها فادرة في بابها ، مفيدة لمن نظر فيها ، وهي [أبحاث لا]^(٢) يكاد يجيد فيها إلا من كان في [مثل علمه]^(٣) .

ومن أهم ما امتاز به [معرفته أمور]^(٤) الجغرافية ولا سيما ما كان

(١) في معجم المطبوعات : ٩٧١ انه مختصر لتاريخ ماسبيرو . اما جاستون ماسبيرو (Maspero) فهو مستشرق فرنسي من علماء الآثار ، تعلم اللغات الشرقية وتضلع من الهيروغليفية واشتهر بعد نشر كتابه « تاريخ امم الشرق القديم » في باريس ١٨٧٥ م وترأس بعثة فرنسية لدراسة الآثار في مصر ، وأسس المعهد الفرنسي بالقاهرة وشغل مناصب علمية له مؤلفات وبحوث . توفي سنة ١٩١٦ م (المستشرقون : ٣٣٢) .

(٢) كل ما كان هنا ضمن قوسين معقوفتين أصله تالف فجئنا بالفاظ ملائمة .

[منها خاصا] بالأندلس والشرق ، وقد ألف [فيها كتابا] لم يطبع^(١) ، وحبذا لو توفرت [لجنة تشرف على] طبعه وطبع جزائره [ومفكراته التي حوت] كنوزا مما التقطه من ذخائر [الكتب] .

ولقد كان في الكهولة وما بعد [الكهولة] مرجع حكومته في كل ما تحتاج [إليه من] الوثائق والسجلات والأصاير مما [استند إليه] في المطالبة بحق مصر في الاستقلال [وفي] خزائنه من ذلك صنوف من المراجع [هي] عدة المؤرخ والباحث والسياسي [اليوم] وكل يوم .

كانت له أشياء يستخرجها من مخطوطاته أو من جزائره ومفكراته ، ويتحف بها العالم العربي الحين بعد الآخر يقصد بها التعليم والإدهاش . فسا حدثنا به وهو منا استند فيه الى مجموعته الكاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن بالشفرة^(٢) ، وكيفيتها عند العرب واستخراجها قال : وكانت العرب تسمي هذا الفن بمن الترجمة ، وحل التراجم ، وحل المترجم ، والذي يشتغل بذلك « المترجم » - بكر الجيم - ولذلك نرى المؤلفين الأقدمين مثل ابن النديم^(٣) وغيره عندما يتكلمون على الكتب المنقولة عن اليونانية والفارسية

(١) لعل الكتاب المقصود هو كتابه (عجائب الاسفار في اعماق البحار) .

(٢) كلمة مولدة ، وهي المراسلة السرية المبنية على رموز لا يحلها الا المتواضعون عليها ، وقد تكون مأخوذة من كلمة (الجفر) الذي يطلق مجازا على العلم المكنون . وقد وضع لها المجمع العلمي العربي بدمشق كلمة (الجفر ، او القلم السري) ، ويقابلها بالفرنسية Chiffre

(٣) محمد بن إسحاق المتوفى سنة ٤٢٨ هـ = ١٠٤٧ م صاحب كتاب « الفهرست » .

يستعملون في الغالب لفظة النقل ولا يستعملون لفظة المترجم ولا الترجمة إلا نادراً . ولما كان هذا العلم خفياً خاصاً بأسرار الحكومات الإسلامية كان مضموناً به ولا يصل الجمهور إليه ، ولذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة ، حتى ان كتب اللغة لا تشير اليها ، بل ان شراح المقامات عندما أشار الحريري اليها في إحدى مقاماته جهلوهها ولم يفروها وتحلوا فيها ، بل ان صاحب « لسان العرب » نفسه لم يذكرها ، وما كان عارفاً بهذا الفن تمام المعرفة ، وكان هذا الفن مستعملاً في الدول الإسلامية من أيام المأمون الى الحروب الصليبية ، فأخذ الإفرنج عن المسلمين ، وهؤلاء أخذوا مبادئه عن اليونانيين ، ثم رده الإفرنج إلينا ، ولجهلنا بمعارف أهلنا اخترناه باسمه الجديد عن الإفرنج وهو الشفرة ، التي نقلها الغريسون عن كلمة صفر العربية واستعملوها بمعنى الأرقام ، لأنهم استخدموا الأرقام بدلاً من الحروف في الكتابات السرية ، ثم اتنا جعلنا بدل الشفرة لفظة الجفر لتقارب المخرجين خصوصاً ، وان كان الجفر يستعمل في الإلغاز بالحوادث المستقبلية ، فصار من هناك شبه علاقة جعلت العامة تعتقد أن الجفرة المستعملة الآن هي مأخوذة من لفظة جفر المستعملة في كتاب « الملاحم » (١) والصواب غير ذلك .

ومما حوته خزائنه الجزء الرابع من « تاريخ الجبرتي » ويظن أنه يحتوي على فصول كثيرة اضطروا الي حذفها من النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق ، لأن فيها ما فيها مما يختص بحمد علي ، ولكنه لم يحقق ذلك بطريقة يقينية ، غير ان ضخامة الجزء تجعل الظن أقرب الي اليقين ، خصوصاً والصفحة من المخطوط تعادل ثلاث صفحات من المطبوع على

(١) لعل المراد كتاب (الفن والملاحم) لنعيم بن حماد المروزي المتوفى سنة ٢٢٨ هـ = ٨٤٣ م

الأقل ، فتزيد بأقل تقدير ١٥٣ صفحة من المخطوط ، واذا أضيف اليها ٤٠ صفحة من المخطوط أيضاً فيكون المجموع المطبوع الي النهاية العظمى - وعلى التسامح الزائد - معادلاً لآلف صفحة من المخطوط . وربما كان ما يتبقى بعد ذلك من المخطوط هو عبارة عن مجموع الفصول والجمل والعبارات التي استصوبوا حذفها من الأصل لبعض الاعتبارات .

ومثل هذه المسائل كان أحمد زكي يخرجها للناس ويشرحها ويدونها من العقول ، ويجب ، بنشرها الي من يقرؤها ، البحث والنظر ، فكان بذلك صاحب رأي معين في التاريخ العربي ، يهتم لدقائقه .

وكان علماء المشرقيات ، من أجل هذا ، اذا ذكروا علماء مصر ذكروه في الصفحة الأولى وهم عرفوه معرفة أكيدة لاختلاطهم به واستفادتهم من تجاربه وأبحاثه .

قلت في محاضرة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة في أحمد تيمور وأحمد زكي : ان طريقة أحمد زكي فيما كتبه وترجمه ونشره أقرب الي ان تكون غربية منها الي ان تكون عربية . والعربية في آثار تيمور محسوسة أكثر من الإفرنجية ، والإفرنجية في كتابات زكي شائعة أكثر من العربية والروح الديني يتجلى في تيمور ، والروح المدني غالب علي زكي . فكأن هذا مستشرق شرقي ، وذاك شرقي قبل كل شيء : شرقي بتقاليده وهداياته وتربيته وثقافته . وتيمور جال في دائرة ما أحب ان يخرج عنها طول عمره ، وكذلك كان زكي ، إلا ان الدواعي والبواعث كانت تضطر هذا الي تجاوز الحد الذي رسمه لنفسه . ولئن كانت منطقته أوسع فلم تكن في كل حين أمنع وأمتع .

خاض زكي في المجتمع وتغلغل في تضاعيفه ، وقبله بما فيه من

احمد شوقي

١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ

١٨٦٨ - ١٩٣٣ م

ولد أحمد شوقي في القاهرة في سنة ١٨٦٦ م . قال لي ان جده لأبيه كردي من الجزيرة (١) ، جاء مصر واتصل بوالها محمد علي الكبير ، فارتقى في أيامه في مناصب الحكومة . وجد والدته تركي كان من عسال والي مصر إبراهيم باشا ، زوجته بمعتوقته تراز ، وهي يونانية كملت شوقي وكان لها أثر في تخريجه . فهو كما ترجم لنفسه عربي كردي تركي يوناني جركسي . ومن حيث الدم والعنصر سامي آري يافثي .

دفعه ذووه الى الكتاب وهو لم يتجاوز الرابعة من سنه ، ودرس الدروس الثانوية ، وتخرج في العربية بالشيخ حسين المرصفي ، ثم التحق بمدرسة الحقوق ، ودرس فن الترجمة ، وأحرز شهادتها . وفي مدرسة الحقوق تكشفت قريحته لأستاذ الأدب الشيخ محمد البسيوني البياني . وكان الشيخ يدفع اليه شعره ليصححه ، وذكر للخديوي توفيق أن في بردي شوقي نابغة في الشعر . ونظم الشاعر القتي بعض القصائد في عزير مصر فأرسله الى باريس لإتمام الدراسة .

* ترجمته في الاعلام ١٣٣/١ ومعجم المؤلفين ٢٤٦/١ . تاريخ الادب العربي للفاخوري : ٩٨٠ . الادب العربي المعاصر في مصر : ٩٢ - ١٠٣ ، تاريخ الشعر العربي الحديث : ٧٤ الراحلون : ٤٣ - ٦٠ شعراء مصر للعقاد : ١٤٩ (١) المراد المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من سورية .

حسنت وسيئات أكثر من صنوه تيمور . وهذا ابتعد عن المجتمع ، ولم يحب أن يتعرف إلا الى طبقة خاصة لا تنعص عليه عمله وسلامه . وهنا ظهرت بعض الشبيبة ارسقراطية تيمور وديمقراطية زكي . كانت حياة زكي مرحلة يشتع ببهاجها ومناعمها على ما يشتهي ويتعجل النعيم لا يرجه ، وحياة تيمور عابسة فيها شيء من الانقباض ، وفيها عزوف ، وكلاهما كان صادقاً في مشربه ، صادقاً في سيرته ، غير مدلس ولا مؤالس (١) ، ولا متنطس ولا متنسس ولا مترممت .

فني تيمور فيما أحب من صنوف الآداب ، أما زكي فلم يفن الفناء كله ، فأخذ من حياة العمال والسياسيين ، وحياة المسرفين والمترفين ، وكلاهما حكمت عليه بيئته أن يكون ما كان .

إن عدد من أخذ عنهم تيمور من الشيوخ كان أكثر من عدد من أخذ عنهم زكي ، وكانوا في ذاتهم أشد تديناً وغيره على الدين . وكان عدد من أخذ عنهم زكي من العصريين أكثر من عديد من أخذ عن أمثال طبقاتهم تيمور . فجاء تيمور عالماً إسلامياً قبل كل شيء ، يحب الانتفاع بما أتج أهل الغرب ، وجاء زكي عالماً شرقياً يشبه علماء الغربيين الى حد بعيد . كلاهما اشترك في فضيلة الوفاء والكرم . وعُدَّ من عظم مروءة زكي وفاؤه للخديوي عباس بعد انتقال أحكام مصر الى غيريده .

★ ★ ★

(١) الالس ، بضم الهمزة وسكون اللام : الخيانة والغش والكذب والريبة واخطاء الراي . وتنطس : تائق ، تقدر . وتنطس عن الامر : بحث عنه واستقصى . ونمس الامر : البسه وابهمه .

ولما عاد الى مصر عين رئيسا للقلم الافرنجي في ديوان الخديوي عباس ، وظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العامة فأرادته السلطة على الخروج من مصر فاختر المقام في اسبانيا ، وقضى في الأندلس أربع سنين ، وعاد الى مصر عقب الهدنة فعين عضوا في مجلس الشيوخ .

نشأ شوقي في الشعر كما ينشأ الشعراء عادة ، يبدأون بالمديح والهجاء ، ووفى الله شعره من وصة الهجاء وقول الهجر ، وأغرق في المديح ، وبالطبع بدأ بمدح الخديوي توفيق ، ثم مدح الخديوي عباس طوال مدة اتصاله بخدمته ، واعتذر عن نظم المديح فقال : انه لم يجد أمامه لأول نشأته غير دواوين للموتى ، لا مظهر فيها للشعر وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحا في مقام عال ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسى ، فما زال يتمنى هذه المنزلة ويسمو اليها حتى وفق الى ما أراد ، ولذلك أشق معظم مديحه في عباس ، ووفى له بعد اعتزاله الحكم ، ومدح محمد علي وإسماعيل وحسين كامل وفؤاد الأول ، وأشار الى اعتزازه ببيت محمد علي بقوله (١) :

أخون إسماعيل في أبناءه

ولقد ولدت بباب إسماعيل

ولبت نعمته ونعمة يته

فلبست جزلا وارنديت جميلا

ووجدت آبائي على صدق الهوى

وكسى بأبباء الرجال ديلا

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوانه .

ودافع عن مذهبه في الإشادة بالمناقب في قوله (١) :

يظهر المدح رونق الرجل الما

رب مدح أذاع في الناس فضلا
جيد كالسيف يزدهم بالصقال

وتشاء على فتى عم قوما
وأناهم بقسوة ومسال

إنسا يتقدروا الكرام كريم
قيمة العقيد حسن بعض اللاتي

ويقيم الرجال وزن الرجال (٢)

نعم مدح شوقي كثيرين من العظماء والنبلاء والأصدقاء ، وبالغ في مدح عبد الحميد الثاني سلطان العثمانيين ، ومدح سعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد الخالق ثروة ، ومدح مصطفى كمال ، ثم عاتبه ومدح غيره من رجال السياسة . وهنا أنقرة يوم أصبحت عاصمة ، وكان معجبا بفروق (٣) ولظالما ردد آيات جمالها ، وكان معظم حياته ، لطول ملابسته الكبراء واتصاله بعزير مصر ، لا يقول الا ما يروق للكبراء ، ولا تلحقه تبعته : ينظم ما يتفق والرسيات ، ولذلك لم يرث الإمام محمد عبده لأن الخديوي كان غير راض عنه وعمل فيه ثلاثة أبيات يخاطبه فيها أن يفسر له آية الموت ، فكان لسان حاله يقول : سبحان من أنجى مصر منك بالموت . وكان الى هذا على اتصال دائم بالأجانب من

(١) من قصيدة في ديوانه ج ١ / ١٠٨ / عنوانها (يا شباب الديار)
مطلعها :

غال في قيمة ابن بطرس غالي علم الله ليس في الحق غالي

(٢) قدره : عظمه .

(٣) فروق من أسماء الأستانة ، ويقال لها أيضا استانبول .

رجال السياسة والمال والأدب والفن ، يرضيهم ويرضي نفسه ، ويأخذ عنهم ويعجبون بأدبه .

وغريب من شاعر هو أسير خياله وإلهامه ، في ليله ونهاره أن يخضع مختاراً لهذه القيود الثقيلة ، ويشرب قلبه حباً المظاهر والرتب والأوسمة . والصحيح أنه لولا ذل الخدمة أعواماً طويلة ما ذهب الشاعر بهذا العز ، والعز في الشرق ينبعث عن صاحب السلطان ، والناس لا يرون فوق ذلك مظهراً .

ان اتصال الشاعر بالخدوي كان منه الهبات والعطايا ، ونفوذ في القصر دعا أرباب الغرام بالمراتب والرتب والأوسمة أن يتوسطوه في نيل ما تطمح إليه نفوسهم من الرغائب ، فجمع من ذلك ثروة لم يحرزها شاعر في عصرنا ، وفي كثير من العصور الماضية ونعم بالأطياب في الحياة ، وعاش عيش العطاء وأرباب القصور ، واستطاع أن يبذل بعض ما يترضي به من يخدمه فاتسعت شهرته في الآفاق ، على ما لم يكتب لشاعر أو كاتب مثلها .

لاحظته عيون السعادة من شبابه الى شيخوخته، وتحلل من هموم الدنيا ، وتخللت قلبه مباحجها ، وكان على نعمته صاحب ترتيب في كسبه وعطاؤه ، يحاسب غرماءه حساباً مدققاً ، وينزل عن مال يرضي به الأدباء والشعراء والبائسين المعوزين ، ولم تسمح نفسه أن يتساهل مع مديري الجوقات ، فأغلى ثمن رواياته المسرحية كما قال لي ، وتقاضاهم أكثر ما يسكن من مكافأة ليعلمهم احترام الأدب فيؤدوا لأجله بعض ما تستحقه قرائح الأدباء ، وكانوا من قبل يهضون حقوق المؤلفين ، فلا يعرض بضاعته عليهم الا من سدت وجوه الرزق في وجهه ، وهم يستغلونه على ما يشاؤون .

أراد شوقي منذ صباه أن يعاني النثر كما عانى الشعر ، وكتب بعض الروايات في آخر أمره ، ووضع كتاباً أسماه « أسواق الذهب » فما جود في الأول ولا في الآخر ، لأن الكتابة لم تسلس له قيادها كما أسلس له الشعر قياده .

مميزاته : عرف شوقي بسعة خياله ، جاءه ذلك من مجموع الدماء التي دخلت في دمه من أجداده وأمهاته ، وعرف ببقاء ديوانته ، وأحبه كثيراً من فصيح اللغة ما كانت قبله من مألوف الكتاب والشعراء . وإذا وقعت له بعض هبات لغوية أو بيانية فما خلا من مثلها حتى المعدود من عظماء الشعراء .

ولم يخرج شوقي على أساليب العرب وقوالبهم في شعره ، وزاد في موضوعات الشعر بابتداع المعاني الجديدة في قصائده ، مدحا كانت أو تشبيهاً أو غير ذلك ، يلبسها آخر زي من أزياء العصر ، ولم يعل في نقله القصص المنثورة عن مستوى القصص المتعارفة وأسلوبها ، وألف واحتذى حكايات للأطفال فاستجدها الناس واستظهرها في المدارس ، وخرج عن مألوف الشعراء في الملاحم التي نظمها ، منها ملحمة أتى فيها على تاريخ وادي النيل ضمنها حكماً وعبراً وسياسة ، ومنها ملحمة أو قصيدته الكبرى التي نهج بها نهج البردة للبوصيري^(١) ، وعرض فيها لما صح من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها ملحمة في الحرب العثمانية ، وملحمته في دول العرب وعظماء الإسلام . الى غير ذلك من القصائد المطولة .

(١) والتي مطلعها :

ريم على القاع بين البيان والعلم احل سفك دمي في الاشهر الحرم
اما قصيدة البردة فهي للامام محمد بن سعيد البوصيري المتوفى
سنة ٦٩٦ هـ ومطلعها :
امين تذكرك جيران بدني سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

والملمحة قصة منظومة في وقائع الأبطال ومجد أمة وتاريخها وعظمتها عرفها اليونان والرومان ، وعرفتها فارس والهند ، ولم يعهد العرب مثلها لأن من طبيعة العرب الاختصار ، ولا يحبون إطالة القصيدة على روي وقافية واحدة ، وإذا بلغت المئة أو أكثرها تبرموا بها .

وكان بعض أداء الغربيين يكتسبون الشعر العربي (١) لخلوه من الملاحم ، فأكذبهم شوقي بما نظم ، وناداهم بأن الشعر العربي لا يضيق عن عمل الملاحم ، وقد برز فيما نظم من هذا القبيل .

ومن بدائعه سينيته في الأندلس ، عارض فيها سينية البحري في وصف إيوان كسرى (٢) . وقصيدته التي عارض بها ابن زيدون في قصيدته إلى ولادة بنت المستكفي بالله . وموشحته في صقر قريش عبد الرحمن الداخل الأموي ، وقد نسج فيها على منوال الموشحات الأندلسية (٣) .

وأهم ما امتاز به شوقي سعة نفسه في كل ما خاض عبابه ، وإجادته الوصف ، وكان في نظم الحكيم دون المتبسي . ومن أهم ما عاناه في أخريات أيامه في تأليفه روايات مسرحية ، صنف ستا منها ، ونظم مقاطيع في الغزل مؤتته ومذكره مملحت في الأذواق ، وخدم بها الموسيقى ، ونقلت على أسطوانات الحاكي فرن شعره في كل أفق من آفاق اللغة العربية ، وخدم برواياته فن التمثيل ، وأثبت بملاحمه وقصصه ومقاطيعه

(١) اللمز : العيب ، والإشارة بالعين ونحوها .

(٢) ومطلعها :

سنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبر

انظر ديوان البحري ج ٢ / ١١٥٢

(٣) انظر الشوقيات ج ٤ ص ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٧٠ .

أن اللسان العربي يتسع صدره لكل المعاني والصور والأخيلة القديمة والحديثة ، وأنه يصلح لأكبر الملاحم صلاحه للإبداع في البيتين والثلاثة .

وكان يرتجل الشعر ، ويتوفر على تنقيحه ، ويؤثر أن ينظم بعد الهزيع الثاني من الليل . ينظم بين جلسائه ، وفي المجالس ، وفي القطار وفي المجتمعات ، وفي السفينة ، وفي الطريق ، وفي الحديقة ، وعلى رأس جبل وفي قاع الوادي ، ولا يدرك جليسه أنه ينظم إلا إذا بدأ يغتم وأخذت أسارير وجهه تبرق . وكان له ولع بالسينا ، لا يكاد يفلت منه رواية جديدة ، وقد يشهد الرواية الواحدة مرات . كما ولع بالموسيقى والألحان قديمها وحديثها .

لم يخض شاعر ما خاضه شوقي . أراد أن لا يطرح شيئا من موضوعاته القديمة ، وأن يدخل كل ما يمكن ادخاله في الشعر من الموضوعات الجديدة ، فجريدة أشعاره طويلة ، وربما كان يحس اختصارها ، والمرء لا يخضع لقانون خاص في حياته ، لأن أدوارها وأطوارها تحكم عليه منذ وعيه على نفسه إلى أن يدفن في رمه .

وشعر شوقي ، على تشعب أغراضه ، ما خلا من إبداع ، ولو كتب له نقل إلى إحدى لغات الغرب لوجد فيه عشاق الخيال والغرائب ما وجدوه في بعض شعراء الشرق الذين نقل شعرهم إلى لغات الغرب .

وقال من ترجموا له أنه تحامى الدخول في بعض المسائل الاجتماعية الكبرى مثل مسألة المرأة ، فلم يرسل عنان فكره في إصلاحها ، ولم يعن في نصحتها وإرشادها ، ولعل ذلك كان منه لأنه لا يرى نزع عادات رسخت ولا يعاني موضوعا قد تؤلم معالجته بعض النفوس ، وهو

الحريص على التماس الخطوة من الخلق ، ومن " خُلِّقَ التلطف مع
كل أحد لا يرى إزعاج غيره ، ولا يحب أن يزعجه أحد ، واكتفى من
شعره أن وعظ ونصح وسلّى وأطرب ، وأرضى وما أغضب .

يحصل شعر شوقي إشارات الى أشياء كثيرة قرأها ومارسها ، والى
دراسات قلّ أن تمكن شاعر من تمثلها .

قرأ أجمل دواوين شعراء العرب ، وقيل إنه حفظ ديوان المتنبي
في صباه ، والى ذلك اطلع على جانب كبير من آداب الإفرنج لحذقه
الفرنسية ، فتأثر شعره بالقديم والحديث ، وكان القديم فيه أعظم أثرا .
وما خرج على أساليب العرب وقوالبهم في شعره ، ووعاها كلها ، وحرص
على إحيائها .

قلنا انه كان يراعي الرسيات ، ولا يعالج من الأفكار ما قد يتأذى
به أحد ، وقد يجيش صدره في موضوع فيردّه عن ورود حوضه
مقامه في الدولة . كما وقع له أن نظم قصيدة يخاطب بها قبط مصر يوم
هاجوا لمقتل أحد رجالهم بطرس غالي باشا ، ولم ينشرها في حياته . وما
جاء فيها (١) :

بني القبط اخوان الدهور رويدكم

هبوه (يسوعاً) في البرية ثانيا

حلتكم لحكم الله صلب (ابن مريم)

وهذا قضاء الله قد غال غاليا

(١) الشوقيات ٤ / ٥٥

ومنها :

قضاء ومقدار وآجال انفس

اذا هي حانت لم تؤخر نوايا
تبيد كما بادت قبائل قبلنا

ويبقى الانام اثنين : ميتا وناعيا
تعالوا عسى نظوي الجفاء وعهده

وتنبذ اسباب الشقاق نواحيا
ألم تك مصر مهدنا ثم لحدنا

وبينهما كانت لكل مغايا
ألم نك من قبل المسيح ابن مريم

وموسى وطه نعبد النيل جاريا
فهلأ تساقينا على جبه الهوى

وهلأ فديناه ضفافا وواديا

وتحلل شوقي من تقيته في الحرب العامة ، وطلق يعالج أموراً
ما كان يعالجها الى آخر كهولته . وبقي مع هذا على اعتداله ، لأنه
يقدر القوة ، ويعرف مبلغ أصحابها من الحرية والأمة التي ينشر بينها
شعره راضية منه على أي حال ، تقبل له كل ما يشدها من شعره .
والشعر ما كان على الأكثر موضوع حقائق سليمة وتاريخ صحيح ، ولا
يؤاخذ الشعراء بأقوالهم كما يؤاخذ المؤرخون مثلاً .

ذكر الشاعر الشام في شعره بعد الحرب ، وما كان يذكرها من
قبل ، لأن آماله وآمال المصريين كانت معلقة في ذلك الجيل على دولة
الخلافة وعلى الأتراك ، ولما كان في الشام قال قصيدتين غراءين وربما
كانت قصيدته في دمشق ما لم يوفق الى نظم مثلها شاعر على كثرة من

نظم في عاصمة الأمويين منذ القديم الى اليوم • وهي التي يقول
فيها (١) :

[آمنت بالله واستنيت جنته

دمشق روح وجنات وريحان

قال الرفاق وقد هبت خمائلها

الارض دار لها الفيحاء بستان

جرى وصفق يلتقانا بها بردي

كما تلتقك دون الخلد رضوان (١)

كان شوقي يحب الشام كما يحب مصر ، ويحب الترك كما يحب
العرب ، ويعطف على المسيحية والمسيحيين كما يعطف على الإسلام
والمسلمين ، ويعجب بالمدينة العربية كما يعجب بالمدينة العربية ، ويحبي
التاريخ الفرعوني كما يحنو على التاريخ الإسلامي ، ويردد أبدا ذكر
الإسلام والمسلمين ، وعلى معظم قصائده تتجلى مسحة جميلة من هذا
المعنى يستهوي بها القلوب وتم عن اعتقاد • يقول للترك (٢) :

الدهر يقظان والاحداث لم تتم

فما رقادكم يا أشرف الامم

(١) لم يذكر المؤلف الأبيات التي ارادها ، وذكر على الهامش
ما نصه : « تنقل بعض أبياتها » وهذه الأبيات التي اوردناها هي من
قصيدته « دمشق » الواردة في ديوانه ج ٢ / ٩٩ ومطلعها :
فم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشيت على الرسم احداث وازمان
أما قصيدته الثانية في دمشق فقد جاءت في ديوانه ج ٢ / ٧٣
ومطلعها :

سلام من صبا بردي ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق

(٢) هذان البيتان هما البيت الاول والبيت الاخير من قصيدة
في الشوقيات ١ / ٢٢٥

فيها سيفها في كل معترك

وعدلها طوق الاسلام بالنعيم

ويقول خطابا لسلطان العثمانيين (١) :

نعم الرعية في ذراك ونضرت

أيامهم في ظلك الاحكام

في كل ناحية وكل قبيلة

عدل وأمن مورف ووئام

ولو عاش شوقي شهرا واحدا في الديار التي حكم على عنصرها
الحاكم أنه أشرف أمة وتغنى بأمنها وعدلها واحكامها لما تلتكأ عن أن
يكتب ديوانا برأسه في الشكوى من ظلمهم ، ولكن هذه النغمة كانت
زبا من الأزياء المقبولة في مصر على عهده ، أي مدح بني عثمان والتزلف
الى العثمانيين • ومن الغريب أن هذه الأماديع في الخليفة العثماني
وحسلة عرشه ما كانت تحوز القبول عندهم ، لأنهم لا يفهمونها ، ومن
لا يفهم شيئا وهو ينطوي على بغض أهله كيف يقدر ما قيل فيه
من روعة وجلال ؟

ولشوقي عشرات من القصائد في مسائل اقتصادية وأدبية وغزلية
 واجتماعية جود فيها وعلم ، ووقعت له فيها وفي غيرها حكم جميلة
 وآراء سديدة • وقد دون فيها كبريات حوادث مصر ، وما له مساس
 بتاريخها • وهي اذا قرئت بعد قرن تتم عسا كان يحتم له أهل هذه الايام
 من مشاكلهم ومتاعبهم •

(١) من قصيدة في ديوانه ج ١ ص ٢٢٦ عنوانها (الاسطول
العثماني) مطلعها :
هز اللواء بعزك الاسلام وعنت لقائم سيفك الايام

وكان تبرم مصر بوطأة الغريب عليها من العوامل المهمة التي اضطرت كلا من شوقي وحافظ الى النطق^(١) بما نطقا ، ونعم النطق نطقها .

استغرق باب السياسة والتاريخ والاجتماع أكثر من ثلث ديوان شوقي (٣٦٤) صفحة ومنها ما قيل لغرض المدح أولا . وضم الوصف (١٣٦) صفحة ، والنسيب (٤٢) صفحة ، والمتفرقات (٦٠) صفحة ، والمراتي الجزء الثالث من ديوانه برمته (١٩٦) صفحة .

جود من وراء الغاية في الوصف ، وأحسن في النسيب ، وعلى شعره أبدا مسحة من دراسته ، فهو يعرف استخدام التاريخ والانتفاع بعبره ، وهو عارف بوقته قلما تفوته فرصة الا وينظم فيها شيئا ، وخلا نسيبه من الالتفاف العويصة^(٢) ، ولو طال عسره بضع سنين أخرى لاغنى الآداب العربية بقصصه ورواياته ، وكان لمن بعده من المجددين في الشعر مثالا يقتدى به . ولنا أن نقول انه برع في الملاحم لاول أمره ، وبرع في الروايات التمثيلية في آخر عسره ، هذا عدا ما خص به شعره من جمال الديباجة واتساع الخيال مما يقل أن يصل اليه أحد من المجددين من الشعراء العصريين ، ترى قصائده ولو كانت في النسيب لا تخلو من حكمة بالغة وموعظة حسنة .

وقد رأينا احتفظ بما رسمه من خطة لشعره في أول ديوانه القديم ، إذ قال ان انزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يجعل عنها ويتبرأ الشعراء منها . الا أن هناك ملكا كبيرا ما خلقوا الا (١) عبارة الاصل مضطربة لان المؤلف عدل الجملة التي سبقتها ، ولم يعدلها ، فلجأنا الى تعديل طفيف كي تستقيم العبارة . (٢) العويصة : الصعبة .

ليتغنوا بسدحه ويتغنوا بوصفه . وهذا الملك هو الكون . فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقرب احدي عينيه في الذر^(١) ويجعل أخرى في الذرا . يأسر الطير ويطلقه ، يكلم الجناد وينطقه ، ويقف على النبات وقفة الطل . فهناك ينفسح له مجال التخيل ، ويتسع له مكان القول ، ويستفيد من جهته علما لا تحويه الكتب ولا تعينه صدور العلاء . ومن جهة أخرى يجد من الشعر مسليا في الهم ، وشاعلا اذا ملء الفراغ .

وسع شوقي - والحق يقال - دائرة الشعر ، وتفنن في معانيه . وشعره ينم على صورة عصره ، أو على بعض صفحات جيله في الجملة . وزاد في الامتاع بشعره أنه نشر في الآفاق بخلاف طرق النشر ، فلم يبق عربي لم يسع بشوقي . اللهم الا في بوادي نجد والشام والحجاز وصحراء افريقية . ورأينا ، كسائر الشعراء والكتاب ، يحسن في الموضوع الذي نفذ الى روحه وشارفه عيانا . فقد وصف المرقص والرقص في الحفلات الراقصة والساهرة التي كان عزيز مصر يقصها في سرايه^(٢) فأجاد اجادة غريبة ، فمنها ما نظمه في ليلة راقصة في قصر عابدين^(٣) :

حَفَّ كَأَسْهَا الْحَبِيبِ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبٌ
أَوْ دَوَائِرُ دُرَّرٍ مَائِجٌ بِهَا لَبَّابٌ^(٤)

- (١) الدر : صغار النمل .
(٢) السراية . والسرايا : بلاط الملك ، أو مقر الدوائر الحكومية (فارسية معربة) .
(٣) مطلع قصيدة في الشوقيات ج ٢ ص ٩ والحب : الفنايع التي تملو الخمر .
(٤) اللبب : موضع القلادة من الصدر .

أو فم الحبيب جلا عن جمانه الشنب^(١)
أو يد باطنها عاطل ومختضب^(٢)

ومنها قصيدته المشهورة التي نظمها وهو طالب في باريز يتغزل
بفتاة افرنسية تدكّه بحبها وهي^(٣) :

خدعوها بقولهم حسناء
أتراها تناست اسي لما
ان رأني تبيل عني كأن لم
نظرة فابتسامة فسلام
والغواني يغرّهنّ الشناء
كثرت في غرامها الاسماء
تك بيني وبينها أشياء
فكلام فموعد فلقاء

الى آخر الايات .

وهذه القصيدة من المرقص ، ولا سيما البيت الرابع ، فانه صور
فيه جيع ما يتقدم به المحب حتى يلقي حبيته في شبكته .

تقع لشوقي أبيات تمتاز عن غيرها في القصيدة الواحدة ، شأن
أكثر الشعراء ، فما جاء في ملحمته « الحوادث الكبار »^(٤) :

ولد الرفق يوم مولد عيسى
والمروءات والهدى والحباء

(١) الشنب : عذوبة الاسنان .

(٢) الاصل : او يداه .

(٣) مطلع قصيدة عنوانها (خدعوها) في الشوقيات ج ٢ ص ١١١

(٤) في الشوقيات ج ١ ص ١٧ مطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

وسرت آية المسيح كما يد
ري من الفجر في الوجود الضياء

تملا الارض والعوالم نورا
فالشرى مائج بها وضاء

لا وعيد لاصولة لا انتقام
لا حمام لاغزوة لا دماء

ملك جاور التراب فلما
مل ثابت عن التراب السماء

وأطاعته في الاله شيوخ
خنّع خنّع له ضعفاء

أذ عن الناس والملوك الى ما
رسوا والعقول والعقلاء

ومنها :

وتولى على النفوس هوى الاو
ثان حتى انتهت له الاهواء

فسرأى الله أن تطهر باليب
ف وأن تغفل الخطايا الدماء

وكذاك النفوس وهي مراض
بعض أعضائها لبعض فداء

لم يعاد الله العبيد ولكن
شقيت بالعباوة الاغبياء

وإذا جئت الذنوب وهالت
فمن العدل أن يهول الجزاء

وقال في قصيدة « الاندلس الجديدة » في تعاليم السيد المسيح
عليه الصلاة والسلام^(١) :

عسى سبيلك رحمة ومجبة
في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفكاًك الدماء ولا امراء
هان الضعاف عليه والايتم
يا حامل الآلام عن هذا الوري
كثرت عليه باسمك الآلام
أنت الذي جعل العباد جميعهم
رحماً وباسك تقطع الارحام
أنت القيامة في ولاية يوسف
واليوم باسمك مرتين تقام
كم هاجه سيد الملوك وهاجهم
وتكافأ الفرسان والاعلام
البغي في دين الجميع دنية
والسلم عهد والقتال زمام
واليوم يهتف بالصلب عصائب
هم للاله وروحه ظلام

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٣٠ مطلقاً :
يا اخت اندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام

ويقول في رومة^(١) :

ليت شمري الام يقتل النا
س على ذي الدنية الفتانة
بلد كان للنصاري قتادا
صار ملك القوس عرس الديانة
وشعوب يحون آية عيسى
تم يعلون في البرية ثانه
ويهينون صاحب الروح ميتا
ويعززون بعده اكفانه
عالم "كثب" وأحلام خلق
تبارى غباوة وفتانة

وقال في قصيدة الدستور العثماني^(٢) :

الدين لله من شاء الاله هدى
لكل نفس هوى في الدين داعيا
ماكان مختلف الاديان داعية
الى اختلاف البرايا أو تعاديا
الكثب والرسل والاديان قاطبة
خزائن الحكمة الكبرى لواعيا
مجة الله أصل في مرآدها
وخشية الله أشس في مبانيها

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ مطلقاً :

قف بروما وشاهد الامر واشهد ان للملك مالكا سبحانه

(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ٢٨٦ مطلقاً :

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميها

وكل خير يلقى في أوامرها
وكل شر يوقى في نواهيها
تسامح النفس معنى من مروءتها
بل المروءة في أسى معانيها
تخلق الصبح تعد في الحياة به
فالنفس بعدها خلق ويشقيها

وقال في قصيدة رحالة الشرق (١) :

كم في الحياة من الصحراء من شبه
كلتاها في مفاجاة الفسى شرع (٢)
وراء كل سبيل فيهما قدر
لا تعلم النفس ما يأتي وما يدع
فلست تدري وان كنت الحريص متى
تهب ريحاهما أو يطلع البع
ولست تأمن عند الصحو فاجئة
من العواصف فيها الخوف والهلع
ولست تدري وان قدرت مجتهدا
متى تحط رحالا أو متى تضع
ولست تلك من أمر الدليل سوى
أن الدليل وان أرداك متبع
وما الحياة اذا أظمت وان خدعت
إلا سراب على صحراء يلتمع

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ١٥٥ مطلعها :

أقدم فليس على الأقدام معتنع واصنع به المجد فهو البارع الصنع

(٢) شرع : سواء . وفي الاصل : في مناجاة . وهو خطأ .

وقال من قصيدة في وصف البسفور (١) :

جهات أم عذراى حاليات
ومساء أم مساء أم نبات
وتلك جزائر أم نيرات
وكيف طلوعها والوقت ظهر
جلاها الافق صفرا وهي خضر
كزهرة دونه في الروض زهر
لسوى بحر بها والتف بحر
كما ملكت جهات الدوح غدر
تلوح بها المساجد باذخات
وتتصل المعازل شامخات
طباقا في العملى متفاوتات
سما بره بها وانحط بره
وكم ارض هنالك فوق ارض
وروض فوق روض فوق روض
ودور بعضها من فوق بعض
كظفر في الكتاب علاه سطر
سطور لا يحيط بهن رسم
ولا يحصي معانيهن علم
اذا قرئت جميعا فهي نظم
وان قرئت فرادى فهي شر

(١) ديوانه ج ٢ / ٤٠ مطلعها :

على اي الجنان بنا تمر وفي اي الحدائق تستقر

وقد يقع له أن يكرر الحكمة الواحدة في عدة قصائد ، كما فعل هنا ، وكما فعل في حكمة :

لك نصحي وما عليك جدالي
آفة النصح أن يكون جدالا^(١)

فقال في مكان آخر^(٢) :

عليك النصح ان صادفت أهلا
وليس عليك في النصح الجدال

وقال^(٣) :

آفة النصح أن يكون لجاجاً
وأذى النصح أن يكون جهاراً

• • •

ومن عبث الدنيا وما عبثت سدى

شَبَّيْنَا وَشَبَّيْنَا وَالزَّمَانُ وَلِيدٌ^(٤)

• • •

وقال مخاطباً أهل دمشق^(٥) :

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٣٣

(٢) لم أجد هذا البيت في الشوقيات .

(٣) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٢٨

(٤) آخر بيت من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١١٨ مطلعها :

يمد الدجى في لوعتي ويزيد ويبدى بشي في الهوى وبعيد

(٥) من قصيدة دمشق في الشوقيات ج ٢ / ٩٩ التي مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشيت على الرسم أحداث وأزمان

وهو وصف يصححه في الاكثر من شاهد بدائع فروق .

وآن لنا الآن أن تأتي بلمح من حكمه . فمنها^(١) :

إذا لم يكن للمرء عن عيشة غنى

فلا بد من ير ولا بد من عر

ومن يخبر الدنيا ويشرب بكأسها

يجد مرها في الحلو والحلو في المر

ومن كان يغزو بالتعلات فقره

فاني وجدت الكد أقتل للفقير

ومن يستعن في أمره غير نفسه

يخنه الرفيق العون في المسلك الوعر

ومن لم يقم ستراً على عيب غيره

يعش مستباح العرض منتهك الستر

ومن لم يجمل بالتواضع فضله

يَبِينُ "فضله عنه ويعطل من الفخر

• • •

وإذا القلوب استرسلت في غيها

كانت بليتها على الاجسام^(٢)

ومثله :

وإذا النفوس تطوَّحت في لذة

كانت جنايتها على الاجساد^(٣)

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٢٥

(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٣٧

(٣) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٢٠

الملك أن تعملوا ما استطعتوا عملا
وأن يبين على الاعمال اتقان
الملك أن تخرج الاموال ناشطة
لمطلب فيه اصلاح وعمران
الملك تحت لسان حوله أدب
وتحت عقل على جنبيه عرفان
الملك أن تتلاقوا في هوى وطن
تفرقت فيه اجناس وأديان

وما قال في القصيدة التي مطلعها (١) :

رمضان ولي هاتها يا ساقى
مشاركة تسمى الى مشتاق
.....

وطني أنت عليك في عيد الملا
وبكيت من وجدٍ ومن إشفاقٍ
لا عيد لي حتى أراك بأمةٍ
شاه راوية من الاخلاق
ذهب الكرام الجامعون لامرهم
وبقيت في خلف بغير خلاق
أبطل بعضهم لبعض خاذلا
ويقال شعب في الحضارة راق
وإذا اراد الله اشفاء القرى
جعل الهداة بها دعاة شقاق

(١) الشوقيات ج ٢ / ٧٦

وقال من قصيدة (١) :

لا تقولوا حطنا الدهر فما
هو الا من خيال الشعراء
هل علمت أمة في جهلها
ظهرت في المجد حناء الرداء
باطن الامة من ظاهرها
انما السائل من لوز الاناء

وقال من ملحمة له (٢) :

ففرسق متمعون بمصر
وفريسق في أرضهم غرباء
ان ملكت النفوس قابغ رضاها
فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاء
فكيف الخلائق العقلاء

وقال في تحية غليوم الثاني لصلاح الدين في القبر (٣) :

عظيم الناس من يبكي العظاما
ويندبهم ولو كانوا عظاما
وأكرم من غمام عند محل
فتى يحيي بسدحه الكراما

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ٣ مطلعها :
يا فرنسا نلت اسباب السماء وتملكت مقاليد الجواء
(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ١ / ١٧
(٣) الشوقيات ج ١ / ٥٦ مطلع قصيدة .

وما عذر المقصر عن جزاء
وما يجزيهمو الا كلاما

وقال في فضل العريية^(١) :

ان الذي ملا اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

ومن قصيدته في الازهر^(٢) :

لا تحذ حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قديم شيء منكرا

ولو استطاعوا في الجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا

من كل ماض في القديم وهدمه
وإذا تقدم للباينة قصرا

وأنى الحضارة بالصناعة رثة
والعلم نذرا والبيان مثررا

.....

(١) آخر بيت من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ١١٣ عنوانها (على
سفح الاهرام) مطلعها :

قف تاج اهرام الجلال وناد هل من بناتك مجلس او ناد

(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ١ / ١٥١ مطلعها :

تم في فم الدنيا وحي الازهر وانشر على سمع الزمان الجوهرا

إذا رأيت الهوى في أمة حكما

فاحكم هنالك أن العقل قد ذهب^(١)

.....

إذا الاحلام في قوم تولت

أتى الكبراء أفعال الطعام^(٢)

.....

لا تعدم الهمة الكبرى جوائزها

سيان من غلب الايام أو غلبا^(٣)

وكل سمي سيجزي الله ساعيه

هيهات يذهب سمي المحنين هبا

.....

فإن السعادة غير الظهو

ر وغير الثراء وغير الترف^(٤)

ولكنها في نواحي الضي

ر إذا هو باللوم لم يكتنِف

.....

قم للمعلم وفئه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا^(٥)

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ١ / ٧٦ مطلعها :

اعدت الراحة الكبرى لمن تعبنا وفاز بالحق من لم ياله طلبا

(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ١ / ٢١١ عنوانها (خاتمة رياض) .

وفي الاصل : تدلت .

(٣) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ١٥٩

(٤) الشوقيات ج ١ / ١٨٠

أعلنت أشرفاً أو أجلّ من الذي
ينني وينشيء أنسا وعقولا

.....

ان الوفاء سباج أخلاق القسى
من حازه حاز المحامد أجمعاً^(١)

كم من لبيب كان يرجى نعمه
لكن أبى عدم الوفا أن ينفعا

.....

رتب الشجاعة في الرجال جلائل
وأجلّهم شجاعة الآراء^(٢)

.....

أرى وطننا تحير ناشوه
فما يجدون من عمل قواماً^(٣)

فلا أس التجارة فيه قررت
ولا ركن الصناعة فيه قاما

(١) لم أجد هذين البيتين في الشوقيات .

(٢) الشوقيات ج ٣ / ٢٢ من قصيدة في رثاء حافظ إبراهيم
مطلعها :

قد كنت أوتر ان تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياء

(٣) لم أجد هذه الابيات في الشوقيات .

مدارس لم تهيئهم لكسب
ولم تبين الحياة ولا النظاما

.....

جلال الملك أيام وتنضي
ولا يفضي جلال الخالدينا^(١)

زمان الفرد يا فرعون ولى
ودالت دولة التجيرينا

وأصبحت الرعاة بكل أرض
على حكم الرعية فازلينا

.....

من خانة الدهر خاتته صنائعه
وعاد ذباله ما كان احساناً^(٢)

ولا ترى الناس الا حرب مضطهد
وجالبين على المخدول خذلانا

والحظ ينني لك الدنيا بلا عند
ويهدم الدعائم الطولى اذا خانا

.....

مثل القوم نسوا تاريخهم
كلقيط عي في الناس اتساباً^(٣)

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ٢٦٦ بعنوان (توت عنخ
أمون) .

(٢) لم أجد هذه الابيات في الشوقيات .

(٣) من قصيدة في الشوقيات ٢ / ١٨ مطلعها :
انا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيا الا الكتابا

أو كغلوب على ذاكرة

يشكي من صلة الماضي انقضا^(١)

وأنا المحتفي بتاريخ مصر

من يصن مجد قومه صان عرضا^(٢)

.....

وما قال في نكبة دمشق^(٣) :

بني سورية امر حوا الاماني

والقوا عنكم الاحلام ألقوا

فبين خدع الياسة أن تغرّوا

بالقاب الإمارة وهي ررق

وكم سيد بدالك من ذليل

كما مات من المصلوب عنق

فتوق الملك تحدث ثم تضي

ولا يبضي لمختلفين فتق

نصحت ونحن مختلفون دارا

ولكن كلنا في الهم شرق

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد

يبان غير مختلف ونطق

(١) الانقصاب : الانقطاع .

(٢) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ٥٦ بعنوان (انس الوجود)

مطلعها :

أيها المنحني بأسوان دارا كالثريا تريد ان تنقضا

(٣) الشوقيات ج ٢ / ٧٢

وقفتم بين موت أو حياة

فان رمتهم نعيم الدهر فاشقوا

وللاوطان في دم كل حر

يد سلفت ودين مستحق

ومن يفتي ويشرب بالمنايا

اذا الاحرار لم يسقوا ويسقوا

ولا يبني الممالك كالضحايا

ولا يدني الحقوق ولا يحق

.....

انما الشرق منزل لم يفرق

أهله ان تفرقت اصقاعه^(١)

وطن واحد على الشمس والقص

حي وفي الدمع والجراح اجتماعه

.....

وقال في قصيدة يخاطب أهل دمشق :

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة

والنصح خالصه دين وايمان^(٢)

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة

أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم

ونحن في الجرح والآلام اخوان

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ / ١٠١ في رثاء الموبلحي

مطلعها :

كاتب محسن البيان صناعه استخف العقول حيناً براعه

(٢) الشوقيات ج ٢ / ٩٩

وقال في ملحمة « نهج البردة » مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام (١) :

علتكم كل شيء يجهلون به
حتى القتال وما فيه من الدم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم
والحرب أش نظام الكون والامم
لولا له لم نر للدولت في زمن
ما طال من عمد أو قرء من دعم
تلك الشواهد ترى كل آونة
في الأعصر العرّاء في الأعصر الدثهم (٢)
بالامس مالت عروش واعتلت سرر
لولا القذائف لم تثلم ولم تصم
أشباع عيسى أعدوا كل قاصمة
ولم نعد سوى حالات منقصم (٣)

ومن قوله في قصيدة يوم الاعتداء على سعد زغلول (٤) :

أرى مصر يلهو بحد السلاح
ويلعب بالنار ولدانها

(١) الشوقيات ج ١ / ١٩٠

(٢) الدم : المظلمة .

(٣) المنقصم : المنكر .

(٤) من قصيدة في الشوقيات ج ١ ص ٢٦٢ بعنوان (اعتداء)

مطلعها :

نجا وتماثل ربانها ودق البشائر ركبانها

وراح بغير مجال العقول

يجل السياسة غلماها (١)

وما القتل تحياً عليه البلاد

ولا همّة القول عبرانها

ولا الحكم أن تنقضي دولة

وتقبل أخرى وأعانها

ولكن على الجيش تقوى البلاد

وبالعلم تشد أركانها

قأين النبوغ وأين العلوم

وأين الفنون واتقانها

وأين من الخلق حظ البلاد

إذا قتل الثيب شبانها

كان شوقي يعرف قدر شعره ومبلغ انتشاره في الآفاق ، وما قاله في أهل دمشق (٢) :

رواة قصائدي فاعجب لشعر

بكل محلة يرويه خلق

.....

فالت منابر وادي النيل حصتها

مني ومن قبل نال اللهو والطرب (٣)

.....

(١) الديوان : بجل السياسة .

(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٧٢

(٣) في الشوقيات المجهولة ج ١ ص ٧٦

ان الذي قد ردها وأعادها
في بردتك أعاد في البحري^(١)

.....

وكانه في الفتح عوربة
وكانني فيه أبو تمام^(٢)

أسم العصور بحسنه وأنا الذي
يروى فينتظم العصور كلامي

وله يخاطب عبد الحيد الثاني^(٣) :

يا واحد الإسلام غير مدافع
أنا في زمانك واحد الأشعار

لي في ثنائك وهو باقر خالد

شعر على الشعرى المنيعه زاري^(٤)

فاخر شوقي بشعره وحق له الفخر ، وفاخرت به مصر ولها الفخر ،
وفاخر به العرب شعراءهم الاقدمين .

وتشروا لشوقي الجزء الرابع بعد وفاته فحمل الغث والسمين ،

(١) لم اجده في الشوقيات .

(٢) لم اجدهما في الشوقيات .

(٣) من قصيدة في الشوقيات ج ٢ ص ٣٦ يصف فيها مشاهد
الطبيعة وهو في طريقه الى الاستانة مطلعها :

تلك الطبيعة فف بنا يا ساري حتى اربك بديع صنع الباري

(٤) الشعرى : كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر .

والغالب أن فيه قصائد قد أغفلها الشاعر في حياته عن قصد ، وكان عليه
أن يضعها في أماكنها من الديوان ، كما مديح الخديوي عباس ، على أن
هذا الجزء لم يخل من أمور مهمة ، ومنها مجموعة من الشعر السهل
نظمها لتكون للاطفال أدبا وثقافة ، ومنها حكايات على السن الحيوانات ،
وهي غير قليلة . وما فيه ، وقد حوى معنى عاليا يتان عنون لها
« بيني وبين أبي العلاء » وها :

بينني وبين أبي العلاء قضية

في البر استرعي لها الحكماء

هو قد رأى ثعسى أياه جنابة

وأرى الجنابة من أبي نساء

إشارة الى ما يروى من قول المعري :

هذا جناه أبي علي

وما جنيت على أحد^(١)

وختم هذا الجزء بدعاياته للدكتور محجوب ثابت ، آخرها

(١) قال مؤلف (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري) بعد أن ذكر هذا
البيت : ذكر ابن خلكان والذهبي والبيهقي وغيرهم (انظر تعريف القدماء
بابي العلاء ١٥٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٨) أن أبا العلاء لما قارب الموت أوصى أن
يكتب على قبره هذا البيت كما يروى أنه كان يقوله ويردده في مرض
موته ، ولم أر هذا البيت على قبره ، ولا اعرف احدا ذكر أنه رآه عليه ،
وهو غير موجود في شيء من كتبه التي اطلعنا عليها ، ففعل من أوصاهم
بكتبه لم ينجزوا كتبه ، وفي « أوج التحري » وغيره أن هذا البيت متعلق
باعتقاد الحكماء ، فهم يقولون أن إيجاد الولد وإخراجه الى هذا العالم
جنابة عليه ، لانه يتعرض للحوادث والآفات « ويروى : هذا جناة ...
(انظر الجامع في أخبار أبي العلاء ١ ، ٤٤٣)

قصيدة بعنوان « براغيث محجوب »^(١) :

براغيث محجوب لم أنساها
ولم أنس ما طمعت من دمي
تشق خراطيمها جوربي
وتنفذ في اللحم والأعظم
وكنت إذا الصيف راح احتج
ت فجاء الخريف فلم أحجم
ترحب بالضيف فوق الطر
سق فباب العيادة فالثلثم
قد انتشرت جوقة جوقة
كما رثت الأرض بالشمم
وترقص رقص المتواسي الحداد
على الجلد والعلق الأشحم
بواكير تطلع قبل الشتاء
وترفع ألوية الموسم
إذا ما ابن سينا رمى بتلغماً
رأيت البراغيث في البلغم
وتبصرها حول بيبا الرئيس
وفي شاريه وحد القم^(٢)
ويين حضائر أسنانه
مع السوس في طلب المتلغم

(١) الشوقيات ج ٤ / ٢٠٦

(٢) الرئيس كناية عن الدكتور محجوب نفسه . ومن الاشياء
الحبيبة اليه التدخين في الببا .

وقال شوقي في بنك مصر أو المصارف عامة^(١)

نصون كرائم الأموال فيها
وتنزلها الخزائن والتضادا
وتخرجها فتكسب ثم تأوي
رجوع النحل قد حطلين زادا
ولم أر مثلها أرضاً أغلقت
وما سقيت ولا طعمت سادا
ولا مستودعاً مالا لقوم
إذا رجعوا له أدى وزادا
ولو ملكت كنوز الأرض كقسي
جعلت أساسها ماساً ورادا^(٢)
ولو أن النجوم عنت لحكسي
فرشت النيرات لها مهادا
وقال يثيد بالفن^(٣) :

والفن ريحان الملوك وربما
خلدوا على جنباته أسماء
لولا أياديه على أبنائنا
لم ثلثت أمة أباء

(١) من قصيدة في الشوقيات ج ٤ / ١٤ مطلعها :

نراوح بالحوادث أو نفاذي وننكرها ونعطيها القيادا

(٢) لعله يريد بالراد معدن الراديوم

(٣) من قصيدة في الشوقيات ج ٤ / ٤٩ مطلعها :

خطت يداك الروضة الفناء وفرضت من صرح القنون بناء

أحمد فتحي زغلول *

١٢٧٩ - ١٣٣٢ هـ

١٨٦٢ - ١٩١٤ م

ولد في أبيان من عمل الغربية في مصر ، وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الاسم الذي اختاره له أبوه « فتح الله صبري » فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه من النبوغ سماه باسمه أحمد ، واختار له من الألقاب « فتحي » فكان أحمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف إلى أوروبا فحذق علم الحقوق في باريس ، وتمكن من الآداب الفرنسية ، وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل ، وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين ، وهو الذي وضع لائحة اصلاح الأزهر ، ولائحة اصلاح المحاكم الشرعية ، وكان أتباعه يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد الخالق تروت من علماء مصر وقضاةها : انه « نبغ في المعقول والمنقول ، مع الادب الجم ، تزينه البلاغة ويزينه المنطق الصحيح إلى العلم العزيز ، تثبته الحكمة ، وتؤيده قوة العارضة التي

* ترجمته في الاعلام ١٨٥/١ ومعجم المؤلفين ١٤/٢ واشهر مشاهير ادباء الشرق : لمحمد عبد الفتاح ١١٤/٢ وانظر معجم المطبوعات ١٤٣٥ - ١٤٣٧ والاعلام الشرقية ١٤/٣ ونشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين الصادر في ١٠/١/١٩٥٢ ص ٤٨١ - ٤٨٥

كانت أوائل كل قوم في العُلا
أرضاً وكنا في الفخار ساءاً
لولا ابتسام الفن فيما حوله
ظلّ الوجود جهامةً وجفاءً
جرّد من الفن الحياة وما حوّت
تجد الحياة من الجمال خلاءً
نبض الحضارة في المالك كلها
يجري السلامة أو يدقّ الداء
إن صحّ فهي على الزمان صحيحة
أو زان كانت ظاهراً وطلاء

★ ★ ★

صفات نادرة في تصرف الامور . وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ،
 وذا ذوق سليم فيما لم يعاناه من الفنون ، وعلى جانب من دماثة الاخلاق
 والتواضع والبعد عن الدعوى ، يجمع الى هذا كله « شغفا غريباً بحسن
 التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته يقصر
 دونه جهاد رجال في أعوام ولم يقصر هتته على أعمالها الكثيرة
 العظيمة ، بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة »
 « حياة كلها جهاد ، وعمل لم يؤت فيهما عقله وجسه قسطهما من الراحة ،
 مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالبا نواميس الطبيعة » .

كان رجل عمل يدعو الى تحببته الى الناس وتعليمهم طريقته
 الرشيدة ، ولم يكن رجل ثورة ، لانه يكره الثورات ويعتقد مضرتها .
 وعنده ان القانون الحسن ما احتلته الامة ونفذته راضية به مستعدة له .
 ويرى ان خير التعاليم السياسية والاجتماعية ملاءم طبائع الامة وكانت
 فيها قوة على خصصها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بذ الاقران ، لم يجمع مالا ،
 ولم يتأكل عقارا ، ولم يترك درهما ولا دينارا » وقالوا في صفاته
 الشخصية : انه كان حسن العشرة ، حلوا المفاكحة ، نزيه النفس
 واللسان ، يرضي كل جليس بغير دهان ، لا يسل جليسه جده ،
 ولا يعبت بوقاره هزله ، وكان متأنقا في زيهِ ومعيشتِهِ من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضري ، من أساتذة العصر في مصر :
 « أما خلقه فقد منح منه ما يحبه الى النفوس ، ويقربه الى القلوب
 طلاقة وجه وسعة صدر وتواضع الاشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة
 رأيناها منا قريبا على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة
 في تخطئة الرأي فيفسح لها صدره ، ويلقاها لا تأفف ولا ضجر . وأما

اطلاعه على دقائق الفقه وأسراره ، فقد كنا نجلس اليه وقد محصنا
 المسألة تحييص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الاقران الى ما يخيل
 الينا أن الفقه علينا موقوف ، وعن غيرنا مصروف . فلا نلبث أن نرى
 ذلك السيل الدافق وقد رجعنا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما
 يعارض به علل الفقهاء . وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على
 ما يخالفها من جزئيات المسائل ، فكان يحل جليسه على البحث
 والاستقصاء ، ويعدل الفكر اذا زاغ . ولم يكن سره وعمله الا فيما
 يرضي ضميره من كتاب يؤلف أو يترجم ، أو عمل صالح يقدم للجمهور
 من أمته » .

أتقن من لغات العلم الالمانية والانكليزية والفرنسية مئات من
 المصريين والشاميين والتونسيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تهاخر
 لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ، ولكن احمد فتحي زغلول
 أحكم الفرنسية والعربية ، وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها
 يحلها لأمتة فينير سبيلها الى العلم ، ويدعوها الى النهوض ، وما ألف
 ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس ، لا ليقال انه ألف ونقل
 فما نقل وجود فيه ، وكل تأليفه وترجمته كان مجودا فيه ، « أصول
 الشرائع » لبتسام^(١) و « خواطر وسوانح في الاسلام » لسدي
 كاستري^(٢) ، و « سر تقدم الانكليز الكسونيين^(٣) » لادمون
 دي مولين ، وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، وما عرب عن الحكيم
 غوستاف لبون « روح الاجتباع^(٤) » ، و « سر تطور الامم »^(٥) ،
 وترجم « جوامع الكلم^(٦) » ، و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان

(١) طبع في مجلدين .

(٢) طبع وعنوانه في معجم المطبوعات : « الاسلام ، خواطر وسوانح »

(٣) طبع .

عبد العزيز ينصح فيها ويذكر له ما أصيبت به دولته من الانحطاط^(١) .
ومن تأليفه « المحاماة »^(٢) ، و « رسالة في التزوير الخطي »^(٣) ،
و « شرح القانون المدني »^(٤) ويقول علماء هذا الشأن ، ان هذا
الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق^(٥) . وكان له فضل في وضع
المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختار من العربية ما ينطبق
عليها . وكان دقيقا فيما ينقل ، يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف ،
لا يسخ ولا يحرف . وبلغ من تضلعه من الفرنسية أن كان يلقي نظرة
على كتاب علم كتب بها ويترجم عبارته ببيان عذب لا يشعر جليسه أنه يترجم ،
بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان العربي أجل أداة ينفع بها أمته ،
ورأى أن يحل إليها الفائدة من طريق التعريب لعله بتفوق الغرب علينا
في جميع العلوم .

لم يهدف المترجم له للخسين من عمره ، وأخرج للعربية هذا
المحصل الجيد من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح .
وكان مع هذا لا يحرم نفسه من مباحثها ، ولا قومه من العناية
بخصوصياتهم . يعشاهم في أفراحهم وأتراحهم ، ويشاركهم في آمالهم
وآلامهم . ويتع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعيم . ولو كان كل
من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعد الهمة ومعرفة الواجب
لقومه عليه لكان لنا من مجوع ما تخطه أقالمهم ويصدر من آرائهم
وتجاربهم كنز نرجع الى ركازه في تنية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لإيقانه

(١) طبع بعنوان (من أمير الى سلطان)

(٢) طبع ، وعنوانه في معجم المطبوعات (المحاماة في كل زمان ومكان)

(٣) طبع .

(٤) وطبع له أيضا : (الأثار الفتحية) وهو خواطر في العلم والآداب

والاجتماع عنى بجمع شواردها عبد العال حمدان و (الملاحظات القانونية)

النفع العام في هذه الطريقة ، فخالف بذلك طريقة صديقه محرر المراجعة
قاسم أمين ، فان هذا دون تجاربه وتصوراته ، وجروا على نشرها
للناس . ولو مال الى الاكثر من نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر
أفكار غيره لثم الخير للعقول على يده أكثر مما تم . ولذلك كان أحد
كبار أساتذتنا يقول : ان مقدمة « سر تقدم الانكليز السكسونيين »
أفيد من الكتاب الاصيل الذي عربته فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين »
تعريبه ، وفيه مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفتنا
حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة ، فهي التي نطالبها بحفظ
حياتنا وخصب أرضنا وترويج تجارتنا وتحسين صناعتنا ، هي التي
نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء ، وترزق العجزة ، وتنتفي
أسباب البطالة ، وتحفظ الاخلاق وتلم شعث العائلات ، وتجمع أشدات
القلوب . هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا وتقويم ما عوج
من سيرتنا وسيرتنا ، ورد هجمات المزاحمين عنا ، والسهر على مصالح
كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باعمالنا ، رميناها
بسوء الإدارة ، واتهمناها بحب الأثرة ، وألقينا عليها تبعه حولنا كلها .

ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل ، فانما الحكومة وازع
لا يكلف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الامم تأييد النظام
وحفظ الامن واقامة العدل . وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاودة بعضهم
بعضا على ما يفسح حرية التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ،
كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به المسكنات .
وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الامر العام مما يدخل
تحت جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى

الامة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام، وتتهد فرصه الامن والطمانية
تسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعاتها وتجارتها ،
وفي نشر المعارف واحياء العلوم ، وفي أداء الواجب ، والمحافظة على
الحقوق » .

كان أحمد فتحي زغلول يكبر شقيقه سعد زغلول بضع سنين ،
خلد اسم هذا بعلمه العظيم لاستقلال مصر ، وكان رجل ثورة ، وخلد
اسم فتحي بتأليفه استغاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة ، وحرص
على النهوض بأمتة من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في النفوس .

★ ★ ★

- ٨ -

أحمد كمال *

١٢٦٧ - ١٢٤١ هـ

١٨٥١ - ١٩٢٢ م

قلت يوم تأيين الاثري أحمد كمال في المجمع العلمي العربي : لما
انتهى في مصر دور الناقلين والمترجمين والجامعين والمقتبسين في بعض
ضروب العلم ، جاء دور الباحثين والمؤلفين والمبدعين ، واستطاع
المصريون بإصلاح شؤونهم الاقتصادية ان يتلقوا العلم الصحيح في
جامعات الغرب ، فكان لهم على الدوام بضع مئات من الطلبة ، وكثر
ارتحال الاوربيين الى مصر ، وطواف المصريين في اوربا ، واشتد التمازج
بين المصري والعربي ، فاقتبس المصري بعض ما ينقصه من أساليب
النهوض ، وكان للازهر ومدرسة الاسنة ولدار العلوم ومدرسة
القضاء الشرعي والحقوق والزراعة والهندسة ثم الجامعة وغيرها من
المدارس العالية والثانوية ما نراه من آثار نهوضها ، مما ندهش له
ونعش ، وكلما كثر سواد المتعلمين هناك جاءت منهم طبقة أمثل من التي
سبقها ، وتراجع كل تنفة في العلم والصناعات ، وأصبحت الكلمة
للاخصائين والفنيين . وقد نبغ في مصر لعهدنا رجال ليسوا مفخرا
من مفاخرها فقط ، بل هم مفخرة العرب والشرق عامة ، ومنهم
والحق يقال - أفراد لا يقلون عن أرقى علماء الغرب في بحثهم ودرستهم .
وأحمد كمال مترجمنا من جيلتهم . فقد كان - اجزل الله ثوابه - مثال

* ترجمته في الاعلام ١٩٠/١ ومعجم المؤلفين ٥٣/٢ وانظر
معجم المطبوعات : ٣٩٦ وايضاح المكنون ٢٨٤/١ ، ١٠٥/٢ ، ١٨٨ ،
٣٨١ ، ٤٢٧ ، ٥٧٨

- ١٠١ -

- ١٠٠ -

النبوغ المصري ، وآخر طراز كامل من أفراد الدهر . رزق صفات العالم العامل ، وصرف نقد عمره في خدمة الآثار المصرية ، حتى أصبح الحجة الثبت فيها ، فكان ، اذا ذكر علم الآثار المصرية في الشرق والغرب ، يتسل في شخصه وجهاده . عمل هذا بعيدا عن الجمجمة ، في زاوية صغيرة من بلده ، وعست مع هذا شهرته الخافقين .

كان السيد حسن والد احمد من جزيرة كريت . ولد ابنه في القاهرة (١٢٦٧) ، ودخل مدرسة « المبتديان » وقضى فيها اربع سنين ، ومنها انتقل الى المدرسة التجهيزية فصرف فيها سنتين ، وفي سنة ١٢٨٦ دخل مدرسة اللسان المصري القديم ، وحذق اللغات العربية والفرنسية والالمانية والتركية والقبطية والحشية فلقب باسم (كمال) لنبوغه وأدبه ، فصار له علما ، وانصرف كل الانصراف الى كل ما يزيد علمه في الآثار . وطاف متاحف اوربا وبعض متاحف مصر ، زارها زيارة العالم الباحث ، وولع بمعارضة اللغات والعمل على كل ما يؤدي الى الانتفاع بآثار بلاده ، وتخرج به كثير من طلاب هذا الفن ، وتسولى أمانة المتحف المصري ، واختلط بعلماء الآثار من جميع الامم ، وكتب في المجالات الغربية والصحف العربية نتائج ابحاثه فأصبح الحجة الثبت في هذا العلم . وأسس مدرسة اللغات القديمة : الهيروغليفية والهيراتية والموتيكية والقبطية والعبرية واليونانية واللاتينية . وقام بحفريات في بعض أنحاء القطر ، وأنشأ دور تحف في طنطا والمنيا وأسيوط .

الف احمد كمال معظم كتبه بالعربية ، وعني عناية خاصة بمعرفة أصول الاشتقاق والمعارضات باللغات السامية والهيروغليفية والقبطية وله تأليف كثيرة يدور معظمها على الفن الذي أخذ من نفسه ، وصرف في خدمته عمره . ومنها : « العقد الثمين في محاسن أخبار وبدائع آثار

الاقدمين من المصريين » (١) ، و « الفرائد الدرية في قواعد اللغة الهيروغليفية » (٢) و « بغية الطالبين في علوم وعوائد وصنائع واحوال قدماء المصريين » (١) ، و « الحضارة القديمة » (١) ، وهو مجسوع ما ألقاه في تسدن قدماء المصريين الى آخر الاسرة الرابعة عشرة على طلبة الجامعة المصرية وغير ذلك (٢) .

وله بالفرنسية بضعة كتب تدور حول موضوعاته . وأهم مؤلفاته التي لا تزال مخطوطة ، وهو في اثنين وعشرين مجلدا : « قاموس مقارنة اللغة الهيروغليفية باللغة العربية » يورد الكلمة ويقابل بينها وبين القبطية والحشية والايرائية والعبرية وغيرها ، يأتي باللفظ واشتقاقه ، وما عرف عنه من الآثار . وهو كتاب لغة وتاريخ وآثار واشتقاق وفلسفة لغة ، صرف في تأليفه نحو ربع قرن . وله مذكرات وإخبارات كثيرة كان يعدها لدروسه في الجامعة .

وغاية ما يقال في وصف هذا العظيم انه ما خلت ساعة من حياته في غير الدرس والتدريس والبحث والتأليف .

كان المثل الاعلى بجده وحزمه ورويته وجلده ، قليل الكلام ، كثير العمل ، نسيج وحده في فنه وفي دؤوبه . لقي معاكسات كثيرة واغضى عنها ، وسار في طريقه فغلب حساده ، واغضى عن اعتادوا وضع العقبات في سبيل كل نابغة ، فلم يذكرهم احد بحسنة ، وهو سيذكر بحسناته ما دام علم الآثار .

★ ★ ★

- (١) طبع .
(٢) عنوانه في معجم المطبوعات : الفرائد البهية . . .
(٣) مما طبع له أيضا : الدر المكنوز في الخبايا والكنوز الجزء الاول بالعربية والثاني بالفرنسية) ، اللآلي الدرية في النبات والاشجار القديمة المصرية ، الدر النفيس في مدينة منقيس .

ادوار براون

BROUNE, EDUARD

١٨٦١ - ١٩٢٦ م

ولد ادوارد براون في سنة ١٨٦١ ، وكان أبوه سر بنيامين جيه من كبار المهندسين ، وأمه من أسرة مهندسين ، واشتهرت كلتا الأسرتين بحب الموسيقى فورث من أهله دقة السمع مما ساعده على تلقف اللغات دون الاعتناء على القواعد ، وأدخله أبوه في مدرسة ايتين مدرسة أولاد الاغنياء ، وكان أبوه غنيا ، وخرج منها في السادسة عشرة . وفي الحرب العثمانية الروسية أحب الترك ودرس لغتهم لينتظم ملازما في جيشهم ، ثم عرض عليه أبوه أن يكون مهندسا فأبى واختار الطب ، ودخل جامعة كمبردج سنة ١٨٧٩ .

وأخذ العربية عن استاذة بالمر^(١) ، وحصل منها في فصل واحد على أكثر مما تعلم من اللاتينية واليونانية في خمسة اعوام . ووفق يدرس الفارسية فنال بعد سنتين رتبة في العلوم الطبيعية . وزار الآستانه ،

• ترجمته في « المستشرقون : ٥٠٠ » وولادته فيه سنة (١٨٦٢)
والاعلام ٢٧٢/١ ومنه تاريخا الولادة والوفاة ، وفي الاصل ١٩٢٥ م فقط وانظر في مجلة المجمع العلمي العربي ١٣٠/٦ مقالا عنه لمرجليوث وانظر ايضا كتاب في الادب الحديث ٣٨٠/١

(١) عالم بالمشرقيات . ولد في كمبريدج سنة ١٨٤٠ م وتوفي سنة ١٨٨٣ ، كان مولعا بعلم اللغات وذا قدرة عجيبة في اتقانها فاتقن الفرنسية والاطالنية والعربية والفارسية والاوردية وقرض الشعر العربي ، من آثاره : قواعد اللغة العربية ، بالانجليزية ، وترجمة القرآن ، وسيرة هارون الرشيد ، ورحلة في شبه جزيرة سيناء (قام بها على صهوة جواد) المستشرقون : ٤٨٢

ثم رجع الى كمبردج ليقتضي سنتين في درس اللغات الشرقية فبرز فيها ، وكان الاول في امتحانها ، وعاد الى الطب فقتضى ثلاث سنوات في أحد مستشفيات لندن . وسافر الى ايران وقتضى فيها سنة^(١) ، وفي عودته عين مدرسا للغة الفارسية في جامعة كمبردج (١٩٠٢) ثم استاذا للغة العربية^(٢) ، وظل على ذلك الى آخر أيامه .

لم يمارس براون الطب ممارسة فعلية، ووضع كتابا بلغته في تاريخ الطب عند العرب أعجب به قومه ، كما وضع كتاب تاريخ الادب الفارسي في أربعة مجلدات جود فيه كل الاجادة ، وهو كتاب - كما قال مرجليوث^(٣) - مستوعب موضوعه ، لم يسبق الى مثله ، وقلما يوجد في تواريخ الادب كتاب يضاهيه في الاستقصاء والاحاطة وجمال الاسلوب وسلامة الذوق ، كان برهانا على سعة العلم ومفادته بالمآل للحصول على خطوط وكتب مطبوعة وجرائد نادرة ، مقتنيا آثار التصنيف الفارسي من ابتدائه الى ايامنا هذه فخلد به ذكره افتخر به وطنه .

وكان خلال مقامه في بلاد العجم درس مذهب البهائيين، واختلط بأهله فالف في مذهبهم تاليفا مستوفى أصبح مرجعا ، كما أصبح هو المرجع الاول في الغرب في معرفة ما يتعلق بالبهائية والبهائيين . وساعد أحرار فارس في مسائلهم السياسية ، وكان يكتب الصحف الانكليزية ، وتطوع في الدفاع عن حرية الفرس والعرب ، عرف بهذه النزعة وأجبه

(١) استاذا للطب .

(٢) خلفا للاستاذ تشارلز ريو Rieu , charles (من مؤلفاته : فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني ج ٢ ، وفهرس المخطوطات التركية ، وفهرس المخطوطات الفارسية (المستشرقون : ٤٩٠)
(٣) مستشرق انجليزي (١٨٥٨ - ١٩٤٠ م)

العرب والفرس واكبروا غيرته ونجدته في خدمة دعوتهم وبيان حقيقتهم .
ونشر بالانكليزية كتباً وصف فيها حركات الاحرار والرجال
الذين كانت لهم يد طولى في الدعوة الى الحكم النيابي والقضاء على
الحكم الاستبدادي في الشرق . وحسن لجامعة كمبردج جلب معلمين
من الستانة ومصر وايران يلقنون لغاتهم تلقينا حسنا فتخرج بهم تلاميذ
خدموا هذه اللغات احسن خدمة .

ومن اهم ما خدم به العلم الاسلامي تزيينه لابوي جيمز كب (١)
من علماء المشرقيات وقف مبلغ عظيم تطبع من فائدته كتب عربية
وفارسية وتركية من لغات الشرق الاسلامي تخليدا لذكر ابنهما ، فألف
لذلك لجنة دعيت لجنة تذكاري كب ، ورأس اللجنة ، واختار أعضاءها
من كفاة علماء المشرقيات فطبعت عشرات من الكتب كان من المتعذر
طبعا لقلّة من يرغب في اقتنائها من أهل الغرب (٢) .

ووضع فهارس الخطوط الاسلامية المحفوظة في خزائن كمبردج،
ونشر تأليف عربية وفارسية مع ترجمتها بالانكليزية . ومنها كتب عهد
الى تلاميذه وأصدقائه بنشرها وعاونهم على تجويد تصحيحها (٣) .

(١) هو الياس جون جيب Gibb , E . J (١٨٥٧ - ١٩٠١)
مستشرق اسكتلندي . تخصص بتاريخ الاتراك والفرس والعرب
وادابهم وفلسفتهم واديانهم ، خلدته والدته بإنشاء لجنة تذكارية
باسمه (المستشرقون : ٤٩١)

(٢) منها مختار التاريخ لحمد الله صندوقتي - مختصر
بالانجليزية .

(٣) منها تذكرة الشعراء لدولتشاه ، تاريخ الادب الفارسي
مجلدات ، مجاميع عن شعراء الفرس وخراسان والسلاجقة واصفهان ،
ولب الاسباب لمحمد عوني ، تاريخ الطب العربي (بالانجليزية) وهو
مبارة عن عدة تأليف طبية عربية .

هذا عمل عظيم من علماء المشرقيات فتح الشرق والغرب بعلمه
وعمله ، ولم يصرف يوماً من حياته في غير فتح ، ولقد كتب لي الحفظ الاوفى
أن تعرفت اليه في مجلس استاذنا الشيخ محمد عبده في القاهرة ، وقضينا
ردحا من الزمن تتعاطف وتبائن الافكار حتى زرته في كمبردج
ففرح بلقائي بعد طول البعاد ، وأراد أن يضيفني في داره اياما فحال
ضيق وقتي دون اجابة طلب علامة اشتهر بالسخاء بالعلم والمال . وكان
هذا آخر عهدي به . رحمه الله .

* * *

ادوار مونتيه •

MONTET . EDUARD

١٨٥٦ - ١٩٢٧ م

ولد ادوارد مونتيه في ليون سنة ١٨٥٦ ، وفيها درس الدروس الثانوية ، وقال شهادة العالمية ، ثم التحق بجامعة جنيف وبرلين وهابندلبرغ وباريز ، ومن مدرسة اللاهوت البرتستانتية في باريز نال شهادة اللاهوت سنة ١٨٨٣ ، وقدم كتابا من تأليفه في أصول الفرقتين الصدوقين والفرسيين وتاريخهم الى ولادة السيد المسيح . وفي سنة ١٨٨٥ عين في جامعة جنيف استاذا للعبرية والآرامية والعهد العتيق . ومنذ سنة ١٨٩٤ أخذ يدرس اللغة العربية وتاريخ الاسلام .

واستفاضت شهرة المترجم له لاضطلاع بالمدنيات السامية ولا سيما الاسلام فدعته فرنسا لالقاء محاضرات في مراكش مرتين ، وفي كوليج دي فرانس بباريز ، ورأس جامعة جنيف من سنة ١٩١٠ - ١٩١٢ وله مقالات في المجلات والصحف . ومن أهم تأليفه « مختصر في نحو العبرية ، والآرامية الكتابية » و « مبادئ النحو العربي » ، و « تاريخ سكان مقاطعة الغو » ، و « تاريخ شعب اسرائيل من العهد القديم » ، و « رحلة الى مراكش » ، و « حاضر الاسلام ومستقبله » ، و « الاعتقاد بالاولياء في شمالي افريقية ولا سيما في مراكش » ، و « دروس شرقية ودينية » ، و « كتاب الاسلام » .

واتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي فأكبر هذا اللقب ،

• ترجمته في (المشرقون ١ / ٢٢٩)

وساعد المجمع ورفع من شأنه بين علماء الشرقيات ، كدأب معظم الفرنسيين اذا آسوا من علماء الشرق تقديرا لعلمهم .

وعرفت مونتيه عندما نشر محاضراته الست في الاسلام ومستقبله . وقد طلب اليه اعطاء رأيه فيها ، فراقنتي صراحتة وانصافه الاسلام في قوله : ان هذا الدين انتشر منذ اول ظهوره ، وقل في الاديان ما شابهه ، وان دعوته ما انتشرت بالقسوة وقوة السيف فان الواقع قد كذب هذا الظن . وان مبادئ الاصلاح الاسلامي كانت دينية صرفة بادية ، بدءا ، وان محمدا كان رسولا عمل على ان ينقذ مواطنيه من دين بربري سخيف وأن يخرجهم بهديه من مدينة منحطة وأخلاق ساقطة ، وانه لا شك باخلاصه وحماسه الدينية ، وانه دعا الى اصلاحه بعواطفه .

لما قرأت هذا ونشرته بالعربية بين قومي ، ورأيت الاخلاص يتدفق من كلامه اتصلت به ثم زرته في جنيف ، وشكرته على حسن ظنه بالاسلام . وما قلت له يومئذ : ان من كتبوا مثلكم بدون تحزب عنا من الاوربيين قلائل جدا ، فالعلم يشكركم على اخلاصكم وصدقكم وأكدت له ان معظم من يكتبون متأثرين بعوامل السياسة من الامم الاخرى وان ظهوروا في مظهر علمي يخالفونكم في رأيكم . فقال : هذا ما عرفته بعد البحث والسياسة والاختلاط برجالكم ، وفوق كل ذي علم عليم .

ولما نشر كتابه في الاسلام وقعت فيه على أشياء من مثل ما قال في محاضراته ، وعدد اعمال الرسول في الاصلاح ، وأنصف الاقدمين من المسلمين ، وقال : ان الرسول من أعظم من احسنوا للانسانية ، واستحسن ما اتت به شريعته من تحريم الخمر على المسلمين ، ودعاهم

الى ان يحافظوا على هذا التحريم لان فيه قوتهم . حتى اذا تكلم على المسلمين في شالي افريقية وفي غيرها من ديار الاسلام التي استعمرها الانكليز والهولنديون وغيرهم تكلم بلسان المستعمرين ، وأشار على المسلمين ان يخضعوا لمن استعمرهم وقال : ان فرنسا ساعية في تعليم المراكسين والجزائريين والتونسين على النحو الذي قرأه فيما كتبه كتاب الاستعمار عنهم وسعه من جباعتهم فظنه حقاً وصدقاً ، وكان حكه على الظواهر بسا لا يليق بعالم من عياره ، ولكن الرحلتين اللتين رحلها الى مراكش ، وكان فيها شيخ المستعمرين في هذا العصر المارشال « ليوتي » غيرت من أفكاره . ولسلامة صدره انطبعت آراؤهم فيه ورددها في كتابه فرسخت أفكاره بطبيعة الحال ممن اجتمع اليه من الفرنسيين . وفاته ان شياطين السياسة يتحيلون لاغراء كل صاحب شهرة ليتابعهم على خدمة أهوائهم . وهذا مما نزع الثقة من كل كلام يصدر عن مستعمر أو من له علاقة ولو طفيفة به .

★ ★ ★

اسماعيل صبري *

١٢٧٠ - ١٣٤١ هـ

١٨٥٤ - ١٩٢٣ م

حظني الحظ بعرفة أقطاب الشعر في مصر : محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري واحمد بك شوقي ، وحافظ بك ابراهيم ، وعرفت البارودي في مجلس الامام الشيخ محمد عبده في عين شمس ، وعرفت صبري مرة في المقهى ، وكان أحيل على المعاش (وكيل وزارة العدل آخر وظائفه) أي أنني عرفت الشاعرين العظييين معرفة بسيطة في آخر أيامها ، أما معرفتي شوقي فكانت في المقاهي أولاً ، ثم البيوت والحفلات في مصر والشام . وكانت عشرتي حافظ طويلة . وصداقتي متينة ، واجتماعاتنا مختلفة في أعوام عديدة .

ومن عجائب الاتفاق أن نشأة البارودي وحافظ جندياً ، ونشأة صبري وشوقي حقوقية ، وكلهم نشأوا في كنف الدولة ورعايتها، ولقوا من أمتهم العطف والحظوة ، هؤلاء الثلاثة لم يشوروا على المجتمع الا

* ترجمته في الاعلام ٣١١/١ ومعجم المؤلفين ٢٧٢/٢ . مشاهير شعراء العصر : ١٥٨ الموسوعة العربية الميسرة : ٤٦١ شعراء مصر : ٢١ تاريخ الادب العربي للفاخوري : ٩٧٤ وله ديوان شعر طبع ، دراسات في الشعر العربي المعاصر : ٢٨ ، في الادب الحديث ٢/٣١٩ ، ٢٧١ تاريخ الشعر العربي الحديث لاحمد قبش : ٥٠ ولمحمد صبري كتاب (اسماعيل صبري : حياته وشعره) . ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ١٨ لسنة ١٩٤٣ ص ٦ - ١٣ بعنوان شعر صبري .

بقدر معلوم ، بخلاف الرابع أي حافظ إبراهيم فإنه ثار عليه حينما كان حرا طليقا .

كان صبري استاذ شوقي وحافظ ، وكان شاعرا موهوبا شهدته العارفون بخفة الروح ورقة الحس ، ودقة الخيال ، وامتياز الطبع ، ووحدة المزاج ، وارتفاع الذوق . وعلى ذلك كان منذ صباه ، فلما درس وتفقه ، وذهب الى فرنسا يدرس الحقوق تجلت شاعريته وعبقريته وتفرده بضرب من الشعر قل أن يدانيه فيه غيره .

كان الشعر الجليل الذي يصدر عنه منذ نشأته الى آخر أيامه شعر العواطف والوجدان ، وشعر الوصف الدقيق ، ولذلك كان شعره من أكثر ما غنى به المغنون ، لانه سلس ينم عن خوالج النفس ، ولا يخلو من عشق واكتئاب ، وأثر له ، عدا الشعر الذي تغنى به القوم ، شعر " من شعر العامة ، أو الزجل برز فيه أي تبرز .

هذه هي الناحية الجميلة من شعر صبري . أما موضوعات الشعر التي عالجها فقد شارك فيها غيره من المعاصرين والغابرين : مديح ورتاء ومجاملات للكبراء والاصدقاء ، ومقطوعات تقال في مناسبة لارضاء فريق من الشعب أو لارضاء نفسه فقط ، وذكر بعض من ترجسوا لصبري أنه استسلم للشعر ولكن في قصد واعتدال فلم يتخذه صناعة ، ولم يتوسل به الى الرقي ، ولم يتوسل به الى الكسب . نعم هذا صحيح من جهة لو لا أنه مدح أناسا كان يتوقع خيرهم ، وكان ييدهم رفعة وخفضه ، ولولا مكانه من الدولة ، وطلوحوه الى الترقى في درجات أعمالها شأن كل عمالها ما حلاهم بشعره بحلية ، ولا نظم فهم بيتا . وصبري كسائر الشعراء ، بل كجمهرة الناس ، أحب ان ينتفع بشعره ولكن الى حد معقول فيه الاعتدال ولا شك .

ونحن لا يهمننا منه الا شعره الذي يجب أن يغلد ، وهو يرقسي ويعلم ، ويسر ويحزن . وهذا جملة موضوعات الشعر المفيدة في نظرنا ، وما عدا ذلك من معانيه فمسائل يختلف فيها الاجتهاد . يهمننا من صبري قوله ، وكأنه يصف كل نفس تحس وتحب ، يخاطب فؤاده ، ولحن فيه بعض المعنيين (١) :

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة

ولا بشافعة في رد ما كانا

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمتنا

حَمَل الصبابة فاحقق وحدك الآلا

ما كان ضَرْكًا إذ عُلِّقَتْ شمسٌ ضحى

لو اذكرت ضحايا العشق أحيانا

هلا أخذت لهذا اليوم أهبتة

من قبل أن تصبح الاشواق أشجانا

لهفي عليك قضيت العمر مقتحما

في الوصل نارا وفي الهجران نيرانا

ولحنوا له أيضا هذه الايات الثلاثة (٢) :

يا آسِيَّ الحَيِّ هَلْ فَكَّنتَ في كَيْدِي

وهَلْ تَبَيَّنتَ داءَ في زواياها

أَوَّاهَ من حُرْقٍ أودتْ بأكثرها

ولم تزل تمشي في بقاياها

(١) ديوانه : ١١٦

(٢) ديوانه : ١١٧

يا شوق رفقاً بأضلاع عصفت بها
فالقلب يخفق ذعرا في حناياها

وقال (١) :

ولما التقينا قرب الشوق جهده
شجيين فاضا لوعة وعتابا
كان حياً في خلال حيبه
تسرب أثناء العناق وغابا

وقال (٢) :

تسي تذكرنا الشباب وعهده
حناء مرهفة القوام فنذكر
هيفاء أسكرها الجمال وبعض ما
أوفى على قدر الكفاية يسكر
تب القلوب الى الرؤوس اذا بدت
وتطيل من حدق العيون وتنظر
وتبيت تكفر بالبحور قلائد
فاذا دنت من نحرها تستغفر
وتزبد في فيها اللالي قيمة
حتى يسود كيرهن الاصفر

وقال (٣) :

(١) ديوانه : ١١٠

(٢) ديوانه : ١١١

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه : ١٠٧

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة في ظل اللواء
فراقهم في الهوى ثاراتهم
فاجمي الامر وصوني الابرياء
إن هذا الحسن كالماء الذي
فيه للافسس ريء وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده

دون بعض واعدلي بين الظباء (١)

أنت يم الحسن فيه ازدحت

سفن الآمال يزجها الرجاء (٢)

يقذف الشوق بها في مائج

بين لثجين عناء وشقاء (٣)

شدة تمضي وتأتي شدة

تقتفيها شدة هل من رجاء

وقال من قصيدة في ساعة الوداع (٤) :

ساعة البين قطعة أنت قددت

للمحبين من عذاب السعير

لا تحيني ، روعي الفداء لماحي

ك غدا من صحيفة المقدور

(١) لا تذودي بعضنا عن ورده : لا تمنعي بعضنا عن مستقى الماء

(٢) يزجها : يسوقها ويدفعها .

(٣) هذه رواية الديوان وفي الاصل يقذف الشوق بنا .

(٤) آخر بيتين من مقطوعة في ديوانه : ١١٢ مطلعها :

اتزودت من ضياء البدور ليال كثيفة الديجور

وقال :

لما تبوأ من فؤادي منزلاً
وغدا يسلط مقلتيه عليه (١)
ناديته مترحماً من زفرة
أفضت بأسرار الضمير اليه
رفقا بمنزلك الذي تحتله
يا مَنْ يُخَرَّبُ يَتَهُ بِيَدَيْهِ

وله أبيات ، وكان دخل كنيسة رمنس المشهورة بفرنسا ، فرأى مكتوباً على عقرب إحدى ساعاتها ما ترجمته : (كلهن جارحات والآخرية القاتلة) يريد ساعات العمر والساعة الأخيرة ، فقال هذه القصيدة (٢) :

كم ساعة ألمني مسها
وأزعجتني يدها القاسية
فتت فيها جاهداً لم أجد
هنيئة واحدة صافية
وكم سقتني المرأخت لها
فرحت أشكوها إلى التاليه
فأسلستني هذه عنوة
لساعة أخرى وبني ما ييه
ويحك يا مكين هل تشتكي
جارحة الظفر إلى ضاربه

(١) الأبيات في ديوانه : ١١٩ عنوانها (إلى نزيل الفؤاد) .

(٢) ديوانه : ١٨٨

حاذر من الساعات ويل لمن
يأمنُ تلك الفئة الطاغية
وان تجد من بينها ساعة
جعبتها من غصص خاليه
فاله بها لهو الحكيم الذي
لم يشه حاضره ماضيه
وامرح كما يرح ذو ثنوة
من قلعة من تحتها الهاوية (١)
فهي وان بشت وان داعبت
محتالة ختالة عادية
عناقها خنق وتقييلها
كما تعض الحية الباغية
هذا هو العيش فقل للذي
تجرحه الساعة والثانية
يا شاكي الساعات اسع عسى
تنجيك منها الساعة القاضية (٢)
وقال في راحة القبر (٣) :

ان سئت الحياة فارجع الى الار
ض تنم آمناً من الاوصاب (٤)

(١) القلعة : اعلى الجبل .

(٢) المراد بالساعة القاضية : ساعة الموت .

(٣) ديوانه ص ١٩٠

(٤) الاوصاب : جمع وصب وهو الوجع .

بأن تتناقل وتستظهر ، منها في أخلاق الناس (١) :

غاض ماء الحياة من كل وجه
فعدا كالح الجوانب قفرا
وتفشى العقوق في الناس حتى
كاد رد السلام يحسب برا
أوجه مثلما ثرت على الأجر
دأب وردا ان هن أبدين بشرا
وشفاه يقطن (أهلا) ولو أدين ما في الحشا لما قلن خيرا
عَمَّرَكَ اللهُ هَلْ سَلَامٌ وَدَادِ
ذاك أم حاولَ المسلمُ أمرا
عَيَّتْ عَنْ طَرِيقِهَا أَمٌ تَعَامَتْ
أممٌ في مفاوزِ الجهلِ حَيَّرِي
غَرَّهَا سَعْدُهَا وَمِنْ عَادَةِ السَّعِ
دِ يَتَوَاتِي يَوْمًا وَيَخْذُلُ دَهْرًا
فَتَجَنَّتْ عَلَى الشُّعُوبِ وَشَنَّتْ
غَارَةً فِي الْبِلَادِ مِنْ بَعْدِ أُخْرَى

الى أن قال :

عِبْرٌ كُلُّهَا اللَّيَالِي وَلَكِنْ
أَيُّنَ مَنْ يَفْتَحُ الْكِتَابَ وَيَقْرَأُ

وهي طويلة قالها بمناسبة ظهور مذهب (هالي) المشهور في سنة

(١) القصيدة في ديوانه : ١٤١

تلك أم أحسى عليك من الأم
... التي خلقتك للاتعاب
لا تخف فالمسات ليس بساح
منك إلا ما تشتكي من عذاب
كل ميت باق وإن خالف العذ
وإن ما نُصِّصَ في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فإن ما
ت فقد عاد سالما للتراب

وله أبيات في الشباب والشيب استوحاها من المثل الفرنسي الذي
ترجمته (ليت الشباب يعرف ، وليت المشيب يتقدر

Si Jeunesse savait , si vieillesse pouvait

يشير الى ما في الشباب من قوة ونشاط يصرفهما في الغواية بغير
عقل ، وما في المشيب من عقل وتجربة لا يجد من القوة ما يعينه على
الاستفادة منها وهي (١) :

لم يدر طعم العيش شبان ولم يدركه شيب
جهل يضل قوى الفتى فتطيش والمرمى قريب (٢)
وقوى تخور اذا تشبث بالقوى الشيخ الارب
بيتا يقال كبا المغفل اذ يقال خبا اللبيب
أواه لو علم الشبا ب وآه لو قدر المشيب

وللشاعر في هذه المعاني قصائد ومقطوعات حسنة جدا جديرة

(١) ديوانه : ١٣٦

(٢) طاش السهم : اخطا المرمى .

ولصبري في باب المبكرات في المعاني والالفاظ قصائد ومقطوعات
نادرة مثل قوله في الدواة (٢) :

يا دواة اجعلي مدادك وِرْدًا
لوفود الأقلام حيناً فحيناً
وليكن كالزمان حالاً وحالاً
تارة آييناً وأخرى معيناً
أكرمي العلمَ وامنحي خادميه
ماءك العالي النفيس الثينا
وابذلي الصافي المطهر منه
لهُدأة السرائر المرشديننا
وإذا الظلم والظلام استعانا
يوم نحس بأجمل الجاهليننا
واستمدنا من الشرور مِداداً
فاجعليه من قسمة الظالميننا
واقذري النقطة التي بات فيها
غَضَبُ القاهرِ المذللِ كميننا

الى آخر ما قال :

وكتب الى الاميرة الكسندرة افيريويه (كريمة قسطنطين نعوم

(١) هذا المذنب يظهر كل خمس وسبعين سنة ، وسمى هذا
الاسم نسبة الى مكتشفه الفلكي (هالي)
(٢) مطلع قصيدة في ديوانه : ١٢١

الخوري) يرغب اليها في أن تعيد مجلتها « أنيس الجليس (١) » الى
الظهور بعد احتجابها وذلك سنة ١٩٠٤ (٢) .

خبري القوم يا سيئة (اشكك
سدر) يا ربقة الشهي والذكاء
هل لوجه « الأنيس » بعد احتجاب
من سفور في عالم الأدباء
فترى فيه كل بحث جديد
يقف الحق في صفوف النساء
إن للغايات حقاً علينا
ليس يخفى إلا على الجهلاء

وله في هذه الاميرة صديقه اشعار لطيفة ، والغالب أن الايات
التي اشهرت عنه قالها فيها ، وهو ما كتبه تحت بيتين قالتها وهما (٣) :

فَدَيْتُكَ يَا هاجري
فهل ترتضي بالقيدا
سهرت عليك الدهجى
ونحنت ولكن سدى

فقال (٤) :

(١) هذه المجلة نسائية علمية فكاهية ادبية كانت تصدر كل آخر
شهر . واستمر صدورها من ١٨٩٨/١/٢١ حتى ١٢/٢١
١٩٠٤ .

(٢) مطلع قصيدة في ديوانه : ٤٩

(٣) اثبت هذان البيتان في ديوانه : ١٢٠ على انهما لادبية معروفة

(٤) ديوانه : ١٢٠

أهاجرتني أطفسي
لواعج لا تنتهي
مضت في هواك السنون
وما نلت ما أشتهي
إذا قيل مات الأديب
بفاتنة أنت هي

فلما قرأت أبياته كتبت تحتها :

زمانك قلبي انتهى ولا يرجع المنتهي
فحسبي أن أزدهي وحسبك أن تشتهي^(١)

أراني استرسلت في نقل هذا الشعر العذب ، وكل شعر صبري نمط واحد في العذوبة والسلاسة . ذلك لأنه كان ممن ينقح شعره قبل نشره ، مثل حافظ إبراهيم . وقد قال في هذا المعنى^(١) :

شِعْرُ التّي عِرْضُهُ الثّانِي فَأَحْرَمَ بِهِ
أَلَا يُثْبِتُهُ بِالْأَقْذَارِ وَالْوَضْمِ
فَانْقَدَ كَلَامَكَ قَبْلَ النّاقِدين تَحْط
ثَانِي النّيسين من لَعْمٍ ومن هَذَرٍ

وعلى الجملة فإن للشاعر العظيم مقطوعات أو بيتا أو بيتين تحمل

(١) هذان البيتان وردا في ديوانه أيضا : ١٢٠

(٢) من قصيدة في ديوانه : ٥٦ في تقرّيب لمختارات محمود سامي البارودي الشعرية مطلعها :

يا رائد الشعر لا تقرب منا هله
الا وراء دليل صادق النظر
وقد نوه بهما احمد امين في مقدمة هذا الديوان .

معاني كثيرة وتترك سامعها في فكر وترهف حسه ، وما أحلى قوله^(١) :

إذا خائسي خيل قديم وعقّني
وفوقت يوماً في مقاتله سهي^(٢)
تعرض طيف الواد بيني وبينه
فكسر سهي فائثيت ولم أر م^(٣)

وقال فيه أحد مترجبيه أنطون الجليل : ان صبري كان يصوغ هذه الاشعار السهلة بصعوبة ، فكان جهاده الشعري طويلا شاقا ، وهو يجد قوته في تجديد مجهوده ، كان يستحث فنه دائما للاستزادة من الاتقان وجمال الفن وكان لا يزال يحور ويغير ، ويقدم ويؤخر ، وهو متعطش الى مثل أعلى لم يدركه حتى كأنه يقول : « ان أجمل شعري لا يزال في صدري لم أتسكن من نظمه حتى الآن » . ومن قصائده الخالدات على لسان فرعون مصر^(٤) :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني
إذا ونى يوم تحصيل العتلا وانسي
ولست - إن لم تؤيدني فراعنة
منكم - بفرعون عالي العرش والشان
ولست جبار ذا الوادي إذا سلّمت
جباله تلك من غارات أعواني

(١) ديوانه ص ١٤٤

(٢) فوق السهم : اعده للرمي .

(٣) هذه رواية ديوانه ، وفي الاصل : فكسرت سهي .

(٤) ديوانه : ١٧٢

لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً
فماؤه العذب لم يخلق لسلان
ردوا المجرمة كدءاً دون مورده
أو فاطلبوا غيره ريثاً لظمان
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم
لا تركوا بعدكم فخراً لإنسان

ومن هذه القصيدة في وصف الأهرام :

أهرامهم تلك حيّ الفن متخذاً
من الصخور بروجاً فوق كيوان^(١)
قد مرّ دهرٌ عليها وهي ساخرة
بما يضعف من صرح وإيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى
ما يأخذ النسل من أركان تهلان^(٢)
كانها - والعوادي في جوانبها
صرعى - بناء شياطين لشيطان

وله كلمة ماثورة منشورة سامت شعره في معانيها ، وكأنها
أصبحت مثلاً وهي قوله : أحب التوحيد في ثلاثة : الله والمبدأ والمرأة ،
وأحب الحرية في ثلاثة : حرية المرأة في ظل زوجها ، وحرية الرجل تحت
راية الوطن ، وحرية الوطن في ظل الله .

وكان من القائلين بالاكثفاء بزوجة واحدة ، ومن قوله في ذلك^(٣) :

(١) كيوان : اسم كوكب زحل .

(٢) تهلان : جبل عظيم في أراضي نجد) في شبه جزيرة العرب .

(٣) ديوانه : ١٤٤

يا من تزوج بائنتين إلا انتيد^(١)

ألقيت نفسك ظالماً في الهاوية
ما العدل بين الضربتين بمسكن
لو كنت تعدل ما أخذت الثانية

وقال معارضاً بيتي الشريف الرضي^(٢) :

أرى بعد وردد الماء في القلب غلّة
إليك على أي من الماء نافع
وإني لأقوى ما أكون طساعة
إذا كذبت فيك المنى والمطامع

فقال صبري^(٣) :

يا مَوْرِدًا كنت أغنى ما أكون به
عن كل صافٍ إذا ما بات يثروني
عندي لمائك والأقداح طوع يدي
ملأى من الماء شوق كاد يثروني

ولاسماعيل صبري في باب التغزل بدائع تسيل رقة وعذوبة

ومنها^(٤) :

(١) هذه رواية ديوانه ، وفي الأصل : يا من تزوج من اثنتين .
(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى الحسيني (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ ،
٩٧٠ - ١٠١٥) مولده ووفاته ببغداد ، شاعر مجيد ، انتهت
إليه نقابة الاشراف في حياة والده .

والبيان من مقطوعة في ديوانه ٥٠١/١ مطلعها :
لقلبي بغوري في البلاد لبانة وإن كنت مسدوداً على المطالع

(٣) ديوانه : ١١٧

(٤) مطلع قصيدة في ديوانه : ٥٤

لو أن أطلال المنازل تنطبق
 ما ارتد حراً أن الجوانح شيق
 هل عند ذلك السرب أنا بعده
 في الحي من آماقنا تندفق
 أو أن أضلعتنا على ما استودعت
 يوم القراق من الجوى تحرق
 أمتازل الأقسام أهلك أسرفوا
 في النأي إسراف الغني وأغرقوا
 لو أنهم قد أنصفوك منازلنا
 ما حازهم في الكون بعدك مشرق

ومما قال في خلع السلطان عبد الحميد الثاني (١) :

إن يرجع الخير - نعم الخير من عمل -
 دخلت في زمرة الغر الميامين
 أو يغلب الشر - لا كانت عصابته -
 عددت في صرحه أقوى الأساطين
 إن لم تكن - لاثناك الدهر عن أمد -
 شيخ السلاطين كُن شيخ الفراعين
 إنا عهدناك لا ترضى إذا استبقت
 صيد الملوك إلى الغايات بالدهون

(١) من قصيدة في ديوانه : ١٧٦ مطلعها :

يا ناظر الترك قد فارت مراجلهم بين الدروب وفي عرض الميادين
 قالها في ثورة الأتراك وخلع السلطان عبد الحميد وتولية
 محمد الخامس سنة ١٩٠٩

لا ير هيقك حكم الناس فهو غدا

مستأنف عند سلطان السلاطين

وقال ينادي الاقباط في الفتنة التي وقعت بينهم وبين المسلمين
 سنة ١٩١١ بمقتل بطرس غالي باشا رئيس الوزارة (١) :

مصر أتم ونحن إلا إذا قا
 مت بتفريقنا دواعي الشقاء
 مصر ملك لنا إذا ما تباك
 لنا وإلا فمصر للغريباء
 لا تطيعوا منّا ومنكم أناساً
 بذروا بيننا بذور الجفاء
 لا تؤلّوا وجوهكم شطر من عك
 سر ما في قلوبنا من صفاء
 إن دين المسيح يأمر بالعر
 ف وينهي عن خطّة الجهلاء

وأختم هذا بنسودجات من أغاني صبري . قال (٢) :

ادك أمير الأغصان من غير مكابر
 وورد خدك سلطان على الأزهرا
 والحب كله أشجان يا ألب حاذر
 والصد ويا الهجران جزا المخاطر

(١) من قصيدة في ديوانه : ١٨٠ مطلعها :

معشر القبط يا بني مصر في السراء قد كنتم وفي الضراء
 (٢) ملحق ديوانه : ١ وظاهر إنه جار على كلام العامة .

يا ألب أدانت حيت
صحت تنكي ما لأيت
صدقات أولي ورأيت
يا ما نصحتك ونهيت

ورجعت تندم
لك حد يرحم
ذل المتيم
لو كنت تفهم

أعرض لحسك أورا
وأبات صرع الأشواء
و هجر وصابة وفراء
وارحم ألوب العشاء

واكتب وادوئن
واحب واختن
يا رب هوئن
دا شيء يجنن

وما ينسب اليه من المواليا قوله (١) :

في ظل أهداب عيونك ورد خدك آل (٢)

وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك آل (٣)

والنسب وبتا الأمر في حسنهم لك آل (٤)

لو ألت للصب آل . كل الملاح جندي

ولي الجبال أجمعه من غير مشارك ، آل

قالوا : ان الشعراء على اختلاف درجاتهم لقبوا اسماعيل صبري
بأستاذ الشعراء ، وهي تسمية في محلها ، ولقبه بعضهم بشيخ الشعراء ،
وقد قال فيه أحد من ترجموا له : ان صبري كان كامري القيس ، لم

(١) ملحق ديوانه : ٦

(٢) يريد القيلولة في وقت الحر .

(٣) آل يسؤول : رجع .

(٤) آل : أهل .

يقول الشعر زانغبا ولا راهبا ، وانما كان يقوله عن عاطفة تختلج في
صدره كقطرة الندى فيصوغها باللفظ كاللؤلؤة الصافية ، كانت القوى
تجول في خاطره فتصفي اذنه لحفيفها فيوقع نغمها ايقاعا شائقا . لم
يكن مزهره كثير الاوتار ، بل كان يضرب على وترين أو ثلاثة كما رأينا
فيستخرج منها نغما شجيا بعيد القرار ، يصدر عن خفقة فؤاد فيتقلب
متسوجا حتى يستقر في ثنابا الفؤاد كالموجة تقذف بها لجة البحر ،
وتتكسر متلاشية على ساحل البحر .

ووصف خليل مطران طريقة صبري في قرض الشعر فقال :

أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة
يشهدها ، أو خبر ذي بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه . ولما كان
لا ينظم للشهرة بل لمجاراته نفسه على ما تدعوه اليه فالغالب في أمره أن
يقول الشعر متشيا . وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه
بعنقه ، وله بين حين وحين أنه يسئل ما تنطق لفظه « ايه » مستطيلة ،
وقال : انه ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة الى أربعة الى
ستة ، وقلبا يزيد على هذا المقدار الا حيث يقصد قصيدة ، وهو نادر .
شديد النقد لشعره ، كثير التعديل والتحويل فيه ، حتى اذا استقام على
ما يريد ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب أهله ثم نسيه . وهكذا
يسر به الآن بعد الآن فيجيش في صدره شعر فيرسل بيتيه اطلاق
زوجي الطائر ، فيذهبان في الفضاء ضاربتين من أشطرهما بأجنحة ملتسعة
شاديين على توقيع العروض الى أن يتواريا ويتقطع نغمها من عالم
النسيان . ذلك هو شعر للشعر . اه ما أصدق هذا الوصف .

وللاستاذ العقاد رأي غريب في شعر صبري قال : ان شعره لطيف

لا تعمل فيه ، ولكنه كذلك لا قوة فيه ولا حرارة . ونقده نقد بصير

عارف بالزيف كله ، ولكنه غير بصير ولا عارف بالصحة كلها ، وأثره

في تهذيب الادواق ونهي ما كان فاشيا من زيف التشبيه وفساد الخيال
أثر واضح لا ريب فيه ، ولكنه بعد هذا أضر محدود بذلك النطاق
المرسوم . وان شئت فقل ان أدب الرجل كان أدب الذوق ، ولم يكن
أدب النزعات والخوارج ، وأدب السكون ، ولم يكن أدب الحركة
والنهوض ، وأدب الاطلاع الحسن ولم يكن أدب الابتكار المستكشف
الجور .

وأورد الدليل على هذا الرأي بعض قصائد لصبري في الغزل
والتشبيب مثل قصيدته^(١) :

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة في ظل اللواء

فقال : انها ذوق وكياسة وليس فيها عشق وحرارة ، قال ولن
تذكرنا هذه الايات بعاشق يهوى معشوقا يقف عليه نفسه ويطلب اليه
أن يقف نفسه عليه ، وانا تذكرنا بنديم قاهري في سهرة من سهرات
الطرب ، يلتف مع صحبه بغانية أو مغنية ، يتلطف في الزلفى اليها ،
والتناء عليها ، فلا يشعر من وراء ذلك بلوعة ولا غيره من المنافين ،
قناعة منه بالراحة بين الاحزاب والعدل بين الظماء .

نعم ان صبري مقل من قول الشعر ، ما إخاله نظم أكثر مما نظم
حافظ ، والبارودي وشوقي كانا مكثرين مع الاجادة ، ومعاورة حافظ
لشعره بالنقد والتشذيب كمعاورة صبري له ، وتخير الموضوعات
الشعرية يتشابه فيها حافظ وصبري ولكل واحد ميزة تفرد بها ، فقد
تفرد صبري بأغايه ، وحافظ باجتماعياته ، وشوقي بوصفه ، والبارودي

(١) ديوانه : ١٠٧

بِحيكسه ، وكلهم حاولوا أن يدمجوا حيكما فكانوا دون المتسبي ، وربما
كانت العاطفة في شعر صبري أبرز مما هي في شعر غيره من شعراء
الطبقة الاولى حتى ليسوغ لنا أن ندعوشعره بالشعر العاطفي والغنائي .

ولطالما قلت وأنا أتلو شعر الشعراء الاربعة ، أو اجتمع اليهم
وأسمع حديثهم : حبذا لو أسعفهم الزمن فعزلهم عن الوظائف . والقاهم
في ناصيته ينظون لانفسهم ولمجتمعهم أحرارا غير مقيدين بقيود
الاستخدام الثقيلة ، وربما جاء من كل واحد منهم شاعر كشكسيير
وكيتي وموليير ودونوزيو من شعراء الافرنج ، ولكانت تجلت قرائحهم
فأبدعت ابداعا يبقى يتيمة في عنق الدهر ، وقد قيل^(١) :

يسوت رديء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى وإن مات قائله*

★ ★ ★

(١) القائل هو دعبيل بن علي الخزامي (١١٨ - ٢٤٦ هـ ، ٧٦٥ -
٨٦٠ م) شاعر هجاء ، أصله من الكوفة ، وكان صديق
البحثري وله كتاب (طبقات الشعراء) وكان طوالا ضخما
والبيت من مقطوعة له في مجموعة شعره الذي جمعه الدكتور
عبد الكريم الأشر ص ١٧٧ والعمدة ١١٤/١ وديوان المعاني
لابي هلال العسكري ٢٢٨/٢ وزهر الآداب ٦٦٥/٢ ومطلع هذه
المقطوعة :

نعوني ولما ينعتني غير شامت وغير عدو قد أصيبت مقالته

كولد صهر *

GOLDZHER IGNAZ

١٨٥٠ - ١٩٢١ م

ولد اغناطيوس غولدصهر في هنغاريا سنة ١٨٥٠ ، وتلقى العلم في جامعات يودابست وليبيك وبرلين ، وتخرج في العلوم الشرقية بالعلامة فيري المجري من اكبر علماء المشرقيات في عصره ، ودرس اللغات السامية ، وأخذ العربية والشرع الاسلامي في الازهر ، وجاء دمشق في شبابه ، واختلط بعلمائها وأدبائها ، وصحب أستاذا الشيخ طاهر الجزائري ، وكان يطيب له أن يوقع كتبه هكذا « الفقير اجناس غولد صهر المجري الازهري » ، وانتظم عضوا في المجامع العلمية والجمعيات الآسيوية والمؤتمرات الشرقية . وكتب مقالات وأبحاثا في مجلات المشرقيات. وكان يحسن بضع لغات ومنها الخرواوية الصربية، من أبحاثه خطابه في مذهب داود الظاهري ، وقد طبع له بعض كتبه ، كما طبع « المجلى » لابن حزم ، ومنها خطابه في المراثي عند العرب ، وكتب أكثر مؤلفاته بالالمانية والفرنسية والانكليزية ومنها كتابه في اليهود (وهو يهودي النحلة) وفي آداب الجدل عند الشيعة ، والاماطير الميثولوجية عند اليهود ، و « كتاب في الاسلام » (١) ، و « دروس في الاسلام » نشرها بالالمانية في مجلدين ، و « بحث فلسفي في اللغة

* ترجمته في « المستشرقون » : ١٩٦ والإعلام ج ١/ ٨٠ .
(١) لعله كتاب (المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن) الذي تقدمه الاستاذ احمد محمد جمال في كتابه (مع المفسرين والكتاب) ص ١٢٨ - ١٥٤ .

العربية » في مجلدين ... وأحيا من المخطوطات العربية ديوان الحطيفة ، وكتاب محمد بن تومرت ، ومعاني النفس ومقالة لكاتب اسراييلي في أساء الله الحسى وصفاته تعالى ، ورسالة « الثقيفة في الاسلام » . وألف بالفرنسية رسالة اللاماسية في مسألة السامري وعجل الذهب (١) :

ولما نيت اليه مزاعم بعض علماء المشرقيات في تصور العرب بتحريض الرواية ومعرفة درجات الرواة في أصول علم الحديث وقواعد الجرح والتعديل عزم ان يضع كتابا يكشف القناع عن الحقائق ، ويظهر مكانه العرب من التحريض ، وبينما هو يرصد المعدات لتأليف كتاب في هذا الشأن ظهر كتاب « توجيه النظر الى علم الاثر » للعلامة طاهر الجزائري . وراى فيه من التحقيق ما سره وترجم عسا في نفسه فقال : لقد كفانا الشيخ طاهر مؤونة التأليف في هذا الموضوع ، وترجمه بالالمانية .

ومما نشر « رسالة في الحسين بن منصور الحلاج » ونقد كتاب « الطواسين » الذي نشره العلامة ماسينيون ، ونشر كتاب المستظهري « فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية » للغزالي .

(١) قصة السامري وعجل الذهب وردت في القرآن الكريم سورة طه الايات ٨٥ - ٩٧ ملخصها ان الله تعالى دعا نبيه موسى عليه السلام لتكليمه ، فترك قومه وخلفه فيهم اخوه هارون ، وكان مواعده ثلاثين ليلة ، ولكن الله تعالى جعلها بعد ذلك اربعين ، فلما طال غيابهم اصلمهم السامري وهي نسبة الى قبيلة من بني اسراييل يقال لها السامرة واسمه موسى بن مظفر وكان منافقا فصنع لهم عجلا من ذهب له خوار فعبدوه وتركوا عبادة الله فعوقب في الدنيا وحرّم على الناس ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته ومسه فتحاماه الناس .

ولما عرجت على بودابست كان مشغولا بتصحيح هذا الكتاب والتعليق عليه فسالني ثلاث مسائل اشكلت عليه فاهتديت الى حل واحدة ، وحل الشيخ طاهر الثانية ، وبقيت الثالثة بلا حل . وأملعني على خزانة كتبه ، وكان فيها كل ما ينبغي لعالم مثله اقتناؤه من الامهات المطبوعة في الشرق والغرب ومعظمها باللغة العربية ، وما جمع فيها المراسلات التي دارت بينه وبين علماء الشرق وغيرهم ليرجع اليها على عادة الغربيين في استفادتهم من كل فكر وحفظه للرجوع اليه حين الحاجة . وابتاعت خزانته الجامعة العبرية في القدس وضمتها الى خزانته العظيمة .

ولقد نشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريز كتابا بعد وفاته من تأليف الاستاذ هيرالمجري ذكر فيه ما صنفه غولدصهير من الابحاث الاسلامية واليهودية في اللغات المجرية والالمانية والانكليزية والفرنسية والروسية والسويدية والخرواتية والعربية ، منها ما جاء في كتب ضخمة ، ومنها ما كان مقالات في المجلات الغربية وفي المجلات العلمية على اختلاف لغاتها .

شغل الاستاذ أكثر عمره بتدريس تفسير القرآن والاصول والحديث والملل والنحل في جامعة بودابست . سألته وقد تقوض المجلس وهو يستأذن بالانصراف : الى أين تذهب الآن ؟ فقال : لالقاء درسي ، فقلت له : ما درسي ؟ قال : تفسير القرآن ، فضحكت وقلت له : ذكرتني حالك الآن بها قاله العلامة احمد زكي المصري لما زار الاستاذ درنبرغ في مدرسة اللغات الشرقية بباريز وهو يدرّس القرآن فقال : اسرائيلي يدرّس كتاب المسلمين لجماعة من النصارى .

ودعاني لتناول طعام العشاء من الغد في بيته وقال لي : انه سيكون

معنا ابنه غولد صهير المهندس وقريته ، ولما قدمني الى كنته قال : تحسن خمس لغات تكتب بها وتتكلم بطلاقة ، وهي عارفة بالآثار المصرية . فقلت : ما كان يخطر لي ببال أن أرى في الديار المجرية فتاة تتشارك الرجال في علمهم الذي يتوقف درسه على معارف متنوعة ، فإن كان نساؤكم على هذا المثال في الغرام بالعلم ، فلا عجب إن جاء من رجالكم كل عجيبة . ولما انصرف المدعوون استبقاني وسألني كيف وجدت كنتي ، فأثيت عليها وقلت له : بارك الله لزوجها بها فقال : هي متعلمة وجسيلة وغنية أيضا ، أو متعلمة وغنية وجسيلة أيضا ، لا أذكر العبارة بالضبط .

طلبت اليه لما تزاورنا أن يعرفني الى بعض أرباب الصحف في بودابست لأخذ عنهم ما يهني الوقوف عليه من حال هنغاريا فقال : وما الحاجة الى هذا الاجتساع وأنت عربي ومتشبع بعروبتك ، وأنت تعلم أن المجرين يحبون الاثراك ، ولا ينسون عطف الدولة العثمانية على من التجؤوا الى بلادها من قوادهم عقبى احدى الثورات على النمسا ، فحمتهم وأكرمتهم وفادتهم . واني لأخشى اذا اجتمعت السي الصحافيين أن تبدر منك أو منهم كلمات تؤدي الى جدال لاتحمد مغبته ، فالاولى أن تسألني ما تحب الاطلاع عليه ، وبذلك تتفادى الوقوع فيسا ليس من الحكمة الوقوع فيه .

طالعت بعض ما كتب غولدصهير بالفرنسية ، ومنه ما نقل اليها مقالاته في الفقه وما الى ذلك مما نشره في معلمة الاسلام فرأيت طريقته طريقة العلماء يعشقون الحقائق ولا يعبؤون بها عداها ، ولا عجب إن أصبح غولد صهير مرجع علماء المشرقيات الاسلامية في ديار الغرب

* أمين المعلوف *

١٢٨٨ - ١٢٦٢ هـ

١٨٧١ - ١٩٤٣ م

هو من أسرة لبنانية كبيرة ظهر منها مع انتشار التعليم في ربوع لبنان المؤرخ والطبيب والشاعر والسياسي . ومن نوابغهم أمين هذا .

درس الطب في الجامعة الأمريكية فكان الصدر المقدم فيه بين أقرانه ، وكان غرامه بالأدب يوازي غرامه بالطب ، فكان أبرز شاهد على تعدد المواهب في إنسان من كسوف الموهبة العلمية في بعض زوايا نفسه ، فإذا آتت فرصة تجلت أعظم تجلٍ ، وكسفت المواهب الأخرى . فقد احترف الطب ، وكان ذا حدق نادر في تشخيص العلة ، ولكن ظهرت فيه في الوقت نفسه الموهبة المدفونة في دفتي صدره وقرارة نفسه ، وهي موهبة البحث العلمي ، وانبتقت فيه انبثاق الإلهام والوحي . وظهرت طوالها في كثرة التقصي والسؤال والمطالعة .

توفر سنين طويلة على وضع كتاب « معجم الحيوان » على الأصول الغربية من البحث الدقيق حتى جاء كتابه آية تجلي فيها

* ترجمته في الاعلام ٣٦٠/١ ومعجم المؤلفين ١٢/٣ والنظر مقالات له في مجلة المجمع العلمي ٢٨٩/٧ ٢٨٩/٧ ١٦٠ . ١٠/٩٠٣٢١
وهو أمين بن فهد بن أسعد المعلوف ، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلين وتوفي بالقاهرة إثر شلل أصابه .

لعهده . ومن أحصى ما نشر من أبحاثه باللغات المختلفة يأخذه العجب ما وصل إليه من مقامات العلم ، ولا يكاد يصدق أن عمر الإنسان التصير يتسع لتأليف ما ألف فيه من الأبحاث الصعبة . وأن الدراسات التي وجهت إليها (١) همة غولد صيرت ما يعز حصول مثله لعالم شرقي . ذلك لأن الشرقي بعيد عن الاتقان . يصاب بالملل ولا سيما يوم تعرض له مشاكل تحتاج إلى أناة طويلة وطول تفكير .

★ ★ ★

* أنستاس الكرملي *

١٢٨٢ - ١٢٦٦ هـ

١٨٦٦ - ١٩٤٧ م

ولد في بغداد من أب لبناني وأم بغدادية . ودرس في مدينة السلام الدروس الابتدائية ، والتحق بعد ذلك بـ مدرسة اليسوعيين في بيروت . ودير الكرمليين في شفرمون ببلجيكا ، وفيها سيم قساً سنة ١٨٩٤ فسعى نفسه أنستاس ماري الكرملي . وكان اسمه قبل أن يذهب بطرس بن ميخائيل جبرائيل عواد ، وعاد الى وطنه وقد اتقن العربية والفرنسية ، ودرس اللاتينية واليونانية وتخرج بالأدب العربية بعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي ، وما زال يعامله الى آخر حياته معاملة التلميذ أستاذه .

وأخذ منذ دخل دير الكرمليين في بغداد يعنى بالبحث عن أصول المفردات العربية وعلاقتها باللغات السامية وغيرها ، فاقترضه ذلك أن يلم الماماً خفيفاً بالسريانية والعبرانية والحشية والمندائية والفارسية والتركية ، ثم الانكليزية والاسبانية والبرتغالية على مثال علماء المشرقيات في الغرب في تلقنهم اللغات التي تبعت همتهم الى تذوقها قليلاً .

* ترجمته في الاعلام ٢٦٦/١ ومجمع المؤلفين ١٧/٣ وانظر معجم المطبوعات ٤٨١ ومجلة المجمع المجلد ٢٢ ص ٦٠٨

العناية ، وجعله على حروف الهجاء . ذكر فيه الاسم العربي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ، وأحياناً الاسم الافرنسي ، ووصف كل حيوان فيه وصفاً دقيقاً يقربه من ذهن القارىء . وهذا من الكتب الخالدة (١) . وألف أيضاً المعجم الفلكي ، ألم فيه بذكر الثوابت والكواكب السيارة وصور النجوم وبعض الاصطلاحات الفلكية (٢) . وكان يعد كتاباً ثالثاً في النبات ، نشر منه في مجلة المجمع العلمي العربي مبحثين في المجلدين السابع والثامن . ولم يطبع . وبدأ بتأليف معجم انكليزي عربي ولم يتسعه ، وله أبحاث في الاصطلاحات الطبية ، وتعليقات على كثير من الألفاظ التي أخطأ العلماء فيها .

« ولقد كان - رحمه الله - من أصدق الناس ووطنية وأساهم أخلاقاً ، وأخلصهم للقضية العربية . خدم بلاد العرب في الجيش المصري وفي الثورة العربية ، وفي الجيش العراقي ، وخدم لغة الضاد في جميع أدوار حياته ، فكان في كل ذلك نعم الخادم العالم الصادق الأمين » .

* * *

(١) طبع بعنوان معجم الحيوان .
(٢) طبع بعنوان : المعجم الفلكي .

وساعده فراغه في ديره ، فكان بعد قيامه بواجباته الدينيه لا
يصرف ساعة في غير الدرس والبحث ، فالف في الموضوع الذي اخذ
من نفسه أبحاثاً وكتباً ورسائل ، ونشر في المجالات العربية أبحاثاً مستعده ،
ولا سيما في « المشرق » و « المقتبس » والمباحث والمسرة والزهور
والزهراء والمقتطف والهلال ومجلة المعلمين ومجلة المرأة الجديدة ومجلة
المعهد الطبي العربي ومجلة المجمع العلمي العربي ومجلة مجمع فؤاد
الاول وغيرها . وكان يوقع مقالاته في هذه المجالات بتوقيعه الصريح
أو بإمضاء مستعار . وقد انشا في بلده مجلة « لغة العرب » صدر منها
ثمان سنين وانشأ مجلة دار السلام أربع سنين .

وآلف في الدين والمواعظ كتباً ورسائل اشتهرت بين أبناء
طائفته ، وتآلفه العلمية تناول اللغة والتاريخ على الاكثر ، ومنها
رسالة في « الكتابة العربية المنقحة » و « نشوء اللغة العربية ونسوها
واكتسالتها ^(١) » و « اغلاط اللغويين الاقدمين ^(٢) » خلاصة تاريخ
العراق ^(٣) » و « النفود العربية وعلم النميات » وغير ذلك . ونشر
من كتب الاقدمين الجزء الثامن من « الإكليل » للمهداني ^(٤) ، وجزءاً
من كتاب « العين » للخليل بن أحمد ^(٥) ، و « نخب الذخائر في أحوال
الجواهر » لابن الأكناني . وله تآليف أخرى لم يكملها . وحدثنني
غير مرة أن له معجماً مطولاً في العربية سماه « المساعد » لم يوفق الى
طبعه .

(١) طبع

(٢) وهو في انساب حمير وملوكها ، وفيه وصف لليمن وآثارها .
والهمداني هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، والمعروف بابن
الحائك (ت ٣٣٤ هـ)

(٣) الفراهيدي ، المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، إمام اللغة والادب ،
وواضع علم العروض ، وكتابه (العين) معجم لغوي

كان رصيفي في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وفي مجمع فؤاد
الاول اللغوي في القاهرة . وهنا كانت تظهر عند المناقشة في الالفاظ
سعة علمه بها حتى ليخيل للمسامعين أن معظم الالفاظ التي بهمه معرفة
أصولها قد وضع لها أجزاء يرجع اليها كلما أراد . وهذا دليل دؤوبه
في خدمة اللغة وطول أمانه في البحث والدرس . وكانت كتابته سهلة ،
خالية من الالفاظ التي تعلقو عن أفهام جمهور القراء ، لكن دياجتها
لا تناسب كتابة رجل عاش عسره في وسط كتب بلغاء العرب . أي انه
ما كان كاتباً بليغاً ، وتعرض له الركاكه أحياناً .

وكان يصلح لبعض علماء المشرقيات بعض أبحاثهم وكتبهم ، ويأخذ
منهم ما يرتفق به ، وليس هذا ما يؤاخذ عليه ، وهو يؤاخذ عندما بالغ
في مجلته برفع شعر أحد شعراء الناشئين فوق شعر أكبر شعراء العصر ،
وبالتنويه بسعجم هو يعترف أن كل صفحة من صفحاته لا تخلو من
عشرات الاغلاط ، وذلك مقابل مبلغ من المال تقاضاه من الشاعر
والمؤلف حتى يدح عملها بنا لا يستحق . وجرى في ذلك على طريقة
الصحف الفرنسية في التنويه بمؤلفين متوسطين ومؤلفات حقيرة مقابل
دفع شيء للمكاتب والناشر . وفي ذلك افتئات على العلم ، وغسلحقه .

وكان يعجب من خطتي في تطلبي نقد ما آلفت ونشرت ، ويقول :
لم أر في الشرق والغرب من جرى على هذه الطريقة ، فقد جرت عادة
المؤلفين في الاكثر أن يتطلبوا تقرير كتبهم ، ويسوؤهم أن تنتقد ،
وأنت تتطلب نقد ما تؤلف وتشره للناس ! فكنت أجيبه أن النقد
حياة العلم ، وأن لمن ينقدي ثلاث من علي : يفيدني ، ويفيد الناس ،
وفيد العلم . أما التقرير والمدح فلا ينفع أحداً .

جسع الأب العلامة خزانه كتب عظيمة قدرت في آخر أيامه

جرجي زيدان *

١٢٧٨ - ١٣٣٣ هـ

١٨٦١ - ١٩١٤ م

لبناني ولد في بيروت من أسرة فقيرة . تعلم في بعض مدارسها الابتدائية ، ودخل الكلية الاميريكية لتلقي الطب فلم يتم له نيل الشهادة ، وهاجر الى مصر ، وتولى تحرير جريدة الزمان ، ثم رافق الحلة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ بوظيفة مترجم ، ثم عاد الى بيروت ، ودرس فيها اللغتين العبرية والسريانية ، ووضع كتابه « الفلسفة اللغوية » ، ثم رحل الى لندن وعاد الى مصر ، وعين محرراً في ادارة « المقتطف » ، ثم أنشأ مجلة « الهلال » ١٨٩٢ وانقطع الى التأليف .

كتب اثنين وعشرين مجلداً من « الهلال » وخلق بضعة من تأليفه الأدبية والعلمية عدا ٣٢ رواية وقصة أخذ أكثرها من تاريخ العرب . ومن أهم كتبه « تاريخ التمدن الإسلامي » في خمسة مجلدات ،

* ترجمته في الاعلام ١٠٨/٢ مرة العصر : ٤٥٧
قدماء ومعاصرون : ١٥٦ . عصاميون عظماء من الشرق
والغرب : ٥٩-٨٠ مقال ابراهيم الطناحي ، تاريخ الادب
العربي للفاخوري : ١١٢٥ . وانظر معجم المطبوعات : ٩٨٦
والرائد : ٧٤٥ وفي آخر الجزء الرابع من كتابه (تاريخ آداب
اللغة العربية) ص ٦٨٣ ، رجال عرفتهم : ١٩١

بضعة عشر ألف مجلد ، فيها معاجم من اللغات المختلفة ، وكتب في التاريخ والآداب ، ومنها مجموعة من كتب العرب التي أحيها الغريون بالطبع ، ومنها مخطوطات عربية ، وفي الحرب العالمية الاولى احتل دير سرية من جنود الترك ، فاشتد عليهم البرد في بعض الليالي ، فلم يروا وقوداً أقرب اليهم من أخذ بعض المخطوطات وجعلها طعاماً للنار ، ثم تناولتها أيدي النهب فققدت مئات من مجلداتها ، وعاد بعد الحرب فاسترجع المسروق ، وما عوّن المحروق . وكان اذا ذكرت له خزائنه يتألم لما حل بها . وقد وقف هذه الخزانة على الدير ، كما خص طاقته فقط بما ترك من ثروة جمعها في الاكثر من المسلمين وحكوماتهم .

غضب ذات يوم على أحد رهبان دير فضربه بالعصا فحكمت الرهبة عليه بالنفي الى دير الكرملين في حيفا ، على أن لا يكتب ولا يؤلف ، فكتب لي بذلك سراً ، فرجوت بعض المقربين من ملك العراق فيصل - رحمه الله - أن يتدخل في الأمر لتطلق للأب حريته ، فطلبه الملك من رئيس دير بحجة أن له أشياء يريد استفتاءه فيها ، فما وسع صاحب الدير الا اجابة الطلب ، وعاد أنتاس الى حريته يؤلف ويصنف وينفع اللغة والآداب .

كان المترجم له لا يرحم أحداً يعيث باللغة ، أو يقول فيها بلا علم . اشتد بنقده على الاموات والاحياء ، وأكثر من ضربه ضرباً مبرحاً أصحاب المعاجم العصرية ، فكان للبستاني وغيرها حظ جزيل من نقده وسخرته ، لما وقع في معاجمها من الشطط ، ولم يختر اليسوعيين أنفسهم من نقد معاجمهم والحلة على ما أحيوه من كتب العرب . وكان الرجاء معقوداً على نشره معجته الذي صرف فيه شطراً كبيراً من حياته ، والى الآن لم تتعلق بذلك همة بعض الناشرين .

★ ★ ★

ومنها « تاريخ مصر الحديث » ، و « تراجم مشاهير الشرق » و « التاريخ العام » (١) ، و « تاريخ الماسونية » ، و « تاريخ اليونان والرومان » ، و « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تاريخ اللغة العربية » و « تاريخ آداب اللغة العربية » ، و « أنساب العرب القدماء » و « علم التراسمة الحديثة » (٢) الخ .

محصول كبير أخرجه المؤلف بسرعة ، وما توخى أن يكتب للخاصة ، بل كتب على الأكثر للعامة والطبقة الوسطى ، وكان ضعف (٣) أسلوبه في البيان معروفاً له على فهم العامة ما يكتب ، وهي مزية لم يوفق الي مثلها أكثر من سبقوه ولحقوه من أرباب الأقلام ، وليس بث الآداب في السواد الاعظم ما يسهل على كل من تصدى للتأليف . وما كان المؤلف ، على ما بدا لنا لا يهتم أن تخلد كتاباته ، بل يقصد منها تكثير جبهة المطالعين في الزمن الذي نشرت فيه .

تقدم كثيرون على هذه الخطة ، وما كان بعضهم الا من حساده ، ومن يكثرون النقد يجبنون عن العمل . وفي الحق ان طريقة المؤلف السهلة التناول حبيت الى كثير من قراء العربية الرجوع الى التاريخ الإسلامي ، وكان من قبل وقتاً على خاصة المسلمين والمستغلين بالعلم ، فهذه منقبة يجب أن لا ينساها الناقدون والطاعنون .

كان زيدان من أول من خاض بحر الادب العربي واستخرج دُرَرَهُ وصاغ أكثرها في قصصه صياغة مقبولة ، يحملها الى القراء ، وكانوا على عهده قلائل . وما زال يطالعهم بها نشر ويتدرج بهم في الموضوعات

(١) كرر هنا في الاصل كتابه السابق (تاريخ مصر الحديث)

(٢) انظر معجم المطبوعات

(٣) عبارة الاصل (وكان له ضعف) بزيادة (له) دون مسرع

التي يتدعها فيسمعهم نغمات لا عهد لهم بها ، ويحمل اليهم بضاعة تروقهم يسترخصونها ولا تثقل عليهم ، الفاظها سهلة ، وتراكيبها مرسلة لا صعوبة فيها ولا تعلو عن مستوى عقول قراء الصحف اليومية ، فصادف ما نشره اقبالا ، وزاد في قبولهم له أن كتاباته كانت منسقة مبوبة مفهومة تدخل الى النفس من أيسر السبل .

ولو امتد به الأجل لرجع على معظم ما كتب وزاد فيه ونقص منه ، شأن معظم المؤلفين اذا حالت الأعوام على ما كتبوا . وليس هذا مما يعاب عليه ما دامت بشرة المرء — كما قالوا — تتبدل كل سبع سنين . والمؤلف بالحري أن يبدل بعض أفكاره في بضع سنين أيضاً .

كان من الخاصة من يزعم أن زيدان يشوه التاريخ الإسلامي ويتعمد تحريشه ، ومنهم من يذهب الى أنه على ما يحمله الى قرائه يحجب اليهم النظر في الموضوعات العربية ، وفي كتابة « تاريخ التمدن الإسلامي » مواضع ما كان فيها على صواب تقددها عالم الهند العلامة شبلي النعماني ، ومن انتقده أحد الإسكندري ورفيق العظم ولويس شيخو .

أما زيدان فأدرك تقصيره في بعض الأبحاث الإسلامية واعتاده على ما كتبه الإفرنج فيها ، ومنها ما كانت ترشح من كتابات رهبان القرون الوسطى ، فقد شهدناه لما نشر « تاريخ آداب اللغة العربية » ارتكب أغلاطاً حنك عليها ما وجدته أمامه من مادة ، وغير فكره فيها لما كثر بحثه ونشرت مواد كثيرة كانت مجهولة في عصر تأليفه . قال

بما لم يقل به أئمة التاريخ والثقات من رواة الأخبار من أن المسلمين
أبادوا مكاتب فارس ومصر ، كما أرادوا هدم إيوان كسرى وأهرام
مصر . والمعروف الثابت عند المحققين من علماء العرب والإفرنج أن
نسبة حريق خزائن القوس ومصر للمسلمين فرية افتراها خصوم
القاتحين . وما أحب المأمون هدم الأهرام ، بل أراد أن يعرف ما في
داخله ، فأمر بثقب جهة واحدة منه خدمةً للتاريخ والآثار . ورأينا في
هذا الكتاب يفضل كلام شاعر على شاعر وهو غير شاعر ، وأن السبب
في تكاثر شعراء العشق هو انتشار التسري وركون القوم إلى الرخاء
فكان من ذلك التهتك والتخنت ، إلى كثير من الآراء ما كانت ناضجة
جاري فيها من نظروا إلى المدنية الإسلامية نظرة عابرة خاطئة . وربما ما
كانت تقع له تلك الهنات لو اتسع له الوقت ليحقق كل ما خاض عبا به .
وما دام القصد نفع العامة فقد وقت تأليفه بغرضها ، وما استطاع أحد
أن يقلده في طريقته ، يوسع أمام القراء أفق النظر ، ويصل لهم ماضيهم
بمخاضهم بقدر ما تسح به البيئة .

قالوا : إن المعلم العظيم الذي يحسن تلقين الأطفال العلم ،
والكتاب العبقري هو الذي يبلي على العامة ما يرقى بهم إلى مصاف
الخاصة .

وكان زيدان آية في هذا الباب ، وخص بطول النفس ، وطرق
موضوعات كتب لها الرواج فانبعثت همته إلى الإكثار منها . وكان
علي صفات حسنة من جمال الأدب وطول الأناة وبعد الهمة .

طالت صداقتي له ، وكان يعطف عليّ عطف الأخ الكبير علي
الأخ الصغير ، ويطلعتني على ذات نفسه ، ويأخذ رأيي في بعض ما
ينشره ، وكثيراً ما يتنازل ويعسل به إن رآه صواباً . دليل لمرط أدبه
وسعة صدره ، وكثيراً ما أرادني علي أن أتخلى عن الموازنة في الصحف
السياسية ، وأنقطع إلى العلم فقط . مما يدل على صدقه وغيرته علي
الآداب .



جميل صدقي الزهاوي *

١٢٧٩ - ١٣٥٤ هـ

١٨٦٣ - ١٩٣٦ م

هو جميل صدقي بن محمد فيضي الزهاوي مفتي بغداد، وأصلهم من أسرة بابان الكردية، كان بعض رجالها أمراء السليمانية. سكن جده زهاو من فارس فنسب إليها.

ولد جميل سنة ١٢٧٩ هـ، ١٨٦٣ م، وتلقى علوم الدين والعربية فظهر ذكاؤه، وبرز على الأقران وهو في ميعه شبابه، وقال الشعر وهو في الخامسة عشرة، وحذق الفارسية والتركية والكردية. قال من ترجوا له: ثم حجب إليه التحلي بالعلوم الكونية العصرية، ولكنه لم يجد الطريق إليها نهجاً، لأن هذه العلوم تتطلب دراسة منظمة زيادة على التطلع بلغة أوربية، ولم تكن البيئة التي نبت فيها المترجم مساعفة للوصول إلى تلك الغاية، فما كان له بد من الرجوع إلى المجالات والكتب العصرية التي كانت تشر بالعربية أو التركية. وكان حسن

* ترجمته في الاعلام ١٣٢/٣، معجم المؤلفين ١٥٩/٣ وملوك العرب ٣٨١/٢٨١/٢. تاريخ الشعر العربي الحديث: ٣٧٩. دراسات في الشعر العربي المعاصر: ٧١، سامات بين الكتب: ١٩٧، ٢٢٣، تاريخ الادب العربي للفاخوري ١٠٣٩، رجال عرفتهم: ١٢٩، الراحلون: ٦١، وله مقالات في مجلة المجمع ٢١٢/٨، ٧٦٢/١١، وانظر مقدمة ديوانه المطبوع ليوسف نجم، ولصالح العلي الصالح كتاب (الزهاوي، حياته وآثاره)

التصرف بما يحدقه من تلك المباحث. ولقوة ثقته بنفسه واعتداده بنواحيه كان يعبد إلى العويض منها ويتأخر أهله فيه ويباحثهم حتى يكون له رأياً خاصاً ينافح عنه ويتنازل دونه. خذ مثلاً لذلك رأيه في الداعية فإنه مع غلبه بما يرتكن إليه موضوع الجادية من المقدمات الرياضية والحقائق الطبيعية ذهب فيه مذهبا خالف فيه جميع علماء هذا الشأن، فهو يرى أن المادة لا تجذب المادة، بل تدفعها، فليس في الكون جذب وانسا هو دفع. ولشده ونوقه بصحة رأيه هذا وضع فيه مؤلفاً خاصاً. وله آراء كثيرة من هذا القبيل الرد بها، وقد اودع خلاصتها كتاباً أسماه «المجمل ما أرى». ومن أغرب كتبه كتاب «الكائنات» عتب في مقدمته على أبيه أن جعله في مدرسة صومعية ولم يرسله إلى إحدى جامعات العرب ليكون منه الفيلسوف الذي يقيد الانسانيه ويقلل من سقاء البشرية. ومنها: «العجز الصادق في إثبات الخوارق». وهو من كتبه العربية أيضاً. وأكثر ما برز فيه الشعر، فقد كان يبتدعه ويكثر، وله عدة دواوين. ويقول العارفون بالشعر: إن ما اقتبس من الفارسية وضنه شعره هو أحسن ما نظم، وهو يعد في شعراء الدرجة الأولى من أهل هذا العصر. وأحسن شعره ما نقحه وشذبه، وقد أبان عن ذوقه في الشعر بما اختار للشعراء في مجموعة بلغت ألفي بيت.

وقال في وصف شعره المستعرب «ويدمر» الألماني: إن قدرة الشاعر ليست بنظرياته العلمية الطبيعية، وإنما هي في شعره من حيث المبني أو المعنى، وفي مدخل ديوانه «اللباب» صورة من آرائه في الشعر والشعراء. قال: ونجد في الشاعر أمراً جديداً غير مألوف في غيره، وهو أنه مفتوح القلب لآثار الطبيعة، وأنه لا يصني إلا إلى أصوات ذلك القلب. وبلغ الكثير من شعره غاية الرقة، والشاعر

يترسم خطا المعري في كثير من آرائه الفلسفية . وقصيدته « الثورة في جهنم » تذكره برسالة الغفران ، وهي معقدة السبك لأن قيود القافية قد قيدت الشاعر فضاقت ذرعا في التعبير عن عواطفه . وهو في شعره المشور الطليق يعبر ببساطة وبيان ، أما شره فلغته بيّنة واضحة لا تشتمل على جبل مزخرفة فارغة مما يكثر في مؤلفات المقلدين لأساليب المتقدمين . ومن شعره (١) :

طلعوك يا وطني المفدى في الصدر حتى كدت تردى
والطاعنوك بنسوك إذ ت كسوتهم لحسا وجلدا

تولى الزهاوي عدة وظائف علمية في بلده وفي استانبول . وفي هذه العاصم درس الفلسفة والآداب العربية ، وفي بغداد درس المنطق . وانحق بالبعث العلمية الإسلامية الى اليمن . وحدثني من سمع يعظ في جامع صنعاء أنه كان يذكر مناقب احد الدجالين من منظور اليهم في حكومة السلطان عبد الحميد بما يتنافى وآراءه الحرة ، ولما قيل له انه في رده على الوهابية أبان عن غرض خالف به الحقائق قال : هكذا اقتضت السياسة .

وأرسل لي الى مصر عدة قصائد من شعره فيها حظ من الأديان وأرادني على أن أنشرها في « المقتبس » باسم المجلة ، فأجبت ان « المقتبس » إذا قال في مقدمته انه لا يتعرض للأبحاث الدينية ، فليس

(١) لم أجده عند البيهقي في ديوانه . انما فيه قصيدة من نفس البحر والرودي عنوانها (حقد ام نقد) ومطلعها :
ملأوا صدور الصحف حقا والحقد قد سموه نقدا
ولعلها من ابياتها . (انظر ديوانه : ٢٠٤)
كما وردت بعض ابياتها في ديوانه المسمى (اللباب) وفيه المختار من شعره في ادوار حياته

معلى هذا أنه يظن بالأديان ، ثم إن صاحب « المقتبس » لا ينظم الشعر فكيف له أن يدعيه (١) ؟

وبعث لي من بغداد مجموعة من القصائد من نظمه ونظم غيره ، ومنها ما عزاه الى رجل من أهل التقى من علماء بغداد ، وخلاصة هذه القصائد التي حوت ضروب الاقذاع والسفاهة أن شاعرا اسمه الطالقاني ورد على بغداد ، واشتبك مع أدبائها بالهجو السفيه ، وطلب الي أن أطلع هذه الجذازات في مجلة من المجالات المصرية أو في كتاب برأسه . فأجبت إن بغداد التي كان فيها الجاحظ وبشر المرسي (١) إذا نشرت هذه القصائد باسم علمائها لعهدنا ثبت انحطاطهم ليقول العارفون في هذا العصر: إن المسلمين أصبحوا عبئا ثقيلا على الأرض . الزهاوي مولع بالغرائب ومخالفة الجمهور . اخترع حروفا عربية بدعوى أن حروفنا لا تصلح للكتابة ، فضحك العارفون منه ، وما قدر لحروفه الانتشار والديوع وقال : إن الشعر العربي تقيده قوافيه فاخترع شعرا لا قوافي له ولا أوزان ، فسقط اختراعه أيضا . وقال أيضا باعتقاد اللغة العامية دون اللغة الفصحى في التأليف فما سمع له . وقال بمثل ذلك من الآراء يقصد بها مخالفة العرف والعادة والأديان والمذاهب . وكان جسورا في بث آرائه ، ويكتب كثيرا ، ويدون كثيرا ويطلع كثيرا . وهو على جانب من الوفاء لأصحابه أحياء وأمواتا . وقد اشتهر بنكاته ودعابته . ومن نكاته أنه حضر مجلس بعض كبراء الأتراك في بغداد ، فدار الكلام على الخرافة المشهورة ، وهي أن بعض

(١) هو بشر بن غياث بن عبد الرحمن المرسي ، فقيه معتزلي ، رأس الطائفة المرسية ، عاش نحو سبعين عاما وتوفي ببغداد سنة ٢١٨ هـ ، ٨٢٢ م (الاعلام ١/٢٧)

المبتدعة يستخون خنازير بعد موتهم ، فأجمع الحاضرون على القول بذلك . وتصدى بعضهم لسرد وقائع في هذا الشأن زعم أنه رآها عياناً . قالت صاحب المجلس الى المترجم وقال : ما رأيك في هذا يا أستاذ ؟ فاجابه : هذا امر مفرغ منه ، أنا رأيت بعيني بشراً أحياء - وأشار إلى الحاضرين - مسخوا حبيراً ، فكيف لا يجوز مسخ الميت خنزيراً ؟ ومن نكاته قوله في مجلس النواب العثماني ، وقد عرضت موازنة البحرية فكان من فتاواها مبلغ لقراءة البخاري لسلاطة الأسطول . فقام ورفع صوته وقال : ياسادتي إن الأسطول يسير بالبخار لا بالبخاري ، فضحك المجلس لهذه النكتة .

انهم الزهاوي بالإلحاد والزندقه ، واضطهد من أجل ذلك ، وكان من انصار حريه المرأة فسيب ذلك له مشاكل حرمة بعض منافعه المادية ، فعاش في آخر ايامه في ضنك . وربما كان سدوده من اختلال في صحته ، فقد ذكر من رجم له من العرييين انه اصيب ، وهو في الخامسة والعشرين ، بمرض « عظام » (1) وهو النجاع الشوكي Moelle epiniere وفي سن الخامسة والخسين فلجت رجله اليسرى فكان أعرج . وقال عن نفسه انه كان في صباه يسي المجنون لحركاته الغريبة ، وفي شبابه الطائش لخته ورعوتته ، وفي كهولته الجريء لمقاومته الاستبداد ، وفي شيخوخته الزنديق لمجاهرته بأرائه الفلسفية . أي انه كان شاداً من أول امره الى خاتمة عمره . وما حداه على كل ذلك إلا ليقال عنه انه فيلسوف مجدد . يشهد لذلك أنه ادعى في كتابه « الكائنات » أن للإنسان رجعة الى الدنيا بعد مئة ألف عام بالصورة التي يختارها انساناً أو حيواناً . . .

(1) مرض عظام (بفتح العين وضمة واها والضم الفصح) : لا ييرا

ولو كتب له الاعتدال في آرائه ، وقبض له من يرشده السى الصواب ، ويرببه تربية على ما يتربى الرجال لجاه عالماً نافعاً من كل وجه ، وخلصه بعلمه وعقله بما خص به من الذكاء النادر والجرأة والدؤوب .

والزهاوي في حقيقته شاعر فعل ، وبالشعر اشتهر ، والفلسفة عليه عارضة ، لم تعطه قيادها ، وما أثر بها إلا ما كان من النقاء الشك في بعض الشبان . قال : إني تعلت كثيراً من علوم الأولين فلم ترتني ، ومن علوم الآخرين فولمت بها . وقال في نزعته إلى الشعر : الشعر ما ينقله الشاعر من احساس يجيش في نفسه بأوزان موسيقية فيهب به السامع .

إذا الشعر لم يعزرك عند ساعة

فليس خليقاً أن يقال له شعر (1)

وقال : أرى الشعر بعد الوحي أكرم هابط

من الملا الأعلى الى الملا الأدنى (2)

وقال : الشعر للروح مثل القوت للبدن

وإنه زينة الأقوام والمدن (3)

وقال : أحسن الشعر ما يكون عن القلب

وآلامه لنا ترجماناً (4)

(1) ديوانه طبعة نجم ج ١ ص ٢٢٧ ودوايته فيه : إن الشعر .. ولعله غلط .

(2) ديوانه - ط المطبعة العربية : ٢٥٩ من قصيدة مطلعها :

ظننت بان الشعر يعني لما انسى

وكم شاعر في موغني احطوا الفلنا

(3) من قصيدة في ديوانه (المطبعة العربية) : ٢٤٦

(4) من قصيدة في ديوانه (المطبعة العربية) : ٢٤٧

وقال : بل الشعر معنى رائق يوقظ الهوى

ولفظ رقيق مثلما يطلب الفن^(١)

وقال : الشعر صوت الروح قد ذاق الأذى

وأين مجروح من الألام^(٢)

قال : ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد ، حر لا يتقيد بالسلطان والأغلال ، وهو أشبه بالأحياء ، وفي اتباعه سنة النشوء والارتقاء . يتجدد - وأحرر به أن يتجدد - بحسب الزمان ، ويرتقي من الأدنى إلى الأعلى ، ومن البسيط إلى المركب .

قال : إنه ينزع في شعره إلى سبيل الحياة الطبيعية متجنباً المبالغات وكل ما ليس حقيقياً ، ويخرق التقاليد التي ورثها الأبناء من الآباء فيقول ما يشعر به هو لا ما يشعر به آباؤه ، وأنه كلما رجع إلى نفسه يحيد عن الطريق الذي يشي عليه غيره معتقداً أن الطبيعة أوثق بالتقليد .

وما زلت في جو من الفكر طائراً

ومن عاداتي أن لا أظير مع السرب^(٣)

وقد جرده ما استطاع من الصناعات اللفظية والخيالات الباطلة ، وحرص على أن يكون منطبقاً على الواقع خلواً من الإغراق ، ماشياً مع العصر ، وحسبه أن توحى الطبيعة إليه فيقول ما يقول .

(١) من قصيدة في ديوانه (المطبعة العربية) : ٢٥٥

(٢) من قصيدة في ديوانه (المطبعة العربية) : ٢٥٦

(٣) من قصيدة في ديوانه : ٢٣٤ مطلعها :

باركت للتهديب من متدى رحب

ومن مورد صاف لوراده عذب

قال : « ولا أرى مانعاً من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال من فصل إلى آخر لإراحة الشاعر من كد الدمن ، فإن الإتيان بالقافية الواحد متسكناً ليس في قدرة كل شاعر . وأجيز للشاعر أن ينظم على أي وزن شاء ، سواء كان من أوزان الخليل أو غيرها . والجديد هو أحسن ما تنزع إليه النفس الوثابة ، ولو لم يتجدد الليل والنهار لمثلها الناظر »^(١) .

سنت كل قديم عرفته في حياتي^(٢)

إن كان عندك شيء من الجديد فهات

قال : وما أفا مادح شعري ، غير أنني أعتقد أنه إذا صادف قلباً ذا شجون مدفونه فهو يشيرها ، ولا ادعي أنني أجدت . بل غاية ما هنالك أنني فلت . وإذا التفتي أحد في شعري ما يس شعوره أو معتقده فلا يعضبن علي فإني لم أتعبد بإيلامه ، ولطالما سعت ما يخالف رأسي ولم اتدمر ، ولم أجد على كاتبه^(٣) .

ومن شعره المرسل^(٤) :

لموت القسي خير له من معيشة

يكون بها عبئاً ثقيلاً على الناس

(١) من مقدمة ديوانه (المطبعة العربية) بقلمه . ينصرف قليل الصفحة ب

(٢) من رباعياته ، انظر ديوانه ، المطبعة العربية : ٤٠٢

(٣) انظر مقدمة ديوانه بقلمه صفحة ٢٠ . ولم أجد : لم اغضب من (وجد يجد وجداً وموجدة) إذا غضب .

(٤) هذه الأبيات منتقاة من قصيدة من الشعر المرسل وردت في ديوانه ص ٣١١ وقد غير بعض عباراتها في طبعة أخرى للديوان

١٤٥

يعيش رخي العيش^(١) عشر من الوري
وتسعة أعشار الأنام مئاكيد

أما في بني الأرض العريضة قادر
يخفف ويلاات الحياة قليلا

أي الحق أن البعض يشبع بطنه
وأن بطون الأكثرين تجوع^(٢)

أسألتني عن غاية الخالق أسكتي
فألي عن هذا السؤال جواب

إذا حيي الإنسان صادف منكراً
وإن مات لاقى منكراً ونكيرا

إذا قلت حقا خفت لوم مخاطبي
وإن لم أقل حقا أخاف ضييري^(٣)

أرى الناس إلا من توفّر عقله
من الناس أعداء لكل جديد

تسيت لو أني - وقد عبّرت على
وفاتي أحقاب - رجعت إلى الدنيا

رغبت عن الدنيا كأنني ميت
قريباً وفي الدنيا كأنني لا أفنى

يقولون إن الملح يصلح فاسداً
فما حيلة الإنسان إن فسد الملح

(١) الرواية الأخرى : نعيم البال .

(٢) الرواية الأخرى : جياع .

(٣) الرواية الأخرى : وإن لم أقل خفت لوم ضميري .

من الناس من أن غبت عنه فإنه

عدو وإن لاقته فصدق^(١)
كذلك اختلاف الناس في كل حقبة

محاسن قوم عند قوم قبائح
إذا كان في الدنيا عدو يفرني

فذلك لساني ثم ذلك لساني
ومن رباعياته^(٢) :

رب مال هو لو شئت اقتناء عند لمي^(٣)
إنسا تمنعني من نيله عزة قسي

إنسا الشعر سيد ليس يغضي على القذا
جذا ذلك الإبا ، من الشعر جذا

أنت يا شعر خالد أنا يا شعر هالك
أنت يا شعر كل ما أنا في الكون مالك

أنا للشعر في العنراق أديب مجدد
أنا في جنب دجلة عندليب يفرد

(١) هذا البيت حذف من إحدى طبعتي الديوان . وهو موجود

في طبعة المطبعة العربية .

(٢) ديوانه طبعة يوسف نجم ج ١ ص ١٧٨ و ٢٠٨

(٣) الرواية الأخرى : تحت لمي .

قد مدحت الذين لم
احبوها على ضرر
يستحقوا مدائحي
رثها من قبائحي

• • •

فلسفة الزهاوي مبثوثة في شعره أكثر مما هي مبثوثة في كتبه
ومقالاته ، وقد يقع له البيتان أو الأبيات الى قصيدة من قصائده يعجب
ببلاستها ومعناها :

يريدون مني أن أغنيَ باسمهم
وأني هضم باسم أعدائه غني (١)

• • •

وإني على شيخوختي وزماتي
أريد بشعري في الحياة التجردا (٢)
ولا خير في شعر مضي اليوم عهدُه
وفي شاعر إن قال قال مقلدا
وما شاعر العصر الجديد سوى الذي
على دولة الشعر القديم تمرُّدا
ومن كان ذا روح مع العصر تأسر
فليس يريد الروح منه ليجمدا
أخو الشعر قد يرُدِّي ويُبقي وراءه
على الدهر للاعقاب شيئا مخلدا

(١) من قصيدة في ديوانه (ط . المطبعة العربية) : ٢٦٠

(٢) هذه الأبيات في ديوانه (ط . المطبعة العربية) : ٢٦٠ بعنوان
(على شيخوختي)

فاكبر بشعره كان حراً كثر به
وأكبر بخر لا يكون متقيدا
أرى العلم يرمي للبعيد بقصده
ولكن منه الشعر أبعد مقصدا
يريد أناس مني الشعر جيداً
ويأبى الضنى أن أنظم الشعر جيداً

وقال من قصيدة عند نكته في الدفاع عن المرأة (١) :

هي الحقيقة أرضاها وإن غضبوا
وأدعياها وإن صاحوا وإن جَلَبُوا
أقولها غير هيَّابٍ وإن حَنَقُوا
وإن أهانوا وإن سَبُوا وإن تَلَبُوا
إن يقتلونني فكم من شاعرٍ قتلوا
أو ينكبوني فكم من عالمٍ تكبوا
ولست أوَّل من أبدى نصيحته
لقومه فأتاه منهم العُظْبُ
لحمي على أمة ما زلت أرشدها
إلى سبيل هداها وهي تجتنبُ
نصحت للقوم في شعري وفي خطبي
فما أفادهم شعري ولا الخطبُ
طلبت إصلاحهم في كل ما كتبت
لهم بتاني ولما ينجح الطلبُ

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ط . المطبعة العربية ص ٣٠٦ بعنوان
(هي الحقيقة)

وقال من قصيدة (١) :

اليوم يا نفس لا بغداد منك كما
كانت ولا أهل بغداد كما كانوا
الناس السال في بغداد قد عبدوا
كاننا المال في بغداد أو ثان
يعني القوي اقتراساً للضعيف بها
وهكذا الناس ذوؤبان وحيلان
تلتقى على الشر أعواناً قد اتفقوا
وما على الخير في بغداد أعوان
كل أمرى مضر فكأ بصاحبه
يوماً فلا يرحم الإنسان إنسان
إن يكثر الجهل في أبناء ملكة
تكثر هنالك أحقاد وأضعاف
الآشياء أولي عزم ومعرفة
فهؤلاء لفجر المجد عشوان
من كل حر فلا يرضى بذلك
ولا على الضيم تنغضي منه أجناف
وإن بغداد فيها أمة صدقوا
وإن بغداد فيها أمة مانوا (٢)
الغرب والشرق حتى اليوم ما استويا
هذا نسيط وهذا بتعد كسلان

(١) من قصيدة في ديوانه ط . المطبعة العربية ص ٣٦٣ بعنوان
(بيروت ولبنان)
(٢) مانوا : كذبوا .

يفوز من كان ذا عزم بسطلبه
أما نصيب الكسالى فهو حرمان
تغيرت بعد حرب ثار ثائرها
على البسيطة أقوام وبلدان
الناس في الغرب بعد الحرب قد سعدوا
والناس في الشرق بعد الحرب قد هانوا
والشرق أكثره للحق مهتم
والغرب أكثره للحق مذعان
وما الحروب بأطماع كما زعموا
بل الحروب انقلابات وأكوان
لا ترتقي أمة حتى يكون لها
يوماً على سبي العادات عصيان

★ ★ ★

حافظ ابراهيم *

١٢٨٧ - ١٣٥١ هـ

١٨٧١ - ١٩٢٢ م

ولد حافظ ابراهيم حوالي سنة ١٨٧٢ م على سفينة كانت ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة ديروط . وكان يسكنها أبوه ابراهيم فهي المهندس وزوجته الست هانم ليحرف على قناطر ديروط .
وشاعر النيل - وقد لقب بهذا اللقب - ولد في النيل ، وأبوه

* ترجمته في الاعلام ٦/٣٠٤ ، المورد : ٦٣١ ، الادب العربي المعاصر في مصر : ٨٢ ، الشعر العربي المعاصر : ٢٨-٩ ، الرائد ٦٣١ ، شعراء مصر للعقاد : ١٠ ، تاريخ الادب العربي للفاخوري : ٩٧٦ وانظر مقدمة ديوانه المطبوع واسمه الكامل محمد حافظ بن ابراهيم فهمي المهندس ، تاريخ الشعر العربي الحديث : ٨٦ ، عصاميون عظماء : ١١٩ ، حافظ وشوقي لطف حسين ، حافظ ابراهيم لعبد اللطيف شرارة ، حافظ ابراهيم الشاعر السياسي لروفايل ، حافظ ابراهيم شاعر النيل للسندوبي ، حافظ ابراهيم كتاب المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر ، حافظ ابراهيم الشاعر الإنساني لمحمد المصري .

نشر الشطر الاول من هذه الترجمة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٢ ص ٧٤٤-٧٤٩ والشطر الثاني نشر في جريدة الاهرام القاهرية بتاريخ ١٤/٢/١٩٢٧ وهو كلمة القاها في مهرجان ادبي كبير اقيم في ٦ و ٧ آذار ١٩٢٧ بدار الاوبرا الملكية بالقاهرة تخليداً للذكرى حافظ ابراهيم ونشرت الى جانبه بعض المقالات التي القاها الشعراء في ذلك المهرجان .

مصري صميم ، وأمه من أصل تركي . مات أبوه وهو في الرابعة من عمره فكفله خاله ، وتعلم في المدارس الابتدائية في القاهرة . وقبل أن ينجز دروسه الثانوية انتقل مع خاله الى طنطا ، وكان مهندساً أيضاً . فظهرت عليه امارات النجابة ، وأصبح يقول الشعر ، وكان يستظهر جيده منذ كان يافعاً .

واشتغل مدة في المحاماة في مكتب بعض المحامين في طنطا ، فلم يجد في هذه الصناعة أميته ، وانتقل الى القاهرة ، ودخل المدرسة الحربية فخرج منها ضابطاً في سن العشرين ، ثم سافر الى السودان فمنا طاب له المقام فيها ، وظل يحن حنين الواله الى عيش القاهرة ، ويتغنى بطيب نعيمها . وكان اللورد كيتشنر يكره حافظاً لعصيانه النظام . وكذلك رؤساؤه يشكون منه ، لأنه لا يقوم بواجب الجندي ، ولا يتذوق العمل الذي وسد اليه . وكان حافظ يتولى الدفاع عن رفاقه من الضباط إذا سيق أحدهم الى محكمة عسكرية فيرجح الدعاوى بفصاحته وفضل حيلته غالباً .

ولما نشبت ثورة سنة ١٨٩٩ في السودان اتهم بالاشتراك فيها ثانية عشر ضابطاً كان حافظ من جيلتهم فأحيل الى الاستيداع ، ثم طلب إحالته على التقاعد . ولولا أن صيته بدأ يستفيض ، ويرغب الأدباء والوجهاء أن يدوا يد الصداقة له لسدت أبواب الرزق في وجهه .

وعطف مفتي مصر الشيخ محمد عبده على حافظ عطفاً خاصاً ، وأخذ يلقنه من طرف خفي ما يجب إدخاله في الشعر من تجدد ، ويريده على أن يطرق معاني جديدة في الإصلاح من حض المصريين على النهوض ، ودعوتهم الى تحسين الأخلاق والتربية ، والى الاعتصام بحب لغتهم ، والاعجاب بتاريخهم ، والمحافظة على شخصيتهم وشعائرهم ، وانكارهم

نظم القابضين على أمرهم • الى ما شاكل ذلك من الآلام و الآمال •
معانٍ ما سبق لشاعر عربي أن خاض عباها إلا في النادر وفي مقاطيع
قليلة •

صادفت قصائد حافظ في هذه المعاني الجلييلة هوى في أفئدة
القوم ، وتناولت الصحف قصائده ، ورددت المحافل والأندية صدى
أدبه الحديث ، وحفظ الناشئة ما تجود به قريحته الوقادة • ومن
خصائص مصر أن من يستحق الشهرة تتاح له بسرعة ، كما يخمل ذكره
بسرعة على الأغلب ، كالنبات في تربتها يسرع نموه لمكان الحرارة ،
ولا يلبث قليلاً حتى يصوِّح^(١) •

ما زال حافظ في ضيق من العيش ، يحسب نفسه بائساً ، وما
بؤسه إلا نسي ، لأن الخديوي وبعض أعيان مصر ما انفكوا يصلونه
بما يرون أن يعيش به عيش المتوسطين المرفهين • ومن أصحابه من
عاش في قصرهم ثلاث سنين على أحسن حال من الرفاهية ، يأخذ ما
شاء من أموالهم ، ويفضل أيضاً على كثير من قاصديه من المتأدبين
المفلوكين^(٢) • ولكن ما عرف به حافظ من عزة النفس كان يحدوه
الى التأفف من هذه الطعمة ، ويريد أن يكون له رزق ثابت في أحد^(٣)
الدواوين أو في الصناعات الحرة كالصحافة مثلاً فلم يتيسر له ذلك •

وفي سنة ١٩١١ عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية

(١) صوح : تشقق •

(٢) المفلوك : الرجل غير المحظوظ ، والمهمل في الناس لإملاقه ،
أو الفقير •

(٣) الاصل : إحدى •

وما زال يتدرج في الدرجات حتى صار راتبه ثمانين جنيهاً في الشهر ،
وأحيل الى التقاعد في سنة ١٩٣٢ أي قبيل وفاته بأربعة أشهر •

لحافظ دوران في شعره : دور الخصب ، ويبدأ بتركه خدمة
الجيش في شبابه الى السنة التي عين فيها في دار الكتب ، وهي عشر
سنين • والدور الثاني دور الجذب أو الإقلال ، وقد طال هذا الدور
مع الاسف أكثر من عشرين سنة ، أي منذ عاد فصار موظفاً الى أن
ترك الخدمة • وكان معظم قصائده في دور الخصب في الأغراض
الوطنية والاجتماعية التي رقص لها الجمهور وأورثته شهرة • واقتصر
في أيام جذبه على أغراض الشعر المتعارفة من رثاء ومديح وبعض
القصائد الحكيمية والتاريخية ، فما كان لشعره تلك الروعة^(١) والعبقية^(٢) ،
ولا تلك الوتبة والعاطفة ، ذلك لأن عند يضطره الى السكوت عن
بعض ما يغضب الحكام ، وهو الذي عرف منه غير هذا في شبابه •

ولو عاش حافظ بائساً كعهده الأول يوم استخدامه المرة الثانية
لأتمى في دوره الأخير من أنواع الإبداع ما لا يعرف مداه ، ولكن
هكذا قدّر للأدب أن يفقد كثيراً من ثمرات تلك القرحة الجنية ،
والنفس السحرة الحساسة • وقاتل الله الفقر وما يجنيه على صاحبه ،
فقد يظالمى ، رأسه لتحصيل رزقه مرغماً •

عظمت شهرة حافظ لأنه شعر بما شعر ، وقد تألمت نفسه من
الظلم لأول نشأته فردد نعمة وقعت من النفوس موقعاً عظيماً ، وكان
يحب مطالب الشعب لأنه ابن الشعب وربييه • يستمتع باختلاطه به
لشكواه وبلواه • وما فتى ، منذ تطوع في خدمته ينطلق بما يفرج عنه

(١) عبقته الرائحة بالشيء ، عبفاً وعباقرة وعباقية : لزقت به •

كريمة ، ضارباً على الوتر الحساس ، داعياً الأمة الى النهوض ، شاحداً
منها العزائم . يريد لها على اطراح سفاس الأمور ، والتذرع بها يبقى
على تروتها ، ويعيد اليها مجدها لتستوي شعباً فاضلاً في المدينة
الفاضلة . يكثر أبداً من هذه المعاني الشريفة . واتفق أن كانت الأمة
المصرية في ذلك الدور تحاول بلوغ هدفها الأسمى في نشدان الاستقلال
والخروج على الاحتلال . وكانت الحرية التي يتشبع بها وبني قومه
من دواعي تصريجه بما كان يصرح به . وما قال في ذلك (١) :

كاشف الكهرباء ليتك تعنى
باختراع يروض منا الطباعا
آلة تحق التواكل في الشر
ق وتلقي عن الرياء القناعا
قد مللنا وقوفنا فيه بكي
حسباً زائلاً ومجداً مضاعاً (٢)
ليت شعري متى تنازع مصر
غيرها المجد في الحياة نزاعا
ونزاهة تفاخر الناس بالأح
ياء فخراً في الخافقين مذاعا

ويقول يمدح الشاميين بتقلهم في الأرض لطلب الرزق (٣) :

(١) من قصيدة في ديوانه ج ١ / ٢٥٦ عنوانها : الى رجال الدنيا
الجديدة ، ومطلعها :
اي رجال الدنيا الجديدة مدوا لرجال الدنيا القديمة باعاً
(٢) بعده في الديوان :
وسمنا مقالهم كان زيداً عبقرياً وكان عمرو شجاعاً
(٣) من قصيدة في ديوانه ٣١٦/١ عنوانها: غلاء الأسعار، ومطلعها:
أيها المصلحون شاق بنا العيش ولم تحسنوا علينا القياما

أيها المصلحون أصلحتهم الأرزاق

ض وبسبب عن النفوس نياما
أصلحوا أنفساً أضربها الفقة

سرواحياً بسوتها الأناما
ليس في ملوقها الرحيل ولا الجسد

سد ولا أن توصل الإقداما
تؤثر الموت في ربا النيل جوعاً

وترى العار أن تعاف المتقاما
ورجال الشام في كرة الأرزاق

ض ييارون في المسير الغامما
ركبوا البحر ، جاوزوا القطب ، فاقوا

موقع النيرين ، خاضوا الظلاما
يستطون الخطوب في طلب العي

ش ويبرون للتضال السهاما
وبنو مصر في حنى الليل صرعى

يرقبون القضاء عاماً فعاماً
أيها النيل كيف تسمي عطاشاً

في بلاد رويت فيها الأناما
يرد الواغل الغريب فيروى

وبنوك الكرام تشكو الأواما (١)
إن ليس الطباع أورثنا الذل

ل وأغرى بنا الجناة الطغاما (٢)

(١) الواغل: الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم دون دعوى،
والاوام: شدة العطش .
(٢) الطغام: اراذل الناس .

إن طيب المناخ جر علينا
في سبيل الحياة ذاك الزحاما

ويقول (١) :

متى أرى النيل لا تحلو موارده
لغير مَرْتَهَبِ لَه مرتقب
فقد عدت مصر في حال إذا ذكرت
جادت جنوني لها باللؤلؤ الرطب
كأنني عند ذكري ما ألم بها
قَرَمٌ تردد بين الموت والهرب (٢)
إذا نطقت فقاع السجن مُتَكَاً
وإن سكت فإن النفس لم تطب
والقوم في مصر كالإسفينج قد ظفرت
بالماء لم يتركوا زرعاً لمحتلب

وقوله وقد أبدع كل الإبداع (٣) :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
حواشيه حتى بات ظلماً مُنظَّمًا
تمنُّ علينا اليوم أنْ أَخْصَبَ الثرى
وأن أصبح المصري حراً مُنْعَمًا

(١) من قصيدة في ديوانه ج ٢/١١٦ عنوانها (الإخفاق بعد الكد)،

مطلعها :

ماذا أصبت من الأسفار والنصب وطبك العمر بين الوخد والخبب

(٢) القرم : السيد العظيم والشجاع البطل .

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه ج ٢/٢٥ عنوانها (شكوى مصر من

الاحتلال) وهي من ثمانية أبيات

أعد عهد إسماعيل جلدًا وشخرة

فإني رأيت المن أنكى والمأ
علمت على عز الجماد وذلتنا

فأغليتم طيناً وأرخصتم دماً
إذا أخصبت أرض وأجذب أهلها

فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السا

وقال في الامتيازات الأجنبية (١) :

سكت فاصعروا ادبي
وما أرجوه من بلد
وهل في مصر مفخرة
وذي إرث يكثرنا
وفي الرومي موعظ
يقتلنا بلا قود
ويشي نحو رأته

وقلت فأكبروا أربي (٢)
به ضاق الرجاء وبني
سوى الألقاب والرتب
بإل غير مكتسب
لشعب جد في اللعب
ولا دية ولا رهب (٣)
فتحيه من العطب

وقد نقص من الديوان في الطبعة الجديدة فيما أذكر بيتان وهما (٤) :

وهذا بائع الزيتو
يراكم دونه شرفاً
ن والسردين في العلب
وأتم بضعة العرب

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ج ٢/١١٠ عنوانها (الامتيازات الأجنبية)

وهي من ثمانية عشر بيتاً .

(٢) الأرب : العقل .

(٣) القود : القصاص .

(٤) لم أجدهما في ديوانه طبعة دار الكتب .

ويلاحظ أن حافظاً إذا مدح الغربيين أو تبرّم بهم ، وإذا مدح
الدخلاء من الشاميين والأروام وغيرهم ، أو عرض بهم فإنما تتوخى
حث المصريين على النهوض وتطهير اخلاقهم وعاداتهم . وقد زاد اعجابه
بالتاسين فذكرهم كثيراً في شعره . صحب طبقة مثلى منهم التجوّ والى
مصر أمثال البستاني والعظم والجزائري وشيل والكواكبي وصروف
وعون ورضا ومطران وبركات ، وصحب أمثالهم من علماء المصريين
وادبائهم أمثال قاسم أمين، حسن عاصم، أحمد فتحي زغلول، أحمد زكي،
عبد العزيز شاوريش، محمد المهدي، حفني ناصف، أحمد ابراهيم ، عبد
الوهاب النجار، علي أبو الفتوح، أحمد الاسكندري، عثمان غالب، محمد
هلال ، توفيق البكري ، مصطفى المنفلوطي ، ابراهيم المويلحي ، محمد
بيرم ، علي يوسف ، مصطفى كامل ، محمد فريد ، وأضرابهم من رجال
مصر اختارهم أو اختاروه، دع الأمراء والأعيان ممن كانوا يعشقون قربه
ويتلذذون بعشرته أمثال آل بدر ، وواسطة العقد الأستاذ محمد عبده،
وكان منزله في عين شمس مجمع العلماء والأدباء يضم اليه أصناف
الرجال وألوان أرباب القرائح والعبقرية .

حافظ في الواقع وليد النهضة المصرية ، حبه الى القلوب جرأته،
فكان لسانها العذب وبلبلها الصداح . تشلت الديمقراطية والشعبية
في شعره ، فكان شاعر الاجتساع وشاعر الوطن والوطنية في مصر ،
يهز أوتار القلوب بشعره ، ويفرّج بانثاته ما حزّ في نفس أمته ، ويرجع
بنغائنه ما تستطيب منه ترداده . ليس في كلامه تشاؤم كثير ، بل فيه
دعوة شديدة الى الأخذ بأسباب الإصلاح ، وصرخة في وجه الظلم ،
وتفسير من القاسطين ، واهابة الى التآلف والتعاطف . وشعره ان مدح
أو رثى أو هجا أو تغزل أو تحزب أو تعتب يرمي الى مقاصد نبيلة ،

ويحلل اجمل المعاني . سار به مع حاجات العصر ، فأثر به هذا التأثير
القليل النظير ، واحتفى به هذه الحظوة .

لم يرزق حافظ حظاً كبيراً من صناعة النشر ، حاول أن يشارك
فيه فكتب « ليالي سطيح » و« عرب » « البؤساء » لهوغو فكان متنوره
جيد الألفاظ خالياً من روعة شعره .

كان في نثره نحائناً ماهراً ، وما كان بناء مهندساً ، فما وفق الى
الصنعة المتوخاة منه ، ولا نم عن تفوق في تذوق الجمال .

والبلاغة في الأسلوب والتركيب لا في اختبار جيد الألفاظ فقط
وصعب على كل انسان أن يبرز في الصناعتين : صناعة الشعر وصناعة
النثر .

ولئن عصى بيان حافظ على التبريز في النثر فقد كان لسانه
مطواعاً له اذا حدث وحاضر .

كان سحر المجالس اذا سمعته يتحدث ويتناذر ، وراوية العرب
اذا أخذ يعود بك الى الماضي لا يذكر لك شيئاً من محفوظه . واسم
حافظ لفظ وافق مساه فهو يحفظ من شعر القدماء ، وأقاصيصهم
ومجالسهم ما يبهرك حتماً ، ويدخل السرور الى نفسك . كان بحضور
ذهنه وغريب بديته على ما يندر في الأدباء مثله، ولا أذكر أن أدهشتني
حافظة أديب كما أدهشتني حافظة حافظ ، ولا أخذ بجامع قلبي حديث
شاعر كحديثه . وقل أن رأيت مرحاً كمرحه وتنادراً كتنادره . يورد
في الجلسة القديم من قصصه بالعبارات التي رويت بها ويرد فيها بسا
يوائها من حاضر الوقت . أما أجوبته وعبه فلا أعلم كثيرين في الأدباء

يستطيعون أن يشقوا غباره . ولذلك كان أهل مصر على اختلاف
الطبقات مولعين بأدبه ، مفتونين بحديثه فنتهم بشعره وزيادة .
والدعابة وحب المرح وخفة الروح غالبية على طباع المصريين ، ومن
أجدر منهم بتقدير من ينبغ فيهم على هذه الصفات ؟

كان حافظ يتبسط في أحاديثه مع جلسائه ، يلقي على مسامعهم
كل صنف في ساعة ما تجدد حافظة غيره عن إيراد في أيام ، وقد قارن
زكي مبارك بين حافظ في حديثه وشوقي في صسته فقال (١) : « ولو أن
شاعرنا حافظاً (٢) كان يكتب كما كان يتكلم لكان سحره في اللغة
العربية شبيهاً بسحر أنطول فرانس في اللغة الفرنسية .

وبراعة حافظ في الحديث هي التي قضت بأن ينتصر عليه غيره
شوقي ... كان حافظ يتحدث إلى أن تنفذ قواه فلا تبقى له قدرة
على العناء . وكان شوقي يصت ويصمت ليستجيم فتبقى له القدرة
على السجع والتهافت . والقوى الانسانية لها حدود ، والا فكيف جاز
أن يكون المدرسون أعجز الناس عن الشعر والخطابة والتأليف ؟ ألا
يرجع ذلك إلى أنهم يضعون نشاطهم في الدرس فلا تبقى لهم عافية
يساورون فيها تلك المواهب الأدبية .

أراد حافظ أن يتبع أهل زمانه فأضاعوه . كان زينة الأندية
والمحافل ، وكان حديثه أشهى من وعد الحبيب بعد طول الجفاء .

إن طبع حافظ أن يخلص في حبه أصحابه فإذا فجع بأحدهم رثاهم
وبكاهم . وإلى هذا الخلق إشارة في آخر قصيدة حيا فيها الشام
(١) مجلة الرسالة السنة التاسعة، العدد ٤٤٣ ص ١٥٢٤ (المؤلف)
(٢) الأصل : حافظ .

وأهله قسال (١) :

ولى الشباب وجازتني فتوتهم
وهدم الشقم بعد الشقم أركاني
وقد وقت على الستين أسألها
أسوت أم أعدت حراً أكفاني
شاهدت مصرع أترابي فبشرني
بضجة عندهما روحي وريحاني
كم من قريب نأى عني فأوجعني
وكم عزيز مضى قبلي فأبكاني
من كان يسأل عن قومي فإنهم
ولوا سراعاً وخلصوا ذلك الواني (٢)
إني مللت وقوفي كل آونة
أبكي وأنظيهم أحزاناً بأحزان
إذا تصفحت ديواني لتقراني
وجدت شعر المراني نصف ديواني
وحقيقة إن الرثاء يكثر في ديوان حافظ لانه وفي " لاصحابه ،
ولذلك قال شوقي في رثائه (٣) :

قد كنت أوتر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياء

(١) من قصيدة في ديوانه ج ١/١٢٢ عنوانها (تحية الشام المطلعها:
حيا بكور الحيا أرباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حياي
(٢) الواني : المتأخر عنهم .
(٣) مطلع قصيدة شوقي في رثاء حافظ (الشوقيات ٢/٣٢)

عرف حافظ بالوفاء والمروءة والارحية إلا أنه كان ملولاً لانبات

له .

زوج مرة فساد زواجه أكثر من أربعة أشهر اضطر بعدها الى الطلاق . ولم يتزوج بعدها . وما كان يحرص على الكتب كما أنه لا يحرص على المال . ولذلك لم يشهدوا في بيته كتاباً تاماً بعد وفاته ولا ورقة ولا دواة ولا قلماً ، كأن صدره خزانة كتبه ، وحافظته قسطنطية . قرأ دواوين العرب ، وأولع خاصة بالأغاني والعقد الفريد وكليلاً ودمنة ، والمكافاة لأحمد بن يوسف الكاتب . ولكثرة ماتعاورها بالقراءة استظهر أكثرها .

وكان يتسل ما يقرأ ويهضه ، ولم أعرف راوية يختار مروياته مثله . وكان يعاور شعره بالتنصية والتزويق ، ويقرؤه على أصحابه المرة بعد المرة قبل نشره ليعرف مبلغ رتته في آذانهم ، ومدى وقوعه من ألبابهم ، وليقوموا له إغوجاجاً إن كان ، ويوردوا عليه نقداً لغويّاً أو بيانياً فيستفيد من أذواق من يقرأ عليهم ومن علمهم وأدبهم .

قلنا إنه كان غير حريص على المال ، ما حدثته نفسه بجمعه واستناره . وقد كان طول حياته كاسياً واهباً ، يسخو سخاء غني كريم ، وهو في الواقع مقل ، وقد يكون أحياناً مدقعا مقترأ عليه في الرزق . وربما أعطى طالب نواله كل ما يملك خصوصاً إذا كان صاحبه من المتأدبين أو المتشاعرين . كان يسكن حلوان فركب القطار ذات يوم الى القاهرة ، وما ان نزل حتى استجداه أحدهم ، وكان لا يملك أكثر من ريالين فأعطاه الواحد وقال في نفسه : ابتاع بالآخر اللقافة (هافانا) وهي بنصف ريال وأجلس في القهوة ، وما كاد يعطي ما عنده حتى رآه أحد عمال البلاط متلهفاً وقال له إنه يفتش عليه

منذ أيام ، وأنه يحبل له مئة جنيه ، وله من ذلك أشياء كثيرة لكم أن تجعلوها في باب التوكل ، أو باب المصادفات ، أو في أي باب إن أردتم .

وكما كان حافظ يسخو على البائسين كان لا يظن على نفسه بما يستعها بسباهج الحياة ، وينعم بأطيب الماكول والمشروب ، ويدخن أئسن اللقائف ، وينفق إنفاق المرفهين المترفين . فهو مثال من بسطة اليد على نفسه وعلى طلاب صدقاته . وله في ذلك قصص يطول المقام بسردها .

طبع كتابه « البؤساء » فربح منه نحو ألفي جنيه أتفقها في الشهر الذي جاءته فيه .

هذه بعض صفات حافظ ، وهذا أدبه . عاش كالمفؤود الموتور الى آخر أيام شبابه ، وما نهتاً الحياة ولا عرف سعادة البيوت وعطف البنين . عاش للمجتمع ، وشقي لسعد الناس . قال لي مرة : أنا إذا مت لا تبكي عيني ، لأنني لا أخلف ورائي لا أمّاً ولا أباً ولا زوجاً ولا ولداً فأجبتة : أنت إذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب وكفى بهم أسرة كبيرة . وكذلك كان .

بلغت المدائح والتهاني في ديوان حافظ ١٥٨ صفحة ، والأهالي ثلاث صفحات فقط ، والإخوانيات ٤٢ ، والوصف ٣٤ ، والخبريات ٧ ، والغزل ٤ ، والاجتماعيات ٦٨ ، والسياسيات ١٠٧ ، والشكوى ١٩ ، والمرثيات ١١٨ صفحة . وإذا اعتبرنا أن بعض الصفحات شغلت بضعة أسطر منها بالشرح اللغوي ، وأكثرها شغل بالهوامش والحواشي يبقى حجم الديوان صغيراً . وقد ضاع بعض شعره لأنه ما كان يعني بالتقييد في دفاتر أو جزازات ، وبعضه ، وهو قليل ، ما أغفله

وليسب وميدحة وهجاء
ورثاء وفتنة وضلال
وحساس أراه في غير شيء
وصغار يجرد ذيل اختيال

ولو كتب لحافظ احكام الآداب الإفرنجية لتأثر بها وأخذ من
روح شعرائها . ولئن كان المديح في الشعر العربي من الأزياء القديمة
التي لا يستحسنها أبناء هذا العصر كثيراً ، فإن حافظاً ببراعته
لما اضطر الى أن يقول المديح في أناس قد يستحقونه أو أكثره تلمظ وإبدى
براعته في معالجة هذا الزي البالي وما خلت مع ذلك قصيدة له في هذا
المعنى من حكمة أو موعظة أو دعوة الى عمل نافع .

تحمل المدائح في شعر حافظ منازع لطيفة ، وربما كانت المبالغات
فيها أقل من أماديع غيره ، لكنها لا يقال عنها الا أنها تزهد على
كل حال . والمبالغة في المديح عرف بها العرب منذ أكثر من خمسة عشر
قرناً .

قال حافظ في تحيته شوقي لما رجع من منفاه في الأندلس زمن
الحرب العامة (١) :

واذكر لنا الحمراء كيف رأيتها

والقصر ماذا كان من بنيانه (٢)

(١) من قصيدة في ديوانه ج ١/٩٨ عنوانها (تحية احمد شوقي)
مطلعها :

ورد الكنانة عبقرى زمانه . فتظري يا مصر سحر بيانه
(٢) يريد قصر الحمراء في غرناطة والذي كان يقيم فيه سلاطين بني
الاحمر ، ولا يزال يعداجمل ما في الاندلس .

الناشرون لبعض الاعتبارات . ولو لا أن أكثر ما نظم الشاعر العظيم
نثره الصحف في ابائه ورجع الناشرون اليه لضاع أيضاً مقدار من
شعره ، وإذا اعتبرنا أن المدائح والأهاجي والوصف والخبريات
والغزل والمرابي هي من المعتاد في ديوان كل شاعر عربي لا يبقى لنا الا
الاجتماعيات والسياسيات ، وهذه هي قصائده المتعة التي اشتهر بها
في الحقيقة . فقدر شعر الغزل قليل في شعر حافظ ، وقد أشار الى
هذا المعنى عندما قال في تهنئة الأستاذ الإمام بمنصب الإفتاء (١) :

بَلَّغْتِكَ لَمْ أَتَسَبَّ وَلَمْ أَتَغزَلِ
وَلَمَّا أَقَفَ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّذَلِّ
وَلَمَّا أَمَفَ كَأَسَا وَلَمْ أَبْكُ مِنْزَلًا
وَلَمْ أَتَحَلَّ فخرًا وَلَمْ أَتَسَبَّلِ
فَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضَعًا
تَجُولُ بِهِ ذَكَرِي حَيْبٍ وَمَنْزَلِ

وقوله يخاطب الشعر (٢) :

ضِعَّتْ بَيْنَ الشَّهَى وَبَيْنَ الْخِيَالِ
يَا حَكِيمَ الْفُؤُوسِ يَا بِنَ الْمَعَالِي
ضِعَّتْ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمِ هَجُودِ
لَمْ يَتَّقُوا وَامَةً مِكَالِ
قَدِيرِ أَدَالُوكِ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسِ
وَنُغْرَامِ بَطِيئَةٍ أَوْ غَزَالِ

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ٤/١ عنوانها (تهنئة الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبد المنصب الإفتاء ١٣١٧ هـ ، ١٨٩٦ م)
(٢) مطلع قصيدة في ديوانه ٢٣٧/١ ، عنوانها (الشعر) في احد
عشر بيتاً .

ماذا تحطم من ذراه وما الذي
 أبقت صروف الدهر من أركانه
 واهباً عليه وأهله وبساته
 أيام كان النجم من سكانه
 إذ ملك أندلس عريضاً جاهة
 وشبابه المبكي في ريعانه
 الفتح والعران آية عهد
 وكتائب الأقدار من أعوانه
 لبت به الدنيا لباس حضارة
 قد كان يخلعه على جيرانه

الى أن قال :

ولعل تكبته هناك تفرق
 وتعدد قد كان في تيجانه
 عبر رأيناها على أيامنا
 قد هونت ما ناب في أنه

وقال في مديح شوقي (١) :

قل للذي قد قام يشؤو أحداً
 خلّ القريض فلست من فرسانه (٢)
 الشعر في أوزانه لو قت
 لظلمته - بالدر في ميزانه

(١) من القصيدة نفسها

(٢) يشؤو : أي يبلغ شأوه وغايته ، واحمد : هو احمد شوقي .

هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه

إن لم يكن قد جاء بعد أوانه (١)

ومما قال فيه من قصيدة وفيه اشارة الى أن شوقياً (٢) ارستقراطي
 وأن حافظاً ديمقراطي ، وهو يغبطه أو يحسده على حاله (٣) :

تمتلك ظلال وارفات وأنعم
 وليتن عيش في مصيف ومرّبع
 ومن كان في بيت الملوك ثواؤه
 ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع

وعلى الجملة فإن المديح في شعر حافظ فياض بالحكم والمعاني
 التي تعسم الناس ولا تخص المدوح فقط . خذ لذلك ما قاله في
 قصيدته يوم مهرجان شوقي فيما يجب على شوقي أو على الشعراء أن
 يسيروا عليه (٤) :

وخذ بزمام القوم وانزع بأهله
 إلى المجد والعلواء أكرم متزع
 وقفنا على النهج القويم فإتنا
 سلكتنا طريقاً للهدى غير مهيع (٥)

(١) المراد انه إما ان بعد من العجول القدماء فيكون قد تأخر ،
 واما ان يعد ممن سيجود بهم الزمان في المستقبل فقد سبق .

(٢) الاصل : شوقي

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ١١٩/١ عنوانها (تهنئة احمد شوقي)
 مطلعها :

بلابل وادي النيل بالشرق اسجمي
 من القصيدة نفسها .

(٥) المهيع : الطريق الواضح البين .

ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة

بهند ودعد والرباب وبوزع^(١)
وأقوامنا في الشرق قد طأل نومهم

وما كان نوم الشعر بالمتوقع
تغيرت الدنيا وقد كان أهلها

يرون متون العيس آلين مضجع
وكان بريد العليم غيراً وأينقأ

متى ينعها الإيجاف في اليد تظلم^(٢)
فأصبح لا يرضى البخار مطية

ولا السلك في تياره المتدفع
ومن مديحه في تحته جمعة المرأة الجديدة^(٣) :

يقولون نصف الناس في الشرق عاطل

نساء قفنين العر في الحجرات
وهذي بنات النيل يعلنن للنهي

ويتغرشن غرساً داني الشرات
وفي السنة السوداء كتن قدوة

لنا حين سال الموت بالتهنجات

(١) هذه رواية الديوان ، وفي الاصل :

ملأنا طباق الأرض مجدا ولوعة

بهند ودعد والرباب ولعلع
(٢) اينقأ : جمع ناقة ، والإيجاف : الاسراع ، وتظلم : تعرج في
منبتها .

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ١/١٣١ مطلعها :

إلكن يهدي النيل الف تحبة معطرة في اسطر عطرات

وقفتن في وجه الخيس مدججاً

وكتن بالإيمان معتصات^(١)

وما هالكن الرمح والسيف منصلاً

ولا المدفع الرشاش في الطرقات

تعلم منكن الرجال فأصبحوا

على غمرات الموت أهل ثبات

يشير الى مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية سنة
١٩١٩ في مدينة القاهرة .

وفي مطلع قصيدة له يصف ثورتهم قال^(٢) :

خرج الغواني يحثججاً سن ورحت أرقب جمعهته

ومن أبداع ما نظمه في الفترة الأخيرة قصيدة كبيرة في وصف

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفاته وأعماله ، وأخرى في وصف

رحلته الى ايطاليا في سنة ١٩٢٣ ومطلعها من أجل المطلاع يصف فيها

سفينته وما لاقته من العواصف ، وما شاهد من مظاهر مدينة ايطاليا ،

ثم وصف ما عاور ايطاليا من زلازل وثوران بركان فيزوف فقال^(٣) :

شسهم غادة عليها حجاب فهي شرقية حوتها الخدور

(١) الخيس : الجيش .

(٢) القصيدة في ديوانه ج ٨٧/٢ عنوانها (مظاهرة السيدات) وهي

في سبعة عشر بيتاً .

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ٢٢٧/١ عنوانها (رحلة الى ايطاليا)

مطلعها :

عاصف يرتمي وبحر يغير انا بالله منهما مستجير

ثنا عادة أبت أن تسواري
جوتهم في قلب واختلاف
جوتنا أبت الجواء ولكن
ولديهم من الفنون لباب

فهي غريبة جلاها السفور
غير أن الثبات فيهم وفير
ليس فينا على الثبات صبور
ولدينا من الفنون قشور

الى أن قال بعد وصف إيطاليا وأهلها :

قد وقفنا عند القديم وساروا
حيث تسري إلى الكمال البدور
والجواري في النيل من عهد نوح
لم يقدر لصنعها تغيير
ولع القوم بالنظافة حتى
جنن فيها غيظهم والفقير
فإذا سرت في الطريق هاراً
خلت أني على المرايا أسير
أمرط القوم في النظام وعندى
أن قرط النظام أسر وفير
ولذيذ الحياة ما كان فوضى
ليس فيها مسيطر أو أمير
فإذا ما سألتني قلت عنهم
أمة حرة وفرد أسير
ذاك رأيي وهل أشارك فيه
إنه قول شاعر لا يغير

وجود في زلزال مينا سنة ١٩٠٨ وما قال بعد أن ذكر ما فعله

الزلزال من الأهوال في الساكن والمساكن (١)

وشكا الحوت للنور شكاة

رَدَدَتْهَا النور للحيثان
أسرفا في الجيوم تقرا ونهشاً

ثم باتا من كِظَّةٍ يشكوان (٢)
لارعى الله ساكن القمم الشئ

م ولا حاط ساكن القيعان
قد أغارا على أكف براها

بارى الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الع

سرو لم يرقعا بتلك البنان
وقال من قصيدة في حرب طرابلس الغرب: (٣)

عجز الطليان عن أبطالنا

فأعلتوا من ذرارينا الحساما (٤)
كبلوهم قتلوهم مثلوا

بذوات الخدر طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم

يرحموا مقللاً ولم يبقوا غلاماً (٥)

(١) قصيدته في هذا الزلزال جاءت في ديوانه ج ٢١٥/١ ومطلعها :
نباني إن كنتما تعلمان ما دهي الكون ايها الفرقدان
(٢) الكفلة : البطنة ، وما يعتري الانسان من الامتلاء من الطعام
(٣) من قصيدة في ديوانه ج ٦٦/٢ عنوانها (حرب طرابلس) مطلعها :
طمع القى عن القرب اللثاما فاستفق يا شرق واحذر ان تضاما
(٤) اعلوا : سقوا .
(٥) الزمنى : جمع زمن (بفتح ثم كسر) ذو العاهة .

أحرقوا الدور ، استحلوا كل ما
حرّمتم (لاهاي) في العهد احتراماً (١)
بارك المطران في أعمالهم
فسلوه ببارك القوم علام
أهذا جاءهم إنجيلهم
أمراً يلقي على الأرض سلاماً

ومن بدائعه يفضل الجاهلية على هذه المدينة التي دعت إلى
اهلاك الإنسان بأساليب القتال التي لم تعرفها الأمم السالفة (٢) .

لا همّ إن الغرب أصبح شعبة
من هولها أم الصواعق تترق
العلم يذكي نارها وتيرها
مدينة خرقاء لا تترفق
ولقد حببت العلم فينا نعمة
تأسو الضعيف ورحمة تتدفق
فإذا بنعته بلاء مرهق
وإذا برحمته قضاء مطبق
عجز الرماة عن الرماة فأرسلوا
كسفاً يسوج بها دخان يخفق

(١) إشارة إلى معاهدة لاهاي التي عقدت بين الدول سنة ١٨٩٩
للقضاء على أسباب الحرب بتقليل السلاح ، وحل الخلافات
بالطرق السلمية .
(٢) وردت هذه القصيدة في ديوانه ج ٨٦/٢ بعنوان (الحرب
العظمى) .

تعود الأفاق منه وتنشي

عنه الرياح وينقيه الفيلق (١)
وتنابلوا بالكيمياء فأسرفوا

وتساجلوا بالكهرباء فأغرقوا
وتنازلوا في الجو حين بدا لهم

أن البسيطة عن مداهم أضيقت
تفسوا على الحيتان واسع ملكها

فتفتنوا في سلبه وتأنقوا (٢)
ملكوا مسابحها عليها بعدما

غلبوا النور على الجواء وحلقوا
إن كان عهد العلم هذا شأنه

فيما فعهد الجاهلية أرفق

وقد يضع حافظ في قصائده قواعد في بعض المسائل الاجتماعية
المهمة . قال من قصيدة في إحدى مدارس البنات في القطر (٣) :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيّا
بالرعي أورك أيما إيراقر

(١) الفيلق : الجيش العظيم .
(٢) نفس عليه الشيء : حسده عليه .
(٣) الأبيات من قصيدة في ديوانه ج ٢٧٩/١ بعنوان (مدرسة
البنات ببورسعيد) مطلعها :
كم ذا يكابد عاشق ويلاتي في حب مصر كثيرة العشاق

الأم أستاذ الأساتذة الألسي
 شغلت ما تيرهم مدى الآفاق
 أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً
 بين الرجال يجتلن في الأسواق
 يد رجن حيث أرددن لا مين وازع
 يحذرن ررقتنه ولا من واقسي
 يفعلن أفعال الرجال لو اهيأ
 عن واجبات نواعس الأحداق
 في دورهن شؤونهن كثيرة
 كشؤون رب السيف والميزراق^(١)
 كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
 في الحجب والتضييق والإرهاق
 لست نساؤكم حلى وجواهرأ
 خوف الضياع ثمان في الأحقاق
 لست نساؤكم أثاثاً يقتسى
 في الدور بين مخادع وطباق
 تشكل الأزمان في أدوارها
 دولا وهن على الجحود بواقبي
 فتوسطوا في الحالين وأنصفوا
 فالشر في التقييد والإطلاق

ورأيه في السفور والحجاب متوسط ، وهو أشبه بالحجاب
 الشرعي . خاطب قاسم أمين^(٢) صاحب « تحرير المرأة » بقوله^(٣) :

(١) الميزراق : الرمح .

(٢) انظر ترجمة له في هذا الكتاب

(٣) لم أجد هذه الأبيات في ديوانه .

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
 ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه
 إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم
 فمن ذا تناديه ومن ذا تعابه
 فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم
 لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
 ولو خطرت في مصر حواء أمنا
 يلوح محيها لنا وزاقيه
 وفي يدها العذراء يسفر وجهها
 تصافح منا من ترى وتخابه
 وخلفها موسى وعيسى وأحد
 وجيش من الأملاك ماجت كواكب
 وقالوا لنا : رفع النقاب محلل
 لقلنا : نعم حق ولكن نجائبه

وكثيرا ما تقرأ التشاؤم والأنين والبؤس في شعر حافظ أكثر ما
 كنت تقرأه على وجهه ، أو تسعه من فمه في مجالسه . ومن ذلك
 قوله^(١) :

سميت وكم سمى قبلي أديب
 فآب بخيبة بعد اغتراب
 وما أعذرت حتى كان فعلي
 دماً ووسادتي وجه التراب

(١) من قصيدة في ديوانه ج ٢/١١٢١ أرسلها من السودان إلى
 بعض أصدقائه (ومطلعها :
 رميت بها على هذا التراب وما أوردتها غير السراب

فما سونا إلى نجدٍ نحاوله
إلا هبطنا إلى غودٍ من العطبِ (١)
يا مصر هل بعد هذا اليأس مُتَّعِ
يجري الرجاء به في كل مُفْتَطِرِبِ
لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا
كأننا فيك لم نشهد ولم تُغِيبِ

وقال في ختام قصيدته التي يخاطب بها سعد زغلول (٢) :

أنا لا ألوم المتشا ر إذا تعلل أو تصدى
فيليه أن يسب دءً وشأننا أن نستعدا
هي سنة المحتل في كل العصور وما تعدى

وقال في تحية العام الهجري يخاطب نابتة البلاد (٣) :

لا تياسوا أن تستردوا مجدكم
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدت له الآمال من أفلاكها
خيطة الرجاء إلى العلاء فتسلقا
فتجئسوا للمجد كل عزيمة
إني رأيت المجد صعب المرتقى

(١) العطب : الهلاك .

(٢) من قصيدة في ديوانه ج ١/٢٦٤ بعنوان (إلى ناظر المعارف سعد زغلول) مطلعها :

سنة لا بني جزرا ومدنا
مالي أرى بحر السبا

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ٢/٥٨ مطلعها :
لمني فيك حين بدا سنالك وأشرقنا
أملٌ سالت الله أن يتحققنا

وحتى صيرتني الشس عبداً
صيفاً بعدما دبغت إهابي
وحتى قلتم الإماماني ظفري
وحتى حظكم المقدار نابي
وقال في الشكوى أيضاً يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإبائه (١) :

سعت إلى أن كيدت أتعل الدما
وعُدت وما أعقت إلا التندما
لحي الله عهد القاسطين الذي به
تهدم من بنياننا ما تهدما
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم
فلا تك مصرباً ولا تك ملما

إلى آخر تلك القصيدة البديعة .

وما يتصرف إلى هذا المعنى قوله (٢) :

إن قام منا منادٍ قال قائلهم
لا تصخبوا فهلاك الشعب في الصخب
أو نابتنا حادث نرجو إزالته

قال استكينوا واخلتوا سورة الغضب (٣)

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ج ٢/١١٤ بعنوان (سعي بلا جدوى) .

(٢) من قصيدة في ديوانه ج ١/٢٦٥ بعنوان (الحث على تعضيد مشروع الجامعة) مطلعها :

إن كنتم تبدلون المال عن رهب
فنحن ندعوكم للبدل عن رغب

(٣) سورة الغضب : حديثه .

من رام وصل الشمس حاك خيوطنها
 سبياً إلى آماله وتعلقا
 عاراً على ابن النيل سباقِ الوري
 مها تقلب دهره أن يسبقا
 أو كلما قالوا تجتمع شملهم
 لعب الشقاق بجمعنا فترقا

وقال في قصيدة الحرب اليابانية الروسية (١) :

توؤنا الحرب وإن أصبحت
 تدعو رجال الشرق أن يفخروا
 أتى على الشرقي حين إذا
 ما ذكر الأحياء لا يذكروا
 ومر بالشرق زمان وما
 يمر بالبال ولا يخطر
 حتى أعاد العثقر أيامه
 فاتصف الأسود والأسمر (٢)

وقال من قصيدة (٣) :

مضى زمن التويم يا نيل وانقضى
 ففي مصر أبقاظ على مصر تسهر

(١) هذه الأبيات هي آخر أبيات قصيدة وردت في ديوانه ج ١٠/٢
 مطلعها :

أساحة للحرب أم محشر ومورد الموت أم الكوثر
 (٢) بعده : فرحة الله على أمة بروي لها التاريخ ما يؤثر
 (٣) من قصيدة في ديوانه ج ٢٧/٢ (تحية العام الهجري) مطلعها :
 اطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

وقد كان « مرّفين » الدّهاء مخدراً

فأصبح في أعصابنا يتخدراً
 شعرنا بحاجات الحياة فإن وت
 عزائنا عن نيلها كيف نتعدراً
 شاعرنا وأحسننا وباتت نفوسنا
 من العيش إلا في ذرى العرشخر
 إذا الله أحيأ أمة لن يردها
 إلى الموت قهّار ولا متجبراً

وقال من قصيدة باسم آمالنا وآلامنا خاطب بها الأمير حسين
 كامل قبل أن يلي سلطنة مصر (١)

أيجمل بالأديب أديب مصر
 بكاءً الطفل أرهقه التيطام
 ويصرفه الهوى عن ذكر مصر
 ومصر في يد الباغي تضام

لعسرك ما أرقّت لغير مصر

ومالي دولها أمل يترام (٢)

(١) من قصيدة في ديوانه ج ٥٣/٢ عنوانها (الى البرلس حسين
 كامل) مطلعها :

لقد نصل الدجى فمتى تنام اهم ذاد نومك أم هيام
 ونشرت في ١٩٠٩/١١/١٠ . والسلطان حسين كامل ولد
 سنة ١٨٥٢ م وتولى عرش مصر سنة ١٩١٤ م وتوفي سنة
 ١٩١٧ م
 (٢) الاصل : امد يترام .

ذَكَرَتْ جَلالها أيامَ كانت
تصوّل بها الفراغة العظامُ
وأيامَ الرجالِ بها رجالُ
وأيامَ الزمانِ لها غلامُ
فأقلق مضجعي ما بات فيها
وباتت مصر فيه فهل ألامُ
أرى شعباً بمدرجة العوادي
تخخ عظمه داءً عَقامُ (١)
إذا ما مرّ بالأساء عامُ
أطلّ عليه بالأساء عامُ
سرى داء التواكل فيه حتى
تخطفَ رزقه ذاك الزحامُ
قد استعصى على الحكماء منا
كما استعصى على الطب الجذامُ
هلاك الفرد منشؤه توانٍ
وموتُ الشعب منشؤه انقسامُ

وبعد فإن شعر حافظ في كل الضروب التي عاناها منه تتجلى فيه منازعه على حساب المناسبات ويث آراءه من طرف خفي وجلي ، يوجه كلامه الى أمته والى ولادة أمرها والى نفسه ، وينتزع من كل فرصة حكمة . وقال في عيد تأسيس الدولة العثمانية (٢) :

(١) المدرجة : الطريق . والعوادي : النواذب . وتمخخ العظم : إذا أخرج مخه ، والداء العقام : الذي لا يرجى البرء منه . وفي الأصل : تمخخ .
(٢) الأبيات الأخيرة من قصيدة في ديوانه ج ١٧/٢ مطلعها :
أبحصي معانيك القريض المهذب على أن صدر الشعر للمدح أرحب

يقولون في هذي الربوع تَعَطَّبُ
وأى مكانٍ ليس فيه تَعَطَّبُ
فيا شرق إن العَرَبَ إن لآن أو قسا
ففيه من الصهباء طبع مذوَّبُ
فخف بأسها في الرأس والرأس يصطي
وخفّ ضعفا في الكأس والكأس تطربُ
ويا غربُ إن الدهر يطفو بأهله
ويطويه تيار القضاء فيرسبُ
أراك مقر الطامعين كأنما
على كل عرش من عروشك أشعَبُ

وما أحلى قوله في حادثة دنشواي ، وفيها قتل المحتلون بضعة أشخاص سنة ١٩٠٦ انتقاماً لرجل منهم قتل وهو يصيد الحسام في أرضهم (١) .

أكرمونا بأرضنا حيث كنتم
إنما يكرم الجواد الجوادا
إن عشرين حجّة بعد خمس
علتنا السكون مها تمادي
أمة النيل اكبرت أن تعادي
من رماها وأشفقت أن تعادي
ليس فيها إلا كلام والّا
حرة بعد حرة تهادي

(١) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٢٠/٢ مطلعها :
أبها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاننا والودادا

وقال (١) :

بنات الشعر إن هي أسعدتني
شكوت من العميد إلى العميد
ولم أجد عوارفه ولكن
رأيت المن داعية الجحود
أذيقونا الرجاء فقد ظننا
بعهد المصلحين إلى الورود
ومئوا بالوجود فقد جهلنا
بفضل وجودكم معنى الوجود
إذا اعلولى الصياح فلا تلتنا
فإن الناس في جهد جهيد
على قدر الأذى والظلم يعلو
صياح المشفقين من المزيد
جراح في النفوس نقرن نقرأ
وكن قد اندمكتن على صديد
إلى أن التفت وغير لهجته وقال :

إلى من تشكي عنت الليالي
إلى العباس أم عبد الحميد
ودون حناها قامت رجال
ترونا بأصناف الوعيد

(١) من قصيدة في ديوانه ج ٢/٢١ عنوانها (استقبال غورست)
نشرت في ١٠/١٠/١٩٠٧ م ومطلعها :
بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد

ثم تذلل وأخذ يطالب بحقوق مصر بقوله :

فما جئنا نطاولكم بجاه
يطولكم ولا ركن شديد
ولا بتنا نعجزكم بعلم
يبين به القوي من الرشيد
ولكننا نطالبكم بحق
أضرب بأهله تقض العهود

وبعد أن ذكر كرومر بأعماله في سلب حق مصر وانحائه في تقاريره * ١٧٨
على أهلها قال :

فليت كرومرأ قد دام فينا
يتطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر أنا بعد أن
بجلود ومقتول شهيد
لتنزع هذه الأكرام عنا
وثبتت في العوالم من جديد

ثم ألم بما كان من مستشار المعارف دنلوب
هبتوا (دنلوب) أرحبكم جنائاً
وأقدركم على نزع الحقود
وأعلى من (غيلادستون) رأياً
وأحكم من فلاسفة الهند
فإننا لا نطبق له جواراً
وقد أودى بنا أو كاد يودي

ملثنا طول صحبتہ وملت
سوابقتنا من المشي الوئيد
بحمد الله ملكتكم كبير
واتم اهل مرحمة وجود
خذوه فامتعوا شعباً سوانا
بهذا الفضل والعلم المقيد
إذا استوزرت فاستوزر علينا
فسي كالفصل أو كابن العميد^(١)

ثم ذكر غطرسة المحتلين على شيوخ مصر فقال :

شيوخ "كلما همت بأمر
زارتم دونهم زار الأ سود
لحي بيضاء يوم الرأي هانت
على حمر الملابس والخدود
أرضي أن يقال وأنت حر
بأنك قين هاتيك القيود
وهل في دار ندوتكم أناس
بهذا الموت أو هذا الجود
فنج غضاة التاميز عنا
كفانا سائق النيل السعيد

(١) الفضل : هو الفضل بن سهل ، وزير هارون الرشيد ، والملقب
بدي الرئاسين لانه كان رب السيف والقلم توفي سنة ٢٠٢ هـ
وابن العميد : هو ابو الفضل محمد بن الحسين وزير ركن
الدولة علي بن بويه . وكان محط رحال الشعراء والادباء
والعلماء ، توفي سنة ٣٦٠ هـ .

أرى أمراءكم ملكوا علينا
بصر موارد العيش الرغيد
وقد ضقنا بهم وأبيك ذرعاً
وضاق بحملهم ذراع البريد
أكل موقف منكم قدير
على التشريع في ظل العميد
فضع حداً لهم وانظر إلينا
إذا أنصفتنا نظر السودود
وخبرهم وأنت بنا خير
بأن الذل شئنة العميد^(١)
وأن نفوس هذا الخلق تأبي
لغير إلهها ذل السجود

وقال من قصيدة (٢) :

وكم ذا بمصر من المضحكات
كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر
ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفر من الصالحات
فرار السليم من الأجر

(١) الشئنة : العادة والطبيعة .

(٢) من قصيدة في ديوانه ج ٢٥٦/١ مطلعها :

حطمت البراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تعجبني

وقال يخاطب المصريين أيضاً (١) :

ينامون تحت الظلم والأرض رجة
لمن بات يأبى جانب الظلم جانبه
فيا ليت لي وجدان قومي فأرتضي
حياتي ولا أشقى بما أنا طالبه

وقال مخاطباً مصر (٢) :

حطنت اليراع فلا تعجبي
وعفت البيان فلا تعتبي
فأنت يا مصر دار الأديب
وما أنت بالبلد الطيب

وقال للشرق (٣) :

متى أرى الشرق أدناه وأبعده
عن مطع الغرب فيه غير وستان (٤)
تجري المودة في أعراقه طلقاً
كجربة الماء في أنشاء أفنان (٥)

(١) في ديوانه ج ٤٨/٢ قصيدة من هذا البحر ومن هذا الروي
عنوانها (عيد الدستور العثماني) مطلعها :
اجل هذه أعلامه ومواكبه هنيئاً لهم فليسحب الدليل ساحبه
وليس فيه غيرها بهذا الروي ، غير أنني لم أجد هذين
البيتين فيها .

(٢) مطلع قصيدة في زواج الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد)
في ديوانه ج ٢٥٦/١

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ١٣٢/١ بعنوان (تحية الشام) مطلعها :
حيا بكور الحيا ارباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حياتي
(٤) الوستان : النائم

(٥) الاصل : في أفناء أفنان . وهو تصحيف

لا فرق ما بين بوذي وعيش به (١)

ومسلم ويهودي ونصراني
ما بال دنياه لما فاء وارفتها

عليه قد أدبرت من غير إيدان

ومن أبدع قصائده قصيدة رثى بها نفسه ومطلعها (٢) :

آذنت شمس حياتي بمعيب
ودنا المنهل يا نفس فطيسي

الى أن يقول :

قد وقفت بكسي على
عالم المشرق في يوم عقيب
وقف الخسة قلبي فمضوا
هكذا قلبي وإني عن قريب
وردوا الحوض تباعاً فمضوا
باتفاق في مناياهم عجيب

» » »

وهؤلاء السنة الذين وقفوا على قبر الشيخ محمد عبده يؤمنونه

هم : الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن عاصم ، ثم حسن عبد
الرازق ، ثم قاسم أمين ، ثم حفني ناصف ثم حافظ ابراهيم .

(١) الاصل : لا فرق بين بوذي . فينكسر البيت

(٢) ديوانه ج ٢٠٣/١ بعنوان (ذكرى الاستاذ الامام الشيخ محمد
عبده) وقد انشدها في الحفل الذي اقيم في الجامعة المصرية
يوم الثلاثاء ١١/٧/١٩٢٢ وضمنها رثاء المرحوم حفني ناصف

واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم في الرثاء فلاحظ ذلك حنفي ناصف فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات (١) :

أتذكر إذ كنا على القبر ستة
تعدد آتار الإمام ونسب

وقنا بترتيب وقد دب بيننا
مات على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوة ولي وقفاه عاصم
وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

فلبى وغابت بعده شمس قاسم
وعما قليل نجم محياي يفرّب

فلا تخش هلكاً ما حييت وإن أمت
فما أنت إلا خائف تترقب

فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف
ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب

وخض لجج الهيجاء أعزل آمناً
فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

• • •

عرفت (٢) حافظ إبراهيم سنة ١٩٠١ . وكان كلانا في ميمة

(١) وردت هذه الأبيات في المنتخب من أدب العرب ج ٢/٤٠٤ .

(٢) من هنا يبدأ الشطر الذي القاه المؤلف في المهرجان الذي أشرت إليه في بداية الترجمة

الشباب نطلب الأدب ونولع به ، ونستمع إلى ما يقال في مجالس أهله ، وكان حافظ كثيراً ما يختلف إلى قهوة (ماتاتيا) في الأريكية ، يجتمع إلى ثلة من العلماء والأدباء ، ومعظمهم من العارفين بأدب اللغة من متخرجي دار العلوم . وكان من كبار علماء تلك الحلية إذ ذاك عثمان باشا غالب يرأسنا بحكم علمه ومنصبه وسابقته وباشويته .

فكان حافظ يأتي في أكثر الليالي يدخن (الشيعة) ويتلو علينا بعض ما أوحى إليه من الشعر فيطالعه اخوانه بما يعين لهم من الملاحظات ، فإذا لم يكن لديه شيء جديد يقص علينا من قصص القدماء ما يسلينا به ، ويتنادر إلينا وتتنادر إليه . ويرسل بعضنا النفس على سجيته ، ونحن إلى ذلك نعجب بجودة ذاكرته وحافظته وبديته . ونسأل عنه إذا غاب ، وقد يسأل عن بعضنا إذا تخلف . وهو سناجحة الأدب في ذلك المجلس وبلبله الغريدي ، وإن كان بعض الحضور يذونه في دساتير العلم وقوانين الثقافة فهو ييذهم بإلهامه وخياله .

وكانت مصر إذ ذاك تتحفز للوثبة مطالبة باستقلالها ، والنهضة الفكرية والعلمية بدأت (١) تنبعث انبعاثها الحضر ، فطالما حافظ بنوع من الشعر الاجتماعي والسياسي هز به قلوب بنيها على ما لم يكادوا يعهدون مثله .

ولقد شهدت حافظاً في مجلس أستاذنا الشيخ محمد عبده في عين شمس مرة ، وفي المجلس عظيميان من عظماء مصر : محمود سامي باشا البارودي وبترس باشا غالي ، وقد قبض حافظ على ناصية الكلام في المجلس ، يورد على عادته من محفوظه ما يمزجه بفكاهات الأقدمين

(١) الاصل : على ان تنبعث ...

وأفأكه المحدثين ، بيان سحر به عقول الحاضرين . ولما أفاض على
هذا النحو من معينه العذب ساعة وبعض ساعة التفت الى رب الدار
معتذراً عن اكاره ، فقال له هاشأ باشأ بلهجنه العذبة : لا بأس ، زدنا
من أدبك يا حافظ .

وعدت الى مصر أواخر سنة خمس وتسعمائة^(١) فزادت صلاتي
بحافظ ، وكانت أحكت أواخي الإخاء بيننا سنة كاملة في المرة
الأولى ، وأصبح لنا اذ ذاك منتديان : أحدهما قهوتنا القديمة (ماتاتيا)
والثانية قهوة (سبلنديبار) وفي هذه مشوى رجال الصحافة وبعض
رجال القضاء والأدب والعلم .

وكان من جلسة أصحاب حافظ في (اسبلنديبار) جماعة من
صفوة الشاميين ، ومنهم سليمان البستاني وشبلي شميل وطاهر
الجزائري ورفيق العظم وعبد الرحمن الكواكبي وداود بركات ورشيد
رضا وكلهم كانوا معجبين بأدب حافظ . وتزداد حلقة حافظ كل يوم
سعة لضربه على الوتر الحساس في الناس ، ولتوفره على صقل شعره
وتجويده وديابجته . وجاور حافظ رفيق العظم في عمارة البابلي
بشارع خيرت ، وكنت أسكنها في ذلك الحي مدة ، فكنا نلقى حافظاً
على عزلة من الناس ، ثم أعود فالتقي معه أو هو يجتمعني الى
عشاء من أهل ذلك الوقت أمثال أحمد فتحي زغلول وحسن عاصم
وقاسم أمين .

في هذا الدور كان اجتماعي بحافظ كثيراً . وهو كل يوم يجلي

(١) اي ١٩٠٥ م

للناس لبوغه العظيم ، وتفرده بإلقاء دروس على المصريين كان غيره
يعرفها وتعوقه أحواله عن أن يبوح بها . وأصبحت أتبسط معه كثيراً
في الأحاديث ، وهو يكيطني الصاع صاعين ، الا أنه وقع في نفسه شيء
لما كتبت في جريدة « المؤيد » أن الشاعر العراقي معروف الرصافي مبرز
في الاجتماعيات يصح أن يدعى شاعر الاجتماع أوالشاعر الاجتماعي .
فأخذني حافظ على هذه الفكرة ، وكأنه يحرض على الاستثثار بهذا
اللقب ، كما يحرض على لقب « شاعر النيل » . وناقشني لما انتقدت
في « المؤيد » كتابه « ليالي سطيح » بحضرة الشيخ علي يوسف
صاحب المؤيد ، وعز عليه أن أقول انه شاعر عظيم . فما باله يتطلب
دعوى الكتابة وهو لم يخلق لها ؟ وكان صدره في هذا الباب أوسع
من صدري ، فحاسني بعد أن كان يخاشني ، ولم يمر الصداقة فتور ،
ولا حل في نفسه حقدا علي .

أشدني ذات يوم قطعة من شعره يشكو فيها بؤسه ، ويعرض
لما يبذّر من الأموال ويُنْتلى من الأدعية على قبر السيد البدوي ، فقلت
له : الحق أقول : ان القوم ربما آذوك ، ومنزلة السيد من بعض
النفوس منزلة ، فأياك وهذا التصريح في بلد كثر سواد القبورين فيه .
فأجاب جواب من لا يبالي . ولما طبع ديوانه أثبت الأبيات بنصها ،
وكان حذف منها بيتين . وهذه بنصها التام^(١) :

أحيأؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق السموات

(١) وردت هذه القصيدة في ديوانه ج ٢١٨/١ عدا البيتين الثاني
والثالث .

للسيد البدوي ملك "دخلة"

خسوف الفأ والحظوظ هبات

وأنا أعذب في الوجود وليس لي

يا أم دفر مابه أقتات^(١)

من لي بحظ^٢ الناثنين بحفرة

قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنعام لها ويجري حولها

بحر^٣ النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى

ووسيلة تقضى بها الحاجات

وكان - رحمه الله - إذا أصاب النكتة آثرها مها كلفته من
وجع الرأس ، فقد خاطب الاستاذ الإمام^(٢) لما كانت تشده الرحال
الى طنطا لزيارة السيد البدوي بقوله^(٣) :

إمام الهدى اني أرى القوم أبدعوا

لهم بدعاً عنها الشريعة تعزف

رأوا في قبور الميتين حياتهم

فقاموا الى تلك القبور وطوفوا

(١) أم دفر : الداهية .

(٢) أي الشيخ محمد عبده

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ٢١/١ مطلعها :

صدفت عن الأهواء والحر بصدف

وانصفت من نفسي وذواللب ينصف

وباتوا عليها جائنين كأنهم

على صنم في الجاهلية عكف

كنت أشعر أن حافظاً شاعر بكل ما في الشاعرية من معنى ، وأعرف
أنه كاسب واهب . وكان يعاتبني على شدة تعلقي بأحد العلماء الموقرين
ويقول لي : « مالك وله وهو شحيح ؟ » فأقول له : « ان صداقتنا بنيت
على أني غير محتاج الى تناول شيء من ماله . » وكان في حكمه على
صديقي مخطئاً ، لأنه كان للرجل صدقات في السر عظيمة لو أراد
اعلانها لقل له لقب « المحسن الكبير » الذي يعطى لمن يعطي التافه ،
ويريد أن يشار اليه في الصحف وينوه به في المجالس .

شهدت حافظاً مرات يعطي ما معه أو أكثر ما معه لطالب نواله
ولا سيما اذا كان من المتأدبين . والمتأدبون في عهده كانوا مفلوكين
مغمورين^(١) . وكانوا حقاً أصحاب الصناعة المجنونة . ومن جملة من
كان يعطف عليهم عطفاً خاصاً الشاعر امام العبد^(٢) وهو من جماعة قهوة
« مائاتيا » أيضاً . وحدث مرة أن غضب امام على حافظ ، وكان ييره

(١) المفلوك : الفقير .

(٢) كتب المؤلف حاشية بخط يده جعلها ملحقة بما نشر في جريدة

الاهرام هذا نصها :

قيل إن امام العبد كان جالسا مع حافظ ابراهيم ذات ليلة ،
فطلع عليهما نفر من الشبان فسألهم صاحبي : من اين اقبلوا
قالوا : من حفلة المدرسة التحضيرية حيث سمعنا اماما ينشد
قصيدة له لم ينظم الشعراء قط مثلها بلاغة وسحر بيان . قال :
فأنشدوني . قالوا : وكيف لنا بحفظ شعر نسمعه لأول مرة ؟
قال : كيف عرفتم مبلغ القصيدة من البيان ! قالوا : لانه نال من
آيات الاستجادة ومن التصفيق ما لم ينل غيره ، وكانت في نفس
حافظ ذلك اليوم لامر ما موجودة على امام . فقال : « والله ما

كثيراً ، فقال في خلال حديثه - ونعوذ بالله من غضب السود - :
ومن هو حافظ حتى يدل علينا شعره ؟ أنا خلقت وأظهرته للناس .
ومضت أيام واضاق امام العبد ، فاجتمع السى حافظ وطلب اليه أن
يسلفه عشرة قروش فأجابه حافظ على الفور : « أنا والله يا مولاي
كما خلقتني » فضحك امام واتبه للنكتة وضحك حافظ ، وهو الذي
كان يعطي اماما بالجنيهاً فكيف يضمن بالقروش على شاعر لظالماً ظرف
وملح في شعره وحديثه وهو من الشعراء المتصعلكين البائسين ؟

وأعلنت الحرب وانقطعت كل صلة بين مصر والشام أربع سنين،
فلما عاد التواصل الى مجراه قال لي انه كان يظن أنني أقتل لا محالة
في الحرب . فقلت له ولحفني بك ناصف : « ان أجلي حال دون ما
أراد العدو الجاني ، ولو ساء ذلك أمثالكما » . ولما وضعت الحرب
أوزارها ، وأتت المجمع العلمي العربي في دمشق ، انتخبه المجمع
في جلسة أعضائه ، فسرَّ بذلك . وبعد مدة أقيمت في قاعة المجمع
عدة محاضرات حلت بها شعر حافظ وما كان له من الأثر الطيب في
الأمة المصرية خاصة والشعوب العربية عامة (١) ، فأبرق لي شاكراً
وتهلل لما قلت فيه .. وكان كلامي مشوباً بروح الإخاء وأماراته ظاهرة
على ما قلت .

ولما أقيم مهرجان شوقي (٢) قبل نحو عشرة أعوام في هذه

صفق الناس لبلاغة امام ولا لجودة شعره ، وانما هو عبء .
« كان لما يعمر اللبية كويس يقولوا له برفاؤ يا امام » فكيف
بهم اذا راوه ينشد شعرا ؟ » .

(١) اسطلى فيما بعد على ان تكون الامة اشمل في معناها من الشعب .
والامة العربية جامعة للشعوب العربية في كل قطر .

(٢) يقصد مهرجان شوقي الذي يوع فيه بامارة الشعر عام

١٩٢٧ .

(الأوبرا) خرجت وحافظا نستجم وراء هذا المدرج فقال لي مازحاً :
« إنك أثبت هذه الليلة أنني من بني آدم » فقلت له : « ما كان أولئك
بمثل هذا التكريم يا حافظ » . فقال : « اسكت . يسمعك شوقي » .
وكان حافظ يحاذر من كل ما يتأذى به شوقي ، وان كان يعرف
أنه ربما كان لشوقي يد في ابعاده عن القصر حتى يكون هو المستأثر
وحده بنعم عزيز مصر يومئذ .

وجاء حافظ يرافقه صديقه وصديقي خليل مطران الى ربوع
الشام فالتقى قصيدة في الجامعة الأمريكية في بيروت . ثم سعى له
مطران أن يمنح لقب وطني بعلبكي ، وبعلبك مسقط رأس أخينا
مطران مشهورة بديها ودبها ! ولما أقام المجمع العلمي العربي
بدمشق حفلة تكريم لحافظ ومعه بالطبع دليله البعلبكي وقد فاز بلقب
الوطني البعلبكي ! كان حافظ يبكي من تأثره من كلام الخطباء والشعراء
فيه ، ويدرك أن مكاتته خارج مصر لا تقل عن مكاتته داخلها ، وسعت
بأن قلَّده ورفيقه وسام الاستحقاق السوري . فقلت له ونحن نعلقه
على صدره : « يحق لحكومة سورية اليوم أن تغتبط بأنها نَيْسَنَتَكَ » .
والنیشان هو الوسام أو الرمي الى الهدف بالرصاص ، فضحك وأنسيت
ما ورد على لسانه من النكات .

وأحب أدباء دمشق أن يتعرفوا الى حافظ في جلسة خاصة ،
فدعوته ودعوتهم كلهم السى داري . وكانت عبارة الدعوة (أرجو
حضوركم لتناول قدح من الماء المثلج مع شاعر النيل) فاستبدع حافظ
هذه الدعوة . فقلت له : ان الشهر أعظم شهور القيظ آب اللُّهَاب
أي (أغسطس) ولأن يقال : « قدح من الماء المثلج » أغرى للنفس
من ان يقال : « قدح شاي » . ولما جلس يشرب الماء المثلج جتته بطبق

فيه حلوى يسونها « كل واشكر » فوضعت في حجره ، فضحك
وقهقه ، وقلت له : « كل هذا واشكر » وقد قال ذلك اليوم في الماء
المثلج وما ورد عن العرب في هذا المعنى ، ومعنى الحرارة والبرودة ما
لو كتب لجاه بحثا من أمتع أبحاث الأدب . وكانت تلك الزيارة آخر
عهدي بحافظ .

ان اعجاب أصدقاء حافظ بشعره ، وأنا من أصغرهم ، لا يقل
عن اعجابهم بحديثه وجمال روايته ، كان يلعب بالعقول والقلوب حتى
ينسي سامعيه كل مهم لهم . وهو جده طروب ، جده لعوب ، لا يحزن
الا لفقد حبيب . ولا تنقبض نفسه الا اذا حلت بأمته كارثة فيكون من
طليعة من يواسيها ويعلمها .

نعم ، كان حافظ بهجة تنفوس أصحابه ، وزين كل نادي حله ،
ما عهد له شبيه ولا نظير في بابها فما رأيت ، وقد أعرب عن هذا المعنى
شاعر العرب صديقي خليل مطران يوم رثاه بقوله (١) :

أين زين التدي مني وهم في الظ
رف ما هم وأين أنس النادي
كلّ حصل شهيدته كنت فيه
قبلة السامعين والأشهاد
بأخذون الحديث عنك كما يش
تفء من يرتوي من الورد

(١) من قصيدة في رثاء حافظ ابراهيم وردت في ديوان خليل
مطران ج ٤/١٣٥ من (١٧١) بيت مطلعها :
عظم الله فيك اجر الصادق وبنيتها من حاضر او بادي

فإذا ما تتادروا وتتادروا

ت فاعجب بورّي تلك الزناد
فيطن تشرح الصدور وما تلو
ذي دعاباتها سوى الأتقاد
ربما كانت العظمت الغوالي
في شظايا ابتسامها الوقاد

حسين والي *

١٢٨٦ - ١٣٥٤ هـ

١٨٦٩ - ١٩٣٦ م

ولد ببلدة « ميت أبي علي » الملحقة بمركز الزقازيق من أعمال الشرقية بصر ، وكان أبوه من كبار علماء الأزهر . وفي مكتب قرية حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة والحساب ، وحمله والده السى القاهرة فأدخله مدرسة ابتدائية ، ثم ألحقه بالأزهر طالباً ، وهو بناهز الثالثة عشرة ، فدرس فن التجويد والقراءات ، ثم أخذ بتلقي العلم على مشايخ مشهورين كالشيخ الأشموني والأنبائي والبشري . ونال شهادة العالمية وعين مدرساً في الأزهر ، وقد عرف بالتدقيق وطول الأناسة في البحث ، وكان الشيخ محمد عبده مفتي مصر يحيل عليه استفتاءات مشكلة ترد عليه من الأقطار الإسلامية ، فيتحرى فيها الحقيقة والصواب ولما أنشئت مدرسة القضاء الشرعي عهد إليه تدريس علوم الأدب العربي والإنشاء والمنطق وأدب البحث والمناظرة ، وبعض العلوم الشرعية فأبان عن جلادة وتدقيق في مراجعة ما يكتب تلاميذه . وعين منتأ عاماً للأزهر والمعاهد الدينية ، ورئيس الامتحانات في الأزهر ، ثم نصب وكيلاً في معهد طنطا . ولشغفه بخدمة اللغة العربية، أراد أن يضع حداً لخطأ بعض العلماء والطلبة ، فكان يكتب بعض

* ترجمته في الاعلام ج ٢/٢٥٤ ومعجم المؤلفين ٤/٤ والاعلام الشرقية ١٠٧/٢ وهو حسين بن حسين بن ابراهيم بن اسماعيل والي الحيني .

الكلمات المتداولة على اللوح يبين وجه الصواب فيها ، ويبنه على الخطأ ، ويعرض لوحته في فناء المعهد مرتين كل أسبوع ، فاستفاد العلماء والطلبة بهذه الطريقة ، ثم جعل كاتب السر العام في الأزهر والمعاهد الدينية ، ولما عرضت الحكومة على الأزهر أن تمدد بعشرين ألف جنيه في السنة مقابل اشرافها عليه سعى بلباقة بإبطال هذا المقترح حتى يبقى الأزهر على استقلاله .

وفي سنة ١٩٢٤ رشح الفقيه نفسه لعضوية جماعة كبار العلماء ببعض مؤلفاته المطبوعة مثل كتاب « أدب البحث والمناظرة » وكتاب « الاشتقاق » ، و « رسالة التوحيد » و « رسالة الإملاء » وله مؤلفات كثيرة لم تطبع ، وذلك في الفقه والتوحيد وأدب اللغة . وكان شاعراً يجيد الشعر التاريخي ، وينظم القصائد الطوال يرمز أحد مصراعي كل بيت للتاريخ الهجري ، ويرمز الآخر للتاريخ الميلادي . ثم اختير عضواً في مجلس الشيوخ مرتين ، فعمل على مقاومة التبشير وتحفيظ القرآن . وعين عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ أول انشائه سنة ١٩٣٢ ، وهنا صحبته وأعجبت بناقشاته وجيل بديته وسعة حافظته ، فكان يأتي بما ورد في مطولات النحو والصرف بالفاظه ، لا يتقدم عليه في هذا الباب أحد من كان معنا من كبار الأزهرين ، فظهرت في المجمع اللغوي مواهبه وسعة مادته في اللغة وقواعدها ، وكان رأيه فصل الخطاب في بعض المناقشات . وجمهرة أعضاء المجمع لأول أمره كانت من المصريين الذين درسوا في الأزهر ، ومنهم من درس بعده دراسات أخرى .

كان الشيخ والي صورة جميلة من علماء الأزهر ببيانه وجداله

وحساسته في عرض آرائه على رصصائه (١) . وهو الى ذلك مفطور على ذوق جليل وأدب غرض . يجسج الى الأناة إقداماً ، تقراً في طلعه النيل والشرف ، غيور على اللغة ، داعية لتجبيها والعناية بها . تحس إذا اجسعت اليه ، سعة المادة وأدب النفس . ولاقتصاره على ما أخذه من مشايخه لم تكتب له شهرة في غير بيئته وبيئته ضيقة لا تتعدى علم اللسان وعلم الدين .

حدثني أن له تآليف كثيرة في فنون مختلفة لم تطبع ، وله في هذا شركاء بين العلماء والأدباء أهمهم التآليف وما اهتموا لنشرها ، فكأنهم ألقوها لأتسهم أو ليترحوا فقط بوضعها في خزائهم ، أو كانوا على سنن من كان قبلهم من المؤلفين قبل أن يظهر الطبع ، فتبقى مؤلفاتهم مخطوطة . ومن آلف وما طبع تعب بالفرس وما قطف الشرة . وما كان صاحبي هذا ممن يعجزهم نشر تآليفهم في حياتهم ، وبعض رسائل في موضوعات سبق المؤلفون فألقوا فيها لا توازي علم عالم من عيار الشيخ حسين والي . حفظ الدساتير والقواعد ، وكان فيها أقعد من العلماء الذين استخدموا منها ما لا بد منه ، ولكنهم أجروا أقلامهم في ميادين العمل ، فكان الانتفاع من علمهم أضعاف الانتفاع من علماء النظريات .

★ ★ ★

(١) جمع رصيف ، وهو الالف المرافق .

- ١٩ -

خليل مطران *

١٢٨٨ - ١٣٦٨ هـ

١٨٧١ - ١٩٤٩ م

كتب الي ما نصه : « بعلبك مسقط الرأس وكتاب التهجي . بها كبا بي الجواد ونهشم وجهي . فكانت الكبوة الأولى في ميدان الحياة ولما أناهز السابعة من سني . زحلة كتاب القراءة الأولى ومبدأ تنبه الفكر . بيروت المدرسة التي بلغت فيها التأديب ، رضى قلبي فيها بالنشر والشعر ، وأستاذي قبيل الإجازة هما المرحومان الشيخ خليل تم الشيخ ابراهيم اليازجي ، وفضلها وفضل أبيها من قبل لا يجحد على قراء العربية في عهدهم ، وخاصة على تلاميذ الكلية البطريركية للروم الكاثوليك .

أخذت من اللغات العربية والفرنسية أصلاً والانكليزية والتركية والاسبانية مشاركة ، واللغة المذكورة آخراً قد نسبتها إلا كلمات قليلة .

وفي بيروت بدأت علي الصحفي فنشرت مقالات في « لسان

* ترجمته في الاعلام ج ٢/٢٦٨ ومعجم المؤلفين ج ١/١٢٢ ونشر الافكار : ١٥٨/١ ، تاريخ الادب العربي للفاخوري : ١٠٣١ ، تاريخ الشعر العربي الحديث : ١٩٣ ، قدماء ومعاصرون : ٢١٤ ، الادب العربي المعاصر في مصر : ١٠٣ دراسات في الشعر العربي المعاصر : ١٢٢ ، أشهر مشاهير الشرق : ١٣٠ من الادب المعاصر للكيالي : ١٩٨

الحال^(١) « وأنا تليذ ، واستكبت في صحيفة « الأحوال^(٢) » من يوم تأسيها الى أن هاجرت .

الاسكندرية موطني بعد رحلة رحلتها الى أوربسة ، وفي ذلك الشعر انتظني سلك تحرير « الأهرام » . تم وليت مراسلتها من القاهرة حتى اذا نقلت هي من الاسكندرية الى هذه الحاضرة اضطلعت برياسة تحريرها الى أن أحلت محلي المرحوم داود بركات . وانصرفت الى شؤون أخرى أطلب منها في مجال أوسع رزقي ورزق من أكفل . وفي خلال اشتغالي بهذه الشؤون أصدرت « المجلة المصرية » عامين وبعض الثالث ثم أصدرت « الجوائب المصرية » اليومية أربعة أعوام وبضعة اشهر ، وأنا آتئذ لا أمنح المهمة الصحفية من وقتي الا أقله .

وفي أثناء ما ذكرت من عملي في القاهرة ، كنت أنظم الشعر أو اترسل في شتى الأغراض حيناً بعد حين . ولي ديوان تبلغ جملته الآن أضعاف ما احتواه « ديوان الخليل »^(٣) ولي من الكتب النثرية « مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام » و « الموجز في علم الاقتصاد » عاونني

(١) لسان الحال: جريدة يومية أسسها خليل سركيس، وصدر أول عدد لها في ١٨ تشرين الأول ١٨٧٧ في بيروت ، ولخليل مطران قصيدة في عيدها الخمسين في ديوانه ٢٥٢/٣ مطلعها :
خمسون لا تنسى من الاحوال
مرت وانت بها لسان الحال

(٢) الاحوال : صحيفة لحبيب يوسف انشأها في القاهرة في ٢٨ ١٩٠٨/٦

(٣) وقف بنفسه على طبع الاجزاء الثلاثة الاول من ديوانه وعلى جانب يسير من الجزء الرابع والاخير ثم توفي فأكمل بعد وفاته

فيه محمد حافظ ابراهيم بك . وقصص اخبارية وتمثيلية مترجمة ، ومجلدات عدة في علم النفس وتقويم الأخلاق ، ومباحث اجتماعية وفنية كثيرة لم تنشر مجاميعها لضيق وقتي دون تمثيلها بالطلع .

وهذه جملة أمري وليست بالشيء الخليق بالتدوين في الكتب ، ولكنني أظعت بإيرادها ارشاد الحكيم الذي قال : من سئل فليجب .

ولخليل عدة تمثيلات نقلها عن الإفرنجية مثل « عطيل » و « هملت » و « مكبث » و « تاجر البندقية » و « السيد »^(١) عدا مقالاته .

واشتهر بأنه من شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر ، ولم يشتهر بأنه أيضاً من كتاب الدرجة الأولى ، فغطى شعره على ثره وهو فيهما آية وغاية . ومن أحسن ما كان مفطوراً عليه أريحته ونجدته ، ما قصده قاصد إلا لباه وعاونه وواساه من ماله ومن مال غيره . وكان مقامه في مصر مقام سفير انتدبته الشام ليفرج كربة المكروب من ابنائها ، ويهب لإغاثة الملهوف ، فالكرم في طبعه ، والوفاء لا معدى له عن القيام بواجباته ، وكان المصريون يعرفون فيه هذه الصفات ، ومنهم ومن أغنياء السوريين من كانوا يحكمونه في أموالهم لكنه لا يأخذ منها الا للمحاويج بالقدر اللازم ، ولم يبق له كرمه في آخر أيامه ما يستند اليه في معاشه ، فقبل أن يكون كاتم سر النقابة الزراعية وأن يكون مدير الفرقة الوطنية في التمثيل . ذهب من الدنيا كيوم ولدته أمه ، وذهب أيضاً بسيرة زكية وأدب راقم أفاد كل من ثققه ، وقد أدخل السى

(١) التمثيلات بلغة اليوم هي المسرحيات . والاربع الاولى لشيكسبير ، والاخيرة لكورني الفرنسي .

الشعر روحاً جديداً ، سرى اليه من اطلاعه على أدب العرب اطلاعاً
واسعاً عرف كيف ينتفع به .

كان كريم النفس يجود بباله وجاهه، وكان في شعره كريماً أيضاً،
إذا جادت قريحته غيره بالمديح بالأبيات جاد هو بالعشرات ، ويسدح من
يعرف ، وقد يسدح من لا يعرف الا بالسماع يجاري في ذلك المادحين
ولا ينسبنا يعطي ويهب . جاد على أصحابه وغير أصحابه من شعره
بنا لا يكاد يتسع له غير صدر الكريم ، وحلاهم بحلى أدبه ، ومنهم
التكرة الذي لا يعرف بادب ولا علم ولا اشتهر بنا يشتهر به الرجال
من الصفات التي ترفعهم .

وكما كان سحاً بديحه كان سحاً برثائه ، والرثاء أخو المديح
هذا للأحياء وذاك للاموات ، يقول كل ذلك يداعي الوفاء ورقة الشعور
أو مجازاة لجهرة الشعراء في عهده .

نظم وقائع كثيرة بشعره العذب وتوسع في بعضها وأطال ومنها
ملحته الفريدة في حياة نبيرون بلغت نحو ثلاثمائة بيت جاء بها على
قافية واحدة سالم يسبق اليه شاعر عربي، وجرى فيها على مثال ملحمة
هوميروس وداتي وملتون . وفي ملحمة صديقي مطران أدب وحكمة
وعبرة قدم لها مقدمة منشورة أثبت فيها أنه تابعة في الصناعتين كما
أثبت بحاضرتة في الجامعة السورية « في اللغة العربية وخرائنها
الأدبية » (١) وربما امتاز ثره عن شعره في الأحيان ، ولكن بالشعر
اشتهر ، شهرته به الدواعي والبواعث ، وقديماً كان الشعر أسير من النشر،
والشعر يتلحه الخاصة والعامّة ، والنشر لا يقدره قدره الا
الخاصة .

(١) الملحمة ومقدمتها في ديوانه ج ٣ ص ٥٠ وما بعدها مطلعها :
ذلك الشعب الذي اتاه نصراً هو بالسبب من نبيرون احرى

ومن أبياتها (١) :

إن روما جعلت نبيونها

وهو شر القوم مما كان شراً
بلغته الملك عفواً فيغنى

كسل ملك جاء عفواً راح هدرا
يقدر الشيء معاني كبه

فإذا ما هان كسباً هان خيراً
عاش فيها مستبداً مسرفاً

دأب الإجرام عفواً مضرراً
وهو لا ينحها من باله

غيرهم الخطر المكسوب قسراً (٢)
ليس في تشنيعه من بدعة

إن للخامل عند الذكر ثأراً
لا ولا في ظلمته من عجب

إن للظالم عند العدل وتراً
خاب من خال النصاري هلكوا

حين راح الموت فيهم مستحراً (٣)
فالسدي أولاده الفسك بهم

أنهم قتل غدواً بالقتل كثيراً
ثم أضحى ملك روما ملكهم

ومولاهم على الأجر جراً

(١) ديوانه ج ٣ ص ٦٩

(٢) الخطر : الشرف، قسراً : باللعب بالتمار .

(٣) مستحراً : مشنداً .

هكذا الفكرة من أرقها
 كنت ثم علت وثباً فطقتراً
 من يلم نيرون إني لائم
 أمة لو كهرته (١) ارتد كهرها
 أمة لو ناهضه ساعة
 لاتهى عنها وشيكاً واثبجراً (٢)
 فاز بالأولى عليها وله
 دونها معذرة التاريخ أخرى
 كل قوم خالقو نيرونهم

قصر قيل له أم قيل كسرى
 وقال في وصف الرسول عليه الصلاة والسلام من قصيدة (٣) :
 ما أثمرت هجرة الهادي لأمته
 من صالحات أعدتها لتخليد
 وسودتها على الدنيا بأجمعها .
 طوال ما خلقت فيها بتسويد
 بدا وللشرك أشياح توطده
 في كل مسرح بادٍ كل توطيد
 والجاهليون لا يترضون خالقهم
 إلا كعبد لهم في شكل معبود

(١) كهرته : عبث له وانتهرته .

(٢) اثبجر : ارتدع وتراجع .

(٣) ديوانه ج ٢ ص ٢٦ وما بعدها ومظلمها :

هل الهلال فحيوا طالع العيد حيا البشير بتحقيق المواعيد

مؤلمون عليهم من صناعتهم

بعض المعادن أو بعض الجلاميد
 مستكبرون أباة الضيم غر حججى

تقال بطش لدان كالأماليد (١)
 لا ينزل الرأي منهم في تفرقهم

إلا منازل تشتيت وتبديد
 ولا يضم دعاء من أو ابدهم

إلا كما صيح في عفر عباديد (٢)
 ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا

لدى لواء على الأهواء معقود
 بأي حلم مبيد الجهل عن ثقة

وأي عزم مذل القادة الصيد
 أعاد ذاك القسى الأمي أمته

شلاً جميعاً من العفر الأماجيد
 لتلك تالية الفرقان في عجب

بل آية الله إذ يبغي بتأكيد
 صعبان راضهما : توحيد معشرهم

وأخذهم بعد إشرارك بتوحيد
 وزاد في الأرض تهيداً لدعوتهم

بمهد للسيحين والهود
 وبدئه الحكم بالشورى يتم به

ما شاءه الله عن عدل وعن جود

(١) لدان : جمع لدن وهو اللين ، والاماليد : جمع املود وهو الفصن اللين .

(٢) العفر : ج اعفر وهو الظبي ، عباديد : متفرقة .

ذكريني مقلوئتي وأعيدي

رسم عهد عن أعيني متوار
مستطاب الخالين صفواً وشجواً

مستحب في النفع والإضرار
يوم أمشي على الظلول السواحي

لا افترار فيهن إلا افتراري (١)
نزقاً بينهن غيراً لعويماً

لاهيأ عن تبصر واعتبار
مستقللاً عظيمها مستحقاً

ما بها من مهابة ووقار (٢)
خرباً حارت البرية فيها

فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبار

لأناس ملء الزمان كبار
ألبستها الشسوس تفويف درجاً

وعقيق على رداء ثغار
وتحلت من الليالي بشاماً

تكتنيط عبري في بهار
وسقاها الندى رشاش دموع

شربتها غوامس الأنوار
زادها الشيب حرمة وجلالاً

توجتها به يد الأعصار

(١) الافترار: الابتسام.

(٢) بعده ١٢ بيتاً لم ترد هنا.

هذا هو الحق والإجماع أيده

فن يفنده أولى بتفيد (١)

أي مسلمي «مصر» إن الجيد دينكم

وبس ما قيل: شعب غير مجدود (٢)

طال التقاعس والأعوام عاجلة

والعام ليس إذا ولتى برردود

هبتوا إلى عمل يجدي البلاد فما

يفيدها قائل: يا أمي سودي

ومن قصيدة يصف قلعة بعلبك (٣):

هم فجر الحياة بالإدبار

فإذا مرّ فمي في الآثار

والعبا كالكرى نعيم ولكن

ينقضي والفتى به غير داري

ينعم المرء عيشه في صباح

فإذا بان عاش بالتذكار

إيه آثار « بعلبك » سلام

بعد طول النوى وبعد المزار

ووقيت العفاء من عرصات

مقويات أو اهل بالفخار (٤)

(١) التفيد: التخطئة والتكذيب.

(٢) مجدود: محظوظ.

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه ج ١ ص ٩٧.

(٤) عرصات: ديار، مقويات: خاليات من السكان، واقوى

المكان: خلا.

ضمها كلها بديع نظام
دق حصى كأنها في انتشار
في مقام للحسن يعبد بعد ١١
مقل فيه والعقل بعد الباري
منتهى ما يجاد رسماً وأبهي
ما تحج القلوب في الأنظار (١)

★ ★ ★

تمت القصيدة تقع في ١٥ بيتاً .

رب شيب أتم حناً وأولسى
واهن العزم صولة الجبار
معبد للاسرار قام ولكن
صنعه كان اعظم الاسرار
مثل القوم كل شيء عجيب
فيه تشيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثراً ينج
نى ولكن بالعقل والأبصار
وضروباً من كل زهر أتيق
لم تقها نضارة الأزهار
وشواً مضيئة وشعاعاً
باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيات
خالصات العدو والإبكار
في جنان معلقة زواج
بصنوف النجوم والأنوار
وأسوداً يخشى التحفز منها
وبروع السكوت كالتزار
عابسات الوجوه غير غضاب
باديات الأنياب غير ضوار
في عرائنها دخان مثار
وبالعاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في
كل آن روائع الزوار

الاستبداد والمستبدين والتنبيه على فساد الإدارة العثمانية .

دام ينقد ما كان في وسعه نقده من أعمال الأعمال (١) حتى اضطر الى الهجرة الى مصر في حدود سنة ١٣١٠ هـ ، وقد ورث من عته حصة في وقف أهلي في مصر ، وكان أبوه يدد ثروته بالسفاهة ، ولم يبق له ولشقيقه الا ما لا يبال له (٢) ، فحسنت حاله بعض الشيء ، وانقطع الى العلم والكتابة ، واختلف الى مجالس الاستاذ الإمام محمد عبده وبعض جماعته النبهاء أمثال قاسم قاسم (٣) وحسن عاصم وفتحي زغلول وكثير من أساتذة دار العلوم أمثال عبد العزيز جاويش ومحمد المهدي .

وكان من مؤسسي جمعية « الشورى العثمانية » الحرة ، وقد أصدرت جريدة تركية فتولى انشاء القسم العربي منها ، ومن هنا اتصل بجماعة حزب الاتحاد والترقي حتى صار موضع ثقهم . ولما نشب الخلاف بين الجمعية وأحرار العرب كان القيد في جانب العرب وناهض الجمعية وكشف عن مساوئها .

وحدث به وطنيته الصادقة أن يساهم في معظم ما يعتقد أنه يؤدي الى استقلال العرب أو ينيلهم بعض حقوقهم في ظل الهلال العثماني . وأتفق من وقته وماله في هذه السبيل جانباً لا يستهان به .

وكتب رسائل ومقالات كثيرة في الإصلاح، وخطب في الموضوعات،

- (١) لعل المراد (من أعمال العمال)
- (٢) والده محمود بن خليل العظم ، شاعر ، نشأ في نعمة وترف ، واضاع ثروته وتصوف ، وكان ولوعاً بالصناعات اليدوية . له مصنغات وديوان شعر (الاعلام ٤٥/٨)
- (٣) كذا في الاصل ، ولعل المراد قاسم أمين .

- ٢٠ -

رفيق العظم *

١٢٨٤ - ١٣٤٣ هـ

١٨٦٧ - ١٩٢٥ م

ولد في دمشق في حدود سنة ١٢٨٠ هـ ونشأ نشأة أبناء الأعيان الذين يهيئون أنفسهم للدخول في خدمة الحكومة ، واتصل بعالمين عظيمين : طاهر الجزائري وسليم البخاري (١) فأخذ عنهما ما استتار به عقله وخرجه للتزول في مضار الجهاد لبث الأفكار الصحيحة وإنكار الظلم . وأخذ يكتب فصولاً في الإصلاح وفي مسائل وطنية ينشرها في الجرائد والمجلات، ويقترض الشعر في أغراض . سرت اليه الشاعرية من والده محمود العظم . وسحب بعض أحرار الترك النازلين في بلده فأفاد منه روحاً جديداً وتلقح فكره بأراء حرة ، ومن أيسرها مقاومة

* ترجمته في الاعلام ٥٦/٢ ومعجم المؤلفين ج ٤/١٧٠ حلية البشر ج ٢/٦-١٠ ، قدماء ومعاصرون : ١٦٦ وانظر مقدمة الكتاب الذي جمع آثاره وعنوانه «مجموعة آثار رفيق العظم» بقلم محمد رشيد رضا ، ومعجم المطبوعات : ١٣ - ١٣١٣ . (١) تنظر ترجمة طاهر الجزائري ص ٢٦٨ ، اما سليم البخاري فعالم دمشقي ، من طلائع الإصلاح الديني واليقظة الحديثة في سورية ، قرأ علوم الدين واللغة والادب على علماء عصره ، وتولى منصب الافتاء في الفلق الخامس من فيالق الجيش العثماني ، واستمر نحو ربع قرن ، وجاهر بأرائه في الإصلاح الديني والسياسي ، وكان مهيباً وقوراً ، ألف بعض الكتب والرسائل ، وجمع مكتبة حافلة بالمخطوطات النادرة ، وهو من أوائل أعضاء المجمع العلمي بدمشق ، كما تولى منصب رئاسة العلماء ، ثم امتزل معتكفاً الى ان توفي سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م عن ٧٧ سنة (الاعلام ٢٧٦/٣)

بشبه الأفكار باعتدال وبعد نظر، جمع بعضها في كتاب . وأشهر مصنفاته كتاب « أشهر مشاهير الإسلام »^(١) كتب منه أربعة مجلدات راجت وأعيد طبعها إلا أنه لم يتم تأليفه ، وبه استفاضت شهرته في العالم الإسلامي .

ومن مصنفاته كتاب « الدروس الحكيمة للناشئة الإسلامية »^(٢) و « البيان في أسباب التمدن والعمران »^(٣) ، و « البيان في كيفية انتشار الأديان »^(٤) ، و « تنبيه الأفهام الى مطالب الحياة الاجتماعية في الإسلام »^(٥) و « الجامعة الإسلامية وأوروبا »^(٦) الى غير ذلك من الأبحاث التي تدل على بعد غوره في الشؤون الإسلامية^(٧) .

مثل صديقي الرفيق في جميع أدوار حياته الوطنية الصحيحة في نبل خال من كل غرض ، وأوسع صوت أمته في ديار العرب وغيرهم ، وحذر الأتراك عواقب الطغيان ، وحققت الأيام ظنه ، وخدم الجامعة العربية الإسلامية خدمة كان من أول من جالوا فيها معتبطين . وقد عُرف بشه وعزة نفسه وكرمه وصبره وجلده ، وكان عفك القلم واللسان ، لا يذكر من يذكر إلا بالخير ، ويسكت عن المساويء ويكتسها ، وفيه حسن وفاء وجليل عواطف يستميل القلوب ويسترق الأفتدة بحسن معاملته وإخلاصه ، ويسير مع الرقي كيفما سار . تشبع

(١) في الحرب والسياسة .

(٢) طبع .

(٣) رسالة .

(٤) جمع شقيقه عثمان بعد وفاته طائفة من مقالاته في كتاب سماه (مجموعة آثار رفيق العظم) طبع وله أيضا (السوانح الفكرية في المباحث الطبية) ، ومن مآثره اهداؤه الى المجمع العلمي العربي بدمشق خزانة كتبه ، وهي نحو الف مجلد ، وتوفي بالقاهرة .

بروح التاريخ واستخراج عبره الماضية للاقتناع بها في العصر الحاضر . ويتغنى أبداً بسجد رجال الإسلام ، ويكي على ما صار اليه أهله من التدني بفعل الملوك وعلساء السوء ، وخص بشعور عال ، وشارك أمته في خطوبها منذ صدر الإسلام الى يوم الناس هذا . ولم يترك باباً يعتقد فيه اصلاحها الا ولجه ، وما بالي المصاعب . ولا تخلى عن استعمال كل قوة تنهض بها الا حرص على تحقيقها .

كتب الي من القاهرة يوم ٥ ذي القعدة ١٣٢٢ يقول : « وبودي أن لا توزع قواك التي وهبت لك في أجزاء مشورة وفصول مبتورة ، وأن توجه نفسك الى تأليف كبير يكون لك ذخراً وللأمة نافعاً ، وأفضل ما يحتاجه قومك الآن التاريخ لا سيما تاريخ الأندلس ، فإذا رأيت نفسك في متسع من الوقت وارتياح لطرق هذا الباب فامض في هذه الوجهة ، وأعد لهذا العمل الشاق عدته من كتب إفرنجية وعربية وفهارس للعلوم من كل الخزائن الأوربية لتقف على ما كتبه الغربيون بشأن تلك المملكة الإسلامية ، اذ ما كتبه مؤرخونا لا يكفي لهذا الغرض ، والمطول من تاريخ الأندلس مفقود ، والمختصر مقتضب مبتور محترف الأسماء معمي الأخبار . مثاله : اذا قرأنا في تواريخنا خبر غزوة عبد الرحمن الغافقي^(١) في بلاد فرنسا نقرأ بخبر هذه الغزوة التي لو تم بها الفتح لقلب كيان العالم ، أسطراً قليلة مؤداها أن ذلك الفاتح الكبير غزا بلاد الإفرنج وقتل^(٢) الطاغية ، لكن ما هي البلاد ؟ وأين موقعها ؟ وما اتساعها ؟ ومن كان يحكمها ؟ ومن ذلك الطاغية ؟ كل هذا مفقود من تواريخنا وموجود في تواريخ الغربيين . فاذا ضمنا

(١) غير واضحة في الاصل .

(٢) الاصل : وقتله .

هذه الى تلك ، ومابقنا (١) بين صوابهم وخطئنا ، وخطئهم وصوابنا
أخذنا تاريخاً جامعاً نافعاً لتلك المملكة التي كاد يأتي الزمان على
تاريخها كما أتى على أهلها ودولها ...»

- ٢١ -

سعيد الشرتوني *

١٢٦٥ - ١٢٢٠ هـ

١٨٤٩ - ١٩١٢ م

ولد المعلم سعيد الشرتوني - والمعلم لقباً غلب عليه لأنه علم
ودرس كثيراً - في « شرتون » من قرى الجرد في شوف لبنان . وبدأ
بتعلم القراءة والكتابة وهو في الثالثة عشرة عقب حادثة غريبة وقعت
له . ذلك أنه شاهد فتاة في قرينته متسلقة على شجرة تين ، فرشقها
بحجر فدعرت وزلت قدمها فسقطت على الأرض وماتت على الأثر ،
فخاف مما جرى وهام على وجهه في الجبال حتى وصل الى عيبة ،
فشق عليه المرسلون الأميركيان وأدخلوه في مدرستهم ، فمكث فيها
عامين (١٨٦٢) ، ومنها انتقل الى مدرسة « سوق الغرب » الإنكليزية ،
ودرس مبادئ العربية والانجليزية وقضى خمس سنين معلماً في « عين
تراز » ، ومنها انتقل الى التعليم في دمشق ، فدرس فيها حتى سنة ١٨٧٥
واخذ خلال مقامه الفقه الحنفي عن أكبر فقهاء عصره العلامة عبد العلي (١)

★ ★ ★

* ترجمته في الاعلام ١٥١/٣ ومعجم المطبوعات ١١١٢ . وهو
سعيد بن عبد الله بن ميخائيل بن الياس بن الخوري شاهين
الرامي ، ومعجم المؤلفين ٢٢٦/٤ وتاريخ آداب اللغة العربية
لزيدان ٢٤١/٤ ، تاريخ الصحافة العربية ج ١٥٤/٢ .
(١) هو عبد النبي بن طالب بن حمادة بن ابراهيم الفيني دمشقي
الميداني (١٨٠٧ - ١٨٨١) م من فقهاء الحنفية بدمشق ،
نسبته الى محلة الميدان ، له « الباب » في الفقه ورسائل في
الصرف والتوحيد (الاعلام : ١٥٩/٤) ومعجم المؤلفين ٢٧٤/٥

(١) الاصل : طبقنا .

الغيسي الميداني ، تلميذ سيد الفقهاء المتأخرين العلامة السيد محمد عابدين صاحب الحاشية (١) ، وكان يقصد من درس فقه أبي حنيفة أن يعود الى لبنان ويتولى القضاء فيه ، وكانت الشريعة نافذة الأحكام ، ولا سبيل الى تفوق القضاة في افضيتهم الا بالبراعة فيها .

ومن دمشق انتقل مترجمنا الى بيروت فدرس في كلية الآباء اليسوعيين خمس عشرة سنة ، ثم درس في مدارس أخرى في بيروت ، منها البطريركية الكاثوليكية ، ومدرسة الحكمة المارونية ، وتولى تصحيح مطبوعات اليسوعيين اثنتين وعشرين سنة ، وفي غضون ذلك عهدوا اليه تأليف معجم عربي مرتباً على طريقة تسهل بها المراجعة فألف كتاب « أقرب الموارد » في جزأين ضخين ، وأتبعهما بذييل استدرك فيه ما فاتهما .

والشرتوني مدين بشهرته لأقرب الموارد . وله من التصانيف « حدائق المنثور والمنظوم » ، و « السهم الصائب في تخطيطه غنية الطالب (٢) » ، و « الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب » ، و « مطالع الأضواء في مناهج الكتاب والشعراء » ، و « المعين في صناعة الإنشاء » و « نجدة اليراع » وغير ذلك (٣) .

(١) هو محمد امين بن عمر بن عبد العزيز عابدين ، فقيه الديار الشامية ، وامام الحنفية في عهده ، مولده ووفاته بدمشق ، والحاشية المذكورة هي كتابه (رد المختار على الدر المختار) وهو في فروع الفقه الحنفي ، وله كتب اخرى غيره كثيرة ، توفي سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م (الاعلام ٦/٢٦٧)

(٢) غنية الطالب ومنية الراغب كتاب في الصرف والنحو وحروف المعاني ل احمد فارس الشدياق (١٢١٩ - ١٣٠٤ هـ) = (١٨٠٤ - ١٨٨٧ م)

(٣) وله ايضا : الفصن الرطيب

ترجم له الأستاذ رشيد عطية في « المقتطف » وما قال فيه : « انه كان بحائنه مدققا فيما يجمعه ويعلقه على الحواشي ، بيد انه تحدى في الجزأين الأولين من معجمه « أقرب الموارد » قاموس « محيط المحيط » فلم يزد على ما جاء فيه ، ولا أصلح ما بدر من الهفوات في شرح بعض الألفاظ ، بل أثبتنا على علاقتها ، لم يغير فيها حرفاً . فكان في ذلك مقلداً أكثر منه مؤلفاً مدققاً . ولكن حسناته في الجزء الثالث الذي ساه ذيلاً لأقرب الموارد ترجح على سيئاته في الجزأين الأولين ، فإنه استقصى فيه شوارد اللغة . ولم يدع أبداً (١) الاقيدها ، ولا شاردة الا ردها اليه . فبلغ في ذلك غاية ليس وراءها مذهب لطالب ، ولا مضرب لرائد »

« قال : ولو كان له حظ وافٍ من لغة اجنبية او لغة شرقية سامية غير العربية لكانت مؤلفاته اتم فائدة . ولكنه اكب على العربية وخصها ببحثه ولم يشأ أن يشرك معها لغة اخرى . وكان فوق ذلك كثير المحفوظ ، قوي الذاكرة بعيد النسيان ، لا يقرأ شيئاً الا يعيه على ظهر قلبه . وهذا ما اعانه على التفوق في اللغة العربية ، وجعله قوي الحججة ، سريع الاستشهاد في كتابته وحديثه » .

« وحكم على إنشائه فقال : « انه يتحرى فيه طريقتين : احداها سهلة المأخذ ، واضحة المنهج ، رقيقة الألفاظ ، والثانية صعبة المرتقى ، خشنة المركب . أما الاولى فكان يلجأ اليها في تأليفه ، وأما الثانية فكانت لغة المناظرة وما شاكلها يعمد اليها في مساجلة نظرائه وفي مقدمات مؤلفاته . وقال : إنه قضى أعواماً طويلاً يزاول حرفة التعليم ، فلم

(١) ج اوابد وهي : الدواهي وغرائب الكلام والقوافي الشرد ، وما ينفر منه وهو مجاز .

يبلغ فيها الحد المطلوب ، ولا برع في التدريس كما برع في اللغة
والإنشاء والتأليف . فكان يلقي على تلاميذه بلغة لا يفهمونها ، ولا
تنطبق على درجة أفهامهم ، فيضيع الطالب بين إسهاب في الشرح ووفرة
الاستشهاد . وما كان شاعرا نظم أبياتا قليلة دلت على أن صناعة
الشعر لم تلس له قيادها » .

وقال في وصف أخلاقه : « إن بعضهم كان يزعم أنه لم يكن
جيل الرعاية ، ولا وفياً بالعهد . أما أنا فقد خالته ^(١) وخبرته فوجدته
كما وجده كثيرون من المنصفين وثيق الذمة ، حافظاً للعهد ، صحيح
الدخلة ، مأمون الضير . إذا أبرم ميثاقاً مع شخص احتفظ به وأحكم
عراه ، وإذا انقلب الزمان فبات الصديق معادياً له قابله بالحلم . ويقال
على وجه الإجمال : إنه كان عفيف النفس ، شريف المقاصد حريصاً
على صداقة أصحابه حرمه على ارضاع اللغة العربية ، متمسكاً بعرا
الدين ، طيب القلب ، وقلبه أصقى من مرآة الحسناء » .

قال ، وقد فجمه الدهر بسوت فتاتين له كانت لهما شهرة في
الأدب فحزن عليها حزناً شديداً ، وجمع ما كتبته في سفر سماه
« نحة الوردتين » قرأه بعض العلماء والشعراء . وكان فقد ابنتيه
ما عجل به ، وأصبح لا يستطيع الكتابة والتأليف ، واعتزل الناس في
بيت ابتاعه في قرية الشياح من ضواحي بيروت ، وقلما كان يخرج منه
حتى وافاه أجله .

صادفته مرة في ساحة البرج في بيروت يتأبط كتاباً ، فسأته عما

(١) خاله : اتخذه خيلاً ، والخل : الصديق .

معه قال : أما سمعت الضجة القائمة هذه الأيام بدعوى أن الفقه
الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني لا من الكتاب والسنة والإجماع
والقياس ؟ فقلت له : سمعت ذلك ، فقال : إني أنوي أن أدفع هذه
الفرية عن الفقه ، ولا يتيسر لي ذلك الا اذا رجعت الى الفقه الروماني
نفسه وعارضته بالفقه الحنفي ، ولما كانت لغتي الفرنسية ضعيفة أحببت
أن أقومها لأتمكن من نقل قانون يوستينيانوس من الفرنسية الى
العربية ثم أقابل بين مواده وبين فقهاءنا . فأنا منذ أشهر اشتغل بإحكام
اللغة الفرنسية . وبعد حين نشر في مجلة « المقتطف » سلسلة مقالات
دفع فيها عن الفقه الإسلامي ما افتراه المتحذلقون عليه ، وكانه يعمل
هذا كافاً شيخه العلامة العنسي على تلقيه فقه الإسلام في زمن كان
غيره من فقهاء دمشق يأبون أن يعلوه إياه جهلاً وتعصباً .

وسألني عن سبب زيارتي بيروت فأجبت : أي سمعت أن عند
أحد الأدباء نسخة من « دائرة المعارف » الفرنسية ويريد بيعها ، فأثيت
أحمل خمسين ديناراً عثمانياً لأبتاعها ، فقال : إني ناصح لك ، اصرف
النظر عن ابتياعها ، واشتر بهذا المبلغ نصف فدان أرض في بلدك فهو
أعود عليك من الكتب ، ولظالماً صرفنا فيها دراهمنا وما أت بالثمرة
التي كنا نتوقعها منها . ولما عدت الى بلدي قصصت على صديقه
وأستاذي الشيخ طاهر الجزائري صورة الحديث الذي دار بيني وبين
المعلم سعيد فقال : كان عليك أن ترد عليه نصيحتته وتقول له : أنت
لولا الكتب هل كنت تقبض ألف دينار عثمانى لتأليف معجم صرفت في
تصنيفه أشهراً ؟ وهل كان لك في المصرف هذا المال الذي جنيت من
التعليم والكتب ؟ أما أنا فأحسن ظني بالعلم ، وما أظن نصيحتته الا
صادرة عن سذاجة هي سذاجة أكثر العلماء .

خدم الشرتوني اللغة العربية خدمة عظيمة ، ولقنها تلاميذه في

سليمان البستاني *

١٢٧٢ - ١٢٤٢ هـ

١٨٥٦ - ١٩٢٥ م

بيت البستاني في لبنان بيت علم وأدب، جاء منهم العالم والكاتب والطبيب والمحامي ورجل الدين، ومن نوابغهم سليمان هذا. ولد في بكستين على مقربة من قرية الدبّية في إقليم الخروب من عمل الشوف، وفي سن السابعة دخل المدرسة الوطنية لمؤسساها قريه المعلم بطرس البستاني، ففضى فيها ثماني سنين، وبعد اتمام الدراسة انضم الى معلمي مدرسته، فمارس التعليم فيها زمناً، وهو يكتب في صحف نسيبه «الجنان» و«الجنة» و«الجنينة»، ثم عاونه في انشاء «دائرة المعارف»، وانتظم في سلك جمعياته «زهرة الآداب» ورأسها مرتين. ودعاها قاسم الزهير من أعيان البصرة لإنشاء مدرسة وجريدة في بلده فلبى الطلب، وكان في الحادية والعشرين من عمره، وأنشأ في البصرة أول مطبعة وأول جريدة، ثم انصرف الى الأعمال التجارية، وقضى في العراق ثماني سنين، زار خلالها بلاد العرب والعجم والهند، وجمع معلومات مفيدة عن قبائل العرب وعاداتهم، وإحصاء نفوسهم وشعرهم، وقال ان عرب الصليب «الصلبية» النازلين بين بادية الشام والعراق هم من نسل الصليبيين أوغلوا في البادية بعد

* ترجمته في الاعلام ١٨٥/٢، معجم المؤلفين ٢٦٠/٤، تاريخ الصحافة ١٥٩/٢ والاعلام الشرقية ٨٤/١، رواد النهضة الحديثة: ١٣١، تاريخ الادب العربي للفاخوري: ١١٠٥

كل مدرسة تولى فيها التدريس، فتخرج به كتاب وأدباء ذاقوا لغة العرب، وساروا بسيرته في تلقينها ونشرها، فهو وان لم يأخذ اللغة عن إمام مشهور، ولا دخل مدرسة عالية، قد اتكل في احكامها على نفسه، وجارى أقطابها الذين نشروها في لبنان وأحسنوا نشرها أمثال بطرس البستاني وناصيف اليازجي ونجليه ابراهيم و خليل، و ابراهيم الحوراني ويوسف الأسير، و ابراهيم الأحذب، وأحمد عباس، وعبد الله البستاني وأصراهم. ورأينا كتبه تنتشر في الأقطار العربية لحسن تنسيقها وسهولة الأخذ منها، وجمال طبعها وإخراجها، وهي جديرة بهذا الرواج.

وكان طيب السريرة، مخلصاً في عمله، دؤوباً عليه، وكفاه منسقة أنه عاد فأحكم دراسة الفرنسية، وما كانت سنه أقل من ستين سنة ليرد على أعداء مدينة الإسلام. وأي همة أعظم من هذه الهمة، وأي غرام في نصرة الحق أكبر من هذا الغرام؟

سرف وكده - رحمه الله - في خدمة الأدب العربي، وجرى على طريقة معاصره بالجمع في كتابته بين المرسل والمسجوع، ونشر في المجلات العربية ما اعتقد فائدته في نشر هذه اللغة التي استولى حجبها على أعصابه وشرايينه. ولئن خلت كتاباته من أفكار جديدة فما قصرت في تربية ملكة العربية في أبناء هذه اللغة.



الحروب الصليبية وتعربوا وبقيت في عاداتهم وأخلاقهم خصائص تنبئها
بأصلهم ، ومنها سحناتهم وبياض بشراتهم وزرقة عيونهم •

ومساقله في مقالة له في الصليب نشرتها مجلة « المقتطف » :
« إننا اذا خرجنا من دمشق الشام الى عرب عنزة والرولة ، وضربنا في
البادية حتى اتصلنا الى شر الجبل وانعطفنا يميناً الى العجمان ،
وتوغلنا في البر حتى بلغنا الضفير ومطير ، وسرنا من الرقتين شمالاً
الى أن أدركنا المنتفق على الفرات ، وعبرنا دجلة الى بين كنانة وربيعة ،
وانعطفنا شرقاً وجنوباً الى بني أسد وبني لأم حتى اتصلنا الى كعب
في بلاد العجم لما رأينا اختلافاً في أخلاقهم فوق ما نرى بين أهالي
بيروت واحدى قرى لبنان ، وكان في البداوة سرّاً ليس في الحضارة ،
فإن الطبيعة قد قضت على الحضارة بالتقلب والتخلق وعلى البدو بالثبات
على حالة واحدة • »

وفارق البستاني العراق راجعاً الى بيروت يؤازر في « دائرة
المعارف » للبستاني ، ثم شخص الى الأستانة ، وتعرف الى ساسة تلك
الأيام وعاشروهم وصاحبهم ، ثم عاد الى بغداد ثانية ، وقضى فيها مدة ،
ثم قفل راجعاً الى الأستانة فسكث فيها سبع سنين ، وجاء مصر يضارب
بالأراضي . قال أحد أصحابه إنه ملّ من الأدب وطمعت نفسه أن يغني ،
فضارب وغامر فخر ماله • ومع هذا ما كان يغفل العناية بالعلم ، ومن
ذلك انصرافه أعواماً الى تعريب الياذة هوميروس من اليونانية ،
ولإحكام الترجمة درس اللغة اليونانية القديمة واليونانية الحديثة
واستعان بترجمات الانكليزية والفرنسية والاطالية • عربها شعراً في
أحد عشر ألف بيت ، وقدم لها مقدمة عظيمة في مائتي صفحة دلت على
علو كعبه في أدب العرب والإفرنج ، وكانت أطروحة تنطق بطول نفسه
في البحث والتنقيب •

ولما ظهرت الإلياذة صفق لعمله عشاق التجدد وأكبروه ونوهوا
به ، قال فريق ممن يقدرّون الأمور بما ينجم من نفعها : « ان الفائدة
من الإلياذة لا توازي التعب في نقلها وصرف المؤلف الوقت الطويل في
تأليفها ، ولو نقلها ثراً لكان يرجى أن تفهم • » وروى البستاني في
مقدمة الإلياذة أن العلامة السيد جمال الدين الأفغاني رأس النهضة
العربية قال له بحضر الأدباء : « إنه ليسرنا جداً أن تنقل اليوم ما كان
يجب على العرب أن يفعلوه قبل ألف عام ونيف ، وبأجدا لو أن الأدباء
الذين جمعهم المأمون بادروا بادىء ذي بدء الى نقل الإلياذة ولو
ألجأهم ذلك الى اهسال نقل الفلسفة اليونانية برمتها • » ونرى أن هذا
الرأي أشبه بأراء من يتشوقون لنشر ما ضته خزائن الكتب من
المخطوطات القديمة من دون أن يطالعوها ، ككتب التصوف والفلسفة ،
حتى اذا ظهرت ألفوها أقل ما كانوا يتصورون ورأوا الا شغ منها في
دين ولا دنيا • يقول أفاتول فرانس الأديب المشهور : « إن الإلياذة
شعر الطفولة ، وهي مع هذا أجل شعر يتلى • وأصفى الشعر شعر
الشعوب في طفولتها • والشعوب كالبلبل يغني ما دخل السرور في
قلبه ، فإذا شاخ أصبح على جانب من الرزانة والمعرفة والهم • »

ها قد ترجمت الإلياذة ، ونشرت بعدها « الشاهنامه » بحللتها
العربية ، فهل أجدتا على الأدب ما ارتفع به درجة عما كان عليه ، وما
كان من نشرها إلا اشباع شهوة أنصار الغرائب والمبهات • أما نحن
فقد رأينا مع طائفة من العارفين أن مقدمة الإلياذة أكثر فائدة من
الإلياذة نفسها ، فهي كتاب أدب جامع بأسلوب رقيق وبحث دقيق •
قالوا : إن مقدمات الكتب هي الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب • ونحن
نقول : إن مقدمة الإلياذة هي الجزء الذي يقرأ منها فيخرج قارئها
بزبدة نفعه وتفيده •

انتخب سليمان البستاني سنة ١٩٠٨ نائبا عن بيروت في مجلس النواب العثماني ، وأبان في مهته الجديدة عن اقتدار وحسن سياسة وعناية بما ينفع العرب ويستعمل بحقوقهم في دولة الترك ، ومنها ألا يوظف في ديارهم تركي لا يعرف العربية ، وله غير ذلك من المطالب التي يتوخى منها مصلحة أمته ، وتحقيقها لا يضر بالدولة . كان سفير خير وصلة وثام بين الدولة العثمانية ودول أوروبا . وقد أقنع ساسة العرب أن الدستور لا يتناقض الاسلام إذا فهم على حقيقته . وكان شأنه في دار الملك أن يقرب بين قلوب الترك والعرب ، ويفهمهم أن لا سلامة لهم إلا بالتآلف والتعاطف ، وانتدبه الدولة في مهمات سياسية الى أوروبا غير مرة ، فقام بحق السفارة أحسن قيام ، ثم عين عضواً في مجلس الأعيان . وفي سنة ١٩١٣ أسندت اليه وزارة التجارة والزراعة فأبان عن كفاءة وعلم وأنه رجل عمليات لا يعاب بالنظريات كثيراً .

ولما قرر حزب الاتحاد والترقي صاحب الأكثرية المطلقة يومئذ في مجلس النواب إشراك الدولة في الحرب مع ألمانيا ، بين لسانه الترك فساد رأيهم ، واذ لم يسمع لنصحه استقال من الوزارة ، وانقلب الى سويسرا فأقام بها خمس سنين . وفي مصر لقيته واختلطت به وصادقته وأحبيته وقد تمت أدواته وتجلت أخلاقه وما فطر عليه من الأناة والاعتدال^(١) . وكان يحدثني بما شاهده من الغرائب في رحلاته الطويلة ، واستفدت منه فوائد عن جزيرة العرب والعراق وغيرها قل أن كتب لغيره معرفتها . وذكر لي أنه زار الرقتين المشهورتين بتغزل شعراء العرب بها . وقال لي إنه اجتمع الى كثير من أكراد أهل بلد جدي « السليمانية » وأثنى على ما هم عليه من النظافة ،

(١) وتوفي بشيويورك ونقل جثمانه الى مسقط رأسه .

وعلى حرصهم على عاداتهم وأخلاقهم ، وعجب أن رأى جمهورهم تغلب عليهم معرفة الرياضيات .

ومما نسب اليه ايجاده وضع أسلوب الاختزال (ستينوغرافيا) بالعربية ، كتب فيها مبحثاً في دائرة معارف البستاني . واخترع أداة لقلب أوراق النوطة على البيان وغيره وابتدع في الشعر « المثني » وذلك ببناء القصيدة على قافية يرجع اليها في كل بيتين مرة وعروض البيت الثاني فيه مطلقة من القافية على ما اصطاح عليه المتأخرون في « الرباعي » الذي سوه « الدوييت الأعرج » وله قصائد وأبيات مفردة كثيرة ، وشعره لا بأس به . ومن تأليفه « المطول في تاريخ العرب » ورحلاته في الأقطار العربية وغيرها . وأملى بالانكليزية مفكراته في ألف صفحة ، ولم يطبع له شيء من كل هذا ، وكتب مقالات وأبحاثاً في كثير من المجالات العربية وفي الصحف الفرنسية والانكليزية ، وألف الثلاثة الأجزاء الأخيرة من دائرة المعارف البستانية .

كان عارفاً بلغات كثيرة ، يحسن العربية والسريانية والفارسية والتركية ، ويكتب الإنكليزية والفرنسية كتابة جيدة ، وكان يلهم بالألمانية والإيطالية واللاتينية والعبرية واليونانية القديمة واليونانية الحديثة ، ساعده على تعلم كل هذا جودة ذاكرته وحافظته وكثرة تنقله في الشرق والغرب ، فكان شأنه في هذا المعنى شأن بعض علماء المشرقيات من الغربيين ، يتقنون لغتهم ويدرسون عدة لغات معها بالقدر الذي يصعب منها ويعينهم على البحث والدرس ، والرجوع الى ما كتب فيها من ضروب المعارف والآداب ، فصح أن يوصف العلامة البستاني بأنه وحده « دائرة معارف » أي مَعْلَمَةٌ تامة .

كان صاحب هذه الترجمة طول حياته يدرس ويؤلف حيث نزل وينفع قومه بعلمه ودرسه . وكان لا يتوقف عن الأخذ من كل ما

يسقط عليه من فنون المعارف ، ودام في مدرسة العالم يعد نفسه
تليذاً حتى وافاه أجله . وبارك الله له بأيام عمره فقضاها في النفع
والخير بزينه الصدق والجد .

ومن شعره :

شؤون ذوي الشأن مرعية
ولو أغلت الأرض نذالها
وللسر ما كسبت نفسه
فإما عليها وإما لها
ولا يعرف الفضل إلا ذووه
فلا تبخس الناس أعمالها

وله تعريب معنى فارسي :

قضيت إلهي بالعذاب ويا ترى
بأي مكان بالعذاب تدين ؟
فليس عذاب حيث أنت كائن
وأى مكان فيه لست تكون ؟

ومن قوله :

نظرت إلى جبل الأمانى فخلت
مئيلي الذي ما ناله أحد قبلي (١)
تناولته بالراحتين إذا به
تبسك بالكفين وانقطع الجبل (٢)

★ ★ ★

(١) قبلي : لعلها (قبل) بضم اللام .

(٢) تبسك : انقطع .

- ٢٣ -

شبلبي شميلي *

نحو ١٢٦٩ - ١٢٣٥ هـ

نحو ١٨٥٠ - ١٩١٧ م

ولد شبلبي شميلي في كفر شيبا من قرى ساحل بيروت . كان
أبوه أديباً وشقيقاه ملحم وأمين من أرباب الأقلام المثقفين ، ودرس
الفرنسية واتقنها حتى أصبح يعد من كتابها المجيدين ، وعانى الأدب
ونظم الشعر منذ عهد الصبا ، ثم دخل الجامعة الأميركية في بيروت
ودرس الطب فنال شهادته سنة ١٨٧١ بتفوق عظيم ، وقضى في أوروبا
سنة خصها بالدرس ، ثم هبط مصر وصرف فيها عمره (١) كله وفيها
ظهر فضل عبقرته .

كان يجري في معالجة مرضاه ووصف الأدوية لهم حسب القواعد
المقررة ، وما أخذ بالمحتلات ، ولا استهوته المكتشفات الجديدة ...
كان نابعة في التعليل ، المعياً في اكتشاف الحقائق ، وكان من مشاهير
الأطباء في التشخيص الطبي كأنما يوحى إليه وبلغت منه القراءة أن
علل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتي قبل أن شاع هذا التعليل في

* ترجمته في الاعلام ٢٢٧/٢ وولادته فيه سنة ١٨٥٣ م . وانظر
تاريخ الصحافة العربية : ٧٤/٢ ورواد النهضة الحديثة :
١٩٨ ومعجم المطبوعات : ١١٤٤ ، اسم والده ابراهيم ، وفي
معجم المؤلفين ج ٢٩٤/٤ وولادته سنة ١٢٧٦ هـ ، ١٨٦٠ م ،
ووفاته موافقة للتاريخ المذكور أعلاه .
(١) توفي بالقاهرة فجأة .

المعاصرون م-١٦

- ٢٤١ -

- ٢٤٠ -

أوريا . . . وخص بذاكرة ماضية وقوة استحضر فائقة ، فلم يكن يندر أن يقول لك إنني كتبت منذ ثلاثين سنة مقالة قلت فيها كذا وكذا ، ويسرد لك صفحة أو أكثر غيباً . أو نظمت قصيدة قلت فيها الأبيات التالية ، ويسرد لك عشرين بيتاً أو أكثر .

« وكان أنيس المحضر ، حسن المحاضرة ، فكه الحديث ، فات الستين واشتد عليه الربو (١) وبقي بشوشاً طلق المحيا ، ويتعشقه خلاته وأصدقائه وكل الذين عاشروه لما يرونه من حسن الطوية وإخلاص الحب والإنصاف والاتصاف ، ولا سيما لشجاعته الأدبية المفرطة ، فلم يكن يخشى أن يقول للظالم يا ظالم ، ولو ملكاً ، ومع عزته على الظالمين المتعطسين كان من أودع الناس مع الضعفاء والمساكين » .

« تقرأ كتاباته فتظنه مادياً من غلاة الماديين ، وهو في الحقيقة من غلاة الروحيين . حتى كان يعتقد بالسعد والنحس ، وحاول مرة أن يجد قانوناً للصادفة ، ولو جمع إلى مهارته في علم الطب شيئاً من المهارة في اكتساب المال من التطبيب لعاش في سعة وتوفي عن ثروة طائلة » .

كان واسع الرواية ، قوي الحجج ، ولا سيما إذا كان بين قوم يدركون معانيه ، وكان الموضوع يتطلب الحماسة ، فإنه كان يتدفق كالسيل حتى يدهش منه سامعوه ، ولو كانوا من كبار الأطباء » .

« كان طبيباً وجراحاً ومولداً ، ويسارس فروع الطب العملي ، أي الطب الباطني ، وطب العين والأذن والأنف والحلق والجلد ، ويعمل العمليات الجراحية على أنواعها ، ونشر بعض الكتب الطبية القديمة

(١) مرض يصيب الصدر .

كفصول بقرات وأرجوزة ابن سينا وشرحها ، وأثنا أكبر مجلة طبية باللغة العربية ، وهي مجلة « الشفاء » وكان يحررها كلها » .

« واشتغل بذهب النشوء ، وترجم كتاباً مفصلاً فيه ، وهو شرح « بخنر » على مذهب دارون (١) ، ثم توسع في هذا الموضوع وطبقه على كل ما في الكون ، حاسباً إياه وسيلة لغاية سامية ، وهي اصلاح حال المجتمع الإنساني . ولو أتيح له أن يخدم بلاده في منصب لأدخل فيه إصلاحات كثيرة ، صحية وقضائية وتعليمية واجتماعية ، لأن مذهب النشوء لا ينحصر في تفسير تولد أنواع الحيوان والنبات بعضها من بعض ، بل يتناول تولد الأخلاق والشرائع والقوانين وكل أعمال البشر » .

« وكانت مزيته الكبرى التنديد بالظالمين وبالمصائب على أنواعها ، والمجاهرة بما يعتقدُه حقاً ولو خالف به جميع الناس ، سواء كان في العلميات أو الأدبيات أو الاجتماعيات . قلبه ولسانه في ذلك سبان . وطالما حبر المقالات السياسية ونشرها في « البصير » و « المقطم » و « المؤيد » وغيرها من الجرائد السيارة ينتقد بها معاب الحكام بما لا مزيد عليه من الصراحة . وقد عاش عيشة الاجتاع الذي تمناه فكم آسى فقيراً بلا أجر ولا شكر ، وكم تناول الدرهم من الغني ليعطيه للفقير ، وكم حث على إنشاء مستشفى للفقراء وبذل في ذلك وقته الثمين » .

هذا بعض ما قاله فيه تربيته العلامة يعقوب صرّوف ، لاجرم أنه كان من نوابغ العلماء الأحرار . دعا إلى ما اعتقد فيه النفع ،

(١) هو الدكتور الألماني لويس بخنر ، وقد طبع

وعمل لخير الجعاعة ، وخدم العلم والفكر والصحة والأخلاق . وأكد لي بعض عارفيه أنه كان من عادته إذا زار مريضاً ورآه على حالة رثة من الفقر الشديد لا يعتم أن يدفع إليه بضعة جنيهات ليبتاع بها طعاماً مغذياً ، ثم يرسل له سريراً وفراشاً ولحافاً ومقعداً وما يلزم غرفته من الأواني ، ويداويه ويدفع له ثمن الدواء مدة ترضه .

كان مرماه من طبه خدمة الإنسانية دون النظر الى ما يجنيه منه، فهو من الأفاضال الذين عظمت الفائدة منهم .

قال لي العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وأنا أودعه لأغادر القاهرة الى دمشق : قل لي من عرفت من رجال مصر . فذكرت له أسماء بعض من تعرفت اليهم، فقال : أما زرت الدكتور شميل؟ فقلت: لم يسعدني الحظ بزيارته . فقال : إن لم تجتمع اليه فكأنك لم تر مصر ، فهو أعظم دماغ أخرجته سورية ، فبادرت الى زيارته فقرأ علي ساعة التفتنا لائحة بالفرنسية كتبها حديثاً ، وضمنها رأيه في إصلاح الدولة العثمانية ، وقد أجاد في عرض أفكاره ، وإبان أنه آية في فهم أمراض الدولة ووصف دوائها ، وأنه طبيب أرواح واشفاح⁽¹⁾ . واتصلت به اتصالاً وثيقاً بعد جلسة التعارف، آخذ عنه وأعجب بصفاته العر .

يلقب الناس الدكتور شميل بالفيلسوف ، وما كان يرضى عن هذا اللقب . قال : « وأنا أقدر أن اتكلم في آرائي الدينية والاجتماعية والعلمية ، ولا أقول الفلسفية ، لأنني لا أحب أن أعنى كثيراً بالفلسفة إلا ما كان منها من قبيل الاستقراء العلمي فقط ، ولما تجرأ اليه

(1) المشفح : المحروم .

غالباً من السفسطة البالغة إذا شردت عن العلم . بل أنا أكره جداً الانتساب اليها . . . فأرائي الدينية والاجتماعية والعلمية ليست غريبة عن العلم اليوم وهي ليست من الآراء الفلسفية التي يتسع مجال التخريج فيها لكل مفكر مقيد بقيد علمي . بل هي نتيجة لازمة لأبحاث علمية خارجة من معمل الطبيعي وداخله في موقف الكيساوي ، وواقعة تحت مشراط الجراح ، ولا سبيل للخروج عنها إلا بالوقوع في الغريب ، ولا يجوز أن ترمى بالغرابية الا اذا جاز أن تكون الأحكام الاجتهادية أصدق من الدليل الاختباري ، والنظر المجرد أصدق من الحس » .

قال : « إنني لم أتعمد في مباحثي نفي الأديان لغرض في النفس ، ولم أتفها بكلام ألقيته جزافاً ، ورأي فلسفي خاص او مقتبس كما يتوهم أكثر الذين يسعون بي ولم يقرأوا مني شيئاً . . . التزمت جانب العلم . . . وأريد بالعلم العلم الطبيعي القليل الانتشار اليوم ، لا علم الجدول النظري الذي يستطيع أن يطره كل مفكر ، بل أنا أكره جداً كل بحث مبني على النظر المجرد . وفي اعتقادي أن وقوف العمران متباطئاً في السير ، متباطئاً في الارتقاء ومتقهراً أحياناً كثيرة ، سببه الأكبر أن أكثر علومه حتى اليوم علوم مجردة ، ولطالما صرفته في الماضي عن القريب منه الى البعيد عنه . أليس من الغريب أن يكون الإنسان قد خبر غير المنظور ، وبحث في المساوات العلى وقاسها بالشبر ، وعرف طوائف الجن ، وعدد الملائكة والأبالسة قبل أن يتعرف أديم الطبقة الاولى من الارض التي تطؤها قدمه كل يوم ؟ والتي هي منشأ غذائه ومنبت كسائه ومنبع مائه ، والتي هي مهده ، والتي هي لحدده » .

« أنا لم أنظر الى الأديان نظر المستخف ، بل بحث فيها كما

بحث في كل ما يتعلق بالإنسان على أنه كائن طبيعي تقلب على أطوار مختلفة في نشوئه . ولاطن أنه يوجد بين المؤمنين أنفسهم من هم اشد إعظاماً مني لواضي الأديان، وأنا اعتبرهم من أكبر رجال الإصلاح . . ان اليوم الذي ينصرف فيه الإنسان عن تنسيق الكلام الى اتقان العمل هو اليوم الذي تتقوم فيه طباعه ، فتقل سخافته ، ويكثر جدوه ويقل رياؤه ، وينشط من الذل ، ويرتقي ارتقاء حقيقياً ، ويحق له أن يعد نفسه إنساناً » .

والى الدكتور شميل يعزى نشر مذهب النشوء والارتقاء في الشرق العربي ، وقد وصف هذا المذهب فقال : « والحق أن فضل دارون العظيم الذي ليس في فكرة وضع أساس هذا المذهب ، بل بتأييده له بالادلة العلمية الطبيعية ، وجعله صالحاً لأن يطبق لاعلى الأحياء وحدها بل لأن يشل الطبيعة كلها ، لا في الأرض ومواليدها : الجماد والنبات والحيوان فقط ، بل في السماء وأجرامها أيضاً »

ولم يرض أرباب الأديان عن خطة شميل في نقله مذهب داروين ، وجاراهم في إنكارهم عليه جماعة المقلدين أدعياء العلم ، أما هو فقد ثبت وما حاد عن اتزانه ، وما توقف عن نشر دعوته بالحكمة وطرق الإقناع . وظل الى آخر أيامه يبت أفكاره بمختلف أساليب النشر . كتب في ذلك كثيراً في الصحف والمجلات وفي رسائل وكتب . ومما نشره رسالة « المعاطس » على نسق « رسالة الغفران » للسعدي ، و « شكوى وآمال » ومجموعة مقالاته . ونقل الى العربية كتاب « الأهوية والمياه والبلدان » لأبقراط .

كان ينظم الشعر في أغراض اجتماعية وفلسفية . وشعره دون ثره ، وحاول نشر مذهب التحول في الشعر العربي ، كما نشر مذهب التحول في الأحياء ، أي صرف الشعر عن الاساليب المتبعة من الغزل

والنسيب والإغراق في المدح والثناء والبكاء على المنازل والأطلال الى وصف الطبيعة وما فيها، وتجريد المعاني من المكتشفات العلمية والمخترعات العصرية التي غيرت وجه الأرض وأحوال سكانها ، ونظم في هذه المعاني قصائد ومقاطيع .

وهو خطيب وصاحب بديهة ، ويزين بيانه صحة برهانه وصدق لهجته وتسله مذهبه كل التسل . ولما أعلن القانون الأساسي في السلطنة العثمانية كنا جماعة من أهل حلقة جد فرحين ، وهللنا للانقلاب الجديد فقال لنا : كان عليكم يا أصحابي أن تحزنوا والا تعدوا هذه الثورة خيراً لنا فإنها ما خرجت عن الترقيع في جسم هذه الدولة ، والترقيع المؤقت لا يفيدنا ، وهي المريضة والأمل منقطع من شفائها وكان مصيباً في رأي وتدبر .

كان الحكيم شميل صورة رائعة لعالم مؤمن بعلمه ، متفان في بته والعمل به ، كان فرداً في طبقته قل أن نشأ للعرب في العهد الأخير رجل مثله في رجاحة العقل ، وغريب العلم ، وساحة الخلق ، وعظم النفس ، اللهم إلا الإمامين العظيمين : طاهر الجزائري ومحمد عبده . ما صانع ولا اتقى ولا تسفل ولا تذلل ، وكان ظاهره صورة من باطنه ، وما جعل للمال والمظاهر منزلاً من نفسه . وكان همه نشر دعوته العلمية والاجتماعية . لا لذة له بغير قول الحق ونشر النكد ، وعمل الخير وتخفيف الآلام . كان صدره طاقة أزهار جمع فيه آخر ما أبدع العلماء وما هدته اليه قريحته ودرسه . رحمه الله . ولو قدر للشرق القريب أن يكثر فيه أمثال شميل بعلمه ودؤوبه وإخلاصه لغيروا وجه حضارته ، وقضوا على خرافاته وضلالاته ، ولصانوا الأديان عما يحط من مقامها ، ويضع الفائدة المرجوة من تعاليمها النافعة .

شكيب أرسلان *

١٢٨٦ - ١٢٦٦ هـ

١٨٦٩ - ١٩٤٧ م

جاء الأرسلايون الشام ، ويتصل نسب بني أرسلان بالمنذر بن النعمان المعروف بأبي قابوس^(١) . جاء جداهم الشام في أول دولة الأمويين وتصرفوا إليهم .

ولد شكيب في الشويفات^(٢) سنة ١٨٦٩ ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن على شيخ من أهل قرنته ، ثم دخل مدرسة الأميركان في حاره العروسية ، وأخذ فيها مبادئ اللغة الانكليزية . وبعد ذلك دفعه أهله الى مدرسة الحكمة المارونية في بيروت ، ونال

* ترجمته في الاعلام ٢/٢٥١ . ومعجم المؤلفين ٤/٢٠٤ و ١٣/٣٩٣ ، في الادب الحديث ٢/٢١٦ ومجلة المجمع العلمي بدمشق ٤/٢٧٥ ، ٥/٣٥ ، ٢٩٣ ، ٧/٥٤٩ ، ٩/٦٥ ، ١٧٨ ، ١٠/٤٣٩ ، ورواد النهضة الحديثة لمارون عبود : ١١ ، رواد القومية العربية : ١٥٧ ، تاريخ الشعر العربي الحديث : ٨٧ ، والف في سيرته كل من عارف النكدي ومحمد علي الحوماني وهو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان ، من سلالة التتوخيين ملوك الحيرة ، وينعت بأبمير البيان ، ومن اعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلين .

(١) أول المناذرة ملوك الحيرة والعراق (تنحو ١٥٤ ق.هـ - ٤٧٣م) والنعمان ابنه ، أبو قابوس ، من اشهر ملوك الحيرة ، وهو مددوح النابغة الديباني . وقد توفي نحو ١٥٠ ق.هـ ، ٦٠٨ م

(٢) بلدة في لبنان قرب (عاليه) تشرف على البحر .

شهاداتها سنة ١٨٨٦ . وقد اتقن فيها العربية والفرنسية ، وتخرج بإمام اللغة الشيخ عبد الله البستاني ، وكان هذا كثيراً ما يقول : إن شكيباً أنبع تلاميذي . ثم انتقل الى المدرسة السلطانية ، فاتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وكان استاذاً فيها مدة نقيه من مصر ، فلازمه وأفاد منه ، وفي الكهولة درس التركية ثم الالمانية ، وتولى في لبنان بعض الأعمال الإدارية في شبابه^(١) ، ثم عين نائباً عن جبل الدروز في مجلس النواب العشاني ، ولما فصلت الولايات العربية عن الدولة العثمانية رحل الى اوربا ، وأقام فيها نحو خمس وعشرين سنة حتى آخر سنة من حياته .

نظم شكيب الشعر وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ، وظهر نبوغه في الكتابة فبدأ يرسل جريدة الأهرام المصرية بتوقيع « ش » وظل على ذلك سنين فاستفاض شهرته ، وكان دؤوباً على العمل حتى آخر أيامه ، لا يحس الملل .

وأصيب وهو في سويسرا بمرض في عينه فاتخذ كاتباً يلبي عليه أفكاره ورسائله حتى آذن الله بالشفاء . وما يلاحظ أن كتاباته عدل مطالعاته متنوعة كثيرة ، وكان في الموضوعات السياسية المقرد العلم ، وفي الاطلاع على آداب العرب وتاريخهم وتاريخ الغرب الحجة الثبت ، يستشهد بالوقائع ويبيها كأنها ما مر به الساعة ، أو كأنه لا يعرف من علوم البشر غيرها ، حاضر الذهن ، قوي البديهة ، وقلبه أبداً مطواع لقريحته الفياضة .

(١) منها منصب قائم مقام (مدير منطقة) الشوف مدة ثلاث سنوات .

دارت سياسته طول حياته على خدمة الإسلام والعرب ، وكان يحاسن العثمانيين ويناضل عن دولتهم ، وما كان يصانع في دعوته ، بل يجامل مجاملة قد تضطره إليها حالة يتصورها . ولك أن تقول انها مداراة ومداورة . غضب على أحد اصحابه لطعنه في نسب صاحب الحجاز طعناً بذيئاً مختلفاً ، وعاد قطع له كتاباً حمل آراءه السقيمة . ويقدر ما كان يكتب في تقرير من لا يستحقون التقرير كان يجيد عندما يكتب من دون مؤثر ، كما وقع له عندما كتب مقدمة كتاب « نقد الأدب الجاهلي » للعلامة محمد أحمد الغمراوي (١) . وله أشياء تعد عليه من هذا القبيل ، تتجلى فيها طريقة السياسيين ، وربما ما كان الداعي الى الوقوع فيها غير سلامة صدره ، وتحسين الظن في الخلق ، أما خطته في جهاده السياسي فلم يتغيرها بتبدل محسوس ، اللهم الا ما دعت اليه سياسة الزمن ، وأي سياسي لم يغير سياسته طول عمره ؟ .

أذاق الفرنسيين والبريطانيين من رشاشات يراعه بالعريية والفرنسية ما عرض به نفسه لاضطهادهم وعداوتهم . وحمل على الاستعمار والمستعمرين حملات معقولة . ولو جوز مهادتهم لكسوه الخبز والديباج وأغرقوه بالمال والمظاهر .

ومن أجل هذه الخطة كان المستعمرون يضررون له أشد العداوة ، ويتابعهم أذئابهم في الشرق ، ويتحينون الفرص لإسقاطه . وكان خصوم سياسته ينالون منه ، ويقلبون ، لرداءتهم ، حسناته سيئات . وهو الذي تتجلى فيه أخلاق المسلم البار في عامة حالاته ، وتبدو أريحيته مع من يعرف ومن لا يعرف . يبادر الى اغائة الملهوف ،

(١) الذي الفه للرد على كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي)
وعنوان كتاب الغمراوي (النقد التحليلي)

لا يفرق بين أهل المذاهب المختلفة ، وكان في الحرب العالمية الاولى يحسي أهل وطنه من اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ، يحسيهم وهو أمير من أمراء الدرروز . مسلم " جماعي لا غبار عليه . واتهموه بأنه صانع موسوليني ملك ايطاليا ، وما كان ذلك منه الا ليرقق قلبه على مسلمي طرابلس وبرقة ، وبذلك أعاد ثمانين ألفاً منهم الى اوطانهم بعد أن شرّدوا عنها منذ الحرب العثمانية الايطالية .

كتب لي مرة « وبيننا نحن على أهبة العمل في كتاب الاندلس ، إذ جاءتنا التزيرية المعهودة ، فأخذت من وقتنا شهرين وزيادة ، لاعمل لنا فيها الا تحرير المقالات ، والدفاع [عن] (١) أنفسنا في شيء نحن نعلم وأعداؤنا يعلمون هم أنفسهم أننا براء منه . وقد أحصيت ما كتبت من مقالات وكتب خصوصية في هذا الموضوع فبلغ التسعين وخمسائة صفحة ، أي لو لم أقع في هذا الاقتراء الذي افتراه علي من لا يخشى الله ، ولا يستحي من عباد الله لكنت أتست جزأين وثلاثة من كتاب الأندلس » .

وقد تناول معاونات مالية من بعض ملوك العرب وأمرائهم . ومنها ما كان مقداره ذا شأن في الجيلة ، ومنها ما كان تافهاً ، على أنها كلها لم تكفه ، وهو يجاهر وينشر آراءه . وباع بعض ما يملك في سورية ولبنان من أرض وعقار وأفقته في الغرب . ومع هذا أضاق (٢) أكثر أيامه .

اقترحت على الدولة المنتدبة وأنا في وزارة المعارف أن أنزل له

(١) هذه الكلمة ساقطة من الاصل .

(٢) أضاق الرجل : ذهب ماله .

عن رئاسة المجمع العلمي العربي فلم تقبل مقترحي ، وأراد المجمع أن يئيب الأمير عنه في مؤتمر المستشرقين في هولاندة فسا وافقت فرنسا أيضاً وفي العهد الوطني أرادت الحكومة أن توسد إليه رئاسة المجمع فسميت ليحز أكرية الأصوات ، وعينه الحكومة ، وكان على أن يخصص الى دمشق لتسلم هذا العمل ، فأعلنت الحرب العامة ، ونادت فرنسا بأن مصلحتها أن تحكم سورية مباشرة فرجع الأمير من مصر ، ولم يتول هذا المنصب ، وهو أقل ما يعهد به إليه بعد طول جهاده .

رزق الأمير حظوة كبيرة في العالم الإسلامي ، وأكثر الشعوب تبيلاً له واعجاباً بجهاده الشعوب المبتلاة بالاستعمار من أبناء الشرق والغرب ، داب على نجدتها وكشف كربتتها وتخفيف آلامها . وكان يضع جانباً من وقته في مراجعة المراجعين والمستفتين والمستجدين فيصدر عن مروءة ووفاء . وما فتىء أرباب الصحف الى آخر أيامه يطلبون إليه أن يؤازر صحفهم ، وهو يستحي أن يرد لهم طلباً ، وقل أن قصر في الإجابة على سؤال يوجه إليه ، لأنه أميل الى أن يرضي كل الناس ، كان شهرته في المعاصرين من أرباب السياسة تقتضيه هذا السن العالي ، وهو اضاءة وقته للنظر في شؤون كل من يلمس منه غرضاً .

طلبت إليه مرة أن يجمع مقالاته التي تصلح للانتفاع بها في المستقبل ، وأن يطبعها في كتاب برأسه ، وأن يؤازر مجلة المجمع العلمي العربي ، فأجابني من لوزان (٩ مارس ١٩٣٠) بما يأتي : « وأنا ما أشرت به من الكتابة في مجلة المجمع العلمي فواجب ، وإن لم نكتب فيها فأين نكتب ؟ ولكن يا أخي أصبحت من هذه الكتابة في خطب وأي خطب . كلنا قرأ الناس لي مقالات في الجرائد انهالوا عليء بالافتراحت ، ولا أبالغ لك إذا قلت : ان الجرائد والمجلات التي

تبغيني أن أكتبها ترسد على أربعين ٠٠٠ ومن الغريب أن هؤلاء السائلين هم يعرفون ما الكتابة ، ولا يخفى عنهم أن المقالات لا يوحى بها وحيًا ، ولا يقال لها كوني فتكون ٠٠٠ وأنا مضى علي ٤٤ سنة وأنا أحرك قلبي وأكتب الى الجرائد مجاناً ، لا ابتغي جزاء ولا شكوراً ، وأدفع أجرة البريد من كيسي ، فلو حسبت لائن وقتي بل أجر البرد من ٤٠ سنة الى اليوم لكنت مبلغاً لا يستخف به ، فأنا أسامح بكل ما تعبت وكل ما أتفتت من ذهني وغيوني ومالي ، وأنا أستطر دموع شفقتهم أن ينظروا الى رجل وطىء ساحة الستين ، وصار محتاجاً الى الراحة وتشيرون بأن نجس ما كتبناه أو شيئاً ما كتبناه ، وهو أمر يحك في صدري دائماً ، فهل عندنا الوقت اللازم لذلك؟ اني أريد أن أجمع كل ما كتبته ، إنه يسأل أجداداً وأجدادا ، ومن يقرأ هذا كله ؟ ومن يؤدي كلف طبع كل هذا ؟ ولكنني أفكر في اتقاء الأحسن وجمعه ، واعادة النظر عليه ، وتصحيح شيء ، وحذف شيء ، وإضافة شيء ، يسير إن وجد ضرورياً . وهذا كله يستلزم وقتاً . فأما طبع كل ما خطه بنائي فغير مستطاع ، لأنه مفقود منه الشيء الكثير ، والمحفوظ منه أزيد مما يلزم ، فإني في أوربا منذ اثنتي عشرة سنة ، وفي الشهر الواحد من هذه المدة كنت أحرر لا أقل من ١٠ مقالات في الشهر ، ففي السنة ١٢٠ مقالة فني الاثنتي عشرة سنة ١٤٤٠ مقالة فإذا جعلت كل مقالة ٣ صفحات من قطع هذا المكتوب ، فهذه فوق أربعة آلاف صفحة ، أي ثمانية مجلدات كبار وهذا عن ١٢ سنة . وقبل ذلك عشت أكثر من ثلاثين سنة وأنا أكتب ، فلا يقل المحصول في هذه الثلاثين سنة عن محصول الاثنتي عشرة سنة الأخيرة ، فهذه عشرة آلاف صفحة بالأقل (١) . كلا هذا

(١) كتب بما يماثل هذا الى صديقه هاشم الاناسي عام ١٩٣٥ وهو انه احصى ما كتبه ذلك العام فبلغ ١٧٨١ رسالة خاصة و ١٧٦ مقالة في الجرائد و ١١٠٠ صفحة كتب (الاعلام ٢/٢٥١)

لن أقدر على طبعه ، وهذا كله ذهب في الجرائد الطائفة ، وهذا كله
أهقت فيه جوهر حياتي ، وكفنته بأجرة « البوسطة » (١) من كيسي ،
وأجره على الله » .

وكتب الأمير بعد سنتين أنه اتخذ بكل ما يكتبه سجلاً يومياً
يذكر فيه كل ما يكتبه من مكتوب خصوصي ، أو مقالة أو غير ذلك .
وعندما انتهت سنة ١٩٣٢ جمع متوج القلم هذا العام فبلغ (١١٥٣)
مكتوباً خصوصياً ، و (١٠٨) مقالات ، وقصيدة واحدة ، ونحواً
من ألف صفحة من علاوات على « حاضر العالم الإسلامي » ، وصفحات
أخرى لم يحصها بعد من كتب أخرى . قال : « وكانت المقالات السنوية
تبلغ المثني والمكتوبات الخصوصية تبلغ في السنة الألفين ، وقد كان
يسكن أن تكون المقالات أكثر من هذا القدر بكثير . وكذلك ما أزعجه
من التأليف . لولا كثرة المكاتيب أو المكتوبات المتواردة من جميع
العالم الإسلامي . فهذه المراسلات الخاصة تأخذ أكثر وقتي ، ولا
متدوحة لي عن الجواب ، لأنني أعد رد الجواب كرد السلام ، وأرى
عدم الرد نقصاً في المروءة . وإني أتألم من ضياع الوقت في كثير من
الرسائل الخصوصية التي خس أو ست منها فقط تأتي على النهار كله .

هكذا اقتضت أخلاق مترجمنا أن يضيع أوقاته في إجابة رغائب
الصحافيين المستجدين والمراسلين والفضوليين ، ولظالم رجوته أن
يخفف من هذه السخرات التي تعوقه عن اتسام مؤلفاته النافعة . أما
هو فكان يهون عليه غنط حق نفسه ، يرضي من لا يرضيهم إلا الوصول
إلى فائدة منه يستفيدونها هم ولو بإمراضه وإفلاسه ، ولذلك جاءت
تأليفه أقل مما كان يرجى من عالم كاتب فياض مثله . يكتب في شهر
ما لا يكتبه غيره في سنين مع الإجابة في أكثر ما يخط يراعه .

(١) المراد البريد .

وزع قواه على أشياء لم يرحمه في الحصول عليها راحم ، وأهمل
كتبه مضطراً ، وهو سيذكر في العصور الآتية ، ومنها ما لم يوفق إلى
إنجازه ، مع شدة الحاجة إليه ، لا أقول إن الفوضى كانت آخذة
بأعماله ، فهو مثال التنظيم ، ولكنه حُبب إليه استئالة القلوب ، وجبر
الخواطر ، والاستكثار من الأنصار والأحباب فخر وقته ، وخسرت
الآداب بعض ثقاته .

ويتصرف على مجاملته لأرباب الصحافة مجاملته لبعض المؤلفين ،
ومنها مصانعة في تفریط بعض كتب المعاصرين ، وهي لا تستحق
التنويه ، لأنها منقولة من الكتب وليس فيها رأي للمؤلف . وبذلك
أضعف أيضاً من مكاتبه الأدبية أو كاد . والعلم أشرف من أن يسخ
جماله في إرضاء من يتطلبون الإشادة بهم بالباطل .

ومن أنفع تأليفه تعليقاته على كتاب « حاضر العالم الإسلامي »
المنقول عن الانكليزية بقلم الأستاذ عجاج نويهض . وكان الأجدر بهذه
التعليق المفيدة أن تطبع في كتاب برأسه ، فإن فيها أموراً من أخبار العالم
الإسلامي صست عن ذكرها أكثر الكتب المتداولة .

ومنها « الحلل السندية في الأخبار والآثار الأندلسية » وهو
تاريخ شامل للأندلس ، طبع منه مجلدان ، وهو في ثمانية مجلدات و
« محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي » الأصل لزين
الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب ، صدره بمقدمة وعلق
عليه (١) .

(١) ذكر الزركلي في ترجمة الامام الاوزاعي (الاعلام ١/١٤٤) ان
مؤلفه مجهول وقال : لعنه لصالح بن يحيى

ومن المطبوع « الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف »
وهي قصة رحلته الى الحجاز . والجزء الاول من « رسائل الصابي » ،
و « الدرّة اليتية لابن المقفع » . وما ترجمه عن الفرنسية « أناطول
فرانس في مبادله » .

وآلف : « غزوات العرب في فرنسا وشالي ايطالية وفي سويسرة » .
كتب لي بصدده ما يأتي : « وأما غزوات العرب في أوروبا فهو كتاب لم
يؤلف بالعربية مثله في بابيه ، وقد توخيت أن أترجم فيه كتاب المستشرق
الإفرنسي رينو ، وأعززه بتاريخ الماني وتواريخ ايطالية حتى تزداد
ثقة القراء ، ويعلموا أنني نقلت من علماء الإفرنج ، ولم أكتب من عندي ،
لأن العادة اليوم عند ناشئة العرب أن لا يعولوا إلا على ما جاء في كتب
الأوربيين . وعلى هذا فقد أوردت في هذا الموضوع بعض الروايات
العربية المطابقة للتواريخ الأوربية » .

وله رواية « آخر بني سراج » شعها بملخص تاريخ الأندلس .
و « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » وهو من كتبه المتعة .

وله مؤلفات أخرى مخطوطة منها : بيوتات العرب في لبنان ،
ومذكراته .

وما نشره : « الباكورة » ديوان شعره الأول ، و « ديوان
الأمير شكيب أرسلان » ، و « السيد رشيد رضا » أو إخوان أربعين
سنة ، و « شوقي » أو صداقة أربعين سنة ، و « تكلمة تاريخ ابن
خلدون » وتعليقاته على كتاب المبتدأ والخبر . و « الروض الشقيق »
ديوان شقيقه الأمير نسيب . و « القول الفصل في رد العامي الى
الأصل » ، والجزء الثاني من « رسائل الصابي » وكتيب عن البلاشفة ،

ورحلته الى ألمانيا أيام الحرب . وهذان الكتابان نشرتا في جريدة
« الجهاد » المصرية ، ولم ينشرا على حدة .

وجميع هذه الكتب والرسائل التي ألفها تكاد تكون دون ما
يُتطلب من رجل عرف هذا الشرق الأقرب وقسماً عظيماً من أوروبا
وأمريركا معرفة ناقبة ، وعرف أكثر البلاد الأوربية ، ولم تبق مدينة منها
إلا دخلها ، وربما بدل المرة الواحدة مراراً ، وقتل أحوالها درساً
واختباراً ، ولم تفته إلا الأصقاع الاسكندنافية في الشمال ، كما قال
عن نفسه .

كانت كتاباته مرسلّة تصدر عن طبع لا تكلف فيه ، وفي بعض
الحالات التي كان يرى أنها أليق بأن تصدر مزدوجة على طريقة
الصابي^(١) والقاضي الفاضل^(٢) ، فكان في هذه الناحية من الأدب
مقلداً ومحافظةً . وكان في الأحيان يعتمد على غريب اللغة ، وتحدثه
نفسه أحياناً بإحياء بعض فصيحها فيقول « حَسَاطَةُ الْجَلْجَلَانِ » بدلا
من سويداء القلب ، و « الإِثْرُ الْعُدْمَلِي » بدلا من القديم . وفي كتابه
« أناطول فرانس في مبادله » وديوان الروض الشقيق وغيرها نموذجات
من هذه الألفاظ الجوشية القليلة الدوران في كتابة البلغاء .

بدأ شكيب يقول الشعر كما بدأ به شعراء عصره ومن كانوا قبل

(١) إبراهيم بن هلال (٢١٢ - ٣٨٤ هـ ، ٩٢٥ - ٩٩٤ م) نابغة
كتاب جيله ، تقلد دواوين الرسائل والمظالم أيام الخليفة
العباسي المطيع لله وغيره ، (الاعلام ١/٧٣)
(٢) عبد الرحيم بن علي اللخمي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ ، ١١٢٥ -
١٢٠٠ م) وزير ومن أئمة الكتاب كان من وزراء صلاح الدين
الايوبي ، ولم يخدم احدا بعده . (الاعلام ٤/١٢١) .

عصره ، أي بالمديح والغزل والثناء ، فلما تعينت مقاصده وأخذته
الكتابات السياسية ندر أن تفيض قريحته بالشعر إلا في المناسبات ، وفي
انشائه نط المترسلين المطبوعين ، وانقلب ينشئ ستين سنة وهو ينفع
بأفكاره ، وهذا قل أن وفق إليه أحد من المعاصرين . وغطت كتابته
على شعره ، وكتابته في الذروة العليا قل أن يدايه فيها أحد من كتّاب
السياسة بهذا الفيض العظيم . وبلغ شعره مئات من القصائد ، وثره
الوفاء والوفاء من الصفحات ، واتهمه بعض خصومه بأنه هجا أحدهم ،
فقال : إنه في حياته كلها لم يهج مخلوقاً ولو هجواً بسيطاً .

وأردته أن ينقد كتابي « الإسلام والحضارة العربية » فقال : انه
لا يتذكر أنه وجد فيه مأخذ حتى ينشرها كما رغبت إليه ، وإذا افترست
له فرصة فقد يعيد النظر عليه ويخبرني ، قال : وعساني أجد محل انتقاد ،
حيث فلا أهادئك ولا أداجيك ، فأما أن أنتقدك لأجل لذة الانتقاد
وحب المعارضة فليس هذا من مشربي .

وقال مرة عندما كادت تنفق سورية مع فرنسا : « ونحن يا أخي
— كما تعلم — لانقاتل ولانقاوم جأ بلذة القتال والعراك ، بل توصلنا
إلى غاياتنا الوطنية ، فإذا لاحت تبشير تؤذن بالوصول ، بصورة جدية
أكيدة ، فليس أقرب منا إلى السلم والسكون ، وكل ما يقال خلاف
ذلك فهو كذب » .

وقال : « إن أحمد نامي كان من أعز أصدقائي ، ووالده كان
يحبني جاً جاً ، فلما رأته متهاكاً على الإمارة بأي وجه كان ، ولو
باهدار حقوق السوريين هفت يدي منه نقضاً باتاً » .

وكتب لي أن ما شرحتوه من جهة خدمة الوطن بطريق التعليم لا
غبار عليه ، بل لو أعطينا استقلالاً أوسع من استقلال فرنسا وانكلترا

وكننا جهلاء فقدناه في أقل من شهر . أشبه بالولد الصغير الذي لو أعطيته
أمضى سلاح لم يحسن استخدامه ، بل ربما أهلك به نفسه . فالعلم
قبل السياسة ، والعلم هو الذي يجر السياسة من أتها ، والعلم
هو القوة التي لا تقف في وجهها دولة عظيمة ولا جيش عرمرم ، والعلم
هو الحياة ، والأمة العاملة هي الأمة الحية . عبثاً يحاول المتغلب أن
يستعبد أمة متعلمة ، كل هذا أسلم معك به ، ولكنني لا أزال أرى
نفسى اضعف من أن أقاوم التيار الوطني الحالي الذي يرى أن البلاد
مهضومة وإن لم تكن بلغت الدرجة التي تبتغيها من العلم والتعليم ،
فهي ليست بالمكان الذي تحاول السلطة المحتلة أن تحصرها فيه .

ثم عرض لما أصابه من آلام الغربة ، ومن بغضه البعد عن
الأوطان التي هواها طبعي والشوق إليها مبرح لي ما لا يعلنه إلا الله ،
ويكفي منه أنني فقدت أخي ، ولم أشاهده ، وأن هناك والدة افكر
فيها كل ساعة . . . فأحب شيء الي أن أتسكن من دخول البلاد
ومشاهدتها ومشاهدة الأهل والأخوان والتراب الذي هو أول تراب
مسّ جلدي ، وأن أستنشق الهواء الذي هو أول نسيم تروحت به
رئتي ، وأكرع الماء الذي هو أول ماء دخل على كبدي . . . »

ضاعت — ويا للأسف — كتابات صاحبنا في الصحف ، ومن الصعب
إيراد نموذجاتها منها .

ومن شعره في حفلة الهلال الأحمر في مصر لجمع الاغانيات لحرب
طرابلس الغرب ، وكان يتولى قيادة متطوعة الدروز فيها (١) :

مواطن إخوان تسلوا من الردى
كؤوساً تساقوها ببلء الحلاقم (٢)

(١) من قصيدة في ديوانه : ١٠٨

(٢) الاصل : نساقبها .

الاسلام . فما قال في ذلك (١) :

فيا وطني لا تترك الحزم لحظة
بعصرٍ أحيطت بالزحام مناهله
وكن يقظاً لا تستم لمكيدة
ولا لكلام يشبه الحق باطله
وكيد" على الأتراك قيل مصوب
ولكن لصيد الآمنين حباله
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه
فكل حديث قد نمته أوائله (٢)
إذا غالت الجئى أخاك فإنه
لقد غالك الأمر الذي هو غائله
ولو لم يفتدنا عبثاً خطب غيرنا
لهان ولكن عندنا من نائله
سيعلم قومي أنني لا أغشهم
ومهما استطل الليل فالصبح واصله

وله في هذا الضرب قصائد حسنة تنادي بوطنيته وبعد نظره في
مصائر الشعوب ، وثبت أنه شيخ في الصناعتين . ومنها قصيدته في
وقعة حطين وبحيرتها وصلاح الدين ، وهي أشبه بلحمة ، ومنها (٣) :

(١) هذه الأبيات هي الأخيرة من قصيدة في ديوانه : ١٠٩ مطلعها :
إذا افتخر الشرق القديم بسيدٍ تميد بذكراه ابتهاجاً محافله
(٢) رواية الديوان : فكل أخير قد نمته أوائله .
(٣) القصيدة المشار إليها وردت في ديوانه ص ١١٣ ومطلعها :
احسن ما فيه يسرح النظر وادر بحيث الأردن يتفجر

دفاعاً عن الأوطان ان دفاعها
لدى كل قوم كان أولى المكارم
تهيهم فيها العدو مهاجماً
فجاء ديب اللص في ليل قاتم
وليتن في إقباله من اهابه
وهل يخدع الإنسان لين الأرقام
فثاروا وما كانت زعائف رومة
من العرب أكفاء الليوث الضراعم
وحسبك منهم كل قوم نتمهم
أرومة قحطان ونبعة هاشم
وكم وقتوا يستصفون عدوهم
وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا
لدى الصارم البتار صدق التراجم
قلم يك مثل السيف كالיום قاضياً
ولا العهد مثل الآن أحلام حالم
أخلاي سوق" للنايا مقامة
تباع حفا فيها غوالي الجماجم
فهل لكم في سوق بر ورحمة
تنالون فيها باقيات المغانم
غياً لظلموم ونصراً لصارخ
وضمداً لمجروح وقوتاً لصائم

ومع أنه كان على يقين أن الدولة العثمانية دب فيها الهرم ، ومن
المتعذر شفاؤه ، كان ينصح للعرب ألا يخرجوا عليها ، حفظاً لبيضة

يا يوم حطين كم حطت من ال
إفرنج شأناً ما كان ينكر
هبوا من الغرب كالجراد فلم
يكن لشرقهم بردهم قدراً
واستفتحوا القدس والبلاد ولم
يعص عليهم بدو ولا حصر
وهددوا المجد الحرام وكم
دعا ملتباً فيه ومعتماً

ومنها :

وقيل دار الاسلام قد حُصرت
وحفّ باقي بلاده الخطر (١)
يوم تلاقى الجمعان والتظت ال
ميجاء حتى كأنها سقر
الشرق والغرب بعد طول وغى
تواقفا والبراز مختصر
فأمطرتهم قيسي جيش صلا
ح الدين نبلاً من دونه المطر
ذاق العدا من سلاف طعنهم
كأساً بغير العنقود تختصر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا
والناس من فوق صبرهم صبروا
ولتوا غلبا يوسف ظهورهم
تأخذ منها فوق الذي تذّر

(١) هذه رواية الديوان . وفي الاصل : خطر .

قاصدة الظهر للفرنج عدت

وقعة قرني حطين مذ ظهروا

كأن علياء حطين مبتداً

وكل فتح من بعده خبر

وكان في بعض السنين (١٣٢٣) نازلاً ضيفاً على ابن عمه الامير
أمين أرسلان في دومة من غوطة دمشق ، فاتهمت بتهمة الطعن في والي
سورية ، وفتشت داري وأخذوا أوراقى ، ثم تبين أنني بريء ما قترفت
به ، فنظم شكيب قصيدته وهو ملثا المزاج ، يصف بها الحال ، وقد
جمع في قوله بين الهزل والجد . بدأها بقوله (١) :

ألا قل لمن في الدجى لم ينم

طلاب المعالي سير الألم

ومن أرقته دواعي الهوى

فدون الذي أرقته الحكم

فكم في الزوايا تخبياً فتى

طريد الكتاب شريد القلم

يرى الأرض ضيقاً كشق اليرا

ع ويهوى على ذا الوجود المدم

(١) ديوانه : ٢٨ بعنوان (حادثة سياسية استحالته فكاهة أدبية)

وكم ذا بجرس من ليلة (١)
 على مثل جسر الغضافي الضرم
 نسي الأديب بها ندحة
 ولو بات يرعى هناك الغنم
 وكم سرور تحت جناح الظلام
 كسر بصدر الأديب انكتم
 يخاف بها حركات الفصون
 ويخشى النسيم إذا ما نسم
 وإن تشد وراقاً في أبكة
 تورقه في صوتها والغم
 وكم بات للنجم يرعى إذا
 أديم السا بالنجوم اتهم
 وطال به الليل حتى غدا
 يظن عود الصباح انحطم
 ومن زعره خال أزه النجو
 م لتهدى إلى مسكه عن أمم
 إذا ما الساك غدا رامحاً (٢)
 توهمه نحوه قد هجم
 ولو لا الدجى لم يتم النجا
 وقد أمكن الظلم لولا الظلم
 وشه در القرى إذ ختمه
 فما بالسهولة يخفى العكم

(١) جرسين قرية من قرى غوطة دمشق الشرقية ، للمؤلف فيها أملاك .

(٢) الديوان : بدا رامحاً .

فجرسین ، زبدین ، والأشعري (١)
 ديارها قذاوى واعتصم
 ونحو « المليحة » رام الخفا
 وكم بالمليحة من متهم (٢)
 ديار أبى أهلها غدره
 وآواه منها الوفا والكرم
 ولا شك رقتوا لأحواله
 طريداً يعاني الجوى والشقم
 ليالي كانون في الأربعين
 ويرد العثيات أغلى الفحم
 بأرض تراها سماء وماء
 ففوق السواقي وتحت الدير
 يجول وقد صار مثل الخيا
 ل ودق فلو لاح لم يتحم
 وفوق الخدود كلون البهار
 وتحت المآقي كلون العكم (٣)
 وفي كل يوم سؤال وبحث
 وأنى تولى وكيف انهزم (٤)

(١) جرسين ، زبدین ، الأشعري ، المليحة : قرى في غوطة دمشق الشرقية .

(٢) تورية لطيفة ، لان المليحة قرية عبد الوهاب الانكليزي ، من نواحي العرب ، وكان من المتهمين في نظر الدولة العثمانية بسياسة تخالف سياستهم ، وصلبته مع من صلبتهم من شبان العرب التساميين في الحرب العامة الاولى (المؤلف) .

(٣) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة يشبه بها البنان المخضوب .

(٤) الديوان : وأين انهزم .

وكم كتبته أعقبت نكبة
 وكم من كلام لقلب كتم^(١)
 ومن بالكتابة أبدى هوى
 فإن الكتابة منه القسم
 فياكرد صبراً على محنة
 فكم محنة شيت من لثم
 وصبراً على ورقات لها
 عيون المعاني يكيين دم
 وواهاً لباقيات زهر غدو
 ت لها جامعا يا أخي من قدم
 أزاهر تسهر في جمعها
 فلاغرو إن فاح عرف قسم
 وما نتم إلا بنشر ذكي
 وطيب يفوق عرار الأكم
 فقولوا لوأش بكرد علي
 نشرت الشاخين حاولت ذم

الى آخر ما قال ووصف به الحال^(٢) :

(١) هذه رواية الديوان . وفي الاصل المخطوط : وكم نكتة .
 (٢) تنمة القصيدة تقع في ثمانية أبيات فقط .

وقد كان في كتبهم بيته^(١)
 بجلق قال وقيل عتم
 فكانت على كتبه غارة
 كغارات عرب الصفا بالنعم^(٢)
 وقالوا ينسى إلى رودس
 وقالوا سيجزي بساقد جرم
 وقالوا يحله أدهم
 برقاة لا تتريح القدم
 وقد قيل « فرآن » من دونه
 وتلك السوم وتلك الحسم^(٣)
 وبعض بجنم عليه قضى
 وبعض بضرب عليه حكم
 و« كرد علي » غدا عبرة
 قسات ومنه الرجاء انصرم
 فياكرد لا تحزنك الخطو
 ب فإن الهموم بقدر الهمم
 ومن رام أن يتعاطى اليبا
 ن توقع أن يتلى بالنعم
 فذي حرفة القول حريفة
 وكم أدركت من لبيب وكم

(١) كبس البيت : داهمه على حين غرة .
 (٢) عرب الصفا مشهورون بالنهب والسلب .
 (٣) هذا البيت لم يرد في ديوانه .

طاهر الجزائري *

١٢٦٨ - ١٢٣٨ هـ

١٨٥٢ - ١٩٢٠ م

هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري * هاجر والده من الجزائر الى دمشق في سنة ١٢٦٣ . وكان من بيت علم وشرف ، وتولى بدمشق قضاء المالكية . دخل طاهر المدرسة الجعفرية الاعدادية ، وتخرج بالاستاذ عبد الرحمن البستاني ، أخذ عنه العربية والفارسية والتركية ، ومبادئ العلوم ، ثم اتصل بعلم عصره الشيخ عبد العني الميداني الغنيسي ، وكان فقيها عارفا بزمانه واسع النظر ، بعيدا عن التعصب والجور ، على قدم السلف الصالح بتقواه وزهده . ودرس الشيخ العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والاثنية . ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتى أتقن العربية والفارسية والتركية ، ونظم بالفارسية كما ينظم بالعربية ، وتعلم الفرنسية ومبادئ السريانية والعبرانية والحشية . وكان يعرف القبائلية البربرية لغة مواطنيه ، ويعنى عناية خاصة بعلاقة اللغة العربية باللغات السامية . وأولع منذ

* ترجمته في الاعلام ٣/٢٢٠ ومعجم المؤلفين ج ٥/٣٥ وانظر كنوز الاجداد ٥/٤٦ ، تراجم اعيان دمشق ١٢٠ والاعلام الشرقية ٢/١١٤ ، معالم واعلام ١/٤٢٣ وانظر محاضرة لمحمد كرد علي عنه في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - المجلد ٨ ص ٥٧٧ - ٥٩٦ و ٦٦٦ - ٦٧٩ ونعاه المجمع في مجلته ، المجلد الاول : ١٧ ، وللشيخ محمد سعيد الباني الدمشقي كتاب عنوانه (تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر) طبع .

صغره باقتناء المخطوطات والدشوت ، فاجتمع له منها مع الزمن مجموعة عظيمة أعانته في مقبل أيامه على الارتفاق من ثمنها وقد تضاعفت أسعارها لما تنافس المستعربون من أهل الغرب في اقتنائها ، ولغرامه بالكتب المطبوعة والمخطوطة ، عرف الجيد وغيره من أصنافها ، وعرف طبقات المؤلفين وتراجم الرجال ، وأماكن المخطوطات والنسخ المتفرقة منها في الخزائن الشرقية والغربية ، ساعده على اتقان ذلك قوة حافظته ، فإنه ما مر خاطره بشيء ونسيه .

تولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية ، وفي سنة ١٢٩٤ دخل في الجمعية الخيرية ، وهي التي استحالت بعد ديوان معارف ، فعين سنة ١٢٨٥ مفتيا عاما على المدارس الابتدائية المنشأة على عهد المصلح مدحت باشا والي سورية ، فاقتضاه ذلك تأليف كتب التدريس للصفوف الابتدائية في جميع الفروع ، وأخذ على نفسه تعليم المعلمين أصول التدريس ، يوجههم أنه يتعلم منهم وهو يعلمهم . وأنشأ في هذه الآثناء دار الكتب الظاهرية (١٢٩٦) ، استعان ببعض المغفورين من العلماء ، فهددته أكلة أوقاف المدارس بالقتل ان لم يكف عن جمع الكتب في مكان واحد ، لانه استولى بسيف الحكومة على جميع ما أبقته أيدي النهب من الكتب المخطوطة ، وكانت مفرقة في عشر مدارس . وبعد مدة أنشأ في القدس خزانة ساهها المكتبة الخالدية ، وهي كتب الشيخ راجب الخالدي ضمت اليها كتب أسرته .

قلت في الترجمة له (١) : « وإنه يندر في المتأخرين من علماء دور الانحطاط الفكري نبوغ رجل مثله . وعى صدره من ضروب

(١) في صدر كتابنا « كنوز الاجداد » ترجمة حافلة لاستاذنا الشيخ طاهر الجزائري (المؤلف)

المعارف ما وعى ، وطبق مناصل الشريعة على علوم المدنية ، فقد كان متضلعا من علوم الشرع وتاريخ الملل والنحل ، منقطع القرين في تاريخ العرب والاسلام وتراجم رجاله ، ومناظرات علمائه وتأليفهم ومراميمهم . كان اماما في علوم الادب واللغة . اذا سأله حل مسألة تظن الشيخ لا يعرف غير هذا العلم ، واذا استرشدته في الوقوف على مظان موضوع تريده اطلعك من ذلك في الحال على ما لا يتيسر لغيره الظفر به بعد الكشف عنه اياما ، وهكذا هو في علوم الشريعة ، ولا سيما التفسير والحديث والاصول . وكان يعرف السياسة ، وما ينبغي لها ، وحالة الغرب واجتماعه ، والشرق وامه وامراضه معرفة اخصائي لا معرفة ثقتة . ولا يكاد جليبه يصدق - اذا انكفاً الشيخ يتكلم في هذه الموضوعات ، خصوصا اذا كان غريبا - ان محدثه شيخ من شيوخ المسلمين ، يعيش في امة قد لا تقيم وزنا لهذه المعارف .

كان لا يقول بالموسيقى والتثيل ، ويتسامح بالتصوير والرسم والنقش ، ويقول : ان اجيال الفرنجة افرطوا في الغرام بالتصوير والتعويل عليه في كل امر فاضعنوا بذلك قوة التفكير والتصوير . ويدعو المسلمين الى تعلم اصول دينهم ، والاحتفاظ بقديساتهم وعاداتهم الحنة ، واخلاقهم القوية ، وان يفتحوا قلوبهم لعلوم الاوائل والاواخر على اختلاف ضروبها . وكان يأخذ بأصح الادلة من الكتاب والسنة ، ويجتهد بعدها . ولظالما اعطى الحق للمعتزلة والاباضية والشيعة في مسائل تفردوا بها وضيقت اهل السنة . ويعطف على الفلسفة او الحكمة القديمة والحكمة الحديثة ، وينحي باللائمة على المتأخرين الذين اوصدوا بابها فأظلمت العقول .

كان ينكر على الظالمين ظلمهم ، ويقبح الظلم وان نال عدوه ،

وينصف الناس من نفسه ، والحكام يخشون سراية افكاره في العامة . وقد اخرجوه من منصبه في تفتيش المدارس ، وعرضوا عليه وظيفة لا يكون له [فيها] (١) اتصال بالناس فأبى . وظل الى آخر ايامه يعيش من بيع كتبه ، ويبيعها الى من يرجو حفظها عندهم وعدم خروجها من القطر . وكم مرة استعان الفقهاء الجامدون على النيل منه بالحكومات ، فكان يصدهم عن ايذائه بنا له من التأثير في اهل الحل والعقد ، فيتشل لهم عقله وضعف عقول المبغضين له . وكان سلاحه علما ، وسلاح خصومه دسائس يحوكونها وتعصبات ينفثونها .

كان يتفنن في بث الافكار الصحيحة في العامة والناشئة ، ويعلم رواد علمه بالعمل في جلسات قليلة حتى يفتح اذهانهم للتعلم بعد الجهل . وكم من جريدة ومجلة وكتاب ورسالة نشرت في مصر والشام بإرشاده .

وكانت ثورته ثورة فكرية ، ويقول : ان هذه الطريق يطول امرها ، ولكن يؤمن فيها العثار ، والسلامة محققة . ولا يكاد يفلت من يده فرصة لارشاد الكبراء اذا شاهد فيهم استعدادا لقبول نصائحه ، وهو منصرف ابدا الى النهوض بالامة ، وتثقيف العقول ، والاشتغال بالجد المجدي . ويحث الابناء على تعلم الصناعات ، ولو كان آباؤهم على شيء من السعة .

قال صديقه العلامة أحمد زكي في برقية ابرقها الى دمشق بالتعزية به : « كنت أرى فيه الاثر الباقي والمثال الحي والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراسة في كل المعارف الاسلامية ، وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتحصيص ، واستشارة

(١) ليست في الاصل .

خيالها و ابراز مفاخرها . هذا الى التفاني في توسيع نطاقها بقبول ما
تجدد عند الامم التي تلت تراث العرب باليمين ، والدعوة الى الاقبال
عليه مضموما الى آثار الابناء ومآثر الاجداد . وهكذا قضى الشيخ
عرا طويلا أولا وثانيا وثالثا في خدمة العلم والدعوة اليه بالقلم
واللسان وبالقدوة الحسنة ، حتى تم له شيء كثير مما أراد بين الانداد
والتلاميذ والمحين والمريدين ، فهم مناط الامل ، وفيهم خير خَلَف .
لذلك يغتبط قاسيون بضم رفته والحنو عليه » .

كان الشيخ عليا في جميع احواله . يصل الى الغاية من اقصر
طرقها ، لا يبالي المصاعب ، يتصدق في سر ، ويتعبد ، ويقوم الصلوات
لاوقاتها ، رقيق الشعور ، يارق للبائسين والمفلوكين ، ويعطف على
الفقراء والمساكين ، غفّ النفس ، عزيزها يصبر على الضيق ، لا يتأفف ،
يؤثر الخسول على الظهور ، وشهرته تتبعه على غير رضاه ، يزهد في
اعتبارات كثيرة ما اصطاح عليه القوم ، لا يبالي الابهة ، ولا يسفّ
الى التجرد . يحافظ على عاداته وأخلاقه ، يتشدد في دينه ، ولم
يتزوج حتى لا يشغل ذهنه بالزوج والولد ، كان يصحب أهل المذاهب
المختلفة ، ويحسن ظنه بأهل الاديان السماوية ، لانهم يؤمنون بالله
واليوم الآخر والبعث والنشور . قضى حياته يكافح الامية ، ويحارب
التعصب ، ويحرص على تعليم اولاد الاغنياء خاصة ، لان عندهم المال
والجاه ، فتحصيل العلم يفيدهم . ويجب أن يتعلم المتعلمون صناعة
أهلهم ويتقنوها ، وكثيرا ما يقول : تعلموا العلم ، وتعلموا معه صناعة
تعيشون بها حتى لا تقفوا على ابواب ارباب السلطان ، تستجدون
الوظائف والجرابات ، فاذا احتاجت الحكومات اليكم أخذتكم

لخدمتها ، واعلموا بالنزاهة والاستقامة ، واخلصوا لها وللإمامة القصد .
وكان جيد الفراسة والحكم على الحوادث ، يشتمز من بعض
أرباب المظاهر فأنبتت^(١) الايام أنه كان على حق في بغضهم وتعامي
مجلسهم ، ويحكم في المسائل السياسية حكما سليما لا يصدر أصح منه
عن أعظم سياسي محنك .

كان معجبا بالمدنية الفرية مطلعا على أسرارها اطلاعا عظيما ،
وأكثر ما يعجب به المدنية الانكلو سكسونية (الانكليز ، والاميركان ،
والالمان ، والسكندنافيين) ويكره الاستعمار وأهله ، ويحذر من
الوقوع في حباله ، ويكره الحكم التركي ويعجب بتربية الاتراك
وتدينهم وتمدثهم ، لا يحقد إلا على من يصدون عن الاخذ بمذاهب
العلم والخروج من ظلمة الهجيرة . لم أسع من فيه كلمة هجر على
طول اتصالي بخدمته في السفر والحضر . ولم أشهده يحسن القبيح
ويقبّح الحسن لهوى في النفس أو مصانعة ورياء .

وكان يحب الرياضة سيرا على قدميه ويسبح ويعوم في النهر
والبحر ، ولا يعنى كثيرا بشيابه عناية بيده وألبسته ما يستغربه
الناس .

سمع يوما من جار له كلمة قاسية في المشايخ ، فأبدل من العبد
العمامة البيضاء شعار الشيوخ بعمامة من الالغاباني على زي التجار ،
حتى لا يعرف ولا يناله شيء من طعن القوم على الفقهاء . وكان متقللا
متقشفا بدون تصنع ولا غلو ، ويدخن كثيرا ويعرف أن الدخان يؤذيه ،
وقد يحمل في عبايه^(٢) وجيوبه شيئا من النقل والسكر والخبز والجبن

(١) الاصل : قشبت .
(٢) جمع (عب) بضم العين : الردن وهو الكم .

وغيرها ما يؤكل ، ويحمل معه موسى ومقصا وإبرأ وخيوطا وغير ذلك ما قد يلزمه وهو بعيد عن بيته ، ويرى كل ذلك فرجا له وامتاعا له بحرته ..

ألّف الشيخ مدة أربعين سنة أن يسهر مع أصحابه الى الهزيع الثاني من الليل ، ثم ينقلب الى منزله يؤلف ويقرأ حتى يصلي الصبح وينام على الظهر . ولم ينقطع عن التأليف والكتابة منذ كان في سن الطلب حتى وافاه أجله في آخر العقد السابع من عمره . وكانت تأليفه في شبابه « الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية ^(١) » و « منية الاذكياء في قصص الانبياء » ، و « مد الراحة الى أخذ المساحة ^(٢) » ، و « مدخل الطلاب الى علم الحساب » و « الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام ^(٣) » ، و « رسالة في النحو » وأخرى في البديع ^(٤) ، وثالثة في البيان ، ورابعة في العروض ^(٥) . وله كتاب « تسهيل المجاز الى فن المعنى والالغاز ^(٦) » . وما كتبه في الكهولة والشيخوخة « شرح ديوان خطب ابن نباتة ^(٧) » . ومن كتبه « ارشاد الالباء الى تعليم ألف باء » وهو كتاب في علم التربية . وله « رسالة وجداول جدارية في الخطوط القديمة والحديثة » ، و « التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن » وهي المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره ، و « مقدمة الكافي » وهو معجم لغوي ضاع أكثره ، و « التقريب الى أصول التعريب ^(٨) » ، و « توجيه النظر الى علم الاثر ^(٩) » ، و « مختصر

(١) طبع .

(٢) عنوانها : بديع التلخيص ، طبع .

(٣) عنوانها : تمهيد العروض الى فن العروض ، طبع .

(٤) ابن نباتة : عبد الرحيم بن محمد الفارسي . اجمعوا على ان خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها . ولد في ميفارقين بأرض ديار بكر سنة ٢٣٥ هـ = ٩٤٦ م . وتوفي بحلب سنة ٣٧٤ = ٩٨٤ م . وهو غير الشاعر المصري محمد بن نباتة (٦٨٦ - ١٢٨٧ هـ) .

أدب الكاتب » لابن قتيبة ، و « مختصر أمثال الميداني » ، و « مختصر البيان والتبيين » للجاحظ ، و « المنتقى من الذخيرة » لابن بسام .

ومما تركه مخطوطا تفسيره الكبير ، ويدخل في أربعة مجلدات حفظ في دار الكتب الظاهرية مع ما عثر عليه من كتيبه ^(١) وفيها خلاصة ما طالعه من الاسفار .

وله من المخطوطات « الامام بأصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام » ، و « مقاصد الشرع » وغير ذلك .

وقد أحيا بالطبع عشرات من الكتب منها : « إرشاد القاصد » لابن ساعد الانصاري و « روضة العقلاء » لابن حبان البستي ، و « الادب والمروءة » لصالح بن جناح ، و « الادب الصغير » لابن المقفع ، و « أمنية الألمي ^(٢) » و « تفصيل النشأتين ^(٣) » للراغب الاصفهاني ، و « الفوز الأصغر » لمسكويه ، الى غير ذلك من مقالاته وأماله في المجلات والصحف ، ومنها بتواقيع مستعارة .

(١) الكتائيش : جمع كئاش ، وهذا اللفظ تعريب لكلمة (كناشا) السريانية ، وتعني مجموعة اشياء وعلى الاخص الاشياء المكتوبة .

(٢) اسمه الكامل (أمنية الألمي ومنية المدعي) لاحمد بن علي بن الزبير ، المعروف بالرشيد الاسواني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ . وهو مقالة قصد بها الفكاهة واملاها بلسان الدعابة على من استوجب الانبساط اليه ، وذكر فيها علوما جمّة ، وقدم له بترجمة للمؤلف وختمه بخاتمة في العلوم واقسامها ومواضيعها وغاياتها .

(٣) اسمه الكامل (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) للحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وهو كتاب لطيف جامع للنوادر اللطيفة ، والمراد بالنشأتين النشأة الاولى والنشأة الآخرة .

ومن أهم كتبه المطبوعة « شرح خطب ابن نباتة » و « إرشاد الألبا » ، و « التبيان » ، و « التقريب » و « توجيه النظر » حملت دررا من علمه وبحثه . وبلغني أنه دون بعض الوقائع ولم نعثر عليها بين أوراقه التي سرق بعضها عند عودته من مصر الى الشام ، وكان هاجر الى مصر لما كثر ارهاق العلماء في العصر الحميدي ، وسكنها من سنة ١٣٢٥ الى سنة ١٣٣٨ ، وفي القاهرة عرفه جلة علماء المصريين ، ونشأت له مع بعضهم صداقة (١) .

ويكن اجمال حياة الشيخ بأنه كان مصلحا حكيما لم يدخر وسعا لبث العلم والمعارف في عقول كل من يرى فيهم استعدادا لقبول دعوته وارشاده . وهو أبدا يختصر المطولات من كتب الفنون ليسهلها على المتدئين ، وقد تمت له هذه الامنية ولو لم يأخذ من وقته شطرا عظيما في المختصرات لكانت تأليفه أمتع وأوسع ، خصوصا ما كتبه في العشرين سنة الاخيرة من عمره ، ولئن كان في مذهبه الديني مجتهدا . لقد كان في تأليفه مقلدا يشي على آثار القدماء ، ولا يحب التوسع في التعليق على آراء المؤلفين المجددين ، وكان يحتاط في مراسلاته الخاصة مخافة تعنت أصحاب السلطان ، واقتصر فيها على ما عرف من الرسائل التي دارت بيني وبينه على مسائل العلم ونشر الافكار النافعة في تنوير الازهان فقط . وكثيرا ما سمعته يقول : أنا شاذ فأرجو ألا يقتدي بي أحد ، ولا يجب لأصحابه أن يلقوا بالا لما يقال فيهم من المدح والتقدح ، ويحرم عليهم تلاوة ما يكتب فيهم من ذلك ، ويوصي بالناية العامة ، ويريد جماعته على أن يوهوهم أن ليس بينهم وبين الخاصة سوى درجات قليلة يمكنهم أن يرتقوا اليها، اذا صحت عزيمتهم ،

(١) وكان من اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق كما سمي مديرا لدار الكتب الظاهرية ، وتوفي بعد ثلاثة اشهر .

وذلك بتعلسم أشياء طقيفة بدون كد ذهن ولا صرف وقت ومال كان لا يعرف الهجر ، ولا يسب سبا قبيحا ، هذا مع حدة ظاهرة فيه ، واذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضراته ، والا فيعثر بها شيء من اللكنة المغربية مزوجة بالعامية الدمشقية ، ولم يجر لسانه بجلة واحدة باللهجة المصرية مع أنه أقام في مصر أعواما كانت تكفي لتقلب فيه اللهجة الشامية الى اللهجة المصرية ، وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته ، وبرائه لطيفة تحلو من فمه . وما أحصي عليه أن نطق يوما بفحش أو مهراء أو سب ، أو استعمال ما يتنافى الادب ويقدم في المروءة ، ويسرح ويتندر أحيانا . وكان ينهر من يوردون أحاديث تمت في غضد السامعين . ومذهبه القضاء على الرعب والوهم ، وتقوية القلوب ، وازالة غشاوة الاوهام ، والصبر وبذل الجهد في كل شيء ، وأن يعنى المرء بمصالح غيره كما يعنى بمصالحه الخاصة ، ولا يجب للمتكلم الاستنتاج غالبا حتى لا يؤدي التزيد والتفلسف الى عدم الانتفاع بالواقع . كان مغرما بندية العرب ويحث على تعلم لغاته ، ويكره السياسة العثمانية ويقول : ان استيلاء الترك على العرب أزال مدنيتهما وغيّر أخلاقها . ويجب من أهل المدينت الحديثة كل أمة ترفق بالمسلمين في الجيلة . ويؤثر بصداقته من يصرف في خدمة المسائل العامة شيئا من وقته وماله . وقال وهو على فراش الموت : عزوا رجالكم ، واغفروا لهم بعض زلاتهم ، ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم . هذا ، وهو الرجل الذي أخلص كل الاخلاص في خدمة أمته ، وكان جناس ما كافاته به في حياته عبوسا وانقباضاً وتغيباً وغصصا وعصيانا على اصلاحه الا قليلا ، ذلك لان الحكام كانوا يحاذرون سراية أفكاره في الرعية ، والمشايخ يريدون الا يخرج عن طرائقهم في تشييط الناس والاستطالة عليهم بالجهل . وكان يساويهم في

• عبد الرحمن الكواكبي

١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ

١٨٤٩ - ١٩٠٢ م

تنسب أسرة الكواكبي للسيد ابراهيم الصفدي ، من أمراء
أردبيل من أعمال أذربيجان . نزل حلب قبل أربعة قرون وتديرتها^(١) ،
ونشا أولاده وأحفاده على فضائل وعلم . وكان آخرهم الشيخ أحمد
الكواكبي والد السيد عبد الرحمن مترجما هذا . ووالده السيدة
غفيفة النقيب ابنة مفتي انطاكية مانت وهو منقل فكفله خاله ، وكانت
مثقفة بثقافة عصرها ، تكتب وتقرأ ، فأخذته الى انطاكية ففضى فيها
ثلاث سنين ، ثم حمل الى حلب ، وعادوا به ثانية الى بيت خاله وهناك
قرأ القرآن وتعلم التركية ، وبعد رجوعه منها دخل المدرسة الكواكبية
مدرسة أجداده ، وكان والده مديرها وأحد مدرسيها ، فقرأ ما تيسر

* ترجمته في الاعلام ٦٨/٤ وهو عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود
الكواكبي ، ويلقب بالسيد الفراتي ا ولادته في الاعلام سنة ١٢٦٥ هـ -
١٨٤٩ م ووفاته سنة ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م وانظر نهر الذهب ٨٥/٢
و ٤٠٤/٣ ورواد النهضة الحديثة ٢٠١ - ٢٠٦ معجم المؤلفين ج ٥ / ١١٥
وولادته فيه سنة ١٢٧١ هـ ، ١٨٥٥ م ولعله غلط وهو كذلك عند المؤلف .
وانظر تاريخ الادب العربي للفاخوري : ١٠٧١ في الادب الحديث
٣٦٥/١ ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة : ٥٥ ، تراجم
مشاهير الشرق : ٤٣٧/١ ولعباس محمود العقاد كتاب (الرحاء كاف
عبد الرحمن الكواكبي) ، الاتجاهات الأدبية : ١٠٩ .

(١) اتخذها دارا ومحلا لسكناه .

كسلهم وقلة ذمهم وعلتهم ، وليس بينهم من يعشّره ولا نبغ فيهم
فرد مثله . جع بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، وامتاز بأنه أحب العلم
للدن والدنيا ، والفرق المخالف له من المخرقين بالعلم أو بيبغض
فروعه أرادوه للدنيا وللوصول الى مظاهرها ، وشتان بين الطريقتين .
هم ذهب ذكرهم بذهابهم من هذه الديار ، وخلد ذكره لانه عمل لها
وللاخرة . ذهب من الدنيا وقد أحسن في كل ما عمل ، وأولئك خلطوا
علاصالحا وآخر سينا .



من علوم الشريعة واللغة ، واتصل بأديب تركي اسمه خورشيد أفندي
فعلنه التركية والفارسية ، ولقنه بعض العلوم العصرية ، وأخذ ينشئ
بالتركية كما ينشئ بالعربية .

تولى في شبابه تحرير جريدة « الفرات » الرسمية خمس سنين ،
وكانت مثل جرائد الولايات العربية تصدر باللغتين العربية والتركية .
سرد على الترجمة في اللغتين ، وأصدر خلال ذلك جريدة سماها
« النهار » فأغلقتها الحكومة بعد مدة بدعوى أنها نشرت أفكارا لا
يجوز نشرها . ثم أصدر جريدة ثانية سماها « الاعتدال » وهذه أيضا
كان نصيبها نصيب أختها المؤودة .

واتفق أن أطلق شاب أرمني رصاصة من مسدسه على جيل
باشا والي حلب ، فاتهم المترجم له وجماعة من الاعيان بأنهم هم
المعرضون على اغتياله فبرأته المحكمة وعزل الوالي . وكان جيل باشا
هذا من أفند ولاية العشائين ويكفي في سفالة أخلاقه أنه تجسس على
والده نافع باشا . وبعد سنتين تجددت مصيبة المترجم له بالولاية
فاتهم الوالي إذ ذاك بأنه ألف جمعية غايتها الخروج عن طاعة الدولة
العشائية فجن . وكانت هذه الدعوى من تلفيقات بعض الاعيان ممن
غضبوا عليه لإظهاره مبادئهم ، ونعيه عليهم استرسالهم في سلب الضعفاء ،
فراى السيد المتهم أن المحكمة ربما حكمت عليه بإيعاز الوالي فطلب
نقل دعواه الى ولاية أخرى فنقلت الى بيروت ، وفي محكمتها برئ .
ما عزي اليه وعزل الوالي أيضا لثبوت تزويره .

وعلى الاثر عين قاضيا على راثيا ، فأدرك أن ولاية الاميرتربصون
به سوء فأسر في نفسه الانتجاع الى مصر ، ولم يُطلع على نيته حتى

أقرب الناس اليه من أهل بيته . ووافى مصر ، وكانت شهرته سبقته
اليها . وأخذ ينشر في جريدة « المؤيد » مقالات في الاستبداد حازت
استحسان العارفين ، ثم جمعها في كتاب سماه « طبائع الاستبداد »
فصدرت ادارة السلطان عبد الحميد بالحكم عليه بالاعدام ومصادرة
أمواله .

تقلب الكواكبي منذ نشأته في وظائف الدولة في بلده ، ومنها
رياسة بلدية حلب ، وناظر ادارة حصر الدخان (1) ، ورئيس غرفة
التجارة والزراعة والصناعة . وكان اذا تنحى عن الخدمة يعمد الى
المحاماة ، وما كان يتناول أجرا من الفقراء فدعاه القوم أبا الضعفاء .
وأسس عدة شركات وطنية ومنها شركة جر مياه الساجور الى حلب ،
وشركة الكهرباء ، وشركة تجفيف سهل العق .

وما منعت هذه الاعمال الادارية والمالية مترجنا عن مواصلة
الدرس والبحث فكان كل يوم تزيد معارفه كما تزيد تجاربه ، ويقنع
بأن الدولة آخذة بالانهيار ، وبما قاساه في القضيتين المزورتين عليه
وبهما حبس وكاد يحكم عليه بالقتل أدرك أمورا لا تتجلى لكل ناظر .
فكان من الطبيعي أن ترشح كتاباته ما تشبع به روحه من بغض دولة
الترك وفسادها وفساد أحكامها وحكامها .

كانت ثقافة الكواكبي الاولى ثقافة مشائخية عربية ، ثم مزجت
ثقافة تركية ، وهو كل يوم يتعلم في مدرسة الحياة دروسا في الآداب
والحقوق والسياسة والاقتصاد ، وكل أولئك أخرج منه رجلا عارفا

(1) أي مدير مصلحة الدخان (السجائر) والتبغ والتبناك ، وكان
يطلق عليها اسم (الريجي)

بصائب أمته وغللها وأدويتها وسوء قصد راعيها بحاولته القضاء على شخصياتها ليدوم له حكمها بالظلم والجبرية . وقد استقى كثيرا من معلوماته من اللغة التركية ، ومن لقاء علماء الترك ، فما فاتته من جهل لغة غريبة جبره بعض الشيء بما قرأه في التركية من المترجمات عن الغربيين .

كان ما يعرض عليه من مشاكل المجتمع يعرضه على القانون وانسرع فيشهد المبائة شديدة بين المكتوب في الصحف والمعمول به الناقد ، فيزيد الله وتضطرب نفسه ، وكان كيف تقلب في وطنه يرى من أعمال الدولة ما يخرج الحليم عن طوره . ويكي حتى عيون أرباب القلوب المتحجرة . وما كتابه « طبائع الاستبداد » الا لمحة صغيرة مما أمته عليه بيته ، وسجل ينطق بأخبار الظلمة وقبح أثرهم ، فلا عجب ان دعا ، على رزانه فيه ، الى نزع أيدي العرب من سلطان الترك وأشار الى ان العرب في الولايات العثمانية آخذون بالانقراض ، كما أن المسلمين في أقطار الارض على شفا الانحلال بصنعهم ومنع حكوماتهم ، وارهاق مستعريهم وملوكهم ، ومن كل هذا استقى موضوع روايته الخيالية « أم القرى » وما هي الا وصف أمراض الشعوب الاسلامية على اختلاف أقطارها وامصارها .

وهو اذ أصيب بالياس من انهاض أمته فما نسي أن الخير لا تزال جرائبه كامنة في جسها تحتاج فقط الى من يحركها . وهذا ما حمله على الهجرة الى مصر ، ومنها رحل الى سواحل افريقية الجنوبية والشرقية ، وزار الحبشة وهرر والصومال وجاوة وسواحل جنوبي الصين ، وعاد الى مسقط وجزيرة العرب . سهل له هذه السياحة أحد أصدقائه من رجال السلك الدبلوماسي الطليان ، وكان صديقه وعشيرته في حلب .

وكان يجتسع الى رؤساء الاقطار التي ينزلها ويدخل في القبائل ، ويسبر بسبار عقله مبلغ قوتها . وقطع صحراء الدهناء في اليمن فكشف جوايس السلطان العثماني أمره ، ونجا من شرهم ، وعاد الى مصر ، وقد قاسى من المخاطر والمتاعب الوانا وأشكالا .

قلت في مذكراتي : « وفي مصر صادفته وعاشرته وأخذت من تجاربه وحكمته . وجاءني ذات ليلة يسر معي في داري مع الحبيب رفيق بك العظم . ويستشيرني في أمر عظيم . قال : ان الخديوي عباس عرض عليه أن يصحبه الى الأستانة ليقدمه الى السلطان العثماني ، ويستجلب رضاه عنه . فصعب عليّ وعلى رفيق بك ابداء رأي في موضوع جد خطير كهذا . لان ابن عثمان لا تأخذه هوادة فيس خرجوا عن سلطانه ، وخشينا أن تكون هناك دسيسة يذهب الرجل ضحيتها . وما قال لنا : انه حائر في أمره بين القبول والرفض ، وانه شعر بالامس بوجع في ذراعه وما عرف له تعليلا . وتقوض المجلس وذهب السيد الكواكبي الى داره فما هي الا ساعة وبعض ساعة حتى سمعت ابنه السيد كاظم في الباب يبكي وينوح ويقول : قم يا كرد علي فان صديقك أبي مات . فاضطربت اضطرابا قلّ أن اضطربت مثله . ودخلت عليه وسجيت بيدي . ومن الغد دفناه بشهد حافل ، أبتته الصحف تأيينا قدّرته فيه قدره . وراح بعضهم يذهب الى أن الكواكبي مات مسوما . واستبعد قوم وقوع ذلك .

« وأراد السلطان القضاء على أفكار الكواكبي ، فبعث أحد عماله فأخذ أوراقه والمطبوع من كتبه ، وأرضى ابنه بببلغ من المال . فقدت الامة العربية بسوت الكواكبي رجلا قوي الشكينة ، نادر المثال في الرجال بعمله وبعد نظره ووطنيته . وقد رزق من الشجاعة

الأدبية ما عدا نظيره . وكان يعتقد أصدق اعتقاد في عدالة دعوته .
وتجلى النيل في حديثه والاخلاص في حركته » .

أكثر الكواكبي من الكتابة في أغراض سياسية وإدارية وحقوقية
واقصادية . و ألف أربعة كتب لم يبق منها الا « طبائع الاستبداد » و
« ام القرى » . أما الكتابان الآخران « صحائف قريش » و « العظيمة
له » - وهذا قرأ لي صفحاته الاولى ولم ينس - فإنها أخذت في جلة
ما أخذ من اوراقه السلطان العثماني .

أعجب بالكواكبي كل من سمع باسمه ، أو قرأ له كلاما . لانه
قادى بحياته ليؤسس للعرب دولة ترعاهم . وتوفر على حل النور
اليهم . وكان منذ وعى على نفسه الى أن دفن في رمة يدور في دائرة
لا تكاد تبديل ، وهي الاصلاح السياسي والديني . وله الفضل
بتبنيه الأفكار ، ووصف ثناء الأمة فأبدع بدعوته بدعة حسنة لم
يسبق إليها . وعمل بحض اجتهاده الخاص ، ولم يلجأ الى الغرباء
للموصول الى هدفه على ما كان شأن معظم من سبقوه ولحقوه من بني
وطنه . وكانت الايدي الاجنبية تسيروهم وتدبرهم ، أما هو فكان
صاحب دعوة مستقل خلقتها قريحته ولدت في رأسه وكبرت وترعرعت
في قلبه وروحه . رحمه الله .

★ ★ ★

عمر طوسون *

١٢٨٩ - ١٣٦٣ هـ

١٨٧٢ - ١٩٤٤ م

لما وقع اختيار اعضاء المجمع العلمي العربي على ضم عمر
طوسون اليه ، واتخب بالاجماع ، طلبت منه أن يتفضل ويكتب لي
ترجمة حياته فكتب الي ما يأتي :

« انا الامير محمد عمر طوسون ابن الامير محمد طوسون باشا
والي مصر محمد سعيد باشا ابن محمد علي الكبير ، رأس الاسرة
العلوية . ووالدتي الاميرة بهشت حور ، وجدتي لابي الاميرة ملك
بير . ولدت بمدينة الاسكندرية في يوم الاحد ٥ رجب ١٢٨٩ هـ
(٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢ م) ، ولما بلغت أربع سنوات توفي والدي .
فكفلتني جدتي لابي وعينت بتربيتي ، ودرست مبادئ العلوم على
اساتذة مختارين في قصر ابي ، فلما أدركت الحلم تزحت الى سويرة
حيث استكملت دراستي . وقتت بياحة في فرنسا وانجلترا شاهدت
في أثناءها أنواع التقدم الاجتماعي والعلمي والصناعي والزراعي . ثم عدت
الى مصر وأنا اجد اللغات التركية والعربية والفرنسية والانجليزية قراءة
وكتابة ، وأشارك في العلوم بعض المشاركة . وحينما أوفيت على
سن الرشد قبضت على زمام دائرتي وأدرت شؤونها بنفسي . ومع
اشرافي على ادارة اعمالتي لم انقطع عن المطالعة والبحث في مكتبي ،

* ترجمته في الاعلام : ج ٥/٢٠٧ ، رالإعلام الشرقية : ١/٣٦ ومرة
العمرة : ٥١ وترجمته بقلمه في مجلة المج م علمي العربي بدمشق ١٩/١٦٣

ولي ولع شديد بالاطلاع على كل ما له علاقة بتاريخ مصر والسودان
وجغرافيتها . وقد جيلت منذ الصغر على حب بلادي . واني لفخور
بما قمت به في الحرب الطرابلسية وحرب البلقان ، وكنت اول من فكر
في ارسال وفد من مصر الى مؤتمر فرساي في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ م ،
ثم للمطالبة باستقلالها ، ثم ما قمت به في حرب الحبشة التي دافعت
فيها عن كيانها ضد الايطاليين ، وما ساهمت به من نصيب في مساعدات
الامم المجاورة لمصر في شتى المناسبات والجمعيات الخيرية في مصر
وبناء المساجد في السودان والمعاهد الدينية والعلمية وأنديته الاجتماعية ،
وتشجيع المعارض الزراعية ، والعمل على توثيق العلاقات الاخوية
والتجارية بين مصر والسودان » .

بلغت تأليفه بالعربية نحو ثمانية عشر مصنفاً ، وكلها تدور على
تاريخ مصر والسودان وجغرافيتها والنيل وما اليه . وبلغت تأليفه
بالفرنسية ثمانية عشر مصنفاً ، وله كتاب آخر بالانكليزية في المسألة
السودانية . ومن تأليفه العربية : « تاريخ مديرية خط الاستواء من
فتحها الى ضياعها » (ثلاثة اجزاء) وهو متع جدا . « اربع رسائل » ،
في الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية والجيش المصري
البري والبحري . « مصر والسودان » ، « مذكرة عن مسألة السودان
بين مصر وانجلترا » ، « مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن » ،
« الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا » « البعثات
العلمية في عهد محمد علي باشا ثم عهدي عباس الاول وسعيد » ،
و « الاطلس التاريخي الجغرافي لمصر السفلى (أي الوجه البحري) منذ
الفتح الاسلامي الى الآن » ، « الجيش المصري البري والبحري في
عهد محمد علي » ، « تذكرة بما صدر عنه منذ فجر الحركة الوطنية
من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٨ » ، « اراضي الدومين والدائرة السنية » ،

« بطولة الأورطة السودانية المصرية في حرب المكسيك » ، وما كتبه
بالفرنسية : « مذكرات على فروع النيل القديمة » (مجلدان) ،
« مذكرات في مالية مصر منذ عهد الفراعنة الى أيامنا » ، « مذكرات
في تاريخ النيل » ، « مذكرات جغرافية في عصر العرب » ، « مذكرات
في مسألة السودان » ، « مذكرات في صحاري مصر » . الخ .

وفي هذه الصورة المصغرة من أعمال صاحب الترجمة تدرك مبلغ
تفانيه في خدمة مصر والسودان ثم في خدمة القضية العربية الاسلامية .
وأنه ما كان يتوقف عن الجهد في كل ما يرفع قومه خاصة ، ويرفع
شان المسلمين عامة ، ففرض في هذه المهمة التي أخذها على نفسه حسين
سنة ، يصرف من وقته وماله وجهده ، ولا تعرف أميراً من أمراء الاسلام
لعهدنا ، والمسلمون لا يقلون عن ثلاثئة مليون ، صرف ماله ووقته
في مثل هذا السبيل ، ولا أميراً آتاه الله سعة من المال فأثقف ربه في
نهضة مصر والسودان ولو أن بعض من وفر الله لهم قسطهم من الذكاء
والغنى من العرب والعجم مثل الامير عمر طوسون لكان المسلمون
أرقى أمم الارض بلا نزاع .

النيل حياة مصر والسودان ، فهل سمعنا بغني مثل الامير عمر
أثقف جزءاً من ماله في سبيل استقلال مصر والسودان ، وأضاف اليه
ما صرفه لحفظ بيضة الاسلام وانقاذ الشرق من براثن الغرب .

علم الامير حسين شاباً سودانيا التعليم العالي عدا ما أهقته في
السودان في اقامة جوامعها ومدارسها وخدمة قضيتها . ولا أراني
مبالغاً اذا ادعت أنه لم يخدم مصري السودان بأجل من خدمة الامير
عمر . وكانت داره في الاسكندرية أشبه سفارة للسودان ، ويوتنه
فنادق لاهلها ، يطعمهم ويكسوهم ويعطيهم نفقاتهم ويعلم أبناءهم .

ولا أعرف ثروة عظيمة صرف ريعها ملوأل حياة صاحبها على أعمال البر والتعليم كما صرف عمر طوسون ثروته ووقته وجاهه لا يقصد الا وجه الله وخدمة وطنه . ذلك لانه ما كان يعرف الا الخير ، وما تعرف الى غيره . وحدث مرة أن كادت مدارس العروة الوثقى وهو رئيس مجلس ادارتها أن تقف لقلعة المال، وكانت مصر في أزمة وكذلك الامير، فقررت الجمعية اغلاق مدارسها ريثا تنتهي الازمة ، فلم يرض عن هذا القرار ، واقترض لحسابه مبلغا أمد به الجمعية ، حدثني من اختلط بالامير وعرف جوانب من أخلاقه الطاهرة قال : كانت موآئد الافطار في قصره بالاسكندرية أيام شهر رمضان تجتمع الموسرين والمعسرين ، والمعرون (١) أكثر سوادا ، فكان يترك أرباب المظاهر يتناولون افطارهم وحدهم ويخف لمشاركة الفقراء في الطعام ، فتنتقل ألسنتهم بالدعاء له . وله من هذا أشياء لا يؤثر أكثر منها في باب اكرام الفقراء .

ما كان لي شرف التعرف الى عمر طوسون الا بالمراسلة ، ولما فقدت أخي أحمد ابرق الي يعزيني على مصابي (٢) ، ويذكر بلاء شقيقي في جريدة « المقتبس » ، وما خدم به العرب بقلبه، فكانت بذلك صداقة ليس أشرف منها . وما زال يتفضل أكثر السنين اذا وصلت الى القاهرة يهتني من الاسكندرية على سلامتي ، ويرجو لي طيب المقام في بلاده ، فكان بذلك يهتم للخصوصيات اهتمامه بالعموميات ، ويعنى بجبر خواطر الناس، كما يعنى بتسمية ثروته والقيام على زراعته وأملاكه .

سألني - رحمه الله - يوم اجتماعي به أول مرة سؤالين كان يظهر الاهتمام بالجواب عليهما : وهما : كيف قست الديار الشامية

(١) الاصل : والمعسرين .

(٢) بعال . عزاه بمصابه .

بعد الحرب العالمية الاولى ، وهل صح ما ذكرته في كتابي «خطط الشام» عن عهد ابراهيم باشا في الشام وأعماله العظيمة وحسن ادارته وسياسته . فأجبت عن الاول بما حضرني ، وعن الثاني أكدت له أن كل ما رويته عن ذلك العهد كان محصا ، لم أقصد به الا تقرير حقيقة تاريخية . وانسي لست مصريا حتى أجامل آل محمد علي . وأذكر لسليلهم ابراهيم باشا صفات خيالية ، فحمد الله كثيرا على ذلك ، وكنا كلما اجتمعنا يكشف لي عن ذات نفسه ، ويطلعني من أسرار السياسة العليا في مصر ما أنا في أشد الحاجة الى معرفته ، ولا يتيسر لي أن أعرفه على وجه الصحة الا من طريق الامير المؤمن الصادق . ولعله كان يقصد من أحاديثه حمل الفائدة الي والانتفاع بها يوما في خدمة مصر وتقرير تاريخ مصر .

ويطول الكلام اذا أردت أن اصف ما جبل عليه الامير العظيم من مكارم الاخلاق وبعد الهمة وفرط الادب وصدق الوطنية والجد في أموره ووضع الأشياء في موضعها .

كان استاذنا الامام محمد عبده يقول : الامة الاسلامية مصابة بالعم . يعني اذا مات منها سيد لا يخلفه أحد من عياره يشي على آثاره . وهذه كلمة تصدق على عمر طوسون فإنه لم ينبغ للامة العربية من يوازي نصف مكآته ، رحمه الله .



قاسم أمين *

١٢٨٢ - ١٣٢٦ هـ

١٨٦٥ - ١٩٠٨ م

لم يعرض من ترجوا لقاسم أمين للكلام على أوليئته، وأشاروا فقط الى أنه من أصل كردي ، كان ابوه من اولاد امراء الاكراد ، أخذته الدولة العثمانية رهينة ، فأقلت منها وجاء مصر ودخل في الجيش ، وورقي فيه الى رتبة أميرلاي . وقاسم بكتر أبيه ، وأمه مصرية من أسرة معروفة . وتعلم في المدارس الوطنية في القاهرة ثم ذهب الى فرنسا على نفقة الحكومة . فدرس الحقوق ، وأبان عن كفاءة عظيمة وذلكاء تادر وتدرج في مناصب القضاء حتى غدا قاضيا في محكمة الاستئناف الاهلية .

امتاز باستقلال الفكر ، وجودة الرأي ، وصفاء الذهن ، وسعة الخيال ، وقوة الارادة ، والعدل في الحكم ، والوفاء في الصداقة ، والاخلاص للبلاد . وكان السى هذا من علماء الحقوق والاخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية... كان كنزا مخفيا لا يعرفه الا أصدقاؤه، وأول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق « دركور » [ماجاء] في

* ترجمته في الاعلام ١٩/٦ وولادته فيه سنة ١٢٧٩ هـ = ١٨٦٣ ، معجم المؤلفين ١١٤/٨ ، تاريخ الادب العربي للقائوري : ١٠٧١ وانظر تاريخ الادب العربي لريدان ١٣٥/٤ ورواد النهضة الحديثة ٢٠٧ ، ومعجم المطبوعات ١٤٨١ ، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ٢٧٧ والاعلام الشرقية ٥١/٣ ، تراجم مشاهير الشرق : ٤٢٠ .

كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر ، لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتابا باللغة الفرنسية ، فرد عليه قاسم أمين باللغة الفرنسية ، وكانت عبارته في رده كعبارة كتاب فرنسا . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق بغيرة وحاسة ، وقد بيّن فيه ما للحجاب من الفائدة ، وشنتع على ما في أوروبا من التبذل والتهتك وتجارة الاعراض... واندفع الى الرد بوجدان الغيرة . وبعد أن شفى غيظه وأرضى غيرته بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر ، فرأى أن كثيرا من العيوب التي غاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في ذاته ، فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلا في نفسه انه لا ينبغي اذا كان العيب فينا أن نرد على من يعيننا ونبحث عن عيوب قومه ، وانه يجب علينا أن نبحث عن عينا فنعرفه ونسعى في ازالته .

وظفق يبحث ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتبه الإفرنج في شأن النساء ، وانتهى به البحث والتنقيب الى تصنيف كتاب « تحرير المرأة » الذي هز مصر هزة شديدة ، وشغل جرائدها في تقريره ونقده زمنا طويلا ، وبعث عمة غير واحد من حملة العائيم والطرايبس جميعا الى التصنيف في الرد عليه (ألقوا نحو ثلاثين كتابا في لعنه وتزييف رأيه) ، وبذلك طار صيته في الآفاق ، وعرف اسمه في الشرق والغرب ، وعدد من المصلحين الاجتاعيين . ثم ألف كتاب « المرأة الجديدة » لتعزيز رأيه وتقنييد آراء خصومه ، و « المرأة الجديدة » كالكتاب الاول ويفوقه في قوة الحجة ووضوح الدليل^(١) . ومن مقالات هذا الكتاب فصل « التربية والحجاب » قال فيه صاحب « المقتطف » : « ولو لم يكتب غير هذا الفصل لكفى وحده لشهرته ، ولقرن اسمه بأسماء أشهر المصلحين . ولقد كان همه في كل

(١) ونشر له كتاب سمي « كلمات قاسم أمين »

كتبه وخطبه وفي أحاديثه النظر الى الزمن السعيد الذي تتعلم فيه المرأة الشرقية فيصير كل نساء الشرق مثل فضليات نساء الغرب من حيث العلم والتهديب» .

« ولم يكتب بكتاييه ، بل جعل همه الاكبر ، الى أن وافته منيته ، تهذيب النساء وتدريبهن ، وتمنى مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والادب . قال ذلك في خطبة بالفرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين » .

« كان اجتساعياً لا كبعض الاجتساعيين الذين يجعلون رؤوسهم محافظ لآراء غيرهم ، فإذا حضرتهم المناقشة ، ودعتهم الكتابة الى موضوع اجتساعي أخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين ، من غير أن يكون لعقلهم في الموضوع نصيب من الرأي . لا ، لم يكن كذلك أبداً ، بل كان مفكراً بالاصالة ، نقاداً لا يستغني عن أفكار غيره ، ولكنه لا يقبلها الا اذا اعتقدها ، وصارت له بسا قام في نفسه عليها من الادلة اليقينية » .

« وكان رأيه في المسائل الاجتساعية أنها خاضعة دائماً للقوانين الطبيعية ، قوانين التحليل والتركيب والنسب التدريجي والانتقال . وبحث في المسألة الاجتساعية لمصر على الخصوص فوجد أنها كلها تتوقف على نظام الاسرة المصرية ، ووجد أن المرأة هي الاساس الاول لبناء الاسرة » .

« ولقد تجلّى فيما كتب وخطب العلم الواسع والاخلاص التام والبعده عن الدعوى . وكان من أكبر المهتمين بإنشاء الجامعة المصرية » .

(١) الاصل : ينظر

اختسر موضوع المرأة في ذهن محرر المرأة اعواماً فقال عن نفسه : ان الحقيقة التي نشرها شغلت فكره مدة طويلة كان من خلالها يقبلها ويستحنها ويحللها حتى اذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر فيه وزاحمت غيرها ، وتغلبت عليه ، وصارت تشغله بورودها ، وتنتهي الى مزاياها ، وتذكره بالحاجة اليها . فرأى أن لا مناص من ابرازها من مكان الفكر الى قضاء الدعوة والذكر . قال : « ولا يركن الى حب السكينة الا اقوام على شاكلتنا ، فقد أهملنا خدمة عقولنا حتى أصبحت كالارض البائرة التي لا يصلح فيها نبات ، وحتى مال بنا الكسل الى معادة كل فكر صالح ما يعده أهل الوقت حديثاً غير مالوف ، سواء كان من السنن الصالحة الاولى ، أو قضت به المصالح في هذه الامة » .

« وكثيراً ما يكتبني الكسول وضعيف القوى في الجدل بأن يقذف بكلمة باطلّة على حق ظاهر يريد أن يدمغه ، فيقول : تلك بدعة في الاسلام ، ولا يرمي بهذه الا حبا بالتخلص من مشقة العلم ، أو الخروج من عناء العمل في البحث والاجراء ، كأن الله خلق المسلمين من طينة خاصة بهم ، وأقالهم من أحكام النواميس الطبيعية التي يخضع لسلطانها النوع الانساني وسائر المخلوقات الحية » .

قال : « سيقول قوم : إن ما أنشره اليوم بدعة فأقول : نعم اني أتيت بدعة ، ولكنها ليست في الاسلام ، بل في العوائد وطرق المعاملة التي يحد طلب الكمال فيها » (١) .

(١) القى بطرس البستاني في اربعينات القرن التاسع عشر محاضرة بعنوان (خطاب في تعليم النساء) تجرأ فيها وقال بدعم شخصية المرأة وحريتها ، ويعده بعضهم المدافع الاول عن المرأة قبل قاسم امين وفارس نمر وجرجي نقولا باز .

قال : « والذي أراه في هذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا في اباحة الكشف للنساء الى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة الحياء . وقد تغالينا نحن في طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات ، أو متاعاً من المقتنيات ، وحرمانها كل المزايا العقلية والادبية التي أعدت لها بنقضى الفطرة الانسانية ، وبين هذين الطرفين وسط هو الحجاب الشرعي ، وهو الذي أدعو اليه » .

نعم هذا هو الحجاب الذي دعا^(١) اليه قاسم أمين . وقل أن قام مصلح يتادي بدعوة ، وحل عليه من يعرف ومن لا يعرف من المصريين ، فما زادوه إلا ثباتاً على ما تصدى له .

وصف ما صادف كتابه الاول من الحلات ، وما غايته من دعوته فقال : « نحن لا نكتب طبعاً في أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين اذا سمعوا كلام الله وهو الفصيح لفظه ، الجلي معناه ، لا يفهمونه الا اذا كان محرراً عن وضعه ، منصرفاً عن قصده ، برأي شيخ هو أجهل الناس بدينه . ولا يحبون الوطن الا اذا تثل لأعينهم في صور قبيحة وأخلاق رثة وعادات سقيمة ، وإنما نكتب لأهل العلم ، وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التي هي مستودع أمانينا في المستقبل » .

« كان قاسم يعلم حق العلم أن الامر ذا خطر ، وأن الناس لن يتقبلوا منه ذلك راضين عنه ، مطمئنين إليه ، ولكن ماذا يهمه من الناس اذا كان مقتنعاً مؤمناً بأنه محق ، وماذا يعنيه أن يسخط الناس عليه اذا كان يعلم أن الواجب راضٍ عنه ، وأن الحق مطمئن اليه وأن هذا العمل

(١) الاصل : دعاه .

يكلف سخط الناس وغضبهم ولقد أودى الرجل في نفسه وكرامته ومكاته ومات وسخطُ الناس عليه أشد من رضاهم عنه ، والمنكروون له أكثر من العارفين له » .

« لقد أساء الناس فهم قاسم ، فظنوا أنه يبيح المحرمات ، وينكر ما قدس الناس ، ولكن العساوة قد زالت الآن ، فالناس يشعرون أن قاسماً لم يبيح حرمة ولم يعرف منكراً ، ولم ينكر معروفاً ، وإنما دعا الى الخير وحث على الرقي ، وأراد أن تكون مصر كلها قوة عاملة » .

هذا ما اقتطفناه من كلام من حكوا على قاسم أمين حكماً صحيحاً خالياً من الشهوات . وما أهمهم كسب رضى العامة والجامدين من المهينين على الدين ، وكان بعض العلماء يودون لو لم يترج دعوته بشيء من الدين ، حتى لا يجد خصومه منفذاً الى التغلب عليه ، أما هو فأتى ببراهينه من الدين ، وشفعها ببراهين من العقل والاجتماع . وكانت مجموعة أفكاره مسددة .

ومن قرأ كتابه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وهما صغيران بجرمهما ، كبيران بما ترتب من النفع منها يدرك أن الرجل عظيم بعلمه وتفكيره . جسع في كلامه طرقي الدين والدنيا ، وفي كليهما جدد وأحسن . هو عظيم بشجاعته وأقدامه ، لانه الظواهر بقدر ما تهمة الحقائق . هضم علمه حق الهضم ، وعرف كيف يبرزه في قالب مقبول معقول . وقل جداً في المعاصرين من وفقوا توفيقه واستخدموا عبقريتهم في اثاراً لعقل ، والدعوة الى العمل . وكان قصاره أن ينقل المسلمين من دور انحطاط مبكٍ ومخزٍ^(١) الى طور رقيٍ يدخلون به في زمرة الامم المدونة .

(١) الاصل : مبكي ومخزي .

وكم من المؤلفين من كتبوا الوفاً من الصفحات فما أغتت بعض ما
 أغتت جبل قليلة دونها قاسم على الورق فأبدع وأرشد • خاض
 موضوعه بعد درسٍ طويل وتفكيرٍ جليل • وقد وطن النفس على تحمل
 كل ما ينجم عن دعوته من الأذى • وأعظم من هذا أن حياته للدعوة
 ما كانت سطحية • أليس هو القائل : « من اختبأ في الأرباب الأفكار
 الدين اختلطت بهم ظهر لي أن الحياة عندهم سطحية لانذكيها فار تتوقد
 في القلب • حية الفاظ متى انتشرت عادت هباءً لا تترك أثرًا بعدها » •
 وهذا هو الفارق الأعظم بينه وبين معاصره •

لم يسبق قاسم ما يذكر بعد وفاته سوى كتابيه اللذين لن تخلق
 ديباجتها الأيام ، وترك حِكماً ومواعظٍ نثرت بعده في كراسات •
 وكلامه عذب بقرؤه الحر والمتعصب فيستيدان منه ويلذها وبمعجان بنا
 انطوى عليه من السلالة والجزالة • ولا يستطيع متعنت مها بذل من
 الجهد أن يحذف من كلامه مقطعا واحدا يظنه ما يسكن الاستغناء عنه •

مات قاسم أمين في الثالثة والأربعين من عمره (١) ، ولا يعلم الا
 لله ماذا كان منه لو ذرف (٢) على السبعين والثمانين •

كان فخرا للعرب والمسلمين ، وبحق ما أحرز هذه المكانة العظيمة،
 عليه الرحمة وما أصدق ما قاله في رثائه حافظ إبراهيم (٣) :

(١) عند الزوال في الاعلام توفي عن ٤٥ سنة .

(٢) ذرف ذرفانا : مشى مشيا ضعيفا .

(٣) من قصيدة في رثاء قاسم أمين من التين وأربعين بيتا مطلعها :
 لله ذرفك كنت من رجل لو أمهلك غوائل الاجل
 ديوان حافظ ج ٢/١٥٦ .

إن ريت رأيا في الحجاب ولم
 تعصم فنك مراتب الرسل (١)
 الحكم للإمام مرَّجعه
 فيما رأيت قنم ولا تسَل
 وكذا طهارة الرأي تركه
 للدهر يُنْفِجُه على مهل

★ ★ ★

(١) إن ريت : تخفيف (رأيت)

كارلو نلينو *

CARLO ALFONSO NALLINO

١٨٧٢ - ١٩٢٨ م

كان الدكتور كارلو التونسو نلينو شيخ علماء المشرقيات في إيطاليا ، وصاحب التأليف والأبحاث المستعة بالعربية والإيطالية .

ولد في تورين^(١) يوم ١٦ شباط ١٨٧٢ ، وفيها درس دراسته الأولى ، وأخذ مبادئ اللغات الشرقية واعتد منذ نشأته الأولى على ذكائه ودرسه الخاص أكثر من اعتياده على المعلمين والاساتيد . وبما فطر عليه من قوة للملاحظة ودقة النظر على ما لم يكتب لغير أفراد قلائل في الناس جاء منه عالم تام الأدوات ولما يبلغ سن الرشد على حين يظهر من كانوا في مثل سنه من صغار العلماء أنهم مبتدئون إذا بحثوا وكتبوا ، وأنهم في أول مراتب التحقيق العلمي إذا ألفوا وصنفوا .

عين أستاذا للغة العربية في المجمع العلمي العربي الشرقي في نابيل^(٢) وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وغدا في سن الثلاثين أستاذا في جامعة بلم عاصمة صقلية وفي سنة ١٩١٣ أنشأت له دولته

* ترجمته في الإعلام ج ٦/٦٥ والمستشرقون ١/٣٧٧ ، وانظر معجم المطبوعات : ١٨٧٠ ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٧ ص ١٠ - ١٦ .

(١) Torino مدينة في شمال إيطاليا .

(٢) Napoli : إحدى كبريات مدن إيطاليا ومرفأ هام من مرفأها .

كرسيا لتدريس التاريخ والأبحاث الإسلامية في جامعة رومية . وكان منذ سنة ١٩٠٩ يعهد إليه المرة بعد المرة التدريس في الجامعة المصرية ، وكان قضى في مصر في صباه أشهرا لاحكام اللغة العربية .

وكان في آخر أمره نائب رئيس مجمع لشاي في رومية ، وعضوا في المجمع العلمي الإيطالي وفي عدة مجامع وجعيات ايطالية وغير ايطالية ، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ بدء تأسيسه ، وعضوا في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة منذ أول عهده .

وعهد إليه النظر في القسم الشرقي من المعلسة الإيطالية ، أي دائرة المعارف الإيطالية فكتب معظم مقالاتها الخاصة بالاسلام . وأنتا مجلة الشرق الحديث تصدر بالإيطالية مرة كل شهر في رومية بعناية المجمع العلمي الشرقي ، باحث في السياسة وتقوم البلدان وأصول السكان والثقافة الحديثة . وبفضل عنايته أصبحت هذه المجلة من أهم المجلات المشهورة في العالم . وقد أدارها سبع عشرة سنة بسا عرف فيه من دؤوب وثقوب ذهن . و آزرته في عمله في العهد الأخير كريسته الفاضلة وتابعته في دروسه وراففته في أسفاره .

كتب نلينو أبحاثا جلييلة ، وأكثر ما كتب مقالات ومحاضرات دلت على بعد غوره ونظره ، وأنه مفرد في بحثه العلمي يتجلى انصافه وأدبه مع مخالفيه وموافقيه كان - أجزل الله ثوابه - شديدا على نفسه ، وشديدا في مناقشاته ، لا يحلم عن جهل جاهل ، ولا يسكت عن غرور مزهو معجب بنفسه . رأيناه يناقش خصومه بحاسة وقوة وقد يصلحهم نارا حامية من نقده ، فلا يخرجون من حوارهم سالمين ، لكنه لا

يجوز لنفسه أن يجهز عليهم ، ولا أن يتعدى نطاق الادب والنسفة
في حوارهم . وكان اذا وسد اليه النظر فيما عمل فيه غيره يصلح
همواته ويقوم مناديه وينقده ويصفيه ، ويتلطف ويقدر كل عمل أيقن
أن الجدل لحيته وسداه .

من أبرز صفات نلينو غرامه الشديد بجلاء الحقائق ، وقد أفرط
في ذلك الى حد الوسواس والتردد . كان يحلل كل عبارة مهما كان
مصدرها تحليلا مجهريا ، ويفحص بعرفته الثاقبة كل كتاب مهما أم
غير مهم ، ذلك لانه كان يريد أن يكون في العلم كسا هو في الحياة على
مثل اليقين فيما يقول به ويؤيده من أنظاره .

كان اذا جرى امامه بحث في بعض المسائل التي لم يعطها من
الدرس حقه ينصت مستعنا لما يقال استماع تليذ جبان أمام معلمه
العظيم ، واذا كانت المسألة المعروضة ما يحسن معرفته لا يحول أحد
بينه وبين الكلام ، ولا يحجم عن قول كل ما يعرفه .

قال من ترجسوا له انه لم يكتب من العلم الاسلامي بدراسة
علم الفلك فقط ، بل أخذ نفسه بدرس كل ما لهذا العلم من فروع
وشعب ، وكان مثلا مفردا في معناه بين المؤلفين ، وحجة قاطعة في
الدروس الاسلامية والعربية ، وقد قال مرة لأحد أصحابه : أنا لا أود
أن أذع الخروج من درس العرب دراسة خاصة الا اذا عرفت كل شيء على
حساب العرب .

ودعاه اتساع نطاق الحضارة العربية وطول مداها وترامي أطراف
الاقطار التي نشأت فيها أن يخرج عن دائرة الاحصاء الضيق الى ساحة
النظر المطلق في كل ما له علاقة بهذه المدينة ، فكان نحويا مؤرخا

جغرافيا فقيها فيلسوفا حقوقيا طبيعيا رياضيا . ونظراته سديدة فسي
هذه المدينة الغنية وارثه تراث الشرق السامي والفارسي الطويلة العمر
(أربعة عشر قرنا) .

رأى نلينو في العصر الذي عاش فيه ، وتجرد للعمل في ميدانه
أن العلم العربي الاسلامي حاد عن طريقه اللغوي واتجه وجهة جديدة
في بحث الافكار والامور فتخلى عن درس الاصول ، وعن أخذ ما
خلفته الاجيال القديمة من تراث أدبي ورجع الى القرون الوسطى
الاسلامية ، ثم بدأ بدرس الاسلام الحاضر دراسة علمية ، وما كان الا
ولا الوحيد الذي قاده عقله الى سلوك هذه الطرق الجديدة ، وكان
بسا رزق من ملكة لاستخراج مادة مبعثرة ، ومعالجة موضوع غير ،
فردا في صبره وأفاته ، لم يشاركه - فيما نعلم - غير أفراد قلائل
من علماء المشرقيات ، فهو لم يترك قضية عربية اسلامية الا وجعل لها
قسطا من عنايته ، وتوفر على دراستها دراسة كفا ، محقق ، ودقق في
فروعها وأصولها كاشفا عن غوامض الحوادث المجهولة ، ومصلحا أغلاطا
فاحشة قديمة .

تناولت دراساته اللهجات العصرية ، والتاريخ السياسي حديثه
وقديسه ، والتنقل بين التاريخ والجغرافية ، والنظر في الاساليب المختلفة
في كل مظاهرها ، والبحث في عادات اليمن قبل الاسلام ، وفي أساء
بلدان ليبية (طرابلس وبرقة) وفي وضع فهارس المخطوطات ، وفي
تراجم الرجال ، وحلّ الكتابات الاثرية ، وكتب أكثر تأليفه بالاطالية
وبعضها بالعربية ، ونشر أبحاثا بديعة في التاريخ والجغرافية والفلك
عند العرب ، وأبحاثا في القرآن ، وفي قبائل العرب وأصولها . وطبع في
صباه زيح البتاني الفلكي العربي مع ترجمته بالاطالية ، وبه اشتهر

بين العلماء . ولما دعي في سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ الى التدريس في الجامعة المصرية القديمة التي على تلاميذه محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى وطبعها على حدة ، فكانت من أجل الكتب التي نشرت في هذا العصر بالعربية ، وبه وقفنا على أشياء كنا نجهلها من عناية أجدادنا بهذا العلم . ومن الكتب التي صحح أغلاطها كتاب « تاريخ المسلمين في صقلية » لآماري المستشرق الصقلي ، وهو في مجلدين بالاطالية ، فاستدرك نلينو ما فات المؤلف . ومنها كتاب « دولة عبورية » لفاز يليف المستشرق الروسي : نظر فيه نظرة بليغة مع من نظر فيه من العلماء وله عدة أبحاث في مجلة المجمع العلمي العربي ، وفي مجلة « الهلال » ، وبعض مقالات في مجلات أخرى ، يضرب فيها كلها على سندان واحد ، وهو تصحيح أغلاط المعاجم ، وتنقية العلم من الزغل والزؤان ، الذي وقع فيه بفعل القرون الطويلة وجعل الجاهلين .

وقد نشر في سنة ١٩٠٨ بحثا في مجلة المجمع العلمي المصري صحح فيه ما وقع للمترجمين من تحريف في أساء البلدان العربية . ولما اطلع على ما كتبه في جريدة « المؤيد » ومجلة « المقتبس » بشأن موضوعه بعث يشكرني ويقول : ان غرضه تنبيه أولي الشأن من الشرقين الراغبين في صون لغتهم من أيدي الضياع ، ووقاية الكتب . المصورات والجرائد من التحريف الشنيع ، وبقي يطيل النظر في هذا الموضوع الى السنة التي طلب بها مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة تصحيح اعلام البلدان الاسلامية ، فصحح القسم الاعظم منها ، ما خلا الديار الشامية وجزيرتي الاندلس وصقلية . وأبرز جداول محكمة في هذا الموضوع دلت على علو كعبه وطول درسه ، فأقر الاعضاء جداوله معجبين ، وقد كان المجمع يريد ارجاء هذا البحث الى دورة الانعقاد

المقبل فأمر نلينو على تلاوة جداوله واقرارها ، كأنه كان يلحظ من جانب الغيب أن المنية ترصده ، وأن تلك الجلسة آخر جلساته ، وهو يريد أن يقر المجمع عملا له تعب سنين في اعداده ، وأن ينشر هذه الكلمات الصحيحة على الشعوب العربية والاسلامية ينتفعون بها في تقويم أساء ديارهم .

وكتب الاستاذ مقالات مستعة في معلمة الاسلام وأكثرها في علم الفلك والآلات الفلكية وتراجم بعض الفلكيين وغيرهم . وكانت مقالاته في مجلة المشرقيات الايطالية في غاية الامتاع ، ومنها خلاصة ما تنشره مجلات الشرق العربي من الكتب والرسائل والابحاث النادرة . أما الاسئلة التي كانت تعرض عليه ويجب عنها بالتحقيق المعهود فيه فكانت وافرة جدا ، وربما تألف منها مجلدات ، لان الفقيه العزيز كان كريما بعلفه ، ما سأله سائل في أمر يعرفه الا بادر الى اطلاقه على ما عنده منه ، سأله أن يجلو لي بعض الانحاء الغامضة من تاريخ الفتح العربي في جنوبي ايطاليا ما عدا صقلية ، فكتب الي كراسة بالفرنسية فيها زيادة تاريخ تلك الديار ، فانتفعت بها في كتابي « الاسلام والحضارة العربية » ، وطلبت منه أن يتفضل ويكتب لي نبذة مختصرة في حياة صديقي وصديقيه جنويدي^(١) وكايتاني^(٢) ، من أكبر علماء المشرقيات في ايطاليا ، فاغتنبط وابتسم ووعدني بأن يكتب .

(١) مستشرق ايطالي Ignazio guidi (١٨٤٤ - ١٩٣٥ م) شيخ المستشرقين في عصره . عالم بالعربية والسريانية والحنينية انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، له كثير من الابحاث بالعربية واربعمون محاضرة القاها في الجامعة المصرية بعنوان (محاضرات ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوروبا ، خصوصا ايطاليا) ونشر بعض الكتب العربية القديمة (الاعلام ١/٣٤١)

(٢) مستشرق ايطالي له ترجمة في هذا الكتاب رقمها ٣٣ . انظر ص

والسر في كل هذه الاعمال الجليلة التي تت على يد زميلي
الكبير شدته في نظامه ، وتدقيقه في عمله ، ومارزق من ارادة قوية .
فهو رجل ما عرف الفوضى ولا الإحجام .

أحرز درجة عالية في الابحاث التي نظر فيها ، قلما تطال السي
مدائنه فيها العلماء . وهو بالنسبة لبيته وتربيته ولما يريد بحثه من
الموضوعات قد يستهدف لغضب قصار النظر ، لان أبحاثه لا تخلو -
لاختلاف الدار - من أشواك وحسك ، وما يغبط عليه أنه قال ما
يرضي وما يغضب ، فأرضى وما أغضب ، وهذه نعومة قلما يصل اليها
باحث . ولذلك كثر المعجبون به في الشرق العربي ، ولا سيما في مصر ،
وكان يحيا لانها عرفت قدره شابا فوسدت اليه التدريس في جامعتها ،
وما نسيته كهلا وضته الى أعضاء المجمع اللغوي .

كان نليو فردا في أخلاقه وسسته ، عرضت عليه أرفع المناصب
السياسية في ايطاليا فما أراد أن يخرج عن هدي العلماء ، وما وجدت
المظاهر الخلافة سيلا الي قلبه ، كان يحسن بضع لغات غربية ، ويحذق
العربية تخاطبا وتكاثرا كأحسن أبنائها . وقد فقد العلم الاسلامي به
عالما غيورا وعاملا مخلصا ، فيه شجاعة وأريحية ، وفيه المروءة وعزة
العلماء . ويحق لايطاليا أن تباهي بابن لها أورثها مجدا لا يبلى ، وخليق
يعلم المشرقيات أن يكيه ، وبنا معشر العرب أن تتأمل طويلا في سيرته ،
وأن تعرف أنه خدم امته وما كره غيرها ، وأنه نفع طول حياته وما أضر .
ومن حق الشعوب العربية من أقصى بحر الفلثانات (١) الى الخليج
الفارسي أن لا تنسى عظيما صرف عمره في درس كل ما له علاقة بها
وتاريخها وباجتماعها وأرضها ، وعطف عليها وأحبها .

(١) هو ما يعرف اليوم بالمحيط الاطلسي .

كانت صلاتي بصديقي الراحل وثيقة مدة ثلاثين سنة ، وكنت اذا
حدثته أو كاتبته أشعر بأني مع عالم قريب منا بذهنيته وآدابه ، ذلك
لأنه كان يحب العرب والعربية محبة صادقة ، وما ألقاه من المحاضرات
وكتبه من المقالات باللغة العربية حبه الى أهلها ، وحجب أهلها اليه .
وكان هو وجويدي وساتلانا (١) من أول من ألف من علماء
المشرقيات الغربيين باللغة العربية . ثم تبعهم العلماء ريتزر وكترنكو
وبرتزل ومايرهوف وينبرج وغيرهم (٢) وكانت العادة أن يكتب المستشرقون
من علماء المشرقيات مقدمات الكتب العربية القديمة التي ينشرونها
بلغاتهم أو باللغة اللاتينية ، فأصبحوا يكتبونها بالعربية ، وبهذا عرف
أبناء العرب صورة من بحث علماء المشرقيات وعنايتهم بالعلم وتحقيقهم
المنتع . وعسى أن يكون من سيرته لناشتنا درس نافع ، وأن يعلموا
أن العلم بغير درس لا يحصل ، وبدون عمل لا يستفاد منه ، وأن
الشهادات العالية والالقاب العظيمة لا تنبى عن الرجل ، وأن أوربا

(١) Santillana , David مستشرق ايطالي ذو معرفة شاملة
بالمذهبين الشافعي والمالكي عمل أستاذا لتاريخ الفلسفة في الجامعة
المصرية سنة ١٩١٠ فبرز في الفلسفة الاسلامية واليونانية والسريانية وله
فيها محاضرات باللغة العربية . ثم درس الفاسون الاسلامي في جامعه
رومة ، له بحوث ودراسات وترجمات توفي سنة ١٩٢١ م (المشرقون
٣٧٤) . وجويدي شيخ المشرقين في اللغات السامية (المشرقون
ج ١ / ٣٧٥) .

(٢) الاول Ritter . H الماني ولد عام ١٨٩٢ والثاني فريتس كرنكو
Freitz krenkow (١٨٧٢ - ١٩٥٢) الماني أيضا ومن أعضاء المجمع
العلمي العربي بدمشق والثالث (Pretzl . O) ١٨٩٣ - ١٩٤١ م
مستشرق الماني أيضا والرابع ماكس مايرهوف Max Meyerhof . ١٨٧٤ -
١٩٤٥ طبيب الماني والخامس سويدي Nyberg . H ولد سنة ١٨٨٩ .

كليمانت هوار *

HUART, CLÉMENT

١٢٧٠ - ١٣٤٥ هـ

١٨٥٤ - ١٩٢٦ م

ولد كليمان هوار في باريس ، وتخرج في مدرسة اللغات الشرقية فيها ، ونال شهادة مدرسة الدروس العالية (شعبة العلوم التاريخية واللغوية) ، ثم دخل في سلك الترجمة والقنصليات ردحا من الدهر . وانصرف الى التأليف والتدريس فعين أستاذا في مدرسة اللغات الشرقية ، وعميدا لها ، ومديرا للدروس في مدرسة الدروس العالية العملية ، ورئيسا للمعهد العلمي ، وعضوا في عدة مجامع ومنها المجمع العلمي العربي^(١) ، وكان على اتصال به منذ تأسيسه ، وكتب في مجلته بحثا جسيلا في الاستعراب عند الفرنسيين : وأحيا بالنشر كتاب « البدء والتاريخ » للمظهر بن طاهر ، وترجمه بالفرنسية ، ونشر « مقامات ابن نايقا^(٢) » ، و « ديوان سلامة بن جندل » ، وألف بالفرنسية كتاب « الآداب العربية » في مجلدين ، و « تاريخ العرب »

* له ترجمة في الاعلام ٩١/٦ ووفاته فيه سنة ١٩٢٧ وانظر المستشرقون : ٢٣٠ ومعجم المطبوعات : ٢٤٢

(١) المقصود مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) في الاصل : ابن باقية ، والتصحيح من وفيات الاعيان ٢٦٦/١

والاعلام ٢٦٧/٤ ، وقد ذكر معجم المؤلفين ترجمتين لابن نايقا الاولى ج ٢/٧٥ والثانية ١١٦/٦ الاولى باسم عبد الله بن محمد مثل ما جاء في المصدرين السابقين والثانية تحت اسم عبد الباقي بن محمد وهو شاعر ، لغوي ، مترسل ، من اهل بغداد ، ماجن ، متهم بالظلم على الشريعة ، له مصنوعات وديوان شعر . (٤١٠ - ٤٨٥) هـ = ١٠٢٠ - ١٠٩٢ م .

لم تتقدم الشرق الا بعملها ، وأن دعوى التسجد بالقديم من دون عمل لاقتباسه والزيادة عليه مضيعة للوقت واشتغال بباطل ، وأن الواجب على طلاب العلم أن يجعلوا حياة أمثال نلينو نصب أعينهم ، ولا غضاضة على من اعترف بقصوره ، وسعى الى بلوغ درجات الكمال .

★ ★ ★

و « تاريخ بغداد » و « كتاب الخطاطين والمذهبيين في الشرق الاسلامي » و كتابا في دين الباب و « مختصر نحو اللغة الفارسية » وغير ذلك من الابحاث التي تتعلق بالاسلام و آدابه و فنونه . وكان يدرّس بالعربية و الفارسية و التركية ، و هذه هي اللغات التي كان يحسنها من لغات الشرق . و استهوته العربية فكان يفضلها على غيرها و يصرف فيها جهوده لاعتقاده بما لها من التأثير المستر في منازع الشعوب الاسلامية و آدابهم و فنونهم و لإيقانه أنه لا يتيسر لاحد معرفة اللغة التركية أو الفارسية معرفة جيدة الا اذا كان ضليعا في العربية . وكان لهذا يلقي درسه في تفسير القرآن في مدرسة العلوم العليا باللغة العربية ، على قلة المستفيدين من درسه لقلّة معرفتهم بلغة الكتاب العزيز ، وله كتب و رسائل و مقالات و تقارير و انتقادات نشرت في مجلة العالم الاسلامي و المجلة الآسيوية ، و مجلة تاريخ الاديان ، و مجلة النقد ، و المجلة السامية و المعلقة الفرنسية الكبرى ، و معلقة الاسلام ، و في هذه المعلقة نشر تراجم بعض علماء المسلمين الاقدمين بأسلوب مقتضب لا نسبة بينه وبين ما نشره غيره من المحققين المستعربين في تلك المعلقة . وكانت تراجمه كالفهارس الموجزة لا تراجم رجال تملأ حياتهم صفحات و ما ترجمه لهم يتيسر لأي طالب أن يكتب أمتع منه . و لعل السبب في قصوره هذا حرصه على الإكثار من التأليف و مبادرته الى نشر ما ألف . هذا الى ما تتطلبه الوظائف الادارية و السياسية التي تولاها من الوقت و الجهد .

ولقد رأينا الفرنسيين على شدة ذكاء علمائهم يخوضون أبحاثاً لا تظهر عليها العناية كما تظهر عناية الالمان و الانكليز و الهولانديين فيما أحيوا من آثار العرب .

ولهذا وقعت للسيد هواري في كتاب « البدء والتاريخ » أغلاط

كثيرة ما كان يسقط فيها لو تزوي في نشره ، ولو رجع الى عالم عربي لصحح معظم هفواته و صدر الكتاب سليما من العيوب في الجلة . وكذلك كان شأنه في تاريخ العرب اقتضبا مخلصا ، و ما كان في انصافه العرب و عطفه على مدينتهم الا دون ابن و طنه سيدليو (١) عندما كتب تاريخ العرب ، و حكم على مدينتهم حكمه الخالي من النزعات الشعبية .

تجلى روح السياسة في بعض ما كتب هواري أكثر من روح العلم المجرد ، و بدت العصبية الدينية القديمة زائدة على النزعة المدينية الحديثة أو تكاد ، ما يترفع عنه المحققون .

ومن الصعب أن يخدم المرء سياسة معينة ، وهي تتقاضاه أن لا يحيد عن ناموسها و أن يزعم الى ذلك خدمة العلم مبتعدا عما يشوه وجهه الجميل .

ومن العدل أيضا أن لا نطلب من الغرباء عنا انصافنا فيما نعتقد أن القول بخلافه ينافي الحق ، و ينم عن تعصب و عصبية . وقد تبدر سلامة القصد في أحكام بعض علماء المشرقيات على الاسلام اذا كانوا بعيدين عن السياسة ، و اذا حاد بعضهم عن الصراط السوي فيكون ذلك منه عن اجتهاد أو قلة معرفة .

وهواري كان همه على ما يظهر إرضاء زعماء الاستعمار على حساب العرب و الغرض منهم بما يلائم مصلحة السياسة الاستعمارية (٢) عند

(١) عالم بالمشرقيات اسمه الكامل (Loui , pierre , sédilloj) (١٨٠٨ - ١٨٧٥) م الف (تاريخ العرب) و اشرف على ترجمته الى العربية مهديبا علي مبارك باشا ، لم ترجمه عادل زعبيتر (الاعلام ١١١/٦) (المستشرقون ١٧٧٠ . في ترجمة والده) (٢) الاصل : بما يلائم مصلحة السياسة الاستعمارية .

الفرليس ، ومن لا يخدم هذه السياسة من عمالهم بما يلائم دعوتهم
يطرد من الخدمة ويقطع رزقه ، وعندنا على ذلك أمثلة غير قليلة .

وكل هذا لا يمنعنا من التصريح بأنه لولا عناية علماء
المشريات بالنظر في مدينتنا لتأخر أصحاب هذه المدينة أنفسهم زمنا
عن معرفتها . ولما أخذنا بطرائق علماء الغرب في البحث لتيسير كشف
القناع عن حقائق الاسلام وعظمة مدينة العرب كسفاً ظهرت به أغراض
رهبان القرون الوسطى ، وكان دأبهم ستر مدينتنا بلباسهم الاسود
ويدسون سومهم القتالة وتعصبهم الذميم في كل ما يرفع شأن الاسلام
وينادي بعظمة المدينة العربية .

★ ★ ★

- ٣١ -

كورنيليوس فاندريك •

VANDYEK , CORNELIUS

١٨١٨ - ١٨٩٥ م

من عادة البرتستانت الاميركان أن يخصّوا الافطار المتدبر
بالدعوة الى مذهبهم، وأن يتعدوا عن نشره بين المتوحشين، ولما صحت
عزيمتهم على نشر نحلتهم في الديار الشامية رموها بعلماء فضلاء قاموا
بما عهد إليهم من نشر البرتستانتية ونشر العلوم والمعارف معها ، ومن
هذه الفئة الصالحة كورنيليوس فاندريك (١) .

* ترجمته في « المستشرقون : ١٩٢٢ » والاعلام ج ٧٧/٦ رواد
النهضة الحديثة : ١٧٥ تراجم مشاهير الشرق ٥٢/٢ .
(١) من هؤلاء الاعلام من اغنوا الخزانة العربية بما الفوا لها من كتب
جيدة حملت العلوم الحديثة الى الافكار كالدكتور يوست ، الف لنا
« قاموس الكتاب المقدس » في مجلدين ، وكتاب « نباتات سورية وفلسطين
والقطر المصري وبواديهما » ، و « الامريباذين او المادة الطبية » وغيرها .
ومنهم الدكتور ورببات Wortsbet نشر « اصول الفسيولوجيا » ،
و « اصول التشريح » ، و « قواعد حفظ الصحة » و « كفاية الصوام
في حفظ الصحة وتدبير الاسقام » ، ومنهم الدكتور يورتر . وضع
« القاموس الانكليزي العربي » و « العربي الانكليزي » ، و « النهج القويم
في التاريخ القديم » وغير ذلك (المصنف) وابن المترجم ادوار عالم ابناء، ولد
في لبنان ، وتخرج من الجامعة الاميركية في بيروت ، وعين استاذاً
للانجليزية في القاهرة . ومن آثاره : « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » وهو
فهرس الكتب قديمها وحديثها التي صدرت عن مطابع الشرق والغرب ،
كما نشر ترجمة لكتاب كليله ودمنة في اوكسفورد سنة ١٨١٩ وترجم
« مقالة في النفس » لابن سينا بعنوان : هدية الرئيس للامير وغيرها
(المستشرقون : ١٩٢٢ - ١٩٢٤)

- ٣١١ -

- ٣١٠ -

ولد في الولايات المتحدة من أب هولاندي وأم هولندية ، ونشأ نشأة أميركية ، وتلقه علوم عصره فأحکم الطب والصيدلة والرياضيات ، وبرع في الكيمياء حتى صار يلقب بالخطيب الكيميائي ، وأتقن من اللغات عشرًا ، منها خمس لغات قديمة وخمس لغات حديثة .

واختاره مجمع المرسلين الأميركيين مرسلًا طبيًا إلى سورية فنزل بيروت ، ودرس العربية واجتمع بالمعلم بطرس البستاني وسالنه وأتلف معه ، وأخذ العربية عن العالمين الكبيرين الشيخ ناصيف اليازجي (١) والشيخ يوسف الأسير (٢) ، ودرس السريانية والعبرية ، ولما أنشئت الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٨٦٦ عهد إليه بتدريس علم الفلك والظواهر الجوية والبايولوجيا وسرع يترجم إلى العربية ما يلزم الجامعة الجديدة من كتب الطب والعلوم باللغة العربية ، وما برح على ذلك حتى بدأ لرؤساء الجامعة أن يجعلوا اللغة الانكليزية لغة التعليم بدلًا من العربية فاستقال هو وزميله الدكتور وربات (٣) احتجاجاً على

(١) عميد بيت اليازجي، وركن من أركان النهضة العلمية في سورية. له القدر المثل في اللغة والشعر والأدب . ولد في نهر شيماء ببلتان سنة ١٨٠٠ . استكبه الأمير بشير الشهابي وقربه نحو ١٢ سنة ولما نفي الأمير سنة ١٨٤٠ انتقل مع أسرته إلى بيروت وتفرغ للمطالعة والتأليف. وتخرج عليه طبقة من الأدباء . له عدة دواوين وكتب منها : مجمع البحرين (مقامات) ، فصل الخطاب (صرف ونحو) توفي سنة ١٨٦١ (زيدان ٢٣٤/١)

(٢) من أعلام الفكر في القرن التاسع عشر . درس في الأزهر ، وتقلب في مناصب الافتاء في سورية وعلم في أشهر مدارسها اللغة والفقه . وله كتاب « الفرائض » طبع في بيروت ، و « شرح أطواق الذهب » للزمخشري . (تاريخ آداب اللغة العربية ٢٧٥/٤) .

(٣) هو الدكتور يوحنا وربت Wortsbet (١٨٢٧ - ١٩٠٨م) ولد في لبنان من أصل أرمني ، وتعلم في الجامعة الأميركية ، ونال شهادة الطب من أدنبرة ، وعين أستاذًا لعلم التشريح والاحياء والبايولوجيا في =

من رجحوا الانكليزية على العربية قائلين : إنها ما تولا أرض الشام ١٤٢
الا ليخدا العرب بتدريس العلوم بلغتهم .

كتب فاندريك باللغة العربية عشرين كتابًا في العلوم والفنون ومنها تسعة ترجمة التوراة التي كان بدأ بها قبله عالي سيث المرسل الأميركي ، ومنها : « أصول البايولوجيا الداخلية » ، و « أصول التشخيص الطبي » ، و « الاصول الجبرية » ، و « أصول الكيمياء » ، و « الاصول الهندسية » ، و « اصول علم الهيئة » ، و « الانساب » ، و « تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر » و « رسالة في مرض الجدري والحصبة » ، و « محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي » ، و « النقش في الحجر » وهو في ثمانية أجزاء صغيرة كلها في مبادئ العلوم كالعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافية الطبيعية والجيولوجيا والهيئة والنبات وأصول المنطق . وكتب مطولاً في الجغرافية ، أكثر فيه من الاستشهاد بالشعر العربي ، فزج العلم بالأدب . وله كتاب « إرواء الظماء في محاسن القبة الزرقاء » وهو آخر تأليفه وقف على طبعه ، صدره بقول ابن حسن التاجي

انظر الى حسن تكوين السماء وقد لاحت كواكبها والليل ديجور
كانها خيمة ليست على عمد زرقاء قد رصعت فيها الدنانير

أنشأ فندريك مدارس كثيرة في لبنان وكان اذا سأله سائل وهو ذاهب في مهمة له من هذا المعنى ، الى أين يا دكتور ؟ كان يقول : الي ذاهب الي القرية القلانية لأنسى ، مدرستين ، مدرسة لنا ومدرسة

= الجامعة الأميركية ببيروت ، من آثاره بالعربية : التشريح وعلم الاحياء ، وله بالانجليزية « ادبان سورية ، حكمة العرب » .

ينشأ اليسوعيون بعدنا ، وأتت المرصد الفلكي في الجامعة من ماله الخاص ، وكان العامل الأكبر في إنشاء مستشفى مارجرس في بيروت ، وأتت مجلة « النشرة الأسبوعية » ولا تزال تصدر إلى الآن . إلى غير ذلك من أعماله العلمية والدينية والخيرية ، وعرف الإحسان لكل إنسان فأجته جميع الطوائف ، واحتفلوا بعيده الخمسيني ، وعددوا مآثره في خدمة العلم والعربية في القطر الشامي خاصة وديار العرب عامة .

وتخرج به كثير من رجال النهضة ، ومنهم العالمان يعقوب صروف وفارس سر ، وهو الذي رسم لها خطة إنشاء مجلة « المقتطف » وسأها لهم ، وعليها كيف تكتب المجالات العلمية ، وآزر فيها بنفسه مدة . فكانت خير أداة لنشر العلوم في الشرق العربي . ولو اطرد التعليم بالعربية في جامعة بيروت كما كان يهوى لغيت لغتنا بالمؤلفات العلمية في العلم والفن ، ولما اضطر الباحثون منا إلى الآن إذا أرادوا التعسق في موضوع علمي أو أدبي ، أن يعددوا إلى مراجعة كتب الأفرنج . فنفضل فانديك على ديارنا وأهلها يذكر بالحمد على الدهر . وقلنا عهد غريب من أهل لسان يتحمس لسانهم تحمسه ، ويخلص في خدمتهم إخلاصه ، اللهم إلا أهل فارس في القديم يوم أخلصوا في خدمة الإسلام والعربية بما لم يصل إلى بعضه غيرهم من العناصر .

ولعلنا لا نعدو الصواب إذا حكمنا على فانديك أن دعوته الدينية ذابت في شخصه وغلبت عليه النزعة العلمية ، وبها ظهر في هذه الديار ظهوراً رائعاً ، وأفاد جمهور المتعلمين على اختلاف مللهم ونحلهم . كان بسيرته الزكية وعظفه على الفقراء والمساكين المثال الجميل الحي الذي ينبغي لرجال الأديان أن يقتدوا به ، وبوضعه مع رفاقه أساس

العلوم في الجامعة الأميركية الإنجيلية ، وضع الحجر الأساسي الذي قام عليه صرح العلم في الشرق الأدنى . وخدم بذلك الإنسانية أجل خدمة ، خدم العرب ولغتهم خدمة عاقل حكيم ، وكان من أول الغربيين الذين أحسنوا إلينا بإخراجنا من العمية ، وإثارة عقولنا بقبس من نور الحضارة ، وقبلهم كنا في عساية ، ونعد ما عندنا من علوم الدين واللغة هو غاية ما يجب تعلمه في الحياة ، كنا في غفلة وأي غفلة ، فلما عالجوننا بدرياق العلم تجلى الفرق بين صحتنا الحاضرة⁽¹⁾ وسقنا الغابر . ولولا أخذنا بما حلوا إلينا لظلمنا وراء الأمم ، على ما ترى أكثر سكان جزيرة العرب إلى اليوم .

أحب فانديك العرب ، وأحب كثيراً من عاداتهم الحسنة ، فقلدهم في لباسهم وملعابهم ، وفي كل جميل من مظاهرهم . وكان يعنى بالصغير قبل الكبير . وقد يأخذ برأي بعض طلبته إذا رأى الحق في جانبه ، ويجيب على كل ما يسأله من تلاميذه ، ويكاتب من لا يعرفهم من طلاب الاستفادة من علمه وتوجيهه .

علم الناس بالقدوة الصالحة ، وكانت علياته أكثر من نظرياته ، ودام يدأب على تربية النفوس وإثارة العقول حتى اختاره المولى ، فذهب حفيد الأثر ناجح المسمى .

كتب لي شرف المثول بين يديه ، وأنا مع أبي في السادسة عشرة من عمري ، وقد قصدناه في منزله في رأس بيروت ليفحص عيني والحسر بادٍ فيها ، فكتب لي بعد الفحص درجة النظارات التي تناسبني ، فقلت له : يا سيدي الدكتور . كيف لي أن أضع نظارة على عيني فإن أهل

(1) الاصل : الحاضر .

• لويس شيخو

١٢٧٥ - ١٣٦٦ هـ

١٨٥٩ - ١٩٢٧ م

ولد في ٥ شباط ١٨٥٩ في ماردين بالجزيرة ، وتوفي في مدينة بيروت سنة ١٩٢٧

انصل منذ نعومة أظفاره بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في قرية غزير من جبل لبنان العلوم الدينية والمدنية ، وأخذ العربية والفرنسية واللاتينية وغيرها ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية . متجرداً من متاعب المعاش والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما أخذ به من خدمة الدين والآداب . وتنقل في فرنسا وانكلترا وألمانيا وإيطاليا وغيرها من مراكز العلم في الغرب ، فدرس طريقة الغريغرين في البحث والتأليف ، واطلع على ما في خزائنه من كتب العرب . واستبح لحساب جمعياته أمهاتها النادرة ، وحضر بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في الغرب ، وساح في بعض أرجاء الشرق .

انصرف شيخو لأول أمره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت ، ونشر عدة كتب مدرسية ودينية أهمها

* ترجمته في الاعلام ج ١١٣/٦ ومعجم المؤلفين ١٦١/٨ . تاريخ الادب العربي للقاخوري : ١١٢٥ وانظر معجم المطبوعات ١١٦٦ ، رواد النهضة الحديثة : ١٧٦ والاعلام الشرقية ١٥٤/٣ ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٧ الجزء ٢ ص ١٦١ - ١٦٤ .

بلدي سيفحكون مني ؟ فقال الدكتور : استعمل النظارات ولا تلتفت الى كلام الناس ، فأنت محروم نصف لذة الدنيا . فصعدت بأمره (١) ، ولا أزال الى هذه الساعة كلنا وضعت النظارة على عيني أذكر نصيحته الثبينة ، وأذكر فضله على وعلى امتي . أجزل الله ثوابه .

★ ★ ★

(١) صدق بالأمر : جاهر به ، ولعل المراد هنا الامتثال .

« مجاني الادب » في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب ، وشرحها شروحا لغوية أدبية ، وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام . ونشر مقالات « علم الادب » وكتابا في الانشاء والعروض والخطابة ، وأحيا بالطبع كتاب « الألفاظ الكتابية » للهمداني ، و « فقه اللغة » للثعالبي ، وذلك بحذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، فلاحظ عليه العارفون من علماء المشرقيات المتعربين فاضطر بعد الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها من أسفار العرب .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين « كتاب الهمز » ، و « كتاب المطر » للانصاري وكتاب « الكتاب » لابن درستويه ، و « تهذيب الالفاظ » ومختصره لابن السكيت ، و « حساسة البحري » و « طبقات الأمم » لصاعد ، و « ديوان الخنساء » ، و « ديوان أبي العتاهية » ، و « ديوان الخير بنق » أخت طرفة ، و « ديوان السوأل » ، و « ديوان المتلس » ورواية جديدة من « كليله ودمنة » ، و « تاريخ بيروت » لصالح بن يحيى ، و « تاريخ شاكر بن الراهب القبطي » ، و « تاريخ سعيد بن بطريق » وملتحقه لسعيد بن يحيى الأنطاكي ، و « تاريخ محبوب المنبجي » و « فضائل الكلاب » لابن المرزبان ، و « آصف تامه » و « مقالة في الضوء » لأرسطو ، و « الآلات المنفعة » لمورستس ، و « الآلات المزمنة » لبني موسى ، و « المكحلة » لأبي محمد الصقلي ، و « شواعر العرب » ومجموعة أربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين ما خلفه القدماء ، نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من أهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة ، وزاد فيها مجاميعنا المطبوعة ، وأحسن بما علق عليها من الفوائد ، وخدمها به من الشروح .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و « معرض الخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائله وكتبه في تزييف الماسونية والحيلة على رجالها . وكتابه في المدارس العلمانية والادبية و « تاريخ الرهبانية اليسوعية » و « تاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر » و « بيروت وآثارها وتاريخها » وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والادبية والعلية في مجلة « المشرق » عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب هذه المجلة منذ إنشائها فأصدر منها بقلبه خمسة وعشرين مجلدا ، ونشر فيها أولا أمهات تأليفه . ثم استخرجها منها ، وراعى في كتبه نظام رهبانيته ، فجاءت كتاباته إلا قليلا أشبه بالدعايات المذهبية منها بكتب عليية مشتركة ، تنشق روح دينه في كل ما كتب ونشر ، ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة « شعراء النصرانية » قبل الاسلام وبعده ، و « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

قال الاستاذ مارون عبود : سعنا بكتابه « شعراء النصرانية » فاستقدمناه فإذا كل من عرفناهم من شعراء جاهليين قد خرجوا من تحت سن قلمه نصارى . كان التعييد بالماء فإذا به قد صار بالحبر .

لم يبرزق الفقيه ذوقا عاليا في الادب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات أيامه كما كانت لأول عهده نطقا واحدا ، لا تناسب مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وبعض علوم العصر ، أي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب ، وغريب من عاش بين كتب الفصحاء من العرب أن يظل بعد درس خسين سنة ضعيفا في الانشاء على كثرة ما قرأ وكتب ، وأن تبقى ملكته الاولى في

الإداء تتناوشه أحيانا ، ولا يتطأل إلا الى الاخذ من الينبوع الاول الذي استقى منه في مدرسته الاولى . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر ، فقد نشر في مجلته قصائد لادعاء القريض كان الاولى أن تطوى على غرها (١) ، وألف كتاب « أطرب الشعر وأطرب النثر » مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم على حين هم فيما يخطون أحط مما ينظم أو يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما أدري إن كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط ، أو أنه مقتنع بأن شعرهم وترهم حقيقة من أطيب الشعر والنثر يجب تخليده في بطون الصحف حرصاً على بلاغته وقصاحته .

وقضت عليه البيئة على ما يظهر أن يفضح حق العرب في مدينتهم، وكان على الاغلب ينظر إليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبيا وشديداً شعوبية بأفكاره ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم وآخر أثر له من هذا القبيل أنه ذكر جيلة من أدباء المسلمين - وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين - في الربع الاول من القرن العشرين ، لم يتجاوز في عددهم العشرات في الامة العربية ، مع أن من وضعوا المصنفات والتأليف الجيدة ولهم مكانة في الشعر والادب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمئة رجل ، واعتذر بجهله أساءهم ، مع أن من اشتهر بين قراء العربية بمصنفاته وفيها المتع لا يصعب السؤال عنهم . ويستغرب أن لا يطلع مثله على أعمالهم .

قال الاستاذ مارون عبود : للاب شيخو أجل فضل على النهضة

(١) من معاني الفر : كل كسر منثن في لوب او جلد ، والمراد تترك على فسادها

الحاضرة ، فهو الذي مهد لنا الطريق في كتبه ، فكتابه « علم الادب » تناول كل حديث من ألوان الادب وهو يعلم الطالب الاصول من فنن القصة والرواية والتاريخ الى النقد ، وكل ما استحدثت من ضروب ، وفي مجلته « المشرق » (١) التي تعد حجة في المشرقيات عرفنا على الروايات الاصولية والابحاث الدقيقة ، ودلنا على ما في بلادنا من آثار، وعلنا تاريخنا وطبقات أرضنا ، وأحيا ذكر نوابغنا على اختلاف الملل والنحل ، وأوحت اليه غيرته على الكتب الخطية القديمة التي كانت مبعثرة في الأديار (٢) والبيوت انشاء المكتبة الشرقية ، وهي من أشهر خزائن الشرق ، بل هي أغناها في المخطوطات ، ليس هو ذلك المنشئ المنسقة عبارته ، ولكنه الباحث المدقق ، والمناضل العنيف عما تجسد للدفاع عنه ، بحانة جريء حمل على الماسونية حملات غواشم .

★ ★ ★

(١) التي انشأها سنة ١٨٩٨
(٢) الأديار : ج دير النصارى .

ليون كايثاني *

CAETANI, LEONE

١٨٦٩ - ١٩٢٦ م

منذ نحو ألف سنة كان بيت الامير ليوني كايثاني في رومية يخرج
عظاما في الدين والسياسة ، وكان منهم الباباوات والقواد والولاة .

ودرس الامير الآداب في جامعة رومية ، وأتقن الايطالية
واللاتينية والالمانية والانكليزية والفارسية والعربية .

وبدا له وهو في الخامسة والعشرين من عمره أن يضع بلغته
مطولا في تاريخ الاسلام ، فجمع لتأليفه خزانة عظيمة بلغات مختلفة ،
وأكثرها بالعربية ، واستسخ وصور مخطوطات في التاريخ العربي مما
كان مبعثرا في خزائن أوربا وغيرها . ورحل الى الهند وفارس ومصر
والشام ، وقصد الى وادي اليرموك ليري بعينه مكان الوقعة الفاصلة
بين العرب والروم (١) ، ألف تاريخه وأساه « تاريخ الاسلام » .

ANNAL DELLA ISLAM

تناول فيها حوادث عشرين سنة (٢) ، وكان يود لو يطول أجله فيصل
به الى خمسة وعشرين مجلدا تأتي على تاريخ القرن الاول للاسلام .
* انظر ترجمته والارد في « المستشرقون : ٢٧٢ » ، الاعلام
١١٨/٦

(١) المراد وقعة اليرموك التي جرت سنة ١٣ هـ ، ٦٣٦ م
(٢) في « المستشرقون » : كتابه هذا ارج فيه من العام الاول للهجرة
الى ٩٢٢ هـ في ٥ مجلدات .

ولم يطبع من تاريخه سوى مئتين وخسين نسخة وزعها على الجامعات
العلية والجامعات ، وعلى هذه الطريقة في أرستقراطية العلم جرى
الامير يوسف كمال المصري في المجموعة الكسالية جغرافية مصر والقارة
الافريقية ، وأتفق في تأليفه وطبعه نحو خمسين ألف جنيه ، ولم يطبع
سوى مائة نسخة ، صدر منه اثنا عشر مجلدا .

كان كايثاني يعد من الاغنياء في أمته ، خشنا ثروته ، عدا ثروة
قربته الاميرة ، بخسة ملايين دينار ايطالي ذهبي ، كان ينفق منها
على العلم في السنة عشرة آلاف جنيه . وفي مكتبته ثلاثة من المستعربين
من علماء المشرقيات الايطاليين ، ينقلون له ما يتعلق بموضوعه ، ثم
هو ينظر فيما ينقلون .

كان نائبا عن مدينة رومية في مجلس النواب ، فلما احتلت دولة
ليبيا ، ونزعتها من الدولة العثمانية بدون مسوغ شرعي فدد بعملها في
المجلس . وقيل : إنه قال : ان عمل ايطاليا باكتساح أرض قوم كانوا
آمنين في ديارهم (طرابلس وبرقة) هو عمل قرصان بحر ، لا عمل
دولة قامت في ربوعها النهضة الغربية الحديثة . وعزز قوله بما كتبه في
الصحف من الانكار على حكومته ، فاستغل خصومه السياسيون حيلته ،
وبذل منافسه في النيابة خسة وثلاثين ألف دينار ففاز ، وصرف هو
نحو عشرين ألفا فأخفق .

حملت الى الامير الايطالي في سنة ١٩١٣ كتاب وصاة من صديقه
العلامة أحمد زكي باشا المصري ليقبلي في خزائنه حتى أدرس مجموعاته
في التاريخ الاسلامي ، عساني أجد فيها نصوصا أتفع بها في تأليف
كتابي « خطط الشام » فأهمل وسهّل ، واعتذر عن مقابلتي بالبسة
عمله في مكتبته ، أي انه لم يلبس اللباس الواجب اكتساؤه عندما
تدعو الحالة لاستقبال شخصية محترمة . وعيّن لي وقت حضوري

لمبحث في خزانته ثلاث ساعات قبل ظهر كل يوم ما عدا أيام الآحاد .
وكان الامير يتفضل ويسألني عما عساني عثرت عليه من المواد
التي اطلبها لموضوعي ، فاذا قلت له اني وجدت اشياء مهمة تبرق
اسأله وجهه ، ويعود يدلي علي مظان لم أصل اليها ، لان فيها
بعض ما يشفي غلتي . ولما تمت مراجعاتي قدمت له بضعة مجلدات من
مجلة « المقتبس » واستأذنته في السفر الى سويسرا شاكرًا لفضله
وأريحيته . فبدأ عليه الارتباك ورجاني أن أؤخر سفري فاعتذرت .
والغالب أنه ذكر ساعة الوداع أنه قصر في إكرامي فلم يدعني مثلا
الى داره ليعرفني على بعض أصحابه ، على ما يقضي بذلك عرف
الشرقيين والغربيين وكان في الشهر الذي قضيته في حماه مشغول الذهن
بسائل الانتخابات ، وهذا ما ربما حمله على التقصير بإكرامي على ما
أضن . وعاد فتفضل وكتب لي الى لوزان يقول : انه يسر جدا أن يراني
أبحث في خزانته عما يهني درسه ، وعزم علي أن أعود لاكمل بحثي
على ما يلزمي .

وقف الامير خزانة كتبه على المجمع العلي الايطالي
Accademia naziole De Sincet ونشر القائمون بتنفيذ وصيته في كتاب
الوقف ما كتبه في كتابي « غرائب الغرب » في وصف الامير العالم ،
وتشروه بنصه العربي مع ترجمته بالايطالية ، ولم ينشروا سوى
شهادتي فيه .

وكان مثال العالم النبيل الحر في قوله وعمله ، ظهر ذلك منه عيانا
بتصريحه يوم غضب للحق في مجلس نواب أمته يوم احتلت ايطاليا طرابلس
ورقة (١) . وكنت أود لو ترجم كتابه بلغة أفصحها حتى أقف على رأيه
في معضلاتنا التاريخية .

كان كابتاني في قصره الضخم مثال العظمة والتواضع معا ، تقرا

(١) اشار المؤلف الى ذلك قبل قليل

في سيماء العلم والعمل الدؤوب والأناة والتجرد من الغرض . وكنت
أشده يحضر الى مقر عمله في وقت معين لا يتعداه ، في الصباح وبعد
العصر ، كأنه بعض المستخدمين في مكتبه . كان هذا دأبه منذ تخرج
في كلية الآداب ، أي نحو عشرين سنة ، وكان في الخامسة والاربعين
يوم نزلت عليه ، وقد جعل شعاره في مقدمة كتابه بيت الشاعر العربي :

كفاف عيش كهاني ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي أجلي
كان يتعهد مزارعه الواسعة ، وأكثرها في ضواحي رومية ، كما
يتعهد رياض العلم والادب .

هو جد في أموره ، ما عرف بغير القيام بالواجب ، وما فاته
شيء من الكمال ما تزدان به حياة العظماء أمثاله .

صورة من صور الرجال المتأزين في الامم ، ومثال ناطق بما
انطوت عليه مدينة الغرب حتى نبغ فيها من عيار كابتاني .

لا جرم أنه جمع الى شرف المحتد العلم ، والى التواضع شخصية
مجموعة من حسنات ، وأجل ما فيه أنه ما كان يقول إلا ما يعلم ،
يعطف على الضعيف والمظلوم ، ولا يتعرف الى غير الحق والعدل ،
وكان « يتمنى طول عمره ، تفاهم الشرق والغرب وتعاونهما في سبيل
الحضارة والتمدن » . ولو سعت دول العرب الى من هم على شاكلة
هذا الامير من أرباب النظر العالي ، لما تكررت الكوارث في ديارها ، ولما
أصب رعاياها بالخطوب الجسام ، ولما كانت وبالا على من استحلت
اغتصاب ديارهم واذلال نفوسهم .

ولما دخلت ايطاليا في الحرب العالمية الاولى ترك كابتاني أشغاله

مارتين هوتسما *

HOUTSMA , MARTIN , THEODOR

١٨٥١ - ١٩٤٣ م

هو تسما مارتينوس تيودوروس الهولندي . ولد سنة ١٨٥١ ، وأتم دراسته في ليدن ، واتصل منذ سنة ١٨٦٨ بالعلامة دي خوي من كبار علماء المشرقيات الهولنديين (١) وبعد أن قدم أطروحته في تاريخ العقيدة الاسلامية في القرون الاولى للهجرة عهد اليه النظر بالمخطوطات الشرقية في خزانة ليدن حتى سنة ١٨٩٠ وقد وسد اليه تدريس العبرانية والعربية في جامعة أوترخت ، وفي سنة ١٩١٧ استقال .

عني بنشر عدة نصوص عربية وفارسية وتركية منها كتاب « الأضداد » لابن الأنباري ، و « تاريخ ابن واضح اليعقوبي » (٢) ، و « زبدة النصر ونخبة العصر » للعماد الكاتب (٣) ومجموعة نصوص في

* ترجمته في المستشرقون ٦/٦٦ ، الاعلام ٦/١٢١ . وانظر معجم المطبوعات ١٩٠١

(١) Goeye , M . J , DE (١٨٣٦ - ١٩٠٩) م تلميذ المستشرق دوزي ، له كثير من الابحاث ونشر كثيرا من الكتب العربية القديمة كوفيات الاعيان لابن خلكان وتهذيب الاسماء للنووي (المستشرقون ٦٦٣) (٢) احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ .

(٣) الاصفهاني ، محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وهذا الكتاب اختصار لكتاب العماد الكاتب الاصفهاني « نصره الفطرة وعصره الفطرة » في اخبار الدولة السلجوقية ، اختصره الفتح بن علي البنداري . (الاعلام ٧/٢٥٤) .

العلية ، وتطوع جنديا في خدمة وطنه ، وما أجدت تلك الحرب عليه ، كما لم تجد أمته ، وتبخرت ثروته ، وأصيب بوحيدته ، فساءت حاله ، وهلك بعيدا من وطنه .

نشر كاتباتي نصوصا عربية يُستفح بها في تاريخ العرب ، ومنها « تجارب الامم » لمسكويه ، ونشر بالفرنجية أشياء كثيرة تعاون على تسهيل الرجوع الى مواد التاريخ . وكان يعدّ للنشر تراجم ثلاثين ألف عالم وأديب من أهل الاندلس (١) وضعها في جزازات المستعرب الاسباني ريبيرا (٢) وتركها بعده لتلميذه آسين بلاسيوس (٣) ليشتغل بها ، ثم يعطيها لمن يتوسم فيه حب العمل من علماء المشرقيات الاسبان ، وان لم يجد الكفاء يجعلها في خزانة أحد الجامعات (٤) العلمية في اسانيا ، وقد اطلعت عليها في مجريط عند آسين بلاسيوس .

★ ★ ★

(١) بالتعاون مع جوزيبي جابرييلي (عالم بالمشرقيات ايطالي توفي سنة ١٩٤٢) ، وهذا المعجم يتضمن تراجم الاشخاص ومؤلفاتهم والصادر التي تحوي ذكرهم ، وحال الموت بينه وبين اتمامه فوقف عند الجزء الثاني نشر في روما سنة ١٩١٥ (المستشرقون : ٣٧٣)

(٢) ريبيرا اي طراجو Ribera y tarrago (١٨٥٨ - ١٩٣٤) ولد في كركختته من اعمال بلنسية ، وتعلم العربية على كوديرا ، وتخرج من جامعة سرقسطة ، وعين استاذا للعربية فيها ، (١٨٨٧) ثم استاذا لتاريخ حضارة اليهود والمسلمين في جامعة مدريد ، ثم اعتزل التدريس وعكف على التأليف في بلنسية ، وانتخب عضوا في المجمع اللغوي الاسباني وغيره (المستشرقون : ٥٩٢)

(٣) آسين بالاسيوس Asin palacios عالم بالمشرقيات اسباني (١٨٧١ - ١٩٤٤ م) ولد في سرقسطة ، وتلقى العربية على ديبيرا ونال الدكتوراة من جامعة مدريد سنة ١٨٩٦ وآثاره كثيرة منها : العقيدة والاخلاق والتصوف عند الفزالي ، وترجم الى الاسبانية كتاب الاخلاق والسلوك لابن حزم القرطبي (المستشرقون : ٥٩٥) .

(٤) الامس : احدى الجامعات .

الدكتور محجوب ثابت •

١٣٠١ - ١٣٦٤ هـ

١٨٨٤ - ١٩٤٥ م

كان الدكتور محجوب ثابت صورة فريدة من صور الرجال ، بعلته وبيانه وعمله ووطنيته ، فطر على صفات نادرة سيرته في مراحل عمره سيرا حفل معه بالطيبات ، واتجهت قواه منذ صباه لخدمة المصلحة العامة ، وعمل على هيبته في تواضع خال من التجد والتبجح ، وما طلب العوض والمكافأة عن ما أجهد نفسه فيه . ذلك أنه كان متشبعا بروح النهوض ، ويعرف كيف يرضي ضميره بأداء فرض لا بد من قضاءه •

كان مثال العامل الصالح في شيخوخته على نحو ما كان زمن

• طبيب مصري ومن الكتاب وله مواقف خطابية ، اشتهر بمناصرتة قضية السودان السياسية وبدعوته الى تنظيم حركة العمال بمصر سنة ١٩٣٠ وادخال التدريب العسكري في الجامعات والمدارس المصرية اسله من دنقلة ولد سنة ١٨٨٤ م وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٤٥ وعمل في النهضة المصرية مع سعد زغلول فكان من خطباء الثورة سنة ١٩١٩ ونفى ثم أصبح من أعضاء المجلس النيابي وعين استاذا للطب الشرعي في الجامعة فكبرا لاطبائها . صدر عن حياته كتاب تذكاري تاريخي ، وكذلك كتاب الاسرار السياسية وآراء الدكتور محجوب . الاعلام ١٧٠/٦ وفيه اشارات عن ابحاث كتبت عنه ومعجم المؤلفين ١٨٠/٨ الحق المؤلف بهذه الترجمة ما يلي : طلب اليّ ان اترجم للدكتور محجوب ثابت ترجمة يصدر بها كتاب في حياته الفه اديب مصري ، فكتبت ما رايت انه يكفي في الترجمة له . وهذا ما قلته فيه •

تاريخ السلاجقة (في أربعة مجلدات) ومعجم قديم عربي وتركي ، واشترك في نشر « تاريخ الطبري » الكبير • وفي سنة ١٩٠١ دعتة جمعية المجامع العلمية الدولية لتولي رئاسة تحرير المعلقة الاسلامية فقام بأعبائها حق القيام ، ولما زرتة في أوترخت كانت تطبع الاجزاء الاخيرة من معلقة الاسلام ، وذكر لي [أنه] ^(١) متلهف اليها • كان أقصى أمانيه أن لا يسوت قبل اتسامها • وحقق المولى رجاءه فرآها تامة ، وذكرت له ما فيها من النقص والتعصب في بعض المقالات كمقالات لامنس وهارتمان وغراتشوفسكي وهوار ، واغفال من هم جديرون بالترجمة لهم من رجال الاسلام في القديم والحديث ، وأرادني على أن أؤازر في تأليفها ، فاعتذرت بأن معظم مقالاتها أخذها غيري ، وهي من الكتب التي كتبت في الحقيقة قبل جيلي •

وهذه المعلقة على ما فيها من الهفوات والتعصب هي أصدق ما كتب عن الاسلام وأقطاره في زماننا ، حاولت مصر أن تنقلها الى العربية فما أفلحت كثيرا ، وقد صدرت بلغات العالم الثالث : الالمانية والانجليزية والفرنسية ، وأكثر أبحاثها متعة اشترك في تأليفها نحو حسين رجلا من علماء المشرقيات ، وما كان فيهم غير هندي واحد ، وجزائري مسلم واحد ، وتركي واحد ، وخلت من المصريين والشاميين والعراقيين والاسبانيين والبرتغاليين على كثرة الابحاث المتعلقة بديارهم •

★ ★ ★

(١) ليست في الاصل •

كحولته وقوته ، وهذا مما يندر في رجالنا . ومن قانونهم أن ينتج أحدهم ما دام في حاجة الى الانتاج ، ويخفت صوته وتبطل حركته بعد سن الخسين ، اذا فاز بنصيب من العلم أو المال ، أو أحرز جاها وحظوة وشهرة فهم يقتضون على الاغلب حيث يتراءى لهم أن يقفوا ، لا حيث يجب عليهم أن ينتهوا ، وبخاصة اذا هموا أن حياتهم أمينة من العوز في الوظائف والاستخدام .

قل أن رأيت من أهل صناعة هذا الفقيد العظيم من هضم علمه مثله ، أو جمع الى علمه معارف تمثلها . وهي ليست بحسب الظاهر من اختصاصه ، أو شارك في مسائل كثيرة مشاركة المستقصى الحصيف ، لا مشاركة التثتفة . ولو قد كتب له أن يعنى بالتدوين لكانت مدوناته من أجل الكتب العلية ، يتعلم منها من يجب أن يتعلم ، ويتفكه بها من ينزع الى أن يتفكه .

كنت تراه اذا جد الجد نسي كل مصلحة خاصة فتمثل لك شخصا لا يحسن غير فنه ، واذا هزل ظننته رجلا شغل حياته في الضحك والإضحاك ، لا يحفل بمصطلحات (١) الناس واعتباراتهم ، ولا يبالي بالوقت يصرفه في غير فائدة . . وياما أحيلاه اذا خطب باللغتين ، وما أطرب حديثه اذا كان راضيا أو غاضبا ، وما أشد عنايته بشؤون المجتمع وتخيره ما ينفعه .

كان على حظ عظيم من عزة النفس ، وعلى جانب من جمال العهد ، وفيما الى أقصى حدود الوفاء ، وفيما لوطنه ، يسهل عليه بذل كل نقيس ليحقق له بعض سعادته ، وفيما لعلمه ، يزيد أبدا في معلوماته

(١) الاصل : لا يحفل بمصطلحات .

وتجاربه ، ظل على ذلك الى آخر أيامه ، وفيما لمرضاه ، يعنى بصحتهم وتخفيف آلامهم عنايته بكل مطلب من مطالب أمته ، وفيما لأصحابه لا يدخر جهدا في مرضاتهم وادخال السرور على قلوبهم . ولو قدر له أن يسذل في خصوصياته بعض ما بذل في خدمة الجماعة لعد في الموسرين . ولو كان يسف الى استئثار كل شيء لحسابه لكان من السمو والبسوق في الذروة العليا بين رجال الدولة ، ولكنه ما خلق الا ليخدم المجموع على ما توحى اليه قريحته ، ولم يخلق ليخدم مصلحته . ويتفانى في جلب المنافع ، فهو رجل القوم لا رجل في القوم ، هو لقومه حسا ومعنى .

يُردُّ تاريخ صلتي به الى أزيد من عشرين سنة ، وكانت علاقتنا في غضوننا أوثق من علاقة صديق بصديقه ، تمازجت روحانا وقصينا في القاهرة أياما وليالي كانت حلوة لذيدة زانها ثلة من الاصحاب هم حلية الزمان وبلا بل مجالس الإخوان ، ثم فرق الدهر بيننا وبين بعضهم (ومنهم الأحمدان العظيمان أحمد زكي باشا وأحمد شوقي بك عليهما الرحمة) (١) . وصرفت مع صديقي في دمشق أشهرا أيضا ، وكان اعتصم بها في محنة سياسية وقع فيها فشاهدته واحدا في نعمته وفي محنته ، يتجلد ، لا يتضعع ، قوي الثقة بالله ، لا يشك بحسن عاقبة المخلص الصادق . وكان من الرعيل الذي لا يتكل على غير نفسه ، ولا يطلب معونة حتى من يوالونه ويعجبون به ، ويستعذب كل عناء اذا عاد ولو بفائدة ضئيلة على بلده ومواطنيه .

دعا الى السودان وحببه الى كل مصري ، وعرف أهل القاصية والدانية مكانة السودان من وادي النيل حتى كاد يظن من لا يعرف

(١) انظر مقالتيه عنهما صفحة ٤٨ و ٥٩

ترجته أنه من صميم السودانيين ، مأخوذ بسودانيته ، متيم بحب
أرضها وساكنيها . والجميل في حياته أنه بعيد عن التصنع ، يرسل
النفس على سجيتها ، وقد رزق بديهية مؤاتية فكان يبلا بها الصدور
إعجاباً .

رأيت مع ناخيه من عامة مينا البصل يعلمهم كما يعلم الأب
أولاده ، ويرشدهم الى معان (١) جييلة في الحياة لو هدوا الى تحقيقها
لارتفع مستواهم ، وشاهدته مع النوبين يدرّبهم ويلقنهم ما يفيدهم
في بيتهم وحضرته في مجالس العشاء والادباء فيفيض من حكته ،
ويلعب بالعقول في محاوراته ومسامراته .

وكان عقله أوسع من أن يحصره في حدود مصر ، فقام في ذهنه
أن من المروءة أن يصرف جانباً من جهوده في أهل الاسلام والعرب
والترك منهم خاصة ، ويقول أبداً : « من لا يهتم بأمور المسلمين فليس
منهم » .

كان أديبا بكل ما في الادب من منازع شريفة ، ما سمعته يطعن
على أحد ، ومن آذوه غير قلائل أما هو فقد علمه نبل شيمته أن يصفح
الصفح الجميل ، ويقيم من نفسه الاعذار لأرباب الشذوذ والنشوز ،
ولا يبادر الى تخطئة المخطيء الا اذا قد صبره ورآه قد عبث بمصلحة
عامة ، وكل ذلك من دون اقداع وتحامل يقدر الجرم بقدره فهو طبيب
شرعي حقاً وصدقاً .

وكان الى التساؤل أميل منه الى التثاؤم ، يرى الدنيا بعين
المغبط المحبور ، ويصد للحوادث (٢) في أخرج ساعاته ، لا يتأفف

(١) الاصل : معاني

(٢) اصل معنى الصمد : التقصد والنصب ، وقد درج القوم اليوم على
استعمالها بمعنى المواجهة والثبات

ولا يتسخطط مها ألحت عليه الاوجاع ، ويحمد الله على ما ابتلاه وأنقذه
ما تجنه الطبيعة من آلام أشد ما وقع فيه . وكان نفسه كانت مؤلفة
من عدة شخصيات ومن كثير من الاختصاصات تفوق في صناعته الى
أسى درجة ، وطبه طب العالم الدقيق الحس المنطور على الشفقة لا
طب المتطبب ، وكذلك هو في الادب ، وكذلك هو في الخطابة والسياسة .
وما أحصي عليه أنه انجز بشيء ما علم وفهم ، وما اتخذ من علمه
سلسا الى الظهور ، وما جود في طبه وغير طبه الا لأن طبيعته تحب
التوسع في بحث الاشياء والوصول الى غوامض ما عالجها كثير مثله .
وهو الى ذلك يعلو عن المادة خلافا لاكثر معاصريه .

وعطفه على الفقير ، وعطفه على الأعلّة وأصحاب العاهات ،
وعطفه على الناشئة ، وعنايته بمستقبلهم واستقلالهم ، وعطفه على وطنه ،
وتصديه لهيته له بعض ما يحفظ عليه صحته ، كل أولئك كان فيه
لا يجارى ولا يبارى .

نعم هو مثال نابغة ، لا يلهيه عن تحقيق أمانيه عائق ، ولا يدهشه
تعقد المشاكل ، ولا يهتؤه العيش الا اذا تم له الممكن لانجاز ما شغل
قلبه .

سار في ناحية عينها لنفسه ، ولم يجز في خطتها على مثال سابق ،
فامتاز بلون خاص من ألوان الحكمة والادب وحب الخير . وكان رضي
النفس قوي الإيمان ، واذا لم يوافق بعضهم على حركته ففي العادة ألا
يعرف الحق من المصلحين الا يوم رحيلهم من هذه القانية الى غير
رجعة . ولو جاء أخي محجوب في أمة تقدر الرجال أكثر ما تقدرهم
أمتة لكان له فينا شأن غير شأنه ، ولاتنفع ببعض ما أسداه من جميل
الى أمتة ، ولعظمت الفائدة العامة منه الى أقصى حدود الانتفاع .
رحمه الله .

* * *

— ٣٣٣ —

محمد رشيد رضا *

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ

١٨٦٥ - ١٩٢٥ م

ولد في قرية القلون على ثلاثة أميال من طرابلس الشام ، من بيت نسب أهله الى الشرف ، وعرفوا بالعلم والارشاد والرياضة ، ويلقبون بالمشايخ . ونشأ مثل أهله على الصلاح والتقوى والتسك ، وتعلم في كتاب القرية قراءة القرآن والخط والاعمال الاربعة في الحساب ، ثم دخل المدرسة الرشيدية في الحاضرة فقضى فيها سنة ، والتحق بعدها بالمدرسة الوطنية الاسلامية ، وكانت تدرس العلوم الشرعية والعربية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية ، فأخذ عن مديرها الاستاذ حسين الجبر الازهري ما وسعه أخذه، وبه تخرج بعد أن أغلقت المدرسة . وكان ينظم الشعر قبل أن يحدق العلوم العربية ، تعلم بالسليقة ، وأخذ الحديث وفقه الشافعي عن الاستاذ محمود تشابة ، وكان هذا أقام في الازهر متعلما ومعلما ثلاثين سنة ، وحصل شهادته بثانية عشر علما منها الجبر والمقابلة . وصحب الاستاذ عبد الغني الرافعي فاستفاد منه في الأدب والتصوف ، ودخل في الطريقة النقشبندية . وجبب اليه التصوف إكثاره من مطالعة « احياء علوم

* ترجمته في الاعلام ٦/٣٦١ ومعجم المؤلفين ٩/٣١٠ ، المجددون في الاسلام : ٥٢٩ ، حاضر العالم الاسلامي ١/٢٨٤ ولشكيب ارسلان كتاب في سيرته عنوانه (السيد رشيد رضا ، او اخاء اربعين سنة) قدماء ومعاصرون : ١٧٣ - ١٨٠ وانظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٣٦٥ - ٤٧٤ ، رجال عرفتهم : ١٦٩

الدين » للغزالي ، وغدا يجاهد نفسه على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام والتزام التقشف .

ودخل فيما دخل فيه المتصوفة، فمارس رؤية الارواح واستحضارها والمكاشفات والمنامات والكرامات ، وأصبح يرتقي النساء بالعصا أو السواك ، يضعه على رأس المرأة وهي مقنعة . وخاض في أكثر ما يخوض فيه المتصوفة وحاسنهم وأحسن الظن بهم ، ولما ارتوى من كل ذلك في بلده رأى أنه مستعد للاستزادة من العلم والاختبار ما لا يجدها في وطنه ، وأنه قادر على خدمة دينه وأمه ما لا يتيح سياسة الحكومة العثمانية فهاجر الى مصر سنة ١٣١٥ هـ ، ١٨٩٧ م وفيها لحق بالاستاذ الامام محمد عبده ، وأنشأ مجلة « المنار » جعل موضوعها الأول « الإصلاح الإسلامي » وطلق التصوف ، ونزع الى مذهب السلف ، وفي هذا الدور كان ممن استفاد من كتبهم ونقل عنهم واهتدى بأرائهم شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية (١) .

انتشر « المنار » في العالم الإسلامي ، وكان له أنصار وخصوم ، وأكثر خصومه مشايخ الأزهر ، لأنه لم تأخذه بهم هوادة ، وزيف طرائقهم ، وبحدة أحيانا . وأخذت السياسة نفسه فراح يكتب فيها صفحات طويلة في مجلته ، والسياسة يومئذ سياسة الدولة العثمانية

(١) ابن تيمية : هو العالم المشهور احمد بن عبد الحليم الحارثي الدمشقي الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٢ - ١٣٢٨) مولده في حران ووفاته بدمشق كان داعية اصلاح الدين وآية في التفسير والاصول ، وتزيد تصانيفه على اربعة آلاف كراسة . واما ابن قيم الجوزية فهو محمد بن ابي بكر (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ هـ) تلميذ ابن تيمية السابق ذكره واحد كبار العلماء في عصره ، مولده ووفاته بدمشق ، له تصانيف كثيرة .

والسياسة البريطانية في العالم الاسلامي ، وبشارك الجمعيات السياسية التي دأبت على اصلاح الدولة والسعي لاستقلال العرب عنها ، وكان له - كما يقول العوام - في كل عرس قرص^(١) ، ورائده الاخلاص والغيرة على مصلحة الجماعة ، يجاهر علماء الحشو والقبوريين والمبتدعين بالإبتكار عليهم بشدة حتى قال له استاذة محمد عبده : « إنك كثيرا ما تذر الحق عربا ما ليس عليه حلة ولا حلي يزينه للناظرين ، ويهون قبوله على المبطلين ، فينبغي أن تتذكر أن الحق ثقيل ، وقلما يكون للداعي اليه صديق ، وأنه لا بد من مراعاة شعور من يعرض عليهم كي لا يزداد إعراضهم عنه » . ويقول : ان « المنار » في موضوعه ولغته لا يفهم أكثر ما فيه إلا الخواص . فينبغي أن تتحرى فيه سهولة العبارة وقلة غريب اللغة فيها ما يقربه من أفهام جميع القارئین حتى العوام . وكان ينكر عليه أيضا الخوض في سياسة الدولة العثمانية في بعض الاحيان .

وما كان السيد رشيد يصني إلا لما وقع في نفسه واعتقد صحته واقتنع أن الخير في بئه . ولطالما قلت له - وهو يعلم صدقي وصادقتي له - أن يعري مجلته من التعرض لامور السياسة ، ويقصرها على التفسير ونشر السنة الصحيحة ونقل فتاواه الجيدة وكل ما فيه انارة أفكار القارىء المسلم . . أريده على معالجة ما هو فيه قوي ، والبعد عما هو ضعيف تبدو فيه مقاتله . فكان جوابه أنه اذا اقتصر على الابحاث الدينية فقط لا يقرأ مجلته أحد ، وفات صاحبي أنه لم يتخرج بالسياسة ولا تدرس بها ، لا عليها ولا عملها ، ولذلك كان ما يكتبه فيها فجا جاسيا وقد يدمج فيها يكتب تصورات الخاصة وعواطفه قبل عقله .

أتمى « المنار » في أبحاثه الدينية بنغمة قلما سعت ، فكان مناصروه

(١) مثل عامي يقال فيمن له في كل مناسبة دور .

قله ، ومشاكسوه كثرة ، وأكثر المنكرين له جماعة الازهر . يريد أن يقضي على جهودهم ، وهم لا يرضيهم إلا من يطبل لهم ويوافقهم على كل ما كانوا عليه من بدع وأشياء تخالف الشرع . ولو أنه استعمل الرفق بهم ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة لكان موقعه منهم غير موقعه ، ولكثر مع الزمن أنصاره ومريدوه ، كان أبدا حربا عليهم يصلحهم من نقده نارا ، معترأ بنفسه وبمنزلته من الاستاذ الامام ، مزهوا بعمله وعلمه لا يتوقف عن التنويه بهما في كل فرصة في مجالسه ومجلته . يروي أحيانا روايات عن نفسه لا تكون لها ضرورة ، فيقول مثلا : هذا حققناه في « المنار » ، وهذا ما تعرضنا له غير مرة في « المنار » . وهذه مشكلة لم يسبق لغير « المنار » أن حلها .

لا جرم أن المترجم له كان عالما دينيا تشبع بروح الاسلام ، وعرف استخراج أحكامه وتطبيقها على ما يوافق روح العصر . وكان الى ذلك كاتباً مجيداً ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة . وقد رزق حافظة جيدة وقوة محاكمة . وان الخمسة والثلاثين مجلدا التي كتبها من « المنار » ليصح أن تدعى معلمة اسلامية لولا ما شابها بأرائه السياسية وبمدح نفسه ومدح من رضي عنهم من أهله وأصحابه . مدح أمه في صفحات من المجلة ، حتى كساد يصورها من أقران السيدة عائشة بفضائلها ، وهي ما كانت أكثر من امرأة قروية أمية سالحة . وبالغ وأكثر في شيخ حمصي ووسه بالعلم ، ونشر له مقالات لا يكتبها إلا محسوم أو مبرسم^(١) ، وذلك لأنه كان يحسن مصانعة ، وحظ من عالم كبير أجمع علماء عصره على تفرد بالعلم والعلم ، لأنه كان ينتقده .

★ ★ ★

(١) المبرسم : المصاب بعملة تؤدي به الى الهديان .

محمد بن أبي شنب *
لح

١٢٨٦ - ١٣٤٧ هـ

١٨٦٩ - ١٩٢٩ م

الاستعمار شر وشؤم ، ويزيد شره وشؤمه اذا طالت لياليه السود
بضعة اجيال كما طال في القطر الجزائري ، وما كان الظن في أن تخرج
هذه الارض المستعرة رجلا من عيار محمد بن أبي شنب . يتقن الفرنسية
و لا يغفل عن الاخذ من علوم العرب والاسلام . أخذ عن المستعمرين
طريقتهم في الدرس ، وأساليهم في البحث ، ونسج في آداب قومه على
منوال أساليهم ، شهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمرات المستشرقين في
أوكسفورد وهو في لباسه الوطني : عمامة صفراء ضخمة وزنار عريض
وسراويل مسترلة ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه
في بحثه . وغلنتني أستع عالمنا من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح
عربي وثقافة اسلامية . أو عالما من علماء السلف جمع الله له بلاغة
القلم وبلاغة اللسان ، ووفر له قسطه من العلم والبصيرة . وقد فطر
على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل ، وقبض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ
ويصح بكل لغة يعانيتها .

كنت أقرأ لصديقي ما نشره بالعربية من كتب العرب وما وضعه

* ترجمته في الاعلام ١٤٨/٧ وطبع في الجزائر كتاب في ذكراه سنة
١٣٥٣ هـ عنوانه (ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب) وأنظر معجم
الطبوعات : ١٦٢٦ وله مقالات في مجلة المجمع ١٦٠/٢ ، ٢٨١/٣ ، ١٦٤/٤ ،
٢٢٤/٧ ، ٢٦٢/٨ ، ٩٩/٩ ، ٢٣٨/١٠

٣٨
من أفكاره مباشرة ، وأتصفح ما نشره بالفرنسية في أسفار أو مجلات
أو معلمات في موضوعات اسلامية عربية فكان اعجابي بفضله واكباري
لعلنه يزيد مع الايام ، فلما سمعته يفصح بالفرنسية وهو لم يغير من
عاداته ولا من روحه أمام أئمة البيان بهذا اللسان ، وهم يدهشون
مثلني بما يلقي على مسامعهم من تحقيقاته، بهذا الامتاع تضاعف اكباري
له . ولما فجعت الآداب بفقده ، فجعت به فجاعة الصديق بصديقه ،
وودت لو أني لم أعرفه مواجهة كما كنت عرفته بالمراسلة لكثرة ما
نالني من الحزن عليه ، ورجل من عيار ابن شنب هو فخر أمة ، قين
أن يرفعها في نظر العالم المسدن الى مراتب الامم الصالحة للبقاء ، فقد
تهيا بما وهب وماكسب من العلم بأن يظهر العلم العربي في ثوب قشيب
من نسج القرن العشرين . وأظهر أمة في مظهر أمة تسلسل فيها العلم
ثلاثة عشر قرنا ، وعلى كبت الحرية في بلاده قام حق القيام بما أراده
وأراده له وطنه ، فبيض الوجوه في المواطن كلها .

ترجم لنفسه فقال^(١) : محمد بن العربي بن محمد أبي شنب ،
ولد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ (٢٦ أكتوبر سنة
١٨٦٩ م) بقرية المدية في جنوب الجزائر على تسعين كيلو مترا منها ،
وقرأ شيئا قليلا جدا من القرآن ، ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في
مدرسة المدية الثانوية ، وانتقل الى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة
بقرب الجزائر ، وبعد عام خرج منها مجازا بإجازة تعليم اللغة والعلوم
الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية ، وبعد عشرين سنة قضاها
كلها في التعليم ودرس علوم العربية وشيئا من التوحيد والفقهاء أجز
بإجازة مدرسة الآداب العليا فتقلد خطة تدريس آداب العربية في

(١) انظر مجلة المجمع ٢٣٨/١٠

مدرسة قسنطينة في غرة المحرم ١٣١٦ ، ثم انتقل الى مدرسة الجزائر
في غرة المحرم سنة ١٣١٩ ، وبعد أربع عشرة سنة ارتقى الى القسم
الأعلى من هذه المدرسة ، وأقرأ النحو والادب والمعاني والبيان والمنطق ،
وفي أواخر السنة (١٩٢٢ م) منح لقب دكتور في القسم الادبي من
كلية الآداب بالجزائر ، بعد أن قدم اليها تأليفاً في حياة أبي دلالة شاعر
بني العباس ، وتالياً آخر في الالفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة
الوطن الجزائري وفي أول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرسا الى كلية الآداب في
الجزائر .

له إلمام ، كما قال عن نفسه ، بالاطالية والامانية والاسبانية
والفارسية ، ومعرفة ضعيفة بالتركية واللاتينية . وقد ألف بالعربية
« تحفة الادب في ميزان أشعار العرب » ، وشرح « نظم مثلثات
قطرب » . ومن تأليفه باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بأرض
الجزائر والمغرب في ثلاثة أجزاء . طبع بباريز . « البستان في علماء
تلمسان » لابن مريم (١) ، « رحلة الوثيلافي » ، « المتع في شرح
المقع » لابي سعيد السوسي ، « تحبير الموشين ، للقيروزابادي » ،
« فهرست كتب الجامع الاعظم » ، « عنوان الدراية في علماء بجاية » (٢) ،
« تدميث التذكير في التانيث والتذكير » للجعبري ، طبع في استراسبورغ ،
« أصل كلة تليس » . (بالفرنسية) : « طبقات علماء افريقية » لابي
ذر الخشني مع ترجمة افرنسية (جزآن) (طبع بباريز) ، « الذخيرة
السنية في تاريخ الدولة المرينية » ، « فهرست مطبوعات فاس » « أبو
دلالة : حياته وشعره » بالفرنسية ، « الالفاظ التركية والفارسية في

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد ، التلمساني منشا ووفاة مؤرخ
من علماء تلمسان ، كان حيا بعد سنة ١٠١٤ هـ ، ١٦٠٥ م (الاعلام ٧/٢٩١)
(٢) بجاية : بلدة في الجزائر على ساحل البحر الابيض المتوسط .

اللغة الجزائرية » ، « ديوان علقمة الفحل » مع تقارير ، « ديوان
عروة بن الورد » مع تقارير ، « كتاب الجبل » للزجاجي مع تقارير ،
هذه كتبه المطبوعة ، وأكثرها ما طبع في الجزائر .

ومن أجل كتبه بالفرنسية ما أخذه ذاتي شاعر الطليان من الامول
الاسلامية ودسه في كتابه « المهزلة الإلهية » .

ولما ناداه ربه كتب الينا زميله في جامعة الجزائر العلامة ماسيه
يقول : ومن الواجب أن نشير الى جميع أعماله في الجلة حتى يتجلى لنا
نشاطه العلمي ، فقد كنا نرجع اليه ونستضيء بضيائه ، وكنا نناديه
بباشيخنا . كان يجع الى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح
والطيب .

مضى في جنازة ابن ابي شب النصارى والمسلمون ، يؤلف بينهم
الأسى والحزن عليه . وقد أبته على ضريحه الاستاذ مارتينو مدير
كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق الفقيه . ومن جلة ما قال :
ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شب يدل دلالة واضحة على مقدار
ما يستطيع أن يعمله العقل والإرادة والعمل في الارتفاع من أصغر
المناصب الى أعظها واني أود أن يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد
وشباب فرنسا قسها .

كان السيد ابن ابي شب صورة الاديب المسلم الذي عرف كيف
يطلع على الاساليب الاوربية في العمل ، من دون أن يفقد شيئا من صفاته
وعاداته ، وكان يتولى هدايته في العمل استاذة بآته ، فقد تعلم اللاتينية
والانكليزية والاسبانية والامانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم
النقد العلمي ، واعترف العارفون بقدره ، ففي سنة ١٩٢٠ اتخبه المجمع

العربي بدمشق عضوا مراسلا له ، وفي سنة ١٩٢٢ قلدته حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف .

وكان ذا صفات تفرس له المحبة في الصدور ، وهي كرم النفس ، وميزة العقل ، والعفة في الإفصاح عن العواطف والاستقامة التامة ... إذا دنا الانسان منه لا يكاد ينسأ ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة . وله ميل الى مساعدة الناس لا ينضب معينه . . . وأظن أنه من اليوم الى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسا أو من الجزائر ويكتب تاريخ تآلف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فيكون ابن ابي شنب رمز هذا التآلف ، وحينئذ يمكننا أن نقول أحسن ما قلته أنا اليوم ، إذ يكون من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل مهما تباعدت أفكارهم أن يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا .

★ ★ ★

- ٣٨ -

محمد عبده *

١٢٦٦ - ١٢٢٢ هـ

١٨٤٩ - ١٩٠٥ م

ولد محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ ، وأبوه عبده « خير الله » من سكان قرية « محلة نصر » بمرکز « شبراخيت » من عمل « البحيرة » في مصر ، وأمه السيدة جنيته .

كان والده من صغار الفلاحين ، وبذكائه وحسن تديره ملك بأخرة أربعين فدانا . وكان كريماً يقري الضيوف ويؤوي الغرباء ، وكانت منزلة أمه بين نساء القرية لانقل عن منزلة زوجها ، عرفت بذكاء الفؤاد ورقة القلب ، وبر المعوزين والبائسين .

تعلم محمد القراءة والكتابة في منزل والده ، وأتم حفظ القرآن على حافظ خاص في عامين ، ولما يتجاوز العاشرة ، وأراد أبوه أن يتعلم

* ترجمته في الاعلام ج٧/١٣١ ومعجم المؤلفين ٢٧٢/١٠ ، زعماء الاصلاح : ٢٨٠ في الادب الحديث ٢٧٩/١ ، حاضر العالم الاسلامي ٢٨٢/١ ، تراجم مشاهير الشرق ٣٨٠/١ ، تاريخ الادب العربي للفاخوري : ١٠٧٠ ، اعلام الصحافة العربية : ٦٨ ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة : ٥١ ولمصطفى عبد الرازق (سيرة الامام الشيخ محمد عبده) ولعثمان امين (محمد عبده) ، ولقديري قلنجي (محمد عبده بطل الثورة الفكرية) وغيرها كثير ، رواد النهضة الحديثة : ١٥٥ وانظر معجم المطبوعات : ١٦٧٨ ، ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٨ ج ٢ ص ١٦١ - ١٨٠

- ٣٤٣ -

- ٣٤٢ -

ولده تجويد القرآن فأرسله الى الجامع الاحدي بطنطا فقتضى في تجويده سنتين ، ثم بدأ في هذا المسجد يتلقى النحو ، فصرف في تعلمه ستة ونصف سنة فما أفلح ، وعزم أن يترك طلب العلم ، ويرجع الى بلده يعمل في الزراعة ، لكن والده أدرك ما عليه ابنه من الذكاء فلم يرض إلا أن يعود الى الاخذ عن مشايخ طنطا ، فأطاع والده وأضر الهرب ، وذهب يفتني عن خؤولة أبيه في «كنيسة أورين» من قرى «شبراخيت» .

ومن الغد جاءه أحد أخوال أبيه الشيخ درويش ، وكان على شيء من العلم ، يجيد حفظ القرآن وفهمه ، ويحفظ «الموطأ» وبعض كتب الحديث ، ويتحلل التصوف ، فما زال بالتفتي أياماً يقرأ له في كتاب تصوف ، ويشرح له حتى تالفه وردّه الى حظيرة العلم . «ولم يأت على التفتي اليوم الخامس من صحبة الشيخ الصوفي الا وقد انشرح صدره وأنت نفسه ، وانقلبت في عشرته قيم الاشياء ، فأصبح اللهمو والزهو أبغض شيء اليه ، وأضحت المطالعة والمدارسة أحب شيء اليه» . وتزوج الشيخ وهو في السادسة عشرة ، وبعد أربعين يوماً أتت على زواجه أرسله أبوه الى القاهرة ليأخذ العلم في الأزهر . وكان من علمائه الجامدون ومنهم المنورون في الجملة ، فألقى التلميذ على نفسه أن لا يحضر درس من لا يفهم شرحه وتقريره . ولعل هذا التلميذ كان أول شيخ اعترض على طريقة مشايخ الأزهر في التدريس ، وظل على رأيه حتى أصلحها عندما بلغ أشده وأصبحت كلمته مسبوقة .

كان الشيخ في المسامحة الصيفية يعود الى محلة نصر فيجد الشيخ درويشا قد سبقه اليها فيأخذ في مدارسة الشاب ومحاسبته على ما حصل من العلوم ، ويحثه على النظر في المنطق والحساب ، فاذا قال له الطالب : هذه علوم لا تقرأ في الأزهر ، قال له الشيخ : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان . فيؤثر فيه بآرائه وارشاده .

قرأ الشيخ في الأزهر جميع الكتب المقررة في ثلاث سنين ، ومضت سبع سنين رأى بعدها الشيخ الصوفي أن مراده كلت نفسه فأخذ يبحث على لقاء الناس ووعظهم ، وكان من قبل يشير اليه بالابتعاد عنهم ، فقال له بعد ذلك : «الى متى هذه العزلة ؟ وما الفائدة من العلم ومن تحصيله اذا لم يكن لك نورا تهتدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك ، وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس النعمة ، فعليك أن تخلط الناس وتعظمهم وترشدتهم الى الطريق القوية والسنة الصالحة» .

ودّع المجاور الأزهري شيخه ومرشده في بعض السنين ، وبكى هذا بكاء شديداً ، ومات في السنة الثانية ، وعاد محمد عبده الى القاهرة وفي نفسه أشياء من طريقة شيوخ الأزهر وشروحهم ومتونهم وحواشيهم وتقاريرهم على الشروح ، رآها مساتضيع فيه الاعمار ، ولا ينتج عن تعليمها فائدة حتى قال : «كنت أسع الشيخ وهو يدرّس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية» والطلاب يحفظون ما لا يفهمون ، وربما كان الأساتذة يلقون ما لا يصححون ولا يعلمون .

وصف تلميذه الشيخ المراغي عصر محمد عبده وما فيه من انحطاط في السياسة والعلم والاخلاق فقال : «نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة ، كل شيء فيه مضمّن مؤلم للنفوس الحرة والنظر الصادقة : الامم الاسلامية تتحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً الى أحط الدرجات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة . ذهبت ربح المسلمين ، وتقلّت من أيديهم زمام الحياة العامة ،

وتداعت عليهم الامم كما تتداعى الأكلة على القيصاع ، وليسوا قلة بين
الأمم ، ولكنهم كغناء السيل . . . »

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها
بنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب
وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضية ذلك العصر
المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواشٍ (١) وصناعة خاصة ، فلا اللغة
العربية بمساعدته على إجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة وحاجة
الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق
بوصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العاقل ، ويقنع الخصم
المتحدث في الاجتهاد وتخير الاحكام لتتطابق حاجة العصر . ولتلائم
أصول الامم وأحوال الازمنة . مبتدع مخالف لما اجمع عليه المحققون ،
والداعي الى سيرة السلف داعٍ الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ،
والسداعي الى كتب الاولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ،
والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات
خاطئة ، وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الإسرائيليات ، مخالف لما
درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها . »

« عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر ، مرير العيش ،
فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم يؤمن بالقرآن ويعتقد أن
فيه هدياً وفيه شفاء ، وأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأمم كلها
وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس
إماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ،
ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟ » ثم قال : « عاملان من

(١) الاصل : وحواشي .

أقوى العوامل وفقاً في طريق الشيخ : عامل الحسد ، وعامل البيئة ، ومن
المحال أن يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يحسد ، ولو أنه لم
يحسد ، ولو أنه لم يرم بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ،
ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما
كان رجلاً من رجال التاريخ . »

قال : وسبب ثالث له خطره ، وهو بأن جهة من جهة ذات نفوذ
(الخديوي) أظهرت عدم الرضا عن الشيخ ، وساعدت خصومه ، وأن
جهة ذات نفوذ آخر (المحتلون) ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه
رجل يريد إفساد الدين وفساد العلم . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذلك
أن عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها
الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول
المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر . « وكاد العناد يكون كقرأ . »

قال المراغي : ترك الشيخ بذور إصلاح التعليم الديني وتعليم علوم
العربية ، وبذور اصلاح القضاء الشرعي ، وبذور اصلاح المجتمع
الاسلامي والامم الاسلامية ، وليس في رجال تفسير كتاب الله من
يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيقه أي القرآن على سنن الاجتماع ،
وفي تصوير هدي القرآن ، وفي فهم أغراض الدين عامة ، وقال : وودعته
ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة (نوفمبر ١٩٠٤) فما
قال لي : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ،
وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى
الحكم ، فإن الاحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء
تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح ، قال : وداعبني مرة إثر خروجي
من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ،

ست وعشرين سنة من نيته شهادة العالمية عادت مشيخة الازهر فصحت
عطاها ونقلته الى الدرجة الاولى (١٩٠٤) .

ولم تحل درجات العالمية دون تدريس الشيخ في الازهر ، وأكثر
ما كان يدرس كتباً في المنطق والتوحيد والاخلاق ، وفي أواخر سنة
١٨٧٨ عين مدرسا للتاريخ في « دار العلوم » ومدرسا للغة العربية في
« مدرسة اللسن » . وبعد قليل عزل عن التدريس في هاتين المدرستين
على أن يقيم في قريته لا يرحها الى الحواضر المصرية ، وذلك لتغيير خاطر
أمير البلاد عليه ، ثم عفا عنه (١٨٨٠) وعين محررا في جريدة « الوقائع
المصرية » الرسمية ، ثم رئيس تحرير فيها ، فاستعان بقوة الحكومة على
تحسين لغة الكتابة ولغة الجرائد ، وأخذت الجريدة الرسمية تخوض
في موضوعات ثقافت وتعلم ، فكان في هذه الصحيفة معلما ومصلحا .
قضى على الطريقة القديمة العقيمة في الإنشاء وأبطل السجع والازدواج ،
وعلم الكتاب السلاسة في التعبير وعدم التكلف .

كان الشيخ يرى في شخص رياض باشا رئيس الوزارة (١) صورة
حسنة للمستبد العادل « مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجئ
الاهل الى التواضع ، ويقهر الجيران على التناصف ، يحل الناس على
رأيه في منافعهم بالرغبة ، ان لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم
بالرغبة » .

وكان رياض يعاون الشيخ على مقاصده في الإصلاح ، ويستعين
برأيه في بعض الشؤون ، وسقطت وزارته بقيام الثورة العرابية (٢) ، وكان

(١) هو رئيس مجلس الوزراء .
(٢) اي ثورة احمد عرابي التي قام بها سنة ١٨٨٢ م .

وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع
مني تعريفا مفيدا : العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل
اتنفع الناس بعلمك ؟ قلت له لا ، قال : إذا أنت لست بعالم ، فانفع
الناس بعلمك لتكون عالما .

بقي محمد عبده في هذه البيئة العلمية المنحطة مضطرب البال حتى
وافى مصر الإمام جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٦٩ ثم ذهب الى الأستانة ،
وعاد الى القاهرة سنة ١٨٧١ فلزمه وتلمذ له ، وقرأ الأفغاني لتلاميذه
بعض الكتب العربية القديمة والكتب الاوربية المعربة في مختلف فروع
الفلسفة والتصوف والتاريخ والسياسة والاجتماع ، فتفتحت عقولهم ،
ومزقت حجب الاوهام عن عيونهم ، وأخذ يحثهم على الكتابة والخطابة ،
ولما قرأ محمد عبده « الحاشية على شرح العقائد العضدية (١) » مال
الى رأي المعتزلة دون رأي الاشاعرة ، فشاع ذلك في شيوخ الازهر .
وفي يوم الامتحان لأخذ شهادة العالمية قاموه مقاومة ظالمة ، ومنهم الشيخ
عليش ، والشيخ الجيزاوي ، ومع أن رئيس لجنة الامتحان شيخ الازهر
يومئذ الشيخ العباسي ، وكان على جانب كبير من العلم وحب التجدد ،
قال لأعضاء اللجنة أثناء المداولة : انه لم ير في حياته أحدا في ذكائه
وتبته من علمه وأنه يستحق الدرجة الاولى ، بل لو كان فوقها درجة
أعلى لاستحقها . ومع ذلك لم تسمح له اللجنة إلا بالدرجة الثانية ، وبعد

(١) العقائد العضدية ، لعبد الدين عبد الرحمن بن احمد الإيجي
المتوفى سنة ٧٥٦ هـ شرحها ووضع لها الحواشي كثير من العلماء منهم
جلال الدين محمد بن اسعد الصديقي الدواني المتوفى سنة ٩٠٨ هـ قال
عنها : لم تدع قاعدة من اصول العقائد الدينية الا واتت عليها ، ولم تترك
من أمهاتها ومهماتها مسألة الا وقد صرحت بها او أومات اليها (الكشف
١١٤٤)

الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة ، ويصرح ان الامة غير مستعدة للحكم الدستوري ، وأن الواجب تعليمها وتهذيبها أولا ، ويرى استشارة الامة في بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات فقط تمهيدا لما يتراد من تصيد الحكومة ، قال : « وليس من اللائق أن تفاجأ البلاد بأمر قبل أن تستعد له فيكون من قبيل تسليم المال للناسي قبل بلوغ سن الرشد يسد المال ، ويفضي الى الهلكة » ، وقال : أخشى أن يجر هذا الشعب على البلاد احتلالا اجنبيا يستدعي تسجيل اللعنة على مسيبيه الى يوم القيامة .

واحتل الانكليز مصر ، وأرادوا القضاء على الحركة الوطنية ، وشلوا سلطة دار الندوة ، وعملوا على التفرق بين الخديوي والامة ، فتحول حينئذ مقام عرابي من قائد جيش الى قائد مصر ، وحينئذ أصبح محمد عبده ومصر قاطبة من أتباع محمد عرابي ، ورأى الشيخ ما كان يراه كل وطني صادق أن واجبه يقتضيه أن يكون مع الامة على الانكليز ، وعلى الخديوي الذي أصبح آلة في أيديهم ينفذون به أغراضهم . واصبح الشيخ كما قال عميد الاحتلال روجا ومدبرا للحركة ، وأصبح العرابيون يلجؤون اليه في كثير من أمورهم ، لا يرمسون أمرا دون استشارته ، فكان موقفه من الثورة العرابية كما قال الراجعي المؤرخ : « موقف الوطني الذي يثور لكرامة البلاد واستقلالها ، فدافع عنها بكل ما لديه من حول وقوة واخلاص » .

اضطر الشيخ الى ركوب مراكب السياسة ، وما كان يود أن يدخل فيها . زج فيها رغم ارادته ، لذلك رأينا يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو ، ولم يرض الدخول في غمارها - بالفعل والقلب - معلما ومرشدا ، أي أنه شارك في السياسة بالقدر الذي اراده ، ثم تقص يد منها إلا قليلا .

ولما قبض على من عرف لهم أثر في الثورة كان الشيخ في جملتهم ، اتهموه بأنه أفتى بوجوب قتل الخديوي لخروجه على اجماع الامة ، فغرب من القطر المصري الى الشام ثلاث سنين ، ثم غادرها الى باريس لنشر مجلة « العروة الوثقى » مع صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الافغاني ، وكانت « العروة الوثقى » جمعية سرية يقصد بها محاربة الاستعمار والمستعمرين ، وفي مقدمتهم الانكليز ، والغرض البعيد من الجمعية « إعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعدل والكمال في العصر الاول ، بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا . ويتبع هذا إنقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم ، وأما الغرض القريب فهو انقاذ مصر والسودان من الاحتلال » .

وضاق صدر المستعمرين من مقالات مجلة « العروة الوثقى » فنع الانكليز دخولها الهند ومصر والسودان ، فلم تعش أكثر من ثمانية أشهر . كانت مقالاتها ، ويكتبها محمد عبده بقله الساحر . وبسلي بعض آرائها السيد جمال الدين الافغاني أشبهه بدساتير للامة اذا جرت على بعضها نجت مسا هي فيه من الانحطاط ومن الذل الذي صارت اليه بفعل ملوكها وأمرائها وزعمائها ، وذهب متكررا من باريس الى تونس فصر ثم عاد الى بيروت (١٨٨٥) واستدعي للتدريس في المدرسة السلطانية فوضع لها برنامجا جديدا أخذ على عاتقه منه علوم التوحيد والمنطق والمعاني والانشاء والتاريخ الاسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي ، وظهرت آثار تعاليمه في التلاميذ آخر السنة ، وأرشد المعلمين الى الطريق القويم في التدريس وتهذيب ملكات الطلاب وتثقيف أخلاقهم . وزار خلال ذلك بعض مدن الشام وأفاض على كل من لقيه غرفة من علمه

وبيانه . وبورك له بوقته فعلق على كتاب « نهج البلاغة » وعلى
« المقامات » للهذاني وغير ذلك .

وعني عن الشيخ فعاد الى وطنه فعين قاضيا في المحاكم الاهلية
الابتدائية فقال حين سمع خبر تعيينه : ما خلقت لآكون قاضيا بل لآكون
معلما ، وقد جربت تسي في التعليم فنجحت . وقيل : ان عميد الاحتلال
بعد مدة اراده على ان ينزع العمامة فيكون رئيس وزراء مصر فقال له :
خلقت معلما واريد ان اموت معلما . وترقى في القضاء حتى صار
مستشارا في محكمة الاستئناف ، وكان يود ان لا يدخل فيه وينقطع الى
التدريس مع انه كان يعلم انه يرتقي في هذا السلك الى أعلى الدرجات ،
وان مجال التدريس ضيق محدود ، وطلب ان يعود الى مدرسة دار
العلوم فأبى الخديوي ان يجيبه الى طلبه مخافة ان يلحق تلاميذه من
أفكاره السياسية . ولما نصب الخديوي عباس على اماره مصر داخله
الشيخ واقنعه بضرورة إصلاح الأزهر ، ولكن دسائس شيوخه وغيرهم
حالت دون إنفاذ هذه الأمنية .

وفي سنة ١٨٩٩ عين الشيخ مفتيا للديار المصرية فأصبح بحكم
منصبه الجديد عضوا في مجلس ديوان الاوقاف الاعلى الذي أنشاه
عميد الاحتلال للحد من تصرفات الخديوي في أموال الاوقاف ، وعين
في الشهر الذي تولى فيه الافتاء عضوا في مجلس الشورى ، ولم يلبث
ان ظهرت المشادة بين الشيخ والخديوي ، فإن هذا أراد ان يبدل مزرعة
له بأراض للبناء في الجيزة من ضواحي القاهرة ، ووضع الثمن الذي راقه
فأبى الديوان بإشارة الشيخ الا ان تن أرض الخديوي وأرض الوقف ،
فكان من ذلك ان خسر الخديوي خسین ألف جنيه ، وبذلك انتقلت
العداوة التي نشأت بين مترجنا والخديوي توفيق من أجل تقلبه في

سياسته يوم الاحتلال الى ابنه عباس ، وظل هذا يحرض سفهاء الأفاقين
على الشيخ ، ويحمل زبائنه من الجواسيس والكتّاب على تسويد
صحيفته في نظر الامة، ولكن الشيخ وجد له معصما من عميد الاحتلال،
فكان هذا يبعد نظره يدفع العوادي عنه ، ويوقه غضب الامير .

وكان أول ما قام في ذهن الشيخ تفشيش المحاكم الشرعية ففتش كل
أرجاء القطر ، ولم يدع محكمة مديرية أو مركز إلا شاهدها بنفسه ،
وبحث أعمالها بحثا دقيقا، وتعرف حال قاضيه من قوة أو ضعف، وضبط
العمل والاهمال فيه فوضع تقريره وصادف من وزارة العدل معاضدة
على إنفاذ أكثره ، فأخرج القضاء من دركات التدني التي كان غائصا فيها،
ثم استقال من ادارة الأزهر ، وظل على العناية بما يصلحه ، ورضيت
الحكومة ان تفتح مدرسة يتخرج فيها القضاة والكتّاب والمحامون
الشرعيون ، وبذلك أبقي للشرعية بعض بهائها الذي كان المشايخ الفقهاء
السبب في ذهابه، واضطرار الخديوي اساعيل الى العمل بقوانين فرنسا
بعد ان اقترح على أهل الأزهر ان يؤلفوا كتابا في الحقوق والعقوبات
موافقا لحال العصر فرفضوا لا تدينا بل عجزا . ووضع لائحة لإصلاح
المساجد ليكون أئمتها وخطبائها من أهل العلم بالدين فعارضه الخديوي
أيضا لحنقه على الشيخ يوم عرض على الاوقاف استبدال أراضي البناء
التابعة للاوقاف في الجيزة بمزرعته المعروفة باسم مشهر . قاوم الخديوي
الشيخ في هذا المشروع أيضا ، وغفل عن مصلحة المسلمين في تقريره
وإنفاذه ، وبذلك صح ما قاله : ان مصيبة هذه الامة بفساد أخلاقها أكبر
من جميع مصائبها ، وقوله : انه لم يعمل عملا لمصلحة المسلمين ووجد
له من يعارضه فيه من غير المسلمين ، لا من الاقرب ، ولا من القبط ، ولا
من السوريين .

كانت طريقة الشيخ السير الى جانب الدين مع مراعاة أحوال

الدنيا ، أو تطبيق أمور العالم على الشريعة ، ولذلك كان في فتاويه
يقتي على وجهين : الوجه الاول الفتوى الرسمية يتقيد فيها بمذهب
الحنفي . وغير الرسمية تختلف باختلاف طلب المستفتي فمن المستفتين
من يسأل عن حكم الله تعالى ، وعلى المفتي أن يجيبه بما يعلم من حكم
الله تعالى في كتابه وما ثبت عنده من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
نصا أو اقتضاء . وكانت عادة المفتين في مصر الوقوف عند حد فتاوى
الحنفية ومذهب أبي حنيفة مذهب السلطان الذي كان يخفق علمه على
القطر .

وكان للشيخ بحكم منصبه ما جعل منه أحسن أداة يستخدم في
النهوض بالامة ، شأن كل كفاء من الرجال ، لا يفلت من يده فرصة
لتنع غيره . ومن ذلك أنه لم يكتب باصلاح الازهر واصلاح المحاكم
الشرعية ، بل توفّر مع أصحابه على انشاء جمعية سموها الجمعية
الخيرية الاسلامية ، غرضها التعاون على تربية اولاد الفقراء والمساكين
من المسلمين ، واعانة العاجزين منهم على الكسب . قال في احتفالها
السوي مرة : لم تنشأ الجمعية لاخذ الشهادات والاستعداد للوظائف ،
بل من أهم مقاصدها أن تنزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيه الا
الاستخدام في الحكومة ، والجمعية توطن نفوس التلاميذ في مدارسها
على أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه باتقان ، ويعيش مع الناس بالامانة
والاستقامة ، فولد التجار يكون تجارا ، وولد الحداد يكون حدادا ،
وولد الفرائس يكون فرائسا . والتربية والتعليم يساعدان كلاهما على اتقان
عمله وصناعته ، فيكون أكثر كسبا لانه أكثر اتقانا للعمل مع الامانة
والاستقامة . وأصبح الشيخ في سنة ١٩٠٠ رئيسا للجمعية الى يوم
وفاته ، فجمع لها من كرام المصريين أموالا عظيمة ، ووقف عليها مزارع

وأراضي ، وأتجت ما كان يعقد عليها امله من الخير في تربية أبناء الفقراء
تربية حرة طاهرة .

وهو الذي ألف شركة طبع الكتب فطبعت أسفارا مفيدة ،
واشترك في تصحيح عدة كتب قديمة ، ومنها « المخصص » لابن سيده .

فطر الشيخ على بث العلم ، وكان معلما في كل مكان دخله ، معلما
في الجريدة الرسمية ومعلما في دار العلوم ، وفي مدرسة اللسنة ومعلما
كل يوم في دروسه في الازهر منذ حدائه الى آخر أيامه ، ومعلما في
القضاء على اختلاف الدرجات التي تولاها ، ومعلما في الافتاء وفي مجلس
الاقواف الاعلى ، وفي مجلس شورى القوانين ، وفي الجمعية الخيرية
الاسلامية ، وفي غير ذلك من الاعمال بهمة تعلقوا على الهمة العالية .

اتبه من نفسه الى فساد طريقة التعليم الازهري ، وهو في العقد
الثاني من عمره ، وظل طول حياته يحارب تدريس الحواشي والشروح
والهوامش والتقارير ، ويقول : ان أهل الازهر يتعلسون كتبنا لا علما ،
وغرامهم في حل عبارات المؤلفين والمهتئين والمحشئين .

قاوم الجامدون من مشايخ الازهر الشيخ ، وما كهوا عن مقاومتهم
حتى أصبح غرة شادخة في الاسلام ، وعندها خافوا على مناصبهم منه
فصانعوه وتآلفوه .

قال له الشيخ البحيري مرة في مجلس ادارة الازهر مدافعا عن
نفسه : « اننا نعلم الطلاب كما تعلمنا » . فقال الاستاذ : « وهذا الذي
اخاف منه » . قال البحيري مستكبرا : « ألم تتعلم أنت في الازهر وقد
بلغت ما بلغت من مراقبي العلم ، وصرت فيه العكس الفرد ؟! » .

فأجاب الامام : « ان كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكره فإنني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكس من دماغي ما علق به من وساخة الازهر ، وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة » .

وشرح مرة طريقته في التدريس فقال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمي الا اذا صادفت قلوبا متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها ، واذا وصل الى أيدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا منه شيئا يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه حرّفوه الى ما يوافق علمهم ومشرهم .

قال : ان الكلام المسوع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء ، لان نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وأيضا يمكن السامع من أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فاذا كان مكتوبا فمن يسأل ؟ ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقارىء لكلامه يفهم منه ٢٠ في المئة على ما أراد الكاتب . وعلى ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الازهر وبعض طلبة المدارس الاميرية ، وكنت أذكر كثيرا من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، مع انها كان من حقها أن تكتب ، وما علمت أحدا كتب منها شيئا خلا تلميذين قبطين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجعانسي في بعض ما يكتبان ، وأما المسلمون فلا .

وقال الاستاذ المراغي : كانت دروس الاستاذ كالغيث ، وكانت مثلا عاليا في طريقة الالتقاء والتفهم ، وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة الى القلوب ، وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته ، والفقير رغبته ، والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم .

لم تترك واجبات المناصب وقتا كافيا للاستاذ ينقطع فيه الى التأليف ، واضطرته حالة الامة الى الدخول في غمار الثورة العرابية ، وكذلك كان حاله بعد أن عاد الى مصر يتولى أعمال القضاء والافتاء . كان يكره السياسة ويقول : انها ما دخلت في شيء الا أفدته . وفي كتابه « الاسلام والنصرانية » « فإن شئت ان تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يُجن أو يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس » .

وبعد فإن تأليف الشيخ صغيرة الحجم ، جمة الفوائد ، وله تقارير في الاصلاح كان يقدمها الى الحكومة فتنفذها أو أكثرها . وكتب أكثر ما كتب لدواع وبواعث دعت الى وضعها وما كان ينشرها الا بعد درس وتحقيق وتمثلها في صدره أولا ، شأنه في دروسه .

نشأ نشأة صوفية على يد شيخه ونسيه الشيخ درويش في قرية ، فكان من الطبيعي أن يكون أول تأليفه « الواردات » رجع عن بعض ما كان قرره فيها ، ورسالة في وحدة الوجود ، بين فيها مراتب الوجود وتعددتها من وجوه نظامها العام ووحدتها من وجه آخر . و « تاريخ اسماعيل » لم يطبع ، « وفلسفة الاجتماع والتاريخ » ، و « حاشية على عقائد جلال الدواني » ، و « شرح نهج البلاغة » ، و « شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني » ، و « شرح البصائر النصيرية » ، و « نظام التربية والتعليم » ، و « رسالة التوحيد » ، و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » ، و « تفسير سورة العصر » ، و « تفسير جزء عم » ، وأمتع تأليفه التي تجلى فيها علمه وبيانه « رسالة التوحيد » . هذا

الى تقريره في اصلاح الازهر ، وفي اصلاح المحاكم الشرعية ، ودفاعه عن الاسلام اذا طعن الطاعن عليه ، ومنها ما كان ينشره في الصحف في آخر أيامه خِلُوا من توقيعه ، أو يوعز الى خاصته ليكتبوا فكره ويقره عليه فينثروه بأسائهم .

• حفلت حياة الشيخ بأمور كلها تدور على النهوض بالمسلمين ، وتثقيفهم ثقافة تجعل منهم أمة متحضرة ، ولذلك كان في بعض فتاويه يسير مع العقل ، ولا يحيد عن طريق السلف . بدأ صوفيا وانتهى مجتهدا لا يقول الا بما يقول به علماء الظاهر أمثال الامامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية . ولكم بورك له بساعات عمره وبحق ما وصفه قاسم أمين عندما قال : « يطالع ويتعلم ويعلم ، ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ، وترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ، ويضع التشريعات للازهر والمحاكم الشرعية ، ويمتحن طلبة العلم وتلامذة المدارس ، ويؤلف الرسائل الدينية ، وينشر المقالات الفلسفية ، ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليه ، ويراسل علماء المسلمين في جميع الاقطار التي يسكنونها ، ويعارض رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده . وكان مع كل ذلك يجد وقتا ليزور أصحابه ويشاركهم في جميع أفراحهم وأتراحهم » . قال : انه وصل الى مقام الامامة بأوسع معانيها .

وقالوا : انه اذا دعي الى حفلة عامة أو مأدبة خاصة وحالت صحته أو قلة وقته دون الاجابة اليها يبعث بكتاب بقلمه ، فكان صاحب الدعوة بين عاملين في قبول دعوته أو الظفر منه بكتاب اعتذار يقرؤه على اسدقائه وأهله . وان فاتته الاستماع بحديثه اذا حضر . وكان ما يكتبه في شكر المؤلفين الذين يهادونه بكتبهم سببا في رواجها ، لان الشيخ لا يقول جزافا ، وكتبه من هذا القبيل كثيرة يتألف منها جزء لطيف .

حضرت دروسه في الرواق العباسي في الازهر ، ومجالسه الخاصة في داره في عين شمس أو في دور بعض مريديه ، وسعت بعض خطبه في الجمعية الخيرية الاسلامية فكنت أقول : سبحان من خصه من بين معاصريه ببلاغة اللسان وبلاغة القلم .

وصفه العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة « الضياء » بقوله : « كان متوقفا الفؤاد ، ثاقب البصيرة ، قوي الحجّة ، ذرب اللسان ، بليغ العبارة ، اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه ، فلا يتوقف ولا يتلكأ ، ولا تجد في كلامه لفظة ركيكة ولا تركيبا سخيفا ، حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداهة وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول ، حتى انه تعلم اللغة الفرنسية وهو فوق الاربعين ، فلم يأت عليه الا اشهر حتى كان يجيد فهمها ، ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ، ولم يرو مثل ذلك الا عن استاذه السيد جمال الدين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

كان الامام يتوخى في دروسه ألا تكون جافة اذا طال بحثه وتقريره فيشفعها في الحال بشيء من دعابته الحلوة ، يفرغ عليها من روحه الصافي ما يحجب الى النفوس الرجوع الى سماع ما يحاول القاءه عليهم من المسائل والمشاكل . وما حضرت له درسا ولا مجلسا ولا خطبة الا تمنيت لو يطول القاؤه أكثر مما طال ، ووددت أن أكون كلي آذانا تسمع وقلوبا تعي وتفهم . وما شككت قط أن كل ساعة من ساعات حياته كانت ثمنا وخيرا ، وأن كل من كتب له الاتصال به أفاد من علمه وتجاربه ونصائحه وهديه وتأثر به عقله وروحه .

عطف عليّ منذ تشرفت بالاجتماع اليه في القاهرة فقال في الملا

من أصحابه انه قرأ ما كتبه الصحف في مشروع السكة الحجازية فما
قدر جلاله الموضوع حتى نشرت في مجلة « المقتطف » مقالة فيه
فامتلك فيها على ما لم يطاع عليه من قبل . فها لي بهذه الشهادة سبيل
التعرف الى طائفة من رجال مصر في العلم والقضاء والإدارة والسياسة
والادب وهذا جُل ما يتطلبه ناشئ مبتدىء من العون والتنويه .

قالوا : ان الاستاذ تعلم اللغة الفرنسية وهو في الرابعة والاربعين
لما اشتدت حاجته اليها أيام تقلد القضاء ، وشاهد رفاقه يستعينون في
أحكامهم بالقانون الفرنسي فما وسعه الا تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها
من دون كبير عناء في وقت قصير فكان يحضر في الصيف دروسا في
هذه اللغة في كلية جنيف، ويتسرن على الكلام فيها والفهم في السياحات،
وقد ساه في اوربا وافريقية وآسيا كثيرا ، واذكر أنني صحبت أحد
علماء المشرقيات من الالمان لزيارته في داره ، وكان الحديث بالفرنسية
في موضوع التربية والتعليم ، فما غلط الاستاذ غلطة واحدة في الساعة
التي قضيناها في حديثه ، وأبان عن بديهة مؤاتية ، دهش لها صاحبي
الالمانى ، وبقي أياما يحدثني بأثر تلك الزيارة في نفسه .

ذكر السبب الذي دعاه الى تعلم الفرنسية قال : ثم ان الذي
زادني تعلقا بتعلم لغة أوربية هو أنني وجدت أنه لا يمكن لاحد ان
يدعي أنه على شيء من العلم يتسكن منه من خدمة أمته ، ويقندر به على
الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية . وكيف لا
وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع
أقطار الارض . وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل
للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الاشرار منهم . واخترع
الاستاذ لنفسه طريقة تلقف اللغة الفرنسية ، فكان يتلو أمام استاذه

قصة لاسكندر دوماس والمعلم يصلح له النطق ويفسر له الكلم ، ثم تعلم
نحوها بالتدريج .

وكان الشيخ عمليا في تلقن العلم وتلقينه منذ حضر درس النحو في
الجامع الاحمدي في طنطا ، وتأقف من طريقة تعليمه . كان في القضاء
قاضي العدل بالانصاف ، لاقاضي القانون والرسوم . قال عن نفسه :
« انني كثيرا ما أنظر في قضية فاستخرج من التحقيق الطويل وجوها
كثيرة للحكم بالإدانة مثلا . حتى اذا ما تمت المحاكمة وأردت النطق
بالحكم تقوَّض كل ذلك البناء الذي كنت بيته في ذهني من وجوه
ترجيح الادانة ، وظهر لي بغتة أن المتهم بريء حتما فأحكم بالبراءة » .

وكان يفضل أبدا أن يجري الصلح بين المتخاصمين حتى لا تتاصل
العداوات بين الناس اذا فضت المحاكم الشجار بينهم .

كان الشيخ رأسا في كل ما عانى من أعمال المجتمع لا يلبث أن
يظهر فضله الباهر في الايام الاولى من توليه عملا من الاعمال ، وتخاذل
قوة الامراء والطفأة أمام عقله . كان الخديوي عباس يبغضه لانه لم
يوافقه على مد يده الى الاوقاف ويشدد في مقاومته بكل ما تصل اليه
قوته من ضروب المقاومة، فاذا وقع في مأزق لا يتأخر عن دعوته لارشاده
الى الطريق الواجب سلوكها علما منه بسعة عقله وسعة علمه . كان يهيج
عليه العلماء والادباء كل حين ، ويوم الجدل لا يعتمد على غير رأيه
وحكمه . والشيخ بما عرف من كرم أخلاقه يتجاهل كل ما يصيبه من
أذى مبغضه .

كان الشيخ كريما يتصدق في السر وقد خص بعض المحاورين
المستورين برواتب يقبضونها من راتبه الكبير من الاوقاف . وكان

ينفقه كله في هذه الوجوه من البر . كان نصير المظلومين والضعفاء ، ولطالما سعى لجلب الخير الى من كان يقذف فيه ويعاديه من دون سبب، يقصد بذلك أن يعلمه ويعلم غيره كيف تكون الاخلاق الطاهرة ، وأن هذا هدي الاسلام وطريقة صاحبه .

قيل انه نظم أبياتا في مرضه الاخير أبان فيها عن غرضه من الحياة وهي (١) :

ولتُ أبالي أن يقال محمدٌ
 أبلى أم اكتظت عليه المآتمُ
 ولكن دينا قد أردتُ صلاحه (٢)
 أحاذرُ أن تقضي عليه العمائمُ
 وللناسُ آمال يترجون نيلها
 إذا متت ماتت واضحلت عزائمُ
 فيارب إن قدّرت رُجعي قريبة
 إلى عالم الأرواح وانفض خاتمُ
 فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً
 رشيداً يضيء النهج والليل قاتم (٣)

(١) أشار الى هذه القصيدة جرجي زيدان في تراجم مشاهير الشرق وأورد البيتين الاولين منها كما أوردها محمد رشيد رضا في كتابه « تاريخ الشيخ محمد عبده » ص ١٠٢٦-١٥٢٧ وذكر انه أنشده اياها ابان مرضه، وقال ايضا : وله قصيدة قالها في الثورة العرابية وهما وحيدتان مطلعها : مالي يعنف قلبي من تغاضيه دهر يباليغ في عجب وفي تبه
 (٢) هذه رواية الاصل ، وتراجم مشاهير الشرق ، اما رواية رشيد رضا فهي : ولكنه دين .
 (٣) بعد هذا البيت في تاريخ محمد عبده بيت سادس هو :
 بعالني نطقا وعلمنا وحكمة
 وبشبه مني السيف والسيف صارم

قالوا : ان لسائه لم ينطق بقول الشعر الا في آخر أيامه ، وفي الحبس لما سجن مع العرابيين .

أجاب الشيخ رجلا من الشاميين هنا بمنصب الافتاء ، وما جاء في جوابه يصف موقفه من الامة المصرية: أما قومي فأبعدهم مني أشدهم قريبا مني ، وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون الظنون ، بل يتربصون بي ريب المنون ، تسرعا منهم في الاحكام ، وذهابا مع الاوهام ، وولعا بكثرة الكلام ، وتلذذا بلوك الملام . أقول فلا يسمعون ، وأدعو فلا يستجيبون ، وأعمل فلا يهتدون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون ، بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والعويل ، والصخب والتهويل . حتى اذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدو
 ليسوا من الشر في شيء وإن هانا (١)

وأقول : ولا من الخير .

« وانما مثلي فيهم مثل أخ جهله اخوته ، أو أب عفته ذريته ، أو ابن لم يحن عليه ابواه وعمومته، مع حاجة الجميع اليه، وقيام عندهم عليه ، يهدمون منافعهم بإيذائه ، ولو شأؤوا لاستبقوا باستبقائه ، وهو يسعى ويدأب ، ليطلع من يلهو ويلعب . على أني أحمد الله على الصبر وسعة الصدر ، اذا ضاق الامر ، وقوة العزم ، وثبات العلم ، وان كنت

(١) هذا البيت من مقطوعة لرجل من بني العنبر وردت في عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٨٨ مطلعها :
 لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
 ونسبها أبو تمام في حماسه لقريط بن أئيف .

في خوف من حلول الاجل قبل بلوغ الامل . خصوصا عندما أرى
العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطرا لما أنبتت زرعاً ، ولا
أطلعت شجراً ، أفزع لذكرى ذلك وأجزع ، ويكاد قلبي يتقطع ، ثم
أرجع الى الله فأعلم أنه مع الصابرين ، وأنه لا يضيع أجر العاملين
فيئلاج صدري ، وأمضي في جهادي الدائم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك
أمراً . . . »

« ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين ، وحق المعلمين في مثل
هذه الجاهلية التي بعث النبي لمحو أحكامها وازالة أيامها . تلك جاهلية
كان الضلال فيها بعيداً ، ولكن كان فهم القوم جديداً ، لذلك عندما
لاح لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما قرع أسماءهم صوت الداعي
أجابوه . كان القرآن يصوغ أفئدتهم فيلين من شدتهم ، ويفلّ من
شرّتهم ، ويفجر عن صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة ، وما كان
أهل العناد فيهم الا قليلاً ، عرفوا الحق فأنكروه ، وطائفته كانوا يفرّون منه
خوف أن يعرفوه ، ولو سمعوا لفهموا ثم لم يجدوا بداً من أن ينصروه .
وان الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل في بني آدم .
أما اليوم فانا أشكو من قلة الفهم وضعف العقل ، واختلال نظام
الادراك ، وفساد الشعور عند الخاصة ، فلا تجذبهم فصاحة ، ولا تبلغ
منهم بلاغة ، وغاية ما يطلبون أن يحدوا بما لم يفعلوا ، وأن يوصفوا
بالعلم وان لم يعقلوا ، وأن تقضى حاجاتهم اذا سألوا ، وأن ترفع مكاتبتهم
وان تنزلوا . . . »

وهذه من أجمل الصفحات التي كتبها الاستاذ الامام في النعي
على قومه فساد الخلق والعناد على سماع الحق . ولو كتب له أن يكتب
كتاباً في حاضر المصريين لكان أجمل كتاب يصدر عن مثله .

رسم الاستاذ الامام ، وهو اللقب الذي أطلق عليه في أواخر أمره ،
خطة لنفسه في الحياة منذ كان في العشر الثاني من عمره ، وبقي على
تحقيقها لا يثنيه شيء عنها ، وما حاد عما رسم في الدرس والتدريس ،
ولم يبرد غرامه بحمل النور الى العقول الى آخر ساعة . وهذا قلّما
عُهد في الشرق الاسلامي . ولا غرو ان اضطلع وحده بعمل مئات من
أمثاله من المشايخ مجتسعين ، ذلك لان أكثرهم يحصلون العلم ليعيشوا
في الدنيا ويتولوا المناصب في الدول . أما هو فتعلم العلم ومارسه لينفع
به الناس في دينهم ودنياهم ، ويخرج من هذا الجسم المنحط نائضة قوية
تفيد الاسلام والمسلمين . كان مفرداً في أمته ، لم ينبغ فيها مثله منذ
قرون ، ولعل القرون تتوالى حتى ينشأ رجل فذ من عياره يستوفي
شروط الإمامة ، وتعزف نغمة عن المطامع والمظاهر .

والسر في تفوقه على غيره أنه كان من أول نشأته يستعمل عقله ،
ويكره الجمود والعنجهية ، ويعرف وقته معرفة ثاقبة ، ويسير بما يلائمه
وييسر على أمته . وعرف أن الشريعة مرنة تصلح لكل زمان ومكان
فاتنوع ونفع بهذا الرأي ، وكان اذا جاءته العضلات جرد لها من عقله
مخارج فحلّها بقانون الشريعة وقانون العقل معا . فقد سئل في ذبيحة
النصارى فأحلّها ، واستفتي في جواز لبس القبعة فأجازها ، وسئل في
ايداع المال في صناديق التوفير فأفتى به . وفي تفسيره القرآن فسّر
أمورا غامضة لا يفهمها كل الناس وقرّبها من الاذهان فأقنع غير
المتعنتين ، كسألة الجن والملائكة ، فسّر لها بما لم يسبق لمفسّر على
ما نظن ، ومن قرأ دروس تفسيره يدرك أنه عالم لا كالعلماء ، يقول
أبداً : « لا إمام سوى العقل » .

كان في العضلات الفقهية اذا لم يجد في الفقه الحنفي ما يبيل

محمد المبارك *

١٢٦٣ - ١٢٣٠ هـ

١٨٤٧ - ١٩١٢ م

أصل أجداد الشيخ المبارك من عرب الجزائر ، نزلوا بين البسرير يتولون ارشادهم وتلقينهم الطريق ، فتعلموا لغتهم ، واختلطوا بهم بالصهر والنسب . وهاجر أبوه الى الشام . ولد ابنه محمد في بيروت سنة ١٢٦٣ ، ولقبه أبوه بالشيخ ، ثم انتقل به الى دمشق ، وفيها قرأ القرآن وجوَّده ، واخذ يطلب العلم ، وكان له من جودة حافظته ما اتسع به محفوظه . قيل : انه حفظ مقامات الحريري في خمسين يوماً ، وما عاقه اشتغاله بالتصوف على ما كان أجداده عن الاشتغال بالادب وعلوم التفسير والحديث والسيرة . قرأ أمهات كتبها وأقرأها تلاميذه ، وعلق عليها وشرحها ، وما خلفه من الكتب التي نظر فيها في هذه العلوم ، ومنها نموذجات في دار الكتب الظاهرية ، دليل بعد نظره ووفرة تحقيقاته اللغوية والادبية .

اتصل في صباه بالامير عبد القادر الحسيني فعهد اليه تعليم اولاده . وأراده أن يلقنهم القرآن بقراءة ورش^(١) ، وهي القراءة المشهورة

* ترجمته في معجم المؤلفين ج ١١/٢٦٣ ، حلية البشر ج ٢/١٧٦ ، تراجم اعيان دمشق : ١١٨ ، وانظر هدية العارفين ج ٢/٣٩٨ ، وايضاح المكنون : ج ١/١٣ ، ٢٠٠ ، معجم المطبوعات ج ١/٦٩٥ (١) هذا لقبه ، واسمه عثمان بن سعيد ، ولقبه احب اليه من اسمه ، وفي سبب تلقيبه اقوال منها أنه اختصار لاسم طائر يقال له الورشان ، لقله اكله وخفة لحمه . وقد لقبه به استاذة نافع . وهو شيخ القراء المحققين ، وانتهت اليه رئاسة الاقراء في الديار المصرية ، ولد بمصر سنة ١١٠ هـ وتوفي بها سنة ١٩٧ هـ (طبقات القراء للجزري ج ١/٥٠٢ ومفتاح السعادة ج ٢/٢٨) .

الغلة يعمد الى الاخذ من أحد مذاهب أهل السنة كما فعل في حل معضلة من غاب أزواجهم من النساء غيبة طويلة كأن يحكم على أزواجهم بالاشغال الشاقة مؤبداً أو بالحبس مدة طويلة ولا عائل لهم ، واستخرج من فقه المالكية احدى عشرة مادة كان فيها الحل المعقول . والمهم في نظره رفع الحرج عن الناس وتخفيف آلامهم وإمتاعهم بحقوقهم ، والزامهم واجباتهم .

لم يخلف مالا تعيش به أسرته من بعده . « عاش عظيماً فقيراً ، ومات فقيراً عظيماً » . خلفه اسما يذكر بالاعجاب والتقدير كلما ذكره الذاكرون .

★ ★ ★

في الجزائر ، ولما كان يقرأ القرآن بقراءة أخرى قصد الى الاستاذ
الخلواني الكبير (١) شيخ قراء دمشق فأخذها عند وألف له رسالة فيها
حتى علمت بها من عهد اليه تلقينهم اياها .

ويتسا كان يقرأ على تلاميذه من كتب التصوف « الفتوحات
المكية » (٢) ، « الرسالة القشيرية » (٣) ، و « قواعد التصوف » لابن
رزوق (٤) كان يقرأ في فقه مالك الرسالة للقيرواني (٥) والسيرة النبوية لابن
هشام ، ومقامات الحريري ومقامات الهذلي وأطواق الذهب
للزمخشري ، والمثل السائر لابن الاثير . وما أعرف ان كان نظر كثيرا
في دواوين عظماء الشعراء ، ولعل ذلك دعا الى تخلفه في ميدان الشعر
الجزل .

أما اثره فنثر أبناء جيله . سطا السجع والترصيع والازدواج على
سدها ولحنه فأفقدته السلاسة والعدوية ، وعالج في رسائل قليلة له
مثل : رسالة « نضرة البهار » (٦) و « بهجة الرائح والغادي » (٧) وغيرها

(١) هو محمد بن سليم بن احمد الخلواني (١٢٨٥ - ١٣٦٢ هـ =
١٨٦٨ - ١٩٤٤ م) حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، واتقن القراءات
وهو ابن اربع عشرة سنة تخرج به كثير من قراء دمشق الجامعين للقراءات
العشر والسبع (الاعلام الشرقية ج ٢ / ١٦٣) .

(٢) للشيخ محيي الدين بن عربي .

(٣) للامام عبد الكريم بن هوارن القشيري (٢٧٦ - ٤٦٥ هـ) شيخ
خراسان في عصره .

(٤) هو احمد بن رزوق (معجم المطبوعات ج ١ / ٢٨٦) وفي الاصل :
رزق .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن رشيق القيرواني المتوفى نحو
سنة ٢٨٠ = ٩٩٠ : فقيه ، مؤرخ ، حافظ للحديث ، شاعر ، صنف كتباً
في فقه المالكية (الاعلام ج ٤ / ١٠٠) .

(٦) في محاوراة الليل والنهار .

(٧) في احاسن محاسن الوادي . وهي في وصف وادي دمشق .
طبعت في بيروت سنة ١٣١٣ هـ .

٣٤٤
ست رسائل كانت له مطبوعة دون ما يرجي من اديه (١) كانه ما كان يعنيه
من الانشاء غير قوالبه ، يتحسرى الصحيح من الالفاظ والتراكيب ،
وقلما يحفل بالمعاني ، وكان ذوقه في النقد الادبي أرقى من ذوقه [في] (٢)
نسج الكلام .

قال لي مرة : « انك لسعيد بتطبيقك السجع والأخذ بطريقة
الكتابة المرسله بدون سجع ، وأنا ما زلت مقيدا بقيوده ، وما استطعت
أن أنجو منه ، واني لأعجز عن كتابة سطرين لبائع البقول ، لاني
لا أريدهما الا مسجوعين والمقام لا يحتمله » ، وأنا أخذت عنه طريقته
في السجع لأول أمري . وما زلت اجاهد نفسي حتى نجوت من أسلوب
الحريري والهذلي ، وتذوقت مذهب الجاحظ وابن المقفع في
الانشاء .

نعم كانت مادة الاستاذ من مفردات اللغة واسعة جدا ، ويكبو
في بيانه شأن أكثر اللغويين في الاعصر الغابرة ، لا يبرزون في الشعر
ولا في النثر ونسج الكلام غير الاحاطة بالالفاظ والبناء غير المهندس .

اتصلت به سنين آخذ الادب عنه فكتب لي شرف الاطلاع على
تواضعه وتقواه وكرمه وعزوفه . وقل فيمن غلب عليهم التصوف أن
جاء منهم عالم وأديب على هذا المثال البارح الذي كان عليه أستاذنا
المبارك .

لا جرم أنه أخذ من التصوف أحسن ما فيه ، وهو باب الاخلاق،
واطرح ما فيه فضول وكسل وقلة عمل وتخريف لا يقول به الشرع .

(١) منها : « غريب الانبا في مناظرة الارض والسما » ، « ابهى مقامة
في المفاخرة بين الغربية والاقامة » ، « لوعة الضمائر ودمعة الناظر في رثاء
الامير عبد القادر » .

(٢) ساقطة من الاصل .

عرفته في المدرسة على مقدار كبير من الدنانير والريالات خباها بين
الحطب والفحم والفرش والغسيل فأين تقشّف من تقشّف ؟

كان الشيخ يدعو كل مدة الى طعامه ، على آكلة للمغاربة فاخرة
بعض أحبابه وأناسا من فقراء أهل طريقته ، ويوليهم من لطفه ما لا
يستكثر ممن كانت له مثل أخلاقه وبسطة يده . وأعظم ما كان يتالم
له قحّة بعض تلاميذه واجترأوهم على الغيبة والنسيبة في حضرته ،
فينقبض الشيخ انقباضا يظهر في أسارير وجهه . وهم يعلمون أنه لا
يرضيه أن يذكر أحد بسوء في مجلسه ومن عادته أن يسكت حتى عن
يؤذيه . وكان يتجهّم لمن كان يغشى مجلس اخوانه من دون معرفة سابقة ،
كان تصوفه ممزوجا بروح السنة وحكمة الحكماء . وما سمعته يحل
على من لا يتابعونه على آرائه ، ويكتفي بتجنب مجالسة من لا ترضيه
حالتهم .

حدثني حفيده أن جده كان مرة مارا من شارع فقال له أحدهم :
ان موكب امبراطور المانيا سير من هنا الآن ، فما كان من الشيخ الا أن
أدار وجهه الى الجدار ووقف لا يتقدم ولا يتأخر حتى اجتاز الموكب .

وكان بعضهم يدعي للشيخ أنه يشفي من الصرع ، شهدت جلسة
منها في داره ، وقال لي لما صحا المصروع : ان هذا لاجل المعاش ،
مشيرا الى أنه هو ممن لا يعتقد ذلك ، ولكن المصروعين يعتقدونه .
ومثل هذه المسائل هي فيه قليلة جدا . آتته من طريق الوراثة . ومثلها
مما يتعاطاه قومه المغاربة .

كان المترجم له في دائرة ضيقة في التأليف ، لما كان في عشرة
الناس على مثل ذلك . ولو قدر له أن ينتقل في الاقطار ، ويخالط

قلت له مرة : ان الحكومة آخذة بتوزيع أراضٍ على المغاربة ،
وبلغني أنهم عرضوا عليك أن يملكوك جانبا مهما منها فأبيتَ فما سر
رفضك ؟ فقال : لا أريد أن أشغل ذهني في شيء لا احسنه ، أما ابني
فله ان يأخذ ان شاء . وقال له بعض المختلفين الى مجلسه : ان ابنك
يصحب « كرد علي » ويخشي عليه أن تسري أفكاره اليه . فقال
له : اذا بلغك أني غير راض عن صحبتك فلانا فلا تصدق ، وأنت حر
أن تصادق من تريد وأنا راض عن هذه الصداقة .

وجهت اليه الدولة رتبة عليية من دون أخذ رأيه فاستاء جدا ولم
يقبلها ، ولم يسع الى الوالي ليشكره على الاقل على توجيهها اليه ،
وكان ينقبض اذا ذكرت له ، وما رأيتُه يغضب قط الا عند ذكر الرتبة ،
وهو الذي عاش حياته بعيدا عن أصحاب السلطان ، واختار لصحبته
اناسا من طبقة التجار والباعة ، يعلمهم البسائط ويوسّع مداركهم حتى
يشاركوا في العلم ولو مشاركة خفيفة . وما أخذ بعض أبناء طريقته
منه إلا بقدر استعدادهم وذكائهم . وكان يتبرم بأصحاب الفضول
منهم ، ويصبر الصبر الجليل على سماع أحاديثهم .

كان الشيخ مثلا صالحا من التوكل على الله ، وما كان يظن
على من يقصده لمعاوته وتفريج ضائقته .

رأيتُه غير مرة يعطي مستجديه كل ما يحمل في كيسه من دراهم ،
يسبه له في منديله . وربما كان ساعتئذ لا يملك غير ما وهب ، ولا
يلبس من أين يطعم عياله في المساء . وهذا من الزهد الذي لم يؤثر
مثله الا عن كبار الزهاد والنسك في الدهر الغابر .

كنت أعجب بزهد شيخ عرفته ، فلما مات سقطت الحكومة فسي

الناس أكثر مما خالفهم لتبدل حكمه على بعض مسائل الدنيا .

أخذ العلم عن أستاذا الشيخ طاهر الجزائري في جملة من أخذ عنهم ، وحصل الفروع التي استهوت به . أما الفروع الأخرى كالتاريخ والاجتماع فلم يتقنم له حظ منها . فلنا أن نصيفه بأنه أديب على طريقة أدباء القرن الماضي ، ومتصوف يشبه قدماء المتصوفة بهدئيه وخلقه . فقع من أخذوا عنه الى حد معين ، وما تظال الى ما ليس في طاقته .

كان الجيد يغلب على الشيخ في معظم حالاته . أنشأ في شبابه مدرسة في محلة الحويطية من محلة الشويكة في أرياض دمشق (١) . وفي ذلك الحي كان يسكن جالية الجزائر . ثم درس مدة قليلة في قرية داغل في حوران ، وبعد ذلك أنشأ مدرسة ابتدائية في قرية الريحانية (٢) ومنهجها على الطريقة القديسة في التعليم ، الا انها ما كانت تعارض علوم المدينة . وكان اعتاده في كسبه على عمله والغالب أن الامير عبد القادر الحسني كان رتب له مشاهرة ، ويوليه من عطفه على ما كان شأنه مع جبيع من اختار معاوتهم على شقاء الحياة من أهل دمشق ، فكانت لهم عليه رواتب يتقاضونها رأس كل شهر .

ذكر الامير مرة في مجلس الشيخ فبكي واجهش بالبكاء وترحم على الامير كثيرا فابان عن رقة في شعوره واعتراف بعوارف أميره .

★ ★ ★

(١) الريض (بفتح الراء والباء) : الناحية وما حول المدينة من ارض قضاء ، ومحلة الشويكة اليوم من احياء مدينة دمشق الجنوبية .
(٢) الاسل : في مدرسة الريحانية ، وهو سبق قلم . والريحانية في ظاهر دمشق من الناحية الجنوبية قرب القدم .

- ٣٧٢ -

- ٤٠ -

محمد مصطفى المراغي *

١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ

١٨٨١ - ١٩٤٥ م

لم تنبغ أمة من الرجال في العلم والادب بقدر ما نبغ من العرب ومن دخل في جملتهم من الاجناس والعناصر . حقيقة اعترف بها من تجردوا من الغرض في الحكم على تاريخنا من الافرنج بيد أن من كان لهم طابع خاص ، وأثروا تأثيرا لم يؤثره غيرهم كانوا قلائل في كل جيل ، ولا سيما في القرون الاربعة الاخيرة . فلو فرضنا أن من استحقوا أن تدون سيرتهم في هذه الملة لا يقلون عن مئة ألف ، لا يتجاوز النوابع المستازون منهم المئات ، ظهوروا خلال عمر هذه الامة الطويل ، وخدموا بأبحاثهم وتآليفهم ودروسهم ومواعظهم .

وقد وضع العلامة ريبيرا (١) من علماء المشرقيات من الاسبان جزازات في تراجم ثلاثين ألف عالم وأديب أخرجتهم الاندلس من رجال

* ترجمته في الاعلام ٣٢٤/٧ ، معجم المؤلفين : ٣٤/١٢ الاعلام الشرقية ١٧٦/٢ المجددون في الاسلام : ٥٤٥ ، ولانور الجندي كتاب في سيرته عنوانه (الامام المراغي) .

(١) لعله ريبيرا اي طراجو (ت ١٩٣٤) ولد في كركخنة من اعمال بلنسية ، وتعلم العربية على المستعرب كوديرا ، وتخرج من جامعة سرقسطة ، وعين استاذا للعربية فيها ، ثم اعتزل التدريس وعكف على التأليف .

ونشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد

٢١ ص ٢٨٩

- ٣٧٣ -

العرب في ثمانية قرون، وليسوا كلهم بالطبع من عيار ابن رشد وابن باجه
وابن حزم وابن الزهري وابن الخطيب وابن خلدون، كما أن من ظهوروا في
الشرق ليسوا كلهم من طبقة الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني وابي
حنيفة والجاحظ والنظام والخليل وابن المقفع وابن تيمية .

ظهر في الاسلام ألوف من المحدثين، والطبقة المختارة منهم عشرون
أو ثلاثون، وظهر عشرات الألوف من الفقهاء، وأهل الطابع الخاص
منهم المتأزون بإبداعهم ليسوا كثيرة، وخرج مئات من الحكماء،
والمشهورون منهم لا يعدون العشرات . ان الدساتير يحفظها أكثر من
يعانون أعمال العقل، والعبرة بما يتم على أيديهم، وبما يحملون الى
أمتهم من جديد يجدي عليهم .

كان العلم في العصور الماضية يصدر عن العواصم الكبرى، يهرع
اليها أرباب الكفايات لما يجدونه فيها من استعداد لسماح أقوالهم والانتفاع
بسواهم، وكانت المدن الذاهبة بهذا الفضل باديء بدء البصرة والكوفة
والمدينة ودمشق وبغداد والقسطاط والري وشيراز وأصفهان ونيسابور،
ثم النجف والموصل وصنعاء وصعدة وقاس والقيروان وتونس والقاهرة .
ولما تحيف الخراب معظم هذه العواصم بقيت القاهرة وتونس وفاس
والنجف تخرج علماء للامة، فعدت لذلك مراكز علم . وكان الجامع
الازهر أشهرها وأعظمها لتوسط مصر بين مدن الاسلام . ولأن أهل
الخير من سكانها وقفوا على هذا الجامع من الاحباس ما يضمن الانتفاع
به على الدهر . ولأن مصر كانت في الاسلام دولة برأسها، أو شبه
دولة مستعنة بحكم ذاتي ظل الازهر يخرج رجال الدين منذ أقام صلاح
الدين يوسف بن أيوب دولة السنة، وقضى على دولة الشيعة الباطنية .
وكان أصحاب الفضل الواسع المتخرجون في تلك الدار أقل من القليل،

والمتوسطون كثيرة، على ما هم في كل زمان ومكان، والمتوسط في
العامية ينسى، والمبرز هو الذي يفاخر به تاريخ الامة، ولا تبسرح
الالسن تردد ذكراه، والصحف تنقل آراءه وأخباره، والناس يستفيدون
من كلامه ما انعقدت للعربية سوق، وأقيمت شعائر الاسلام في أرض .

ومن نبغ في مصر من المتأخرين شيخ الازهر محمد مصطفى
المراغبي، اشتهر لا لأنه تولى أعظم منصب في الاسلام، فقد يتولى
المتوسطون بعلمهم أسمى الرتب، وهم لا يعدون حفظ ما جرت
العادة بحفظه ولا تثلوا ما قرؤوه . اشتهر لأنه جمع الى الفقه
والاصول ما تعوز العالم معرفته من أصناف العلم، فما اتقن علوم الدين،
وقال قطنى (١)، بل تعلقت همته بسطاب أخرى، فشارك مشاركة لا بأس
بها في المعارف التي كان رجال الازهر ينثرون منها . وهذا من النادر
في العلماء المعاصرين، ونعني بالعلماء هنا علماء الدين، وكان العلم اذا
أطلق يراد به على الكتاب والسنة فقط . والقاعدة عند من انصرفوا
الى هذا الضرب من العلم أن صاحبه لا يشغل قلبه بغيره من أصناف
المعرفة التي كانت في القديم العامل الاول في تمييز العرب على من عاصروهم
من الامم، وهي في العهد الحديث من أعظم الاسباب في قيام الحضارة
العربية .

ومن أهم ما ساعد المراغبي على تفوقه على أقرانه أن امتاز بذاكرة
قوية، يذكر ما مر به من أربعين سنة لا يخرم منه معنى . وقد جمع الى
ذكائه الفطري استقلال الفكر وحب الاطلاع، فما سد أذنيه وعينه عن
سماح الجديد والنظر فيه، وكان على مثل اليقين أن مجد الاسلام لن
يكتب له الظهور ان لم يقرب بالعلم الجديد، استظهر القرآن وتدبره،

(١) قطنى : حسي

وحفظ بضعة دواوين لشعراء معروفين من أهل الجاهلية والاسلام ،
 وحفظه الحظ فتخلص من القيود التي وضعها أهل كل مذهب ، وقضوا
 أن تؤخذ أقوال صاحبه قضايا مقرررة يحظر على العقل أن يجول فيها .
 وعزم منذ تمت أدوات ثقافته أن يستقي من ينابيع الشريعة الصافية ، ولم
 يتغل ما وضعه أهل المذاهب الجماعية من الآراء والاحكام ، وما تشدد
 فيما رخص به الشرع أو أقرته المذاهب الاخرى ، ودعا للعمل بجوهر
 الدين من دون ما تزمت ولا تضيق . وما كان فيه جمود من أخلتهم
 التقيّة ، وما اتعت صدورهم الا لما رووه عن مشايخهم ، أو وقفوا عند
 حد ما قرؤوه في الكتب ، وما عبثوا بسواه . نظر ، وهو في سن الطلب ،
 في علوم لم تدخل برنامج الازهر ، وشعر بفساد طريقة المشايخ في
 تدريسهم ، وشارك في الشكوى من الشروح والحواشي والهوامش ،
 ولطالما كانت تربك ذهن الطالب وتقصيه عن معرفة اللغة وعن روح
 الشريعة ، ليخرج كالبيغاء ، يحفظ ما يلقنه دون أن يفهم معناه ، وكان ،
 يقدر ما يُعنى بالاخذ عن شيوخه ، يعتمد على درسه الخاص ، ويقدر
 ما كان يداب على تحصيل دروس الازهر يسمو به الشوق الى الاطلاع
 على ما في علوم الغربيين من متاع الروح والعقل . وقد قيل انه تعلم
 اللغة الانكليزية أيام كان في السودان قاضيا ، وأصبح يفهم الكتب
 العلمية فيها ، وانه قرأ ترجمة مير علي للقرآن باللغة الانكليزية ، وكان
 يصحح ما وقع من غلط في الترجمة الانكليزية . نعم لم يقيد الشيخ
 نفسه باعتبارات الازهرين كثيرا ، شأن بعض النوابغ يشذون أحيانا
 عن مصطلح قومهم . ويكون الخير في هذا الشذوذ .

استطال الشيخ أعوام الدراسة على ما يظهر ، وهمة تحفزه الى
 الاسراع بالخروج الى ميدان العمل ، فتقدم لامتحان العالمية ، وجاز
 الستين الاخيرين في سنة واحدة ، كما قال لي عن نفسه ، معتقدا أنه

ما دام قد تعلم ما يتطلب منه معرفته ، فالواجب أن يتقدم ولا يضيع وقته
 في الانتظار . وبهذا أثبت أن الطالب قد يتعلم في بيته ما يوازي ما يأخذه
 من حضور الدروس في أوقات مخصوصة على معلمين بعينهم . أما هو
 فقد جمع بين الفضيلتين . ما زهد في التلقي ، ولا اقتصر عليه ، وروى
 العارفون أنه حضر على المشايخ قراءة الكتب المطولة المعروفة عند
 الازهرين ، الا أنه ما أتم قراءة كتاب منها ، ذلك أنه كان يرى ان من
 العبث صرف الوقت في حل معييات هذه الاسفار .

٣٣٤
 تولى القضاء قبل أن ينتصف العقد الثالث من عمره ، وأبان عن
 مقدرة على معاناته ، وظهر أنه عارف بسياسة العلم وسياسة الخلق ،
 فكأن والده ، وهو رجل شرع مثله ، أودته خير صفات من يعدلون بين
 الناس ، وكانت داره في الصعيد الاعلى مفتحة الابواب لحل مشاكل
 قومه وفض خصوماتهم ، وقد أخذ القاضي الشاب من بيته من الاخلاق
 عِدْلَ ما تعلقه في الازهر من علم ، فسعد أبوه به وياخوته ، وهم بضعة
 علماء وقضاة ، على رأسهم ابنه الاكبر شيخ الازهر الذي تولى هذه
 الرياسة العظيمة في حياة أبيه . أما بنوه فقد ربوا تربية مدنية ليس فيهم
 من لاث العمامة^(١) على رأسه .

أصبح المراغي شيخا للازهر في التاسعة والاربعين من عمره ، وندر
 من تولى هذه المشيخة وهو في هذه السن ، فأتمى بنشاط الشباب وحنكة
 الشيوخ ، اهتم الاهتمام كله لاصلاح الازهر الذي كان واضح أساس
 الاصلاح فيه شيخه وشيخنا الاستاذ الامام محمد عبده ، ولما شعر بأن
 لائحته في اصلاح الازهر لن تقبل ، استقال ولزم بيته محتفظا باستقلال
 فكره وعزة نفسه ، وخلفه في الرياسة الشيخ الظواهري ، وكان أشبه

(١) لاث العمامة : عصبها ولغها .

وكان يحز في قلبه تخلف أهله في علمهم وعملهم وهو القائل في وصفهم:
انهم استكانوا في القرون الاخيرة الى الراحة وظنوا ان لا مطمع لهم
في الاجتهاد فأقلقوا أبوابه ورغبوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد
فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ،
وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ما جد
في الحياة من علم ، وما جد فيها من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس
عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا
أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة ولا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه
الدين .

في إحدى جلساتنا في دار الشيخ المراغي في حلوان أيام كونه
معتزلاً الازهر - وكثيراً ما كانت تدوم الجلسة ثمانى ساعات - تفضل
وقرأ عليّ بعض تقاريره الدينية ، ومنها تقريره في الاحوال الشخصية
الذي صدر القانون المصري عليه ، وهو التقرير الذي لم يتقيد فيه
بالمذاهب الاربعة ، وأخذ من اكثر المذاهب المعتمدة ، وكتبه ببيان يقل
نظيره في الكتابات الرسمية ، رجوته أن يطبع ما كتب ، فما رايت
منه ميلاً الى النشر . وكان عمله في هذا الباب لا يقل نقعا عن فتواه
في الحد من الطلاق ، وقبله كان باب الطلاق مفتوحاً على مصراعيه ،
وقد طلب فاروق ملك مصر أن يفتي في مسألة زوجته بما يخالف
الشرع فأبى ، مع علمه أن امتناعه قد يغضب المستشير .

ومما دل على علو كعبه في حرية البحث فتواه في جواز ترجمة
القرآن ، وله في هذه المسألة الصعبة بحث متع نشر في مجلة الازهر .
وفي هذه المجلة طائفة من تفسيره بعض سور الكتاب العزيز ، وبعض
خطبه وآرائه ، وفيها فتواه في المعضلات ، وهي تدور على تقرب الناس
من الشرع ، والتوفيق بين الدين والمدنية .

بشيخ زاوية منه بشيخ علماء . وانشصر عمله في الاصلاح بطرد سبعين
عالمًا من خيار علماء الازهر . وعاد الشيخ المراغي الى الازهر ثانية بعدما
تركه الشيخ الطواهي بإهانة لم يثن مثلها شيخ قبله . يشمر عن
ساعد الجد في اصلاحه ، وأتم وضع أساس كليات التخصص ككلية
علوم اللغة العربية وكلية أصول الدين وكلية العلوم الشرعية ، وكان
يعتقد ان الازهر يحتضر منذ طلبت وزارة الاوقاف ، وهو من مفتشيها
خطباً منبرية فجاءها خسة خطبة لم تصلح واحدة منها لأن تلقى على
المصلين .

قال في مذكرته الاصلاحية : ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح
المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة في نهضة التعليم ، وأقرر أن
نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على امته وعلى دينه . وقد صار
من المحتم لحماية الدين - للاحماية الازهر - ان يغير التعليم في المعاهد ،
وأن تكون الخطوة الى ذلك جريئة ويقصد بها وجه الله تعالى فلا
يبالي بما تحدثه من ضجة وصراخ ، وقد قرنت كل الاصلاحات في
العالم بثل تلك الضجة . والى هذا شجع الشيخ ايضا البعثات الازهرية ،
ومتى كان الازهر يقول باكثر العلوم الحديثة حتى يذهب نوابغ
طلابه يستريدون من العلم في جامعات الغرب ، ومتى كان طلاب الازهر
يدرسون اللغة اليابانية وغيرها ليكون منهم دعاة يدعون الى الاسلام
على نحو ما يدعو المبشرون الى النصرانية . وفي أي عهد قرئت الفلسفة
في هذا الجامع وشرحت قضاياها بحرية كما كان في زمن المراغي ؟ هذا
الى غير ذلك من الامور التي كان يريد بها اطلاق عقول الازهريين
من عقالها وادخالها في طور جديد ينفع .

حاول الشيخ النهوض بالازهر بثقيف خريجه ثقافة جديدة ،

وحدها القرآن الكريم ، وجعلتها شيعا في الاصول والفروع ، وتنجع
عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، وتنجع عنه سخف ،
مثل ما يقال في فروع الفقه : ان ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، ومثل
ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة ، وما يسمع اليوم من الخلاف
العنيف في التوسل والوسيلة ، وعذبات العمام ، وطول اللحى ، حتى
ان بعض الطوائف لا يستحي من ترك مساجد جمهرة المسلمين ، ويسمى
لانشاء مساجد خاصة •

وقال : يجب أن يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من
التعصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الادلة ، وأن
تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها في
الكتاب والسنة ، والاحكام المجمع عليها ، والنظر في الاحكام الاجتهادية
يجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الامم المختلفة كما
كان يفعل السلف من الفقهاء •

وقال بشأن دراسة التفسير والحديث : يجب أن يدرس القرآن
دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهم على وفق
ما تتطلبه اللغة العربية ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يتعد
في تفسيرهما عن كل ما ظهر للعلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق مع قواعد
اللغة العربية •

وصرح أن الكتب الازهرية معقدة لها طريقة خاصة في التأليف ،
لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وانما يفهمها من مارسها ومرن على
فهمها ، وعرف اصطلاح مؤلفيها • وقال : كان أكثر العلماء بطرقون
الاحتمالات المتعددة في عبارات الكتب ، وكان هذا هو كل شيء ، اشتهروا
به في العلم ، وما كان يوجد فيهم من يستطيع أن يحاضر في موضوع

وقد حلت تقاريره وتفاسيره من أساليب البلاغة ما يستكثر من
شيخ ازهري ، وفي الرسائل القليلة التي دارت بيننا نموذج من فصاحته
وبلاغته ، وكان يكتب - لا يتكلف - بالفاظ عذبة رقيقة لا سجع فيها ،
وعبارته رشيقة موجزة تشبه عبارات المؤلفين في القرن الرابع والخامس ،
وتغلب عليه الفاظ القرآن ، وتحسن أن كاتبها متشبع الى الغاية بالفاظه
ومعانيه • اما طلاقة لسانه فكانت كبلغة قلبه ، وربما ظن السامع وهو
يتلو درسه أو عظه أو خطبته انه يقرأ من كتاب أو من حفظه ، لانه
يشاهده وقد نسق كل فكر الى جانب اخيه ، ووضع ما يروي وما يريد
أن يعلق عليه في مواضعه •

كان الشيخ حنفي المذهب ، ويأخذ من المذاهب الاخرى ما يناسب
العصر والمصلحة ، وكان في اطلاعه على المذاهب الاخرى آية ، وكثيرا
ما قال للجنة الاحوال الشخصية عند البحث في الهبة والوصية والوقف :
ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان ، وأنا لا يعوزني
بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم •

ومن رأيه توحيد المذاهب • وقال في احدي مذكراته : « يجب
العيل على ازالة التبروق المذهبية ، أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فإن
الامة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق » • ومعروف
لدى العلماء أن الرجوع الى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة
عن التعصب المذهبي يهدي الى الحق في أكثر الاوقات ، وأن بعض هذه
المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ونشطت
أهلها وخلقت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك
المذاهب السياسية ، وبقيت تلك الآراء الدينية لا تتركز الا على ما
يصوغه الخيال وما افتراه أهلها • وهذه المذاهب فرقت الامة التي

علمي ، ولا أن يلخص مسألة من المسائل بعبارة يمكن أن تفهم ، وما كانوا يعنون بالموضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب ونقدها ، بل كانوا يعنون بالالفاظ ، فلم تكن الدراسة شبيهة مشرة •

نعم ، هو يرى أن الشريعة جاءت لخير البشر ، وما دسه فيها بعض المتأخرين بجهلهم أو تساهلهم يجب أن ينقى منها وي طرح . ويعتقد اعتقادا جازما أن الله يجب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه ، من ذلك ما صرح به في جريدة الاهرام (غرة رمضان ١٣٦٣) في الصوم والافطار مما لا يقوله الا عالم فيلسوف •

« هناك أمور ينبغي أن يترفق الفقهاء فيها بالناس ، وان يراعوا قواعد اليسر التي هي اخص صفات الاسلام ، يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشابههم فيقربون الناس من الاسلام ، ولا يوقعونهم في الحرج • وعندى أن من يفطر بعذر ويصرح بذلك أطهر ممن يفطر من غير عذر أو بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى ، يرأى الناس ولا يخشى الله ، والترخص في المرض ، او الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها ويفتون أنفسهم فيها ، والرقيب هو الله ، والعلماء يبنون الحكم ، وهو اباحة الفطر للمريض ومن لا يقدر على الصوم ، أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ولا شأن للعالم فيه » •

وما انتك الشيخ يدرّس ويعظ ، ويكتب ويفسر القرآن ويدعو الى الاخذ بالكتاب والسنة ويسهل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السخنة ، ويطبق أحكامها على العصر ، أو يطبق احكام العصر عليها ، واعترف مرة أننا لم نوجد جديدا نافعا في علم من العلوم حتى الآن • قال مرة : « ولدى الامة الاسلامية قضايا كثيرة معقدة ، قضية الرجوع بالدين الى كتاب الله وستة رسوله وأعمال الراشدين • وقضية التعليم

الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب في الحياة ، وما أخرجه العقول من ثمرات ناضجة ، وقضية حماية الدين من العدوان ، والدعوة اليه كما أمر الله بالحكمة ، وقضية نظام الامم الاسلامية وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتديير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وينتفع المجتمع بهم » •

وهناك قضية هي أهم القضايا ، وهي مقومات الامم الاسلامية التي يجب أن يحافظ عليها ويبنى المجد على أساسها ، وهي قضية دقيقة ينور من أجلها عن قصد أو غير قصد خلاف بين المتعلمين وغير المتعلمين والمتمدنين وغير المتمدنين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ونظام التقاليد والعادات •

ولدى الامم الاسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف في كل ميادين الحياة : في ميدان العلم وفي ميدان الفنون وفي ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس أعلام هذا الماضي والتخلص منه والزراية عليه والحط من شأنه ، ويحاولون بناء مجد جديد على أرض بيضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضي صلة •

يحاول بعض الناس هذا مع ان الامم التي ليس لها ماض تحاول أن تخلق نسبا بفاض مجيد ، وبعض الافراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون أن يخلقوا لهم أنسابا معروفة بالمجد والشرف ليحدثوا في نفوس الابناء شعورا بعظمة من حقها أن يحافظ عليها » •

وصف ما حملة القرآن من التعاليم ، وردّ دعوى بعضهم أن فيه

علوم الاولين والآخرين بقوله : « انه كلما حدثت في العالم فكرة طريفة اجتهدوا في تلسها في القرآن ، وفرحوا ان استطاعوا الاهتداء الى اشارة بعيدة اليها ، يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون واسرارها ، وقواعد الاجتماع والسياسة . ومن حقهم ان يفهموا ان المعارف البشرية غير مستقرة ، وانها تتغير وتتجدد بدلها معارف اخرى تختلف عنها أو تناقضها ، وأنه ليس من الحكمة ان تربط هذه المعارف غير القاررة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن الخير ان ندع كتاب الله يقرر لنا احكام التشريع ويهدم الوثنية ويجتثها من اصولها ، ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به ، ويأخذ بيد الانسان الى المقام الاسمى اللائق بخلاقته في الارض ، ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين ويفرس في نفوسنا تلك الاخلاق الفاضلة من الصبر والتقاة والرضى والشجاعة ، ويفتح امامنا ابواب العلم والهداية بما أشار الله من وجوب النظر فيما صنعه الله ، خير لنا ان نعمل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ويحملون نتيجة خطاهم اذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها » .

قال : نعم ان في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم الا بمعارف فلكية وطبيعية ، ولكن تلك لم تَسَق لتقرر تلك المعارف ، وانما نزلت للهداية والعبرة . فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة ، وانما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه وعلاقة افراد الناس بعضهم ببعض .

اجمع انصار السيد المراغي وخصومه على أنه كان من خير من تولى رئاسة الازهر لصفات كثيرة اجتمعت له ، وقل أن تجتمع لغيره . ذلك لأنه كان يعرف ما هنا وما هنالك ، ويعد من العلماء العارفين بأزمانهم

معرفة ثاقبة . ومطلب اليه أن يترك رئاسة الازهر ويعطى ماشاء من الافدنة والمال فأبى . ومطلب اليه أن ينضم الى جهة معينة في الرأي ويكون له ولاولاده وذوي قرياه ماشاء من الكرامة فأبى وقال : ان اولادي واخوتي في نظري أقل من ابيع لهم كرامتي .

كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه ، وتعمل في نفوسهم نبرات اللطيفة ، وان كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها . تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين ، اذا عاشرته تحقق أنه بلغ الغاية في التهذيب الحديث ، مضافا الى ما تحلت به نفسه من فضائل الاسلام ، ولا تلبث ان تقول : ان الشيخ يصلح لامامة الدين كما يصلح لامامة الدنيا ، أي ان يكون شيخ الاسلام يدعو الى عقيدة وايمان ، وأن يكون رئيس وزارة يعاني من أحداث الزمان ما يعاني . ولا تكون الى الغلو اذا ادعينا أنه قل في أمثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية . وله في باب الارحية أشياء عرفت عنه بالعرض تدل على صفاء روحه وفضل نجاته . كان يتصدق في السر وهو ليس بعني ، ويأخذ العهد على من يعطيه أو يكتب ما وصل اليه منه . وحدث أن أحد اصدقائه من اهل العلم عدد بالافلاس ان لم يؤد ما استحق عليه من مال للحكومة ، ففتح الشيخ دواوين الازهر ليلا ليبتاع منه مقداراً من الكتب ويدفع له ثمنها في الحال لينقذ شرفه واعتباره .

ولقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضوا مراسلا فيه فاعتذر بكثرة أشغاله قائلاً : انه استقال من المجمع اللغوي في مصر للسبب ذاته ، ودعوته لأن ينزل علي ضيفاً في دمشق وبصطاف في ربوعنا فتعذر عليه البر بوعده لأن حاله لم تمكنه من مغادرة القطر ، خصوصاً بعد عودته ثانية الى مشيخة الازهر .

أخذت الاعمال الادارية والسياسية والقضائية من وقت الشيخ
الاكبر فكان شأنه شأن استاذة الشيخ محمد عبده لم يخلف مؤلفات
كبيرة يودعها لباب علمه وزبدة تحقيقه ، وما خطته يمينه دعت الى
تطويره أمور اقتضتها حاله عمله ، وعندى أن تقاريره ومذكراته ومقالاته
كافية في الحكم عليه ، وافية في تخليد اسمه اذا تيسر لها من يجمعها
ويطبعها . ورب صفحة تعادل بفائدتها رسالة مطولة . وكسم من رسالة
أقع لقارئها من تلاوة المجلد الكبير . وللشيخ مذكرات يومية شرح فيها
مواقفه مع رجال السياسة من المصريين والاجانب ولما تطبع . ولم تحل
المناسبات الخطيرة التي تولاهها دون عمل ما ينفع الاسلام والمسلمين . وما
كان يستهويه غير النهوض بالمصريين ، يتلطف ، وهو الدراكة
الطناسي (١) ، في وصف الدواء الناجع لأسقامهم . وما كان يفصل
عن معاونة كل مسلم يهبط مصر من القاصية ليرشف من معين العلم في
الازهر . مع أنه لم يزر بلادهم ولم يختلط كثيرا بأهلها .

وأهم ظاهرة بارزة في أخلاقه تجرده من المطامع التي قد يتلوث بها
بعض أهل سناعته ، فما أتى ما يشين سعة العالم ، وعلى طول قلبه
في درجات القضاء وآخرها رئاسة المحكمة الشرعية العليا ، وما أحصيت
عليه زلة تال من مروءته وشرفه . وكانت أحكامه مثال العدل ، يتحدث
المحدثون بها . لا يصانع في الحق ولا يداجي . وفي قضية الإرث الكبير
الذي كان يقدر بلايين من الجنيهات ، وما أبداه الشيخ من المتانة في
إحقاق الحق مثال من تقواه . حتى لقد قذف بباء الفضة في عنقه يوم
سدور الحكم وهو في طريقه الى المحكمة في القاهرة ، ليتعذر عليه
الحضور ، فأمر على الذهاب وأصدر حكمه . ولو كان حب الدنيا
(١) الدراكة : صيغة مبالغة لاسم الفاعل من الفعل (ادرك) والطناسي :
العالم .

مستحكما فيه أكثر من حب الدين لجوز لنفسه تناول ما يعنيه من المال
يدفعه المدعي راضيا ، ولكنه كان يحسب حساب يوم الحساب .

ولما استقال من قضاء الخرطوم وعاد الى القاهرة أخذ يتبلغ بوظيفته
مفتش مساجد في الاوقاف ، وصلى الخديو الجعة في مسجد من
مساجدها فلاحظ على المفتش ان الامام أعسى فأجاب ان الامام وهو
الشيخ الدجوي من جماعة كبار العلماء ، واستوفى شروط الامامة ،
والعسى لا يسنعه من القيام بما يطلب منه ، فغضب عزيز مصر ، ولما عرضت
عليه حكومة السودان منصب قاضي القضاة اشترط أن يكون تعيينه
برسوم خديو ، فقبل له : إن مشاهرتك ستزيد بضعة اضعاف راتبك
الحالي ، وأنت تشترط مثل هذا الشرط ، فكان له ما أراد . أما الخديو
فرجع عن رأيه في المراغي ، وأدرك أنه قوال بالحق يهتم لدينه ، ولا يعبأ
بالظواهر كثيرا . ولما تارت مصر - وهو قاضي قضاة السودان - كان
في مقدمة المتظاهرين ، فلم يسع حكومة ذلك القطر الا أن تمنحه اجازة
طويلة ، فأضاع منصبه . وجرى في مجلسه ذكر هلاك من لم يسلموا
من الافرنج فأورد أسماء عظماء خدموا الانسانية منهم وقال : انهم
ناجون لان الدعوة الى الاسلام لم تصلهم ، ونحن قصرنا في هدايتهم ،
فلو كنا عرضنا عليهم الدين وما استجابوا له ربما ساغ لنا أن نقول
انهم هالكون . وقال لي : انه عرض احدى الفتيات - لما خاف عليها
الفتنة عند طلاق زوجها لها - على تعلم اللغة الفرنسية ، فشغل وقتها بسا
سلاها في محنتها . وكان من نصيحته أن تعلمت اللغة من حيث لا تشعر .
ولما مر ملك انكلترا بسواكن ، وكان قاضي قضاة السودان ، استقبله
مع الحاكم العام وصافحه كما يتصافح المسائلون ، فقال بعض الانكليز :
كان يصح أن ينحني للملك كما انحنى المستقبلون فقال : ليس في ديننا
سجود لغير الله . واجتمع يوما الى سفير بريطانيا العظمى في مصر فقال

له هذا : ان السكة تصد من رأسها ، مشيرا الى بعض المقامات العليا ، فقال الشيخ : ان السكة تصد من بطنها . قال السفير : هذا غير صحيح ، وأنا مياد أعرف السك معرفة جيدة . قال : الغالب أنك تحسن الصيد في نهر التيس ، والصيد في النيل غير الصيد في التيس .

ولما قيل له وهو في شيخه الأزهر : انه كان الاولى به أن يتعد عن السياسة ويعد الأزهر عنها ، وأن يشغل به أوقاته قال : ان الاسلام دين السياسة ، ولا يسعه أن يتخلى عنها . وفي أيامه انقسم الأزهر قسرين بتأثيرات الحزبية فاضطر شيخه الى أن يقف الى جانب الفريق الذي اعتقده على الحق . فبب له ذلك اضطرابات نفسية ما حسدت مغبتها على صحته . ولو سئل عن سلوكه هذا ما عدم حجة يبرىء بها نفسه من الوفاء^(١) المتهود في النهض الأزهر على عهده الأخير . والداخل يعرف ما لا يعرفه من وقت ووقت المترج في الخارج .

ولو اتفق الناس ببعض ما تفيض به قرائح المصلحين ما بقي في الناس جهول ولا ضال . وواجب دعاة الاصلاح أن لا يتوانوا فيما تحضوا له مها قل المستفيدون منهم .

كان المرآني على أوفر نصيب من العلم والعمل ، فهو شخصية قادرة بين أهل جيله .

★ ★ ★

(١) الوفاء : الفتور والتعب .

- ٤١ -

محمود سامي البارودي *

١٢٥٥ - ١٢٢٢ هـ

١٨٣٩ - ١٩٠٤ م

كان البارودي أول من أخرج الشعر في القرن الماضي من ركائه وابتدأه . خرج به عن بعض قيود الاقدمين ، وسأ به الى الذروة بين المعاصرين . ولقد كان أحد كبار أساتذتي يقول : ان الشعراء الاربعة في هذا العهد : البارودي وصبري وحافظ وشوقي . لم ينبغ في الشعر أمثالهم منذ عهد أبي تاسم والبحثري والمتنبي والرضي .

لمحمود سامي البارودي شخصيتان : شخصية سياسية حفظت ذكراها في تاريخ مصر السياسي ، وشخصية أدبية يعجب بها كل من شارك في أدب العرب . وما طغت الاولى على الثانية ، وبالعكس ، بل جرى بينهما تفاعل وتعاون على ما يظهر .

ولد البارودي في مدينة القاهرة سنة ١٢٥٥ هـ من أب جرسي اسمه حسن حسني بك ، كان مدير دنقلة وبربر على عهد محمد علي والي

* استرشدنا في الترجمة للشعراء الذين عاصرناهم بآراء من وصفوهم ، ونحن تبني حكمنا او بعضه على آراء من هم اعرف منا في هذا الباب (المؤلف) وانظر مقدمة ديوانه المطبوع في دار الكتب الوطنية بمصر سنة ١٩٤٠ بقلم محمد حسين هيكل وترجمته في الاعلام ١٧/٨ ، ومعجم المؤلفين ١٦٥/١٢ تراجم مشاهير الشرق ٣٩٢/٢ ، رواد النهضة الحديثة : ١٠٩ ، في الادب الحديث ١٦٧/١ ، الاعلام الشرقية ١٦٣/١ شعراء مصر : ١١٩ ، تاريخ الشعر العربي الحديث : ١٨ محمود سامي البارودي لعمر الدسوقي ، ولخليل مطران ، الادب العربي المعاصر : ٧٣ ، الرائد ٦١٥

- ٣٨٩ -

- ٣٨٨ -

مصر . والبارودي نسبة لأيتاي البارود من عمل البحيرة ، كانت في التزام أحد أجداده في عصر الالتزامات ، وكان الملتزم يومئذ يدعى باسم القرية التي التزمها ، وكان شاعرا جده حريص على أن ينسب الى المسالك سلاطين مصر والشام ، وقد وضع جعلاً لمن يأتيه بنا يثبت نسبه الى هؤلاء المسالك . وسواء صحت هذه النسبة أم لم تصح فهو ولا شك من بيت مجد وسعة ، وفيه فضائل وآداب ، وكفت عشرات من عقود السنين لأن تجعل منه عربياً بتربيته ووطنيته ومنازعه .

درس في المدرسة الحربية ، وأتقن التركية والفارسية على عادة أبناء الكبراء في الدولة العثمانية على عهده ، وأخذ العربية والآداب عن الأستاذ الشيخ حسن المرصفي ، ونشأت معه صداقة دامت حتى فرق الموت بينهما ، وكان المرصفي أول من دل على مكانة البارودي في الشعراء باقتباس قصائد لتليده في كتابه « الوسيلة الادبية » .

تسال البارودي منذ الصبا غرام باستظهار جيد الشعر فقال له بالسليقة أولاً قبل أن يتعلم النحو والصرف والعروض . بمعنى أنه تعلم الادب بالعمل أكثر مما تعلمه المعاصرون بالنظر حتى اذا بلغ العشرين استوى شاعراً فحلاً بذه أعظم شعراء جيله . ولكثرة ما استظهر من شعر القدماء تكاد تحس في بعض آياته أنه أخذ البيت الفلاني من الشاعر الفلاني ، وما أخذ منه في الواقع الا كلفة أو كلمات ، واقتبس معنى سبق اليه ، أو أسلوباً من أساليب القول أثر عن غيره .

هكذا اتم البارودي شاعريته بفطرة سليمة جهزها بخير جهاز ، وكان يعاور شعره بالتصفية والترويق المرة بعد المرة . وفي رأيه أن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في ساوة الفكر فتنبعث أشعتها الى

صحيفة القلب فيفيض لالألوان نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان^(١) فينبعث ألواناً من الحكمة ينبجج بها الحالك ، ويهتدي بدليلها السالك . وخير الكلام ما ائتمنت ألقائه وائتمنت معانيه وكان قريب المأخذ بعيد المرمى ، سليماً من وصة التكلف ، بريئاً من عشوة التعسف ، غنياً عن مراجعة الفكرة . وقد حقق قوله هذا في شعره فكان المبدع الأول حقاً .

نشأ البارودي نشأة عسكرية ، وخرج من المدرسة برتبة صغيرة ، وما زال يتدرج في الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة أميرالاي ، وانتدبه حكومته على رأس فرقة لإطفاء ثورة كريت . وفي هذه الجزيرة ظهرت بواكير شعر البارودي ، وتطلعت اليه النفوس ، تتعرف الى شاعر ولا كالشعراء ممن قصروا شعرهم على المديح والرتاء والهجاء والغزل . شاعر ينظم في مطالب جديدة وقديمة من الشعر . ينظم في الغزل والفخر والوصف وهجوم النفس والحياة على غير تلك الطريقة البالية ، وقد جرد كلامه من أنواع البديع الذي أفسد اللغة وساربه في طريق الجزالة وتجويد الديباجة وتخيّر المعاني واستجادة الالفاظ .

طريقة كانت معروفة للقدماء فعاها الضعف منذ قرون فعده البارودي بإحيائها مجدد الشعر العربي ، ولم يأت البارودي بشيء جديد في شعره من حيث الأسلوب ، وأخذ بطريقة فحول الاقدمين وشذّبها وهذّبها وأحياها حياة جديدة . وقرض الشعر كما قرضه المقلّتون من شعراء الجاهلية والاسلام على ما عجز الشعراء منذ قرون أن ينظموا مثله .

وما زال البارودي يتدرج في الرتب والمناصب على عهد اسماعيل ،

(١) الاسلة : الرمح والنبل ، وكل عود لا عوج فيه .

ويستدب للمهات في الأستانة وأوروبا حتى كانت حرب الدولة العثمانية مع روسيا سنة ١٢٩٤ فساهم إلى البلقان وأبلى بلاء حسنا في قتال الأعداء، وعاد إلى مصر برتبة لواء . وفي حرب المورة هذه نظم أجمل القصائد ، ثم عين مديرا للشرقية ومحافظا للعاصمة ومديرا للأوقاف ووزيرا للأوقاف ووزيرا للحرية ثم عهد إليه تأليف الوزارة فتولاها مع وزارة الحرب . وفي غضون هذه الفترة نبت الثورة العرابية فاتهم البارودي بأنه مالا العرابين فجرت محاكته معهم وحكم عليه بالنفي إلى سيلان . وبرأ البارودي نفسه من تهمة الاشتراك مع العرابين . والغالب أنه عطف عليهم فقط كما يعطف السياسي في الظاهر على من يتوقع خيره ويخاف شره . وقال : انه نصح لرجال الثورة ، ولكن لما وقعت لم يسعه الا الكوت . فسا قال في ذلك وفيه صورة نفسه العظيمة (١) :

نصحت قومي وقت الحرب منجعة
وربما نأح أمر غير مطنون (٢)
فخالصوني فثبوها مكابرة
وكان أولى بقومي لو أطاعوني
ثاني الأمور على ما ليس في خلتد
ويخطى، الظن في بعض الأحيان
حتى إذا لم يعد في الأمر مزرعة
وأصبح الشره أمرا غير مكنون
أجبت إذ هتموا باسي ومن شيسي
صديق الولاء وتحقيق الأظانين

(١) وجدت هذه الأبيات في كتاب عمر الدسوقي عنه ص ٧٩ عدا البيت الثالث . ولم أجد لها في طبعي ديوانه .
(٢) رواية الأصل : نصحت قومي قلت ..

ومسا قال (١) :

نصحت فكذبتم فلما أتى الرودي
عسدتم لتصديقي وقد قضي الأمر
فلم يبق في أيديكم غير حشرة
ولم يبق مني غير ما عافه الصدر
فجاء الذي كنتم تخافون شره
وزال الذي لم يبق من بعده شعر (٢)

ومسا قاله في عاقبة الثورة (٣) :

كنا نود انقلاباً نستريح به
حتى إذا تم ساءتنا مصائر
فالقلب مضطرب فيما يحاوله
والعقل مختبل فيما يحاذره
إن دام هذا أضاع الرثسد كافله
فيا أرى وأطاع الغي زاجره
تنكرت مصر بعد العرف واضطربت
قواعد الملك حتى ريع طائره
فأهمل الأرض جراً الظلم حارثها
واسترجع المال خوف العدم تاجرته

(١) الأبيات من مقطعة تتألف من أربعة أبيات ديوانه (ط. المنصوري) :
١٨٦/١ مطلعها :
لعمرى لقد أيقظت من كان راقداً واندرت لكن تنفع التدر
(٢) هذه رواية الديوان ورواية الأصل المخطوط : من بعده شر
(٣) من قصيدة في ديوانه ١٢٦/٢ مطلعها :
من خالف الحزم خانته معاذره
ومن أطاع هواه قل ناصره

واستحكم الهول حتى ما يبيت قسى
 في جوثن الليل إلا وهو ساهره (١)
 شعران أو بعض شعر إن هي احتدمت
 وفي الجديدين ما تغني فواقره (٢)
 فإن أصبت فتعن رأي ملكك به
 علم الغيوب ورأي المرء ناظره

نظم البارودي في معظم أغراض الشعر ، وأبرز ما برز فيه الوصف
 والحاسة والفخر برز في الوصف لأنه كان مرهف الحس الى أبعد مدى ،
 والحاسة من شأن التربية الجندية وعلى هذا نشأ وتدرج ، وكان له في
 الفخر يد طولى لتقديره الذي يست اليه ، ويتاغى به على الايام .

قال يصف الحرب الروسية (٣) :

أدور بعيني لا أرى غير أمة
 من الروس والبلغار يخطئها العدة
 جوثان على هام الجبال لغارة
 يظير بها ضوء الصباح إذا يبدو
 إذا نحن سرفا صرّح الشره بأسه
 وصاح القنا بالموت واستقتل الجنده

(١) جوثن الليل : وسطه أو صدره .

(٢) الجديدان : الليل والنهار ، والفواقر : ج فاقرة وهي الداهية
 التي تحطم فقار الظهر .

(٣) هذه الايات من قصيدة وردت في ديوانه ج ١/١٦١ وما بعدها
 ومطلعها :

هو البين حتى لا سلام ولا رد
 وقبلها ١٠ بيتا وبعدها ١٦ بيتا .
 ولا نظرة يقضي بها حقه الوجد

فأنت ترى بين الفريقين كبة
 يحدث فيها تصه البطل الجعد (١)
 على الأرض منها بالدماء جداول
 وفوق سداة النجم من تقعها (٢) لبد
 إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف خلتهم
 بحوراً توالى بينها الجزر والمد
 نسلهم شل العطاش ونت بها
 مراغة السقيا وما طلتها الورود (٣)

ومن جميل قوله يصف أجناس جيش الاعداء (٤) :

بلاد بها ما بالجحيم وإنما
 مكان اللظى تلج بها وجليد
 تجعت البلغار والروم بينها
 وزاحمها التاتار فهي حشود
 إذا راطنوا (٥) بعضاً سعت لصوتهم
 هديرأ تكساد الأرض منه تيمد

(١) الكبة : الدفعة في القتال والحملة في الحرب ، والجعد : انكرب

الجواد .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) نسلهم : نطردهم ونسوقهم ونفرقهم ، والورد : التصيب من

الماء .

(٤) من قصيدة في ديوانه ج ١ / ١٧٢ مطلعها :

أراك الحمى شوقي اليك شديد وصيري ونومي في هواك شريد

(٥) الرطانة : الكلام باللغة الاعجمية ، وراطنه : كلمه بها ،

قباح النواصي والوجوه كأنهم
 لغير أبي هذا الأنام جنود
 سواية ليوا بنسل قبيلة
 فتعرف آباء لهم وجدود
 لهم صور ليست وجوهاً وإنما
 تناط^(١) إليها أعين وخدود
 يخورون حولي كالعجول وبعضهم
 بهجن للحن القول حين يجيد
 ادور بعيني لا أرى بينهم قسي
 يرود معي في القول حيث أروود
 فلا أنا منهم مستيد غريبة
 ولا أنا نهم ما أقمت مفيد

وما قال في قصيدة مطلعها^(٢) :

سواي بتحنان الأغاريد يظرب
 وغيري باللذات يلهو ويتعجب
 . . .
 حمامة نفس أصفرت كل ما رب
 فكلمت الأيام ما ليس يوهب
 ومن تكن العلياء همة نسه
 فكل الذي يلقاه فيها محبب
 إذا أنا لم أعط المكارم حقها
 فلا عزني خال ولا ضئني أب

(١) تناط : تعلق .

(٢) ديوانه ج ٢٨/١

خلقت عيوفاً لا أرى لابن حررة
 لدي يداً أغضي لها حين يعقب
 فلست لأمر لم يحن متوقفاً
 ولست على شيء مضى أتعتب
 أسير على نهج يرى الناس غيره
 لكل امرئ، فيما يحاول مذهب
 وإني إذا ما التكت أظلم ليث
 وأمست به الأحلام حيرى تشعب
 صدعت حفاقي طرثيه بكوكب
 من الرأي لا يخفى عليه المغيب
 وختها بقوله :

ولو علم الإنسان ما فيه نفعه
 لأبصر ما يأتي وما يتجنب
 ولكنها الأقدار تجري بحكمها
 علينا وأمر الغيب سر محجب^(١)

ومما أثر له في الحث على الاعتناء^(٢) :

إذا افتقر المرء استهان بفضله
 ذوو قربه واستهجنه الأبايد

(١) بعد ذلك بيتان :

نظن بأننا قادرون وإنما
 نقاد كما قيد الجنيب وتصح
 فرحمة رب العالمين على امرئ
 أصاب هداه أو درى كيف يذهب

(٢) ديوانه (ط . المنصوري) ج ١١٩/١ .

فإن قال حقاً كذبوه وإن أبى
مجاراتهم في التغي قالوا متعاند
فحجته مطولة وهي حقة
ومنطقه متكررة وهو قاصد
فحافظ على ما نلت بالسعي من غنى
فبالمال لا بالفضل تعنو المقاصد

وقال من قصيدة (١) :

لقد ذل من يبغى من الناس ناصراً
وقد خاب من يجني من الأرقم شهدا (٢)
فياك أن تخذع بشيعة صاحب
فمن ظن خيراً بالزمان فقد أكدى (٣)
فقد طالما جرّبت خيلاً فما رعى
وحلقتاً فما أوفى وعوناً فما أجدى
وما الناس إلا طالب غير واجد
لما يبغي أو واجد أخطأ القصد
فلا تحبب الناس أبناء شيعة
فما كلف مدود الخطأ بطلا جعدا (٤)

وقال (٥) :

- (١) من قصيدة في ديوانه ٢٢٠/١ مطلعها :
أرى نقحة دلت على كبدى الوجدان فمن كان بالمقياس اقربكم عهدا
(٢) الأرقم : أحبب الحياة . أو ما فيه سواد وبياض .
(٣) أكدى : اخفق .
(٤) الجعد : الكرم والشديد الأسر والخلق .
(٥) مقطوعة في ديوانه ٧٧/١ .

ترفق فإن الرفق زين وقلتما
ينال الفتى بالعنف ما كان طالبا
إذا لم يكن للمراء عقل يردده
إلى الحليم لم يبرح مدى الدهر عاتبا
وإن هو لم يصفح عن الخيل أن هفا
أقام وحيداً أو قضى العبر غائبا
وقال (١) :

بلوت سرائر الإخوان حتى
رأيت عدو نفسي من حبيبي
فلا تأمن على سر صحاباً
فإنهم جواسيس العيوب
وقال (٢) :

ما أطول الليل على الساهر
أما لهذا الليل من آخر
يا مخلف الوعد ألا زورة
أقضي بها الحق من الزائر
تركتني من غمرات الهوى
في لبح بحر بالردى زاخر
أسع في قلبي ديب المنسى
والمح الشبهة في خاطري (٣)

- (١) مقطوعة في ديوانه ٧٨/١ .
(٢) قصيدة في ديوانه ١٠٥/٢ .
(٣) هذه رواية الديوان أيضاً وسيرد البيت بعد عدة سطور برواية
أخرى هي : احس في قلبي ...

تارة أهدا من روعتي
وتارة أفزع كالطائر
وبين هاتين شالوعة (١)
لها بقلبي فتكة الثائر
فعل إلى الوصلة من شافع
أم هل على الصبوة من ناصر (٢)
يا قلب لا تجزع فإن المنى
في الصبر والله مع الصابر

وهذه الايات من أجل غزله وأرقته ، والبيت الرابع منها (أسمع
في قلبي ديب المنى) كان حافظ ابراهيم يعجب به كثيرا ويردده . وذكر
الاستاذ الراقعي في كلامه على شعره أنه لما سيقته اليه بشارة العفو عنه
في سيلان بقي بين الشك واليقين فذكر هذا التردد في بيت يقال انه
أمير شعره وهو :

أحس في قلبي ديب المنى
والمح الشبهة في خاطري
ومن نبيه (٣) :

غلب الوجد عليه فبكي
وتولى الصبر عنه فشكا
وتنسى نظرة يشفي بها
عنة الشوق فكانت مهلكا

- (١) النبا : جمع نباء ، وهي حد كل شيء .
(٢) المراد بالصبوة الهوى والهيام .
(٣) مطلع قصيدة في ديوانه ٣٦٤/٢ .

يا لها من نظرة ما قاربت
مهبط الحكمة حتى انتهكا
نظرة ضم عليها هدبته
ثم أغراها فكانت شركا
غترت في القلب مني حبه
وسقتته أدمعي حتى زكا
غلب اليأس على حسن المنى
فيك واستولى على الضحك البكا
فإلى من أشتكي ما شفتني
من غرام وإليك المشتكى (١)
سلكت نفسي سبيلا في الهوى
لم تدع فيه لغيري مسلكا

وله قصائد وازن بها قصائد لشعراء متقدمين ، منها قصيدته التي
وازن بها قصيدة ابن النبيه (٢) التي أولها :

يا ساكني السفح كم عين بكم سفحت

.....

فقال (٣) :

- (١) شفه الهم والمرض : أوهنه وأضعفه .
(٢) هو علي بن محمد ، كمال الدين ، ابنه النبيه ، شاعر من أهل
مصر ، مدح الأيوبيين ، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ، توفي
سنة ٦١٩ هـ ، ١٢٢٢ م له ديوان مطبوع
(٣) لم أجد هذه الايات في طبعتي ديوانه .

ماذا على قرة العين لو صفحت*
وعاودت بوصالٍ بعد ما صفحت*
بايعتها القلب إيجاباً بما وعدت
فيالها صفقة في الحب ما ربحت*
قد يزعم الناس أن البخل مقطعة*
فما لقلبي يهواها وما سححت*
ومن بدائع شعره في المنى (١):

محا بين ما أبت عيون المها مني
فتبت ولم أقض الثبائة من سني
عناه وبأس واشتياق وغربة*
الاشد ما ألقاه في الدهر من غبن
فإن الك فارقت الديار فلي بها
فؤاد أضلته عيون المها عني
بعث به يوم النوى إثر لحظة
فأوقعه المقدار في شرك الحس
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا
فليس كلانا عن أخيه يستغن
وفيها يقول (٢):

ومن شاعب الأيام لأن مريره
وأسلمه طول المراس السى الوهن

(١) هذه الأبيات مطلع مقطوعة في المنتخب من ادب العرب ج ١/٢٥٦
دهي في وصف الفراق .
(٢) لم ترد هذه الأبيات في المرجع السابق .

وما المرء في دنياه إلا كمالك
مناهج لا تخلو من السهل والحزن
فإن تكن الدنيا توت بخيرها
فأهون بدنيا لا تدوم على فن
تحلت خوف المن كل رزية
وَحَمَلٌ رزايا الدهر أحلى من المن
وعاشرت أخدانا فلما بلوتهم
تمنيت أن أبقى وحيداً بلا خد
إذا عرف المرء القلوب وما انطوت
عليه من البغضاء عاش على ضغن
يرى بصري من لا أود لقاءه
وتسمع أذني ما تعاف من اللحن
وقال هو بسر تديب يتشوق الى مصر (١):

ترحل من وادي الأراكة بالوجد
فبات سقيماً لا يعيد ولا ييدي
سقيماً تظل العائدات جوانياً
عليه ياشفاق وإن كان لا يجدي
يخلن به مئاً أصاب فؤاده
وليس به مس سوى حرق الوجد
به علة إن لم تصبها سلامة
من الله كادت نفس حاملها تردي

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ج ١/٢٠٧ .

ومن عجب الأيام أني مولع^(١)
بمن ليس بعينه بكائي ولا شهدي^(٢)

وهي طويلة ومنها:

خيلني هذا الشوق لا شك قاتلي
فيلا^(٣) إلى المقياس أن خفتنا فقدي^(٤)
فني ذلك الوادي الذي أنبت الهوى
شفتائي من سقي وبرئي من وجدي
ملاعب^(٥) لهو طالما سرت بينها

على أثر اللذات في عيشة رغد^(٦)
إذا ذكرتها النفس سالت من الأسي
مع الدمع حتى لا تنهته^(٧) بالرد^(٨)

وقال يذكر مقامه في سيلان ويشوق إلى الأهل والأوطان من
قصيدة^(٩):

يا غاضين علينا هل إلى عِدَّةٍ
بالوصل يوم أن اغي فيه إقبالي
غشم فأظلم يومسي بعد فترتكم
وساء صنع الليالي بعد إجمال^(١٠)

(١) السهد: السهر.

(٢) روضة المقياس: جزيرة جميلة في نهر النيل وفي جنوبها مقياس
لغاس به مياه النيل أبان فيضانه وانخفاقه، وهي في شرقي محلة
الجيزة.

(٣) العيشة الرغد: واسعة طيبة لينة.

(٤) نهته عن الأمر: كفه.

(٥) من قصيدة في ديوانه (ط) المنصوري ج ٢/٣٦٦ مطلعها:

رددوا على العبا من عصري الخالي
رهل يعود سواد اللمة البالي
(٦) الأصل: إجمال.

قد كنت أحسبني منكم على ثقة^(١)
حتى منيت^(٢) بسالم يتجر في بالي
لم أجن في الحب ذنباً أستحق به

عسباً ولكنها تحريف أقوال^(٣)
ومن أطاع رواة السوء فقصره
عن الصديق ساع القيل والقال
أدهى المصائب غدر^(٤) قبله ثقة^(٥)
وأقبح الظلم صد^(٦) بعد إقبال^(٧)

ومنها يفاخر:

لا عيب في^(٨) سوى حرية ملكت^(٩)
أعيتني عن قبول الذل بالمال
تبعث^(١٠) خبطة^(١١) آبائي فسرت بها

على وتيرة آبائي وأنسالي^(١٢)
فما يسر خيال الغدر في خلدي
ولا تلوح سمات الشر في حالي^(١٣)

قلبي سليم ونفسي حرة ويدي
مأمونة ولساني غير ختال
لكنني في زمان عشت مغترباً

في أهله حين قلئت فيه أمثالي
بلوت دهري فما أحدثت سيرته^(١٤)
في سابق من لياليه ولا تال

(١) الأصل: اقوالي.

(٢) رواية الديوان: على وتيرة آداب واسأل.

(٣) الأصل: في حال.

حَلَبْتُ شَطْرَيْهِ مِنْ يَسْرِ وَمَعْرُوقٍ
 وَذَقْتُ طَعِيْبَهُ مِنْ خَيْبٍ وَإِمْحَالٍ
 فَمَا آيَسْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ
 وَلَا فَرِحْتُ بِوَفْرِ بَعْدَ إِقْلَالٍ

وهي طويلة ، وصف فيها حالته في سرّ تديب ، وعرض فيها لشعره
 أيضا فقال :

راجعت فهرس آثارني فما لمحت
 بصيرني فيه ما يُزري بأعمالني
 فكيف ينكر قومي فضل بادرسي
 وقد سرت حكي فيهم وأمثالي
 أنا ابن قولي وحسي في الفخار به
 وأن غدوت كريم العم والخال
 ولي من الشعر آيات مفصلة
 تلوح في دجنة الأيام كالخال
 نسي لها الفاقد المحزون لوعته
 ويهتدي بناها كل قوال
 فانظر لقولي تجد نفسي مصورة
 في صفحته فقولي خط تمثالي

وقال يفتخر بشعره (١) :

ترسم بأشعاري ودع كل منطق

فما بعد قولني من بلاغ لمفليق

(١) ديوانه ج ٢/٢٤٤ ونص الطرف من البيت الثاني في القصيدة وهو:
 هو العسل الماذي طورا وتارة
 يشور الشجامة مكان المخنق

يُعني به شاد ويحدو ركابه

به كل حاد بين بيدا سملق (١)
 فطورا تراه زهرة بين مجلس

وطورا تراه لهذما بين فيلق (٢)
 وما كلني بالشعر إلا لأنه

منار لسار أو نكال لأحق (٣)
 علقته به طفلا وثبت ولم يزل

شديدا بأهداب الكلام تعلقني
 إذا قلت بيتا سار في الدهر ذكره

مسير الحيا ما بين غرب ومشرق
 يهيم به رب الحمام حماسة

وتلهبو به ذات الوشاح المنق
 بلغت بشعري ما أردت فلم أدع

بدائع في أكمامها لم تفتق
 فهذا نيسر الشعر فاقصد حياضه

لتروى وهذا مرتقى الفضل فارتق
 وقال أيضا في شعره (٤) :

إذا جاش طبعي فاض بالدر منطقي

ولا عجب فالدر ينشأ في البحر

(١) الشادي : المعني ، يحدو : يسوق ويعني ، والبيداء السملق :
 الصحراء المقفرة الجرداء .
 (٢) اللهدم : الحاد القاطع من الاسنة ، والفيلق : الجيش العظيم .
 (٣) النكال : العقوبة والانتقام .
 (٤) من فصيحة في ديوانه ١٢/٢ مطلعها :
 بناظرك الفتان آمنت بالسحر وهل بعد ايمان الصباية من كفر

٣٥٥

٣٥٥

فقل للذي ظن المعالي قريبة
رؤيداً فليس الجد يدرك بالهزل

ومن شعره (١) :

إذا ما شربناها (٢) أقننا مكاننا
وظلمت بنا الأرض القضاء تدور

قال الرافعي : انه أخذ من بيت لأعرابي وهو :

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت
فظلمت بي الأرض القضاء تدور

ولعله نظمه ولم يدر أن أكثر البيت لغيره ، وأشار الى أنه ضمن
البيت شطر بيت قديم لكثرة محفوظته .

ومما قال في عشقه وشعره (٣) :

والحب مملكٌ نافذ حكمه
من مَعْرَبِ الأرض إلى المشرق
فليقل العاذل ما شاء
فالعشق دأبُ الشاعر المقلق

(١) من قصيدة في ديوانه ١٨/٢ مطلعها :

أبي الشوق إلا أن يحن ضمير وكل مشوق بالحنين جدير

(٢) في الاصل المخطوط : إذا شربناها ، وما ابتناه رواية الديوان .

(٣) هذه الابيات آخر قصيدة في ديوانه (ط . المنصوري) ج ٢/٦٥

مطلعها :

عودي بوصل أو خدي ما بقى
فقد تداعى القلب مما لقي

تدبر مقالتي ان جهلت خليقتي
لتعرفني فاليف يعرف بالأثر (١)
ولا تعجب من منطقي إن تارجت
به كل أرض فهو ربحانة العصر (٢)
يذكرني بالشعر من لم يلاقني
وذكر الفتى بعد المسات من العصر

وقال في الفخر (٣) :

عصيت نذير الحلم في طاعة الجهل
وأغضبت في مرضاة حب المها عقلي
وتازعت أركان البطالة والصبأ
إلى غاية لم يأتها أحد قبلي
فخذ في حديث غير لومي فإنتسي
بحب الغواني عن ملامك في شغل

ومنها :

وقور وأحلام الرجال خفيفة
صبور ، ونار الحرب مبرجكها يغلي
إذا راعت الظلماء غيري فإنتسا
هلال الدجى قوسي وأنجمه نبلي
أنا ابن الوغى والخيل والليل والظبي
وسر القنا والرأي والعقد والحل

(١) الاثر : فرند السيف وروثقه وديباجته .

(٢) في الاصل المخطوط : النصر .

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه (ط . المنصوري) ج ٢/٢٢٦ .

لو لم أكن ذا شية حُرَّةٍ
لم أقرض الشعر ولم أعشق

ومن حِكْمِهِ (١) :

تَعَرَّكَ ما الإنسان إلا ابن يومٍ
وما العيش إلا لُبَّةٌ وزرِبال (٢)
وما الدهر إلا دفترٌ في خِلالِهِ
تساوِيرٌ لم يَعْهَدُ لهنَّ مثال (٣)
ففي صفحةٍ منه زمانٌ قد انقضى
وفي وجهٍ أخرى دولةٌ ورجال (٤)

ومن قوله وينزع فيه مترع القدماء في القول بالطبائع الأربع (٥) :

إن ابن آدم ذو طبائعٍ أربعٍ
مجموعَةٌ الأجزاء في أخلاقِهِ
تبدو قواغلهما على حركاتِهِ
في بطنهِ وسكونهِ ونزاقِهِ
فإذا تغلب واحدٌ منها على
أقرانه أدى إلى إقلاقِهِ
بِشائِرِهِ كالزلال لظافةٍ
التقيتَهُ كالنار في إحراقِهِ

(١) مقطوعة في ديوانه (ط . التصوري) ج ٢/٥٨١ .

(٢) الاصل : الا بعنة وزرِبال .

(٣) الاصل : تغابير لم يعهد لهنَّ مثال .

(٤) قصيدة في ديوانه ج ٢/٢٤٠ .

أو كالتراب يَهْمِلُ من عَقْدَاتِهِ (١)
أو كالهواء يجول في آفاقِهِ
فإذا تعادل جمعها وتوازنت
حركاتها كانت دليلٌ وفائقهِ
والمرءُ مها كان في أفعالِهِ
لا ينتهي إلا إلى أعراقِهِ
وقال (٢) :

ألا يا حَمَامَ الأيِّكِ إلْتَفُكِ حَاضِرٌ
وغصنك مَيَّادٌ فقيمٌ تَنسُوحُ
غدوتُ سلياً في نعيمٍ وغِبْطَةٌ
ولكنَّ قلبي بالغمَامِ جريحٌ
فإن كنتَ لي عَوًّا على الشوقِ فَاسْتَعِيرُ
لعينك دَمْعاً فالبكاءُ مريحٌ
وإلا فَدَعْنِي من هَدْيِكَ وانصرفُ
فليس سِوَاءُ بِأَذَلِّ وشحيحٌ
ومما قال (٣) :

إذا المرءُ لم يدفع يدَ الجَوْرِ
ان سَطَّتْ عليه فلا يأسفُ إذا ضاعَ مَجْدُهُ

(١) هال التراب : صبه ، وعقدات التراب والرمل : ما انعقد منه واجتمع وتراكم .

(٢) ديوانه ج ١/١٢٤ .

(٣) من قصيدة في ديوانه ج ١/١٣٩ مطلعها :

رضيت من الدنيا بما لا أوده
وأي امرئ يقوى على الدهر زنده

ومن ذلّ خوف الموت كانت حياته
أضرّ عليه من حمام يؤدّه (١)
واقبل داء رؤية العين ظالماً
يسيء ويتلى في المحافل حسده

ومن قصيدة (٢) :

أصبحت حاجتي إليك فخذ لي
بحقوقي من ظالم قد تعدى
وجد القلب خالياً فاحتواه
ورأى النفس طوعه فاستبدا
وكذا السلطان إن ظن بالأئمّة
عجزاً سطا عليها وشدّة

وقال (٣) :

من صاحب العجز لم يظفر بنا طلباً
فاركب من العزم طيراً فأسبق الشهباً (٤)
لا يدرك المجد إلا من إذا هتفت
به الحية هز الرمح واتصبا
يستهل الصعب إن هاجت حفيظته
ولا يساور غير السيف إن غضبا

(١) يؤدّه : ينزل به .

(٢) من قصيدة في ديوانه ج ٢٢٣/١ مطلعها :

ما لقلبي من لوعة ليس يهدأ
أو لم يكف أنه ذاب وجدأ

(٣) ديوانه ج ٦٧/١ .

(٤) الطرف : الكريم من الخيل .

ينهل صارمه حتفاً ومنطقه
سحراً حاللاً إذا ما صال أو خطبا (١)
إن حل أرضاً حمى بالسيف جانبها
وان وعى نبأة من صارخ ركبا
فذاك إن يحيي تحي الأرض في رعد
وإن يست ينقلب صدق المنسى كذباً
فاجعل بنفسك تبلغ ما أردت بها
فالليث لا يرهب الأخطار إن وثباً
وجد بما ملكت كفاك من نشب
فالجود كاللباس يحيي العرض والنسب
لا يقعد البطل الصنديد (٢) عن كرم
من جاد بالنفس لم يخل بما كسباً

ورأينا البارودي يكثر من ذكر روضة النيل والمقياس والجزيرة (٣)
وأيامه فيها ولا سيما لما كان في سرّ تديب وكندي (٤) ، وقد اشتاق

(١) الصارم هنا : السيف ، والحتف : الهلاك .

(٢) الصنديد : الشجاع ، والسيد الشريف .

(٣) انظر على سبيل المثال قصيدته السينية التي مطلعها :
هل في الخلاعة والصبأ من باس بين الخليج وروضة المقياس
والسينية الاخرى التي مطلعها :

احمى الجزيرة مطلع الشمس ام لاح ضوء غزاة الانس
ديوانه ج ١٤٩/٢ و ١٥٨ ، وكذلك قصيدته القافية التي مطلعها :
هل من طبيب لداء الحب أو راقى يشفي غليلاً اخا حزن وإبراق
ديوانه ج ٣٢١/٢ .

(٤) بلدة في جزيرة سرنديب الهندية ، في وسطها تقريبا . يؤمها
كثير من الزائرين للاستمتاع بمناظرها الخلابة .

الى ربوع صباه ومرانغ انه . ومن هذه المعاني وفيه لزوم ما لا يلزم (١) :

زمزمي الكاس وهاتي واسقيها يا مهاتي (٢)
وامزجها برضاب منك معول اللهاة (٣)
إنسا الراح مدار ال أنس في كل الجهات
طالما عاصيت فيها أهل ودي وثهاتي (٤)
لا أبالي في هواها بساع الترهات
كيف أخشى قول داه أنا من قوم دهاة

وقال (٥) :

رب خذ لي من العيون بحقي
وأجبرني من ظالم ليس ييتي
قد توقيت ما استطعت من ال
حب ولكن ماذا يرد التوقي
وترفقت بالفؤاد ولكن
غلبت لوعة الصابرة رقيقي
لا تلني على الهوى فعموض ال
حق عذر يرد كل محق
سل دموعي فهن ينثن عما
في ضييري ويعترفن بصدقي

(١) القصيدة في ديوانه ج ١/٩٢ .

(٢) الهاة : الشمس والبلورة والبقرة الوحشية والمراد هنا المرأة الحناء .

(٣) الرضاب : الريق . واللهاة لحمه في أقصى الفم .

(٤) هذه رواية الديوان . وفي الاصل : عاصيت فيه .

(٥) هذه القصيدة في ديوانه ج ٢/٣١٩ .

كيف لي بالنجاة من شرك الحد

ب سليمان والحب مالك رقي

قد تلقيت لوعتي من عيون

علتني درس الهوى بالتلقي

ورشوت الهوى بلؤلؤ دمعي

والرثا وصلة لنيل الترقي

فلعلي أفوز يوماً بوصل

أتولى به إمارة عشقي

ومن ابداعه (١) :

هل من فتى يشد قلبي معي

بين خدور العين بالأجرع (٢)

كان معي ثم دعاه الهوى

فصر بالحي ولم يرجع

فهل إذا ناديته باسمه

يفيق من سكرته أو يعي

هيهات يلتقي رشداً بعدما

أغواه لحظ الرثا الأتلع (٣)

فيا دموع القطر سيلي دماً

ويأ بنات الأيك نوحى معي (٤)

...

(١) الديوان ج ٢/٢١٧ .

(٢) الأجرع : أرض رملية طيبة المنبت .

(٣) الرثا : الظبي والمراد به المرأة الواسعة العينين . والأتلع : تطويل

العنق .

(٤) بعد هذا البيت في الديوان أربعة أبيات لم ترد هنا .

وبلاء من نار الهوى إنها
لولا دموعي أحرقت أضلعي (١)
.....
فهل السى الأثواق من غايبة
أم هل السى الأوطان من مرجع
لا تأس يا قلب على ما مضى
لا بُدَّ للحنّة من مقطع

وله من قصيدة (٢) :

كَيْدُ الْعَبِي مَآءٌ لَظِيرُهُ
وَلَمَنْ يَحَاوُلْ كَيْدَهُ إِرْضَاءُ
وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ وَلَكِنْ فَرَّقَتْ
مَا بَيْنَهُمْ فِي الرِّبَةِ الْآرَاءُ
وَالنَّسْ إِنْ صَلَّحَتْ زَكَّتْ وَإِذَا خَلَّتْ
مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرِّجَالِ تَفَاوُتٌ
مَا كَانَ فِيهِمْ سَادَةٌ وَرِعَاءُ (٣)
وَلَقَدْ بَلَّغْتَ النَّاسَ فِي أَطْوَارِهِمْ
وَمَلَّيْتُ حَتَّى مَلَّيْتُ الْإِبْلَاءُ
فَإِذَا الْمُودَةُ خَلَّتْ مَكْذُوبَةٌ

بين البريئة والوفاء ريباء

(١) بعده في الديوان أربعة أبيات أيضاً ، وهذه رواية الديوان ، وفي
الاسل : أحرقت أضلعي .

(٢) من قصيدة في ديوانه ج ١/ ١١ مطلعها :

صلة الخيال على البعاد لقاء
(٣) الرعاء : جمع راع .

كيف الوثوق بذمة من صاحب
وبكل قلب نقطة سوداء
لو كان في الدنيا وداد صادق
ما حال بين الخلتين جفاء
فاتقض يدك من الزمان وأهله
فالسعي في طلب الصديق هباء
وله من هذا شيء كثير ، ومنه وقد ختم به قصيدة يذكر بها أيام
الشباب (١) :

وعش فرداً فما في الناس خل
يسرك في بعاد واقتراب
حلبت الدهر أشطره ملياً
وذقت العيش من أري وصاب (٢)
فما أبصرت في الإخوان ندباً
يجل عن الملامة والعتاب
ولكننا نعاشر من لقينا
على حكم المروءة والتصابي
وقال من قصيدة يذكر أياماً له مضت في الجيزة (٣) :

(١) ختام قصيدة في ديوانه ج ١/ ٥٠ مطلعها :

أعد يا دهر أيام الشباب وابن من الصبا درك الطلاب

(٢) حلب الدهر أشطره : مر به خيره وشيره . والاري : العسل ،
والصاب : شجر مر واحده صابة .

(٣) ختام قصيدة في ديوانه ج ١/ ١٨ مطلعها :

غاد الندى بالجيزة الفيحاء واحد الصبح بنغمة الورقاء

إني امرؤ ملك الوداد قيادتي
 وجرى على صدق العهد وفائي
 لا استريح إلى السلو ولوجسى
 خلتي علي ولا أشين ولائي
 لا ذمتي رهمن الفكاك ولا يدي
 تلقى أزمة عفتي وحياتي
 لكنني عرض لأسهم حاسد
 وأرى الجوانح من لبيب عدائي
 من غير ما ذنب جيت وإنسا
 بغض التفضيلة شيمة الجهلاء
 تمت مقارنة اللئيم فإنها
 شرف النفوس ومحنة الكرماء
 أنا في زمان غادر ومعاشر
 يتلونون تلون الحرياء
 أعداء غيب ليس يسلم صاحب
 منهم وإخوة محضر ورحاء
 أبح بهم قوماً بلوت إخاءهم
 فبلوت أبح ذمة وإخاء
 قد أمبحوا للدهر سبة ناقم
 في كل مصدر محنة وبلاء
 وأسد ما يلقى القسى في دهره
 فقد الكرام وصحة اللؤماء
 شقي ابن آدم في الزمان بعقله
 إن التفضيلة آية العقلاء

وقال (١) :

إلى الله أشكو أنتي بين معشر
 سواء لديهم طيب وخبيث
 لهم السن إن رمتن أمراً بلغنه
 من النفس مصنوع لمن حديث
 ترث على قرب الوداد عهدهم
 وكيف يدوم الشيء وهو رثيث
 فليس لهم في سالف الدهر محتد
 قديم ولا في المكرمات حديث
 برمت بهم حتى سئت مكاتي
 وأنكرت طيب العيش وهو دميث
 إذا لم يغني الله منهم بفضله
 فإنا لي بين العالمين مغيث

وقال على سبيل النصيحة (٢) :

قليل "مَنْ يدوم على الوداد
 فلا تحقل بقرب أو بعداد
 إذا كان التغير في الليالي
 فكيف يدوم ود فتى فؤاد
 ومن لك أن ترى قلباً نقياً
 ولما يخل قلباً من سواد
 فلا تبذل هوائك إلى خليل
 تظن به الوفاء ولا تعاد

(١) القصيدة في ديوانه ج ١/٩٨ .

(٢) هذه القصيدة في ديوانه ج ١/٢٤٧ .

ولكن متوسطاً في كل حال
 لَيْتاً مَنْ مَا تَخَافُ مِنَ الْعِنَادِ
 مندرة الرجال أخفاً وطناً
 على الإنسان من حرب الفساد
 يعيش المرء محبوباً إذا ما
 نحا في سيره قصد الشداد
 وما الدنيا سوى عجزٍ وحرصٍ
 هما أصل الخليفة في الفساد
 فلولا العجز ما كان التصابي
 ولولا الحرص ما كان التعادي
 وما عقده الرجال الوؤد إلا
 لنعم أو لمنع من تعادي
 وما كان العبداء يخفوا لولا
 أذى السلطان أو خوف المعاد
 فيا بن أبي ولست به، ولكن
 كلانا زرع أرض للحصاد
 تأمل هل ترى أثراً فإني
 أرى الآثار تذهب كالرماد
 حياة المرء في الدنيا خيال
 وعاقبة الأمور إلى نفاذ
 فطوبى لامرئ غلبت هواه
 بصيرته فبات على رثاد

وقال في الفخر (١) :

ولي شية تأبى الدنيا وعزامة
 ترده لثام الجيش وهو يمور
 هامة تسي ليس ينقي ركبها
 رواح على طول المدى وبكور
 معودة ألا تكف عنانها
 عن الجد إلا أن تم أمور
 لها من وراء الغيب أذن سبعة
 وعين ترى ما لا يراه بصير
 وفيت بما ظن الكرام فراسة
 بأمرى ومثلي بالوفاء جدير
 وأصبحت محمود الخلال كأنني
 على كل نفس في الزمان أمير
 إذا صلت كف الدهر من غلوائه
 وإن قلت غصت بالقلوب صدور

وقوله في الحماسة (٢) :

وإني من القوم الذين سيوفهم
 لها في حواشي كل داجية فجر (٣)

(١) من قصيدة في ديوانه ١٨/٢ مطلعها :

أبي الشوق إلا أن يحن ضمير
 وكل مشوق بالحنين جدير
 وفي الديوان رواية أخرى لهذه القصيدة .

(٢) البيتان من قصيدة في ديوانه ج ٤٠/٢ مطلعها :

طربت وعادتني المخيلة والسكر
 وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر

(٣) روايته في الديوان : من النفر الفر الذين سيوفهم .

إذا استل منهم سيد غرّب سيفه (١)
تفرعت الأملاك والتفت الدهر

هذه ناذج من شعر البارودي ، وشعره لا يتجاوز الثلاثة آلاف بيت كما قال عن نفسه ، وقد رأينا من هذا القليل الذي اقتبسناه من شعره المطرب قوة بيانه وسعة شاعريته ومبلغ حكمته . وكان أستاذاً الشيخ محمد عبده - اجزل الله ثوابه - يفضل على جميع الشعراء المعاصرين ، ويقرّنه الى كبار المتقدمين . وكان من أحب الناس الى قلب الاستاذ الامام ، لم يكن يذكر أحداً بعاطفة حب كما كان يذكره ، وكان يتأوه على غربته ونكته ما لا يتأوهه على أحد .

وقال الاستاذ العقاد : « كان البارودي شاعراً له طلاوة وفيه حياة ولبعث أشعاره نفحة وإيقاع لا تجدهما الا في القليل من شعر القدماء والمعاصرين ، وله من حسنات التدقيق والتصوير والهيام الحس ولطف الشعر وعذوبة الروح ما ليس للكثيرين » .

وقال الاستاذ خليل مطران في وصف اخلاقه : ان هذا الوزير الذي اقتدح زناد تلك الهمة ، وثبت بعد استقالته تلك الفتنة المستطيرة لم يكن مع شجاعته واقدامه اللذين بلغ بها أقصى مبالغتها في مواطن القتال الا رجل سكينه ووداعة وحلم . وقلنا كان رجل أرق منه قلباً على ذويه وأحفظ عهداً لمحبيه ، ولعل اصابته بكرينته هي التي قلصت من كبده وأودت بجنده . وذكر بيرّه بأولاده وعنايته بتعليمهم فقال « على أن هذا البر إننا كان أحدى سائله وفضائله ، فان

(١) الحرب سيف : حده .

أريد بعض التعداد فالجودة مع الجود ، والكياسة مع لطف الحس ، والصفح مع المقدرة ، والايانس مع علو النفس وشرف الطبع » .

كان البارودي مثالا من بعد الهمة في صباه وكهولته وشيخوخته ، لا يغفل عن عمل كل خير تصل اليه يده ، فبينما كان في منفاه يعلم أولاده ويعلم المسلمين العربية ويخطب فيهم ويتعلم الانكليزية ويتقنها كان ايام شيخوخته يختار من الشعراء المولدين أجمل ما قالوه لينشره للناس فأتخف بها اختار مجالس الادب في آخر أيامه بتوفره على دراسة ثلاثين شاعراً عربياً فحلاً من المولدين ، جنى أطيب أشعارهم وكسر موضوعات المختارات على سبعة أبواب : الادب المديح ، الرثاء ، الصفات ، النسيب ، الهجاء ، الزهد وسماها المختارات . أما الشعراء الذين اختار لهم فهم : بشار بن برد ، العباس بن الاحنف ، أبو نواس ، مسلم بن الوليد ، أبو العتاهية ، ابن الزيات ، أبو تمام ، البحري ، ابن الرومي ، ابن المعتز ، أبو الطيب المتنبي ، مهيار الديلمي ، أبو العلاء المعري ، صرّ ذرّ ، ابن سنان الخفاجي ، ابن حيوس ، الطغرائي ، الغزي ، ابن الخياط ، الارجاني ، الايبوردي ، عبارة اليسني ، سبط ابن التعاويذي ، ابن عنين .

لم ينتخب البارودي في مختاراته الا الجيد لفظاً ومعنى ، وربما يأخذ البيت غير الجيد لتعلق الجيد به ، ولم يراع في بعض الابيات ترتيبها الاصلية ، بل قد يقدم المؤخر ويؤخر المقدم ، وقد يكرر بعض ما اختاره في بابي الادب والمديح في أبواب آخر . . . وقد يبدل القاء بالواو والواو بالقاء أو بلام القسم اذا اقتضى السياق ذلك ، وقد يزيدهما او يحذفهما اذا وقعا في أول المنتخب واستقام الوزن بذلك ، وقد راعى في ترتيب أساء الشعراء أسبقيتهم في الوجود لا مكاتتهم في الشعر .

وقع ما اختاره من الشعر في أربعة مجلدات وقعت في (١٧٦٣)
صفحة من القطع الكبير ، وقد حل مواضع الإشكال حلا لغويا مختصرا
في أسفل الصفحة بحيث لا يعوق^(١) الطالب عائق دون الانتفاع بالشعر
فلا يضطره الى الرجوع الى معجمات اللغة وهو أطرب ما يكون في سماع
شعر الشاعر ، ولعل البارودي في انتقاء هؤلاء الشعراء المجيدين فقط ،
يشير من طرف خفي الى ان الامة العربية وهي امة الشعر في جميع
أدوار حياتها ما كانت تعد في القرن الواحد أكثر من بضعة شعراء ، أما
أولئك المنان الذين دونت الكتب أشعارهم فهم ناظفون أو عروضيون
كما ساهم بعض المعاصرين . ولم يستوفوا صفات الشاعرية وان
اشتهروا .

خدمة جليلة خدم بها البارودي دولة الادب العربي ، وختم بسا
اتخب بالصالحات أعماله فكان مجدد بيان الشعر في هذا العصر ، أن
أحياءهم على ما يجب ان يحيوا ، وحببهم الى من يتعاطون فن الادب .
نعم كان إحسانه الاختيار من الشعراء المولدين كأبي تمام والبحري [مثله] في
اختيار بدائع الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين . واختيار المرء قطعة
من عقله ، وأعظم شعر يختاره البارودي . ويقول لابناء الاجيال القادمة:
هذا ما ينبغي لكم أن تحرصوا على الاستفادة منه ، وقد وضعت بين
أيديكم بما صنعت لكم ، ودلتكم على مواقع الاجادة من هذا الشعر
الفحل .

وكان البارودي بهذه المختارات أيضا قال للمتأدبين بلسان الحال :
ان العرق قصير والهيم وانية ، والقوم عكفوا على الشعر قرونا فخلط
من خلط منهم وأجاد من أجاد ، وهؤلاء المجودون عليكم بهم ، تدارسوهم

(١) الاصل : لا يعود ، وهو خطأ .

٢٦٨
يجزئوكم عن تدارس مئات الدواوين حملت الغث والسين ، ولا تورث
ملكاتكم ما يضعفها وأنتم لا غنية لكم عن الاطلاع على أجود ما قيل .
فها أنا ذا حشرته لكم في هذا الكتاب ، فخير لكم أن تاكلوا الفاكهة
الجيدة الناضجة من أن تتناولوا الفج الذي لم يطب في المذاق .

وبعد ، فقد كتب لي شرف التعرف الى شاعرنا العظيم هذا في
مجلس الامام محمد عبده في عين شمس من ضواحي القاهرة سنة احدى
وتسعمئة وألف ، وفي المجلس يومئذ من العظماء بطرس باشا غالي ،
والشاعر حافظ ابراهيم ، وقد عاد من المنفى وهو مكثوف ، والى ما
أصابه أشار الشاعران العظيمان خليل مطران وحافظ ابراهيم في رثائه
وقد جوّدوا كل الاجادة . قال مطران^(١) :

إذا وسِعَ الكونَ فِكْرٌ امرئٍ

فلا بأسَ بالطَّرْفِ أن يُحَسِّرَا^(٢)

على الشمس أن تهدي المبصرين

وليس على الشمس أن تبصرا

وقال حافظ^(٣) :

(١) من قصيدة قالها خليل مطران في رثاء البارودي مطلعها :

مصائبك حيا عرا جعفرا وخطبك ميتا عرا قيصرا

ديوان خليل مطران ج ١ ص ٢٧١

(٢) رواية الاصل : اذا وسع الارض .

(٣) من قصيدة لحافظ ابراهيم في رثاء البارودي مطلعها :

ردوا عليّ بياني بعد محمود اني عيّبت واعيا الشعر مجهودي

لقد زححت من الدنيا كما زححت
عنها لياليك من بيض ومن سود
أحضت عينك عنها وأزدرت بها
قبل المات ولم تحفل بوجود

٣٦٩
- ٤٢ -

محمود شكري الالوسي *

١٢٧٢ - ١٢٤٢ هـ

١٨٥٧ - ١٩٢٤ م

الوس : قرية على الفرات قرب عانات ، على خمس مراحل من بغداد ، واليها انتسب آل الالوسي ، والوسينا هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود ، الملقب بأبي المعالي . أخذ العلم عن أبيه وعمه نعيان خير الدين وغيرها ، وقعد للتدريس في داره وفي بعض مساجد بغداد . نشأ نشأة أهله ، وكان والده عالماً وجده عالماً وعمه عالماً ، وكانوا على طريقة في المعتقدات خالفهم هو فيها . هم كانوا أحنافاً ومتصوفاً ، يعتقدون بكرامات الصالحين والأولياء . أما هو فقرأ كتب ابن تيسية وابن قيم الجوزية فخلع رداء تصوفهم وتذهب بذهب السلف ، يأخذ الشريعة من مصادرهما الصافية ، ويؤلف في هذا المذهب ويدافع عنه عن عقيدة ويقين ، فأصبح عكساً من أعلام أهل السنة في العراق ، ولم يكن للمطامح الدنيوية محل من نفسه ، وصرف حياته في التدريس والتأليف ، وأخذ عنه كثير من رجال العراق وانتفعوا بدروسه .

أولع المترجم له بالتاريخ والسير واللغة فبرز فيها ، واهتدى الى اطراح السجع من انشائه ، وبالسجع كان بدأ لأول نشأته ، على طريقة أهل القرن الماضي ، وأخذ يكتب كتابة المؤلفين ، كتابة مرسلة لا تعمل

* ترجمته في الاعلام ٤٩/٨ ومعجم المؤلفين ١٦٩/١٢ والاعلام الشرقية ١٨٤/٢ .

ولد في رصافة بغداد وبها توفي .

فيها ، جاريا مع الطبع ، ولا يتعمد السجع والازدواج الا في مقدمة
الكتب وبعض الخطب . وما إخلاله عني عناية خاصة بالشعر ، وان رواه .
وكان محققا في التمييز بين متينه وضعيفه . وجناح ما غلب عليه علوم
الشرع ، خاليا من بدع المبتدعين من المتأخرين ، والتبحر في فنون الادب ،
مستعينا بها على فهم روح الاسلام .

ولما تجلّى نبوغه واشتهر بعلمه وحرية فكره ، شتّع عليه معاصروه
من الحكوة ، ولم يروا للخلاص منه الا السعي الى حكام العثمانيين
محاولين اسكاته ، ليحولوا دون انتشار دعوته التي ترمي الى اصلاح
معتقداتهم ، والقضاء على خرافاتهم وتخريفاتهم فتذرعوا بتغريبه ،
فاستصدروا أمر السلطان بنفيه الى الاناضول . ولما اجتاز بمدينة
الموصل قام عطاء من أهلها ، وأبرقوا الى ملك العثمانيين يلتسون
العضو عنه ، فأجاب طلبهم ، وعاد الى موطنه .

واتدبته الدولة في الحرب العامة مع نبيه السيد علي الالوسي أن
يذهب الى نجد لاقناع أميرها عبد العزيز آل سعود لينضم الى الترك
ويحارب الانكليز ، فأبى (١) أن يكون مع الدولة ، وهي التي قتلت أحد
أجداده ، وخربت ديارهم ، ولا سيما الدرعية ، عاصمتها .

فتعدّد السيد الالوسي مخفقا في سفارته ، وعادت الدولة تنظر اليه
نظرة رية ، لعلمها بأنه الرجل المبجل عند آل سعود وفي عامة أرض نجد ،
لاشتهاره بذهب السلف ، والنجديون سلكيون ، لا يتعقل الا أن
ينزلوا على ارادة من يحبهم ويحبونه ، وانقلبت الدولة بعد ذلك تقوي
ابن الرشيد منافس ابن سعود في امارة نجد ، وأغدقت عليه المال

(١) أي عبد العزيز .

والسلاح ، ورفعت من مقامه ، مقدرة قدرته على مقاومة أعدائها بأكثر
ما كان في طوقه .

صنف السيد الالوسي كتبا كثيرة للمقدمات . ومن أهم ما صنف
« بلوغ الارب في احوال العرب » . وكانت لجنة اللغات الشرقية في (١٩٠٧)
استكهولم اقترحت ، بدعوة اسكار الثاني ملك السويد والنرويج ، على
الاخصائيين بتاريخ العرب والاسلام في الشرق والغرب تأليف كتاب
يستوفي احوال العرب قبل الاسلام ، ويستوعب ما كانوا عليه في جاهليتهم
من العوائد والاحكام ، واشترطت أن يكون مشتتلا على بيان ما يطلق
عليه لفظ العرب ، واقامة الدليل على فضلهم على غيرهم ، وبيان نسب
من اشتهر من القبائل ، وذكر اشهر مساكنهم ، وكيف كان حال مكة
إذ ذلك ، وعوائدهم في المأكّل والمشرب والزواج ، وتفصيل مجامعهم
وأيامهم ، ومفاخرهم وأعيادهم وأفراحهم ومعتقداتهم واوابدهم
ومتعبداتهم وعلومهم وصنائعهم ومشاهير رجالهم في الجود والحلم
والحكم والشجاعة والشعر والخطابة والطب ، وأن يظهر الفرق بين
حالتي أهل الحضرة والبادية ، وبأي وسيلة أمكنهم في زمن قصير أن
يتقدموا ذلك التقدم العجيب ، ويتغلبوا على عدة مسالك واسعة وأقطار
شاسعة يبلغ عدد سكانها أضعاف أضعافهم مرارا عديدة ، حالة كون
بلادهم حارة مقحظة خالية من بواغث المدنية ، وهل بقي من آثارهم شيء
بين من يسكنون البوادي اليوم ويدعون بالعرب ، مع اقامة الادلة
الكافية ، والاثبات بالمستندات القوية لاثبات كل أمر منها ، وعلى المؤلف
أن يستند في استخراجها على الشعر الجاهلي وما تضمنته من ذلك الآيات
القرآنية والاحاديث النبوية والسير والتواريخ الصحيحة .

بعثت اللجنة بهذا الاقتراح الى المشهورين من علماء العرب والغرب

في تلك الحقبة ، قلبى الالوسى نداءها ، وكتب كتابه في ثلاثة مجلدات كان فيه أقرب الى الشروط المطلوبة ، ولكنه ما استوفاهما كلها ، استقى من المصادر المعروفة ، وما ألمّ بالغرض المقصود ، ومع ذلك جاء كتابه من أوفى الكتب مادة ووصفا وتسيقا ، على كثرة ما ورد على اللجنة من التأليف في هذا الموضوع الجليل ، فنال الجائزة ، وهي الوسام الذهبي الذي كانت السويد والنرويج تهديه الى العلماء . وطبعت له كتابه ، وطرحت سائر المؤلفات في المهلات . وما قاله قتل السويد والنرويج من رسالة الى المؤلف : « ان جميع الكتب التي وصلتنا في هذا الصدد ، مع ما بلغت من كثرة العدد ، واختلاف مصادرها شرقا وغربا ، من اوربا ومصر والشام والعراق وغيرها من الآفاق لم يحصل سواك أحد على تلك الجائزة التي سبق بها الوعد ، لان الموضوع واديه عسيق بعيد الطريق ، غير ان كتاب الاستاذ مع ذلك أجمع لكل مادة .. » .

والواقع أنه من الصعب على رجل واحد لم يعرف لغة غير العربية أن يؤلف مثل هذا التاريخ ، وكان على مؤلفه أن يكون متمكنا من تاريخ العرب قبل الاسلام ، ومن السهل تدوين ما عرف من تاريخهم في تلك الاعصر ، والصعوبة في التقاط أخبار الجاهلية التي ضاعت قبل الاسلام ستي عام ، ودون الأخلاف بعض ما تيسر منها .

وعجل الاستاذ باخراج تأليفه ، فوقع في أغلاط كثيرة تدارك اصلاح بعضها في الطعة الثانية ، وجاء الكتاب مجسوة يسكن أن توصف بأنها من الحاضر الذي تها ، ولم يكشف بها ما غرض من أحوال الجاهلية ، ولا تعرف أمور كثيرة في التفسير الا بالوقوف على أخبار الجاهلية وقوفاً تاماً .

وللترجم له مع الشيخ يوسف النبهاني^(١) جولات في الشرع ، هذا يثبت في كتبه ضروبا من البدع التي لم يقل بها الاسلام ، والشيخ يرد عليه في مجلدات ، ويبين له حكم الكتاب والسنة وآراء عطاء الملة . وظهرت في ردوده هذه مكاتته من استبطان أسرار الشريعة ، وآراؤه في الاصلاح الديني ، ومبلغ وقوفه على المصادر لتأييد مذهبه . وكذلك كان صنيعه عندما رد على بعض علماء الشيعة . وقد أحيا المؤلف السى هذا عدة رسائل للمقدمي ، علق عليها وخدمها ، ومنها ما نشره في مجلة « المقتبس » .

قال تلميذه الاستاذ محمد بهجة الاثري في وصف عمله : انه احتسب حياته لخدمة الدين الاسلامي ، وتطهيره من أوضار البدع والمحدثات ، فجاهد أهل الحشو ودعاة عبادة القبور ، ثم اتحنى الى المذاهب الفاسدة المبتية على الحب والبغض ، فأظهر للسلا ما تنطوي عليه من الخبائث والدسائس ، وما تضره للاسلام - وان كانت تنسب اليه في الظاهر - من الكيد والعداء ، وقد كان يرى أن في القضاء عليها قضاء على جميع البدع والاضاليل المنتشرة بين أهل الاسلام . وانه يأخذ بيد الاسلام الى ذروة عزه القديم . جاهد البدع والوثنيات ، ودعا الى التوحيد الذي هو أول ما كانت تدعو اليه الرسل ، وبين تقليد الآباء والسير على آثارهم الغامضة ، غير مدخر في جهاده ودعوته وسعا ، حتى كبح جناح الوثنيين ، وخفف من غلواء القبورين أو كاد ، فكان له من التأثير المحسود في قمع الضلال ما لا سبيل لأحد الى انكاره . وهذه آثار جهاده بين الايدي

(١) يوسف بن اسماعيل النبهاني (١٢٦٥ - ١٣٥٠ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٣٢ م) اديب ، شاعر ، قاض ، تولى رئاسة محكمة الحقوق ببيروت ، له كتب كثيرة منها : جامع كرامات الاولياء .

— والمخطوط منها أكثر من المطبوع — تشهد له بالحسنى والمقام المحمود (١) .

الالوسي نسخة حلوة من قدماء العلماء لم يأت بجديد ، وانصرف الى احياء القديم ، احياء سنة اجداده في العلم والانقطاع اليه والشغف به ، ولم يتخذ سلكاً الى الدنيا .

كان عزوفاً عن المطامع ، لا مطمع له في غير بث دعوته ، وتثقيف من يعتقد أنه يحصل منه النفع للامة . وهو اذا اعد في المجددين المجتهدين في الاسلام لا يعد الا من المقلدين في العلم والادب . وكان على فضل شجاعة في بث دعوته الدينية ، اذ ان المنحرفين من قلبه ما فضح به عيوبهم ، وما بالى غضبهم وغضب العامة ، ولا بطش الولاة ، وكانوا ابداً يميلون مع العامة أكثر من ميلهم الى الخاصة . وكان قبل أن يشتد ساعده يجامل ويتقي ، فلما نت فيه أسباب الدعوة لم تأخذه هوادة فيمن وقصوا في سبيلها .

وانا اذا شهدنا الاستاذ يزهد في المظاهر التي كان العثمانيون ينعون بها أمثاله أيام استيلائهم على بلاد العرب ، فإنه كان على هذه الصورة على عهد الاحتلال الانكليزي في العراق (١٣٣٥) .

جاءه عامل من عمال البريطانيين يصحبه تلميذه الاب أنستاس الكرملي ، ومعه صرة فيها ثلاثه جنيه ، وعرض عليه منصب قاضي

(١) من كتبه : اخبار العباد وما جاورها من القرى والبلاد (اربع مجلدات) ، مساجد بغداد (لم يتم) ، امثال العوام في دار السلام ، رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين ، المسك الاذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر ، تاريخ نجد ، الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر ، فتح المنان (في الرد على اهل البدع في الدين) .

القضاة في بغداد ، فاعتذر عن قبوله (١) ، وأبى قبول العطية . والتفت الى تلميذه الكرملي يلومه على وساطته هذه — على ما حدثني بذلك الاستاذ أنستاس — وقال : خير لي أن أموت جوعاً من أن آخذ ما لا لم أتعب في كسبه . وهدد من أتى بالمال باخراجه من داره اذا بقي يلح عليه في قبض تلك المنحة .

وماذا يعمل بالمال من عاش في شبابه وكهولته وشيوخته ولم يتناول شيئاً من غير حلاله أو كيف يسد يده ، وهو في آخر أيامه ، لا زوج له ولا ولد ، فيتناول من دولة أجنبية لا تمنح ما تمنح الامقابل شيء تريده من تعطيه . وبذلك تجلت فيه أخلاق الزهاد والنسك في الاسلام .

ثم عرضت عليه الحكومة العربية الموقرة الافتاء برئاسة مجلس التمييز الشرعي او القضاء او المشيخة الاسلامية ، فرفض كل ذلك ، وقبل عضوية المعارف في العراق ، كما قبل عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق .

كان الالوسي من افراد الرجال الذين تفقوا قومهم بارشادهم ، واتفق الناس بتأليفه على الجسلة . وتأليفه يكثر نظائرها في المصنفات ولا تحصل ابداعاً ، اللهم الا ما عرف فيها من حرية بحثه يوم الرد على من خالفوا الشرع ، ومالوا مع الاهواء السياسية لاصطياد المغانم الدنيئة .

★ ★ ★

(١) الصواب ان يقال : اعتذر من عدم قبوله ، وذلك خطأ شائع في الكتابة الدارجة .

مصطفى عبد الرازق *

١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ (١١)

١٨٨٥ - ١٩٤٦ م

وُلد ببلدة (أبو جرج) من مديرية المنيا بصعيد مصر حوالي سنة ١٨٨٥ م ، وأبوه حسن باشا عبد الرازق ، وجدوده قضاة ولاية بهنسا ويعرف بينهم بيت عبد الرازق كما يعرف بيت القضاة . ووالدته من أسرة الشرعي بسالوط . تلقى التعليم الاولي في كتاب بلدته ، وتولى والده توجيه دراسته وتربية استعداده الادبي ، ودرس في الازهر وحضر فيه دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وقال شهادة العالمية سنة ١٩٠٨ . واشتغل على أثر ذلك بالتدريس في الازهر وفي مدرسة القضاء الشرعي سنة واحدة ثم سافر الى باريس سنة ١٩٠٩ فتعلم الفرنسية وحضر دروس الاستاذ ديركهام في الاجتاع ، ودروسا في الآداب وتاريخها .

• ترجمته في الاعلام ١٣١/٨ وفي وفاته سنة ١٣٦٦ الموافقة لسنة ١٩٤٦ م وفيه ان من كتبه ما يلي : تهييد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، فيلسوف العرب والعلم الثاني (في سيرة الكندي والفارابي) ، الدين والوحي والاسلام ، البهاء زهير في ترجمته وشعره ، ومحمد عبده سيرته ، مذكرات مسافر ، وساعد بعض المستشرقين على ترجمة رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده الى الفرنسية وفي وضع كتاب عن الشيخ محمد عبده بالفرنسية ايضا .

وانظر معجم المؤلفين ٢٤٥/١٢ ، مذكرات محمد كرد علي ٤٥٢/٢ .
فيض الخاطر ٣١٢/٧ .

(١١) وفاته في الاسل : سنة ١٣٤٠ وهو مخالف لما جاء في المصادر .

٣٧٧ وفي سنة ١٩١١ تحول الى مدينة ليون ليشغل مع الاستاذ ادوارد لامبير في دراسة اصول الشريعة الاسلامية ، وحضر في جامعة ليون دروس الاستاذ جوبلو في تاريخ الفلسفة ، ودروسا في تاريخ الادب الفرنسي .

وتولى تدريس اللغة العربية في كلية الآداب في ليون فكان مدرسا الذي كان ندب للتدريس في الجامعة المصرية ، ولما نشبت الحرب العامة عاد الى مصر فأسند اليه منصب أمين السر العام للمعاهد الدينية الاسلامية ، ثم نقل في سنة ١٩٢١ مفتشا للحاكم الشرعية ، وفي هذه السنة نقل الى كلية الآداب بالجامعة المصرية أستاذا مساعدا للفلسفة .

هذا ما كتبه لي صاحب الترجمة عندما ضمه المجمع العلمي العربي الى أعضائه المرسلين ثم أصبح أستاذا صاحب كرسي يدرس الفلسفة الاسلامية وتاريخها ، وتظهر للسلا كفاءته ووفرة تحقيقه . وبعد حين تولى وزارة الاوقاف سبع مرات عن حزبه حزب الاحرار الدستوريين فأحسن العمل في نطاق الانظمة ، وما استطاع أن يطبق كل ما كانت ترغب فيه نفسه من التجدد .

واذ فرغ منصب مشيخة الازهر بوفاة العلامة المراغي رأت الحكومة أن توسد المشيخة اليه لعلها بأنه قين بادخال الاصلاح على هذه الجامعة لجمعه بين ثقافتين : الاسلامية والعربية فعارض بعض الشيوخ هذا التعيين بدعوى ان ابن عبد الرازق وإن تخرج في الازهر الا أنه لم يدرس فيه خمس عشرة سنة ، ولا يمكن قبوله عضوا بجماعة كبار العلماء ، ومن بين أعضائها يجب أن يختار شيخ الجامع الازهر ، كما هو شرطهم ، وتدرسه في الجامعة المصرية لا يعتبر كتدريس الازهر ، والازهر غير الجامعة . فلم تر الحكومة في نصب مرشحها ، الا أن تعدل القانون ووسدت اليه المشيخة فنزل عن رتبة الباشوية وعن لقب الوزارة ، واكتفى

يلقب الاستاذ الاكبر وشيخ الجامع الازهر. وتنازل عن جزء من إدارات
الشيخة لتصرف في وجوه أخرى . وظل الطامعون في الرئاسة غير
راضين عن تقلده لها ، ولم يجدوا للوصول الى أغراضهم الا اهاجة
الطلبة فاضربوا عن دروسهم ، فثار لما جرى وقضى مقهورا شهيد عزة
نفسه .

كان أول تعارفي الى الاستاذ الاكبر في باريس سنة ١٩١٣ وقد جاء
فرنسا للتعرف بثقافة العرب على ما تتفق الثقافة الغربية ، فرأيت فيه
الإباء والمروءة والبعد عن العظمة . وتجلى لي أن تربيته الاولى في بيت
أبيه الكامل كانت من خير ما يربى عليه أبناء النبلاء ، كان الشيخ محافظا
على الشعائر على ما عرف بذلك اهله ، واحتفظ بعصامته وقفظانه وجيته
من أول أمره الى آخر عمره لم تبدل المناصب من زيه ، ولا غيرت رتبها
من سنة . ولا استخفت الالقاب العلمية التي أحرزها ، ومجامع العلم
التي شارك في خدمتها .

كان مثال الجد والثبات ، صلب العود في الحق ، رقيق الحاشية في
عشرة الناس ، محافظا على القديم ، فاتحا صدره للحديث من المعارف .

زار الملك فؤاد الاول كلية الآداب في الجامعة المصرية في بعض
الايام ودخل القاعة التي كان الاستاذ يلقى درسه فيها فوق المليك يستمع
اليه هتية ، والاستاذ يشرح الدرس لطلبة كأنه لم يدخل عليه أحد ، وفي
هذه الدقائق تجلت عظمة العلماء وجلال العلم .

كان الاستاذ يجري صدقات على أرباب الستر ، ويعاون البائسين
بما يخفف بؤسهم ، ولا يحب أن يطلع أحدا على ما تندى به يده الكريمة .
ولما صرف الاستاذ الظواهري شيخ الازهر سبعين عالما من مدرسيه كان

فيهم اصدقاء الاستاذ عبد الرازق فوقف نفسه على خدمتهم ، وما تركهم
يحتاجون الى أحد ، ودام على تعهدهم ، حتى رجعوا الى دروسهم ، سار
بذلك بسيرة أسرته في إسداء الخير للخير ، وكذلك كان دأب أبيه
واخوته .

سألت مرة محاسب كلية الآداب وهو تلميذ من تلاميذ الاستاذ
عما اذا كان يحب استاذه حقيقة فأجابني : وكيف لا أحبه وصفاته التي
تجيبه الى النفوس كثيرة ! ثم قال : اسمع قصة من قصصه فتعرف أنني
على حق في إكباري أخلاقه . جاءني ذات صباح يسألني عن عدد الطلبة
الذين توففوا عن أداء الرسوم الجامعية وهم مهسدون بالطرد ان لم
يوفوا ما عليهم ، فأحصيتهم له فقال : كم يبلغ مجوع المبلغ المطلوب
منهم ؟ فقلت كذا . فقال : خذ مني ولا تطالبهم بعدها . واذا سألوك
قل لهم ان الجامعة قررت اعفاءهم ، ولا تذكر لهم اسمي بالله عليك .
وأذكر أنهم كانوا نحو ثلاثين طالبا . وله من هذا القليل صدقات ينفق
عليها من راتبه ، ومن ملك ورثه من أبيه في بلده من الصعيد .

كانت صلتني بالاستاذ أجل صلة ، لا رياء فيها ولا وهن . تتناصح
وتتباث الافكار ، والاحظ عليه أشياء لا أوافقه عليها ، وطالما حثته
على وضع تآليف في الموضوعات التي جود الخوض فيها ، وأردته غير
مرة على ان يطبع دروسه في الجامعة لينتفع بها البعيد كما انتفع بها
القريب ، فكان يعتذر بما يسليه عليه تواضعه ويقول : ان الطلبة تداولوها
منذ ألفت عليهم وحصل المقصود ، فلا داعي لطبعها على حدة . وأدركت
بذلك أن صاحبي لا يهتم بالطبع والنشر اهتمامه بالتعليم والتلقين . شأنه
شأن سلفه العلامة المراغي . والقليل الذي طبع له يدل على طريقته في
بحث المضلات ، والنظر في تقدير المسائل بقدرها من دون حدة ولا تحامل ،

يتلطف في الاداء والعرض ، ويقبل حتى الآراء التي تخالف رأيه برحب
صدر واحترام صاحبها .

وبعد خمس سنين من تركه الجامعة بدا له أن يعود الى دروسه فيها
فيتشرها كما هي بصورتها يوم كتب من غير تنقيح ولا تعديل ، وفي
صياغتها التعليية التي تراعى حاجة الطلاب الى مراجعة النصوص
الكثيرة وحسن التدبر والفهم للأساليب المتفاوتة ، وان لم يخف على
ذوق المطالعين جميعا ، وتشرها في مجلد لطيف ساه « التمهيد لتاريخ
الفلسفة الاسلامية » ثم تشر له جزء في الترجمة للكندي والفارابي
والمتشي وابن تيمية وابن الهيثم من حيث النظر الفلسفي . لو كتب له
أن يتم هذه التراجم لقرب الحكمة من أذهان من طالما عقّوها ولحبيها
الى النفوس بأسلوبه الذي جمع فيه بين القديم والحديث على ما جمع
نحسه العصامي الى العظامي . ولئن عدّ في التأليف في المقلين فقد كان
فيه من المجودين المحققين .

حدث عقبي تولىه مشيخة الازهر أن عزت اليه جريدة
« المولد » البارزية حديثا اتخذت منه خصومه آلة للنيل منه . وخلصته
أن فرنسا أحرزت مكانا متنازعا بنا بذلك من الجهود الكريمة في نشر
الثقافة بين المسلمين . ورجا أن لا تتخلى عن خطتها لتحتفظ بالحب
الذي يكنه لها العالم الاسلامي . فقامت صحف مصر والشام تغالسي في
تزييف رأيه في مدح فرنسا ، وانفق أن أهدهته حكومتها في غضون ذلك
وسام (جوقة الشرف من رتبة الصليب الكبير) فزاد ذلك في الطين
بله . وأغلب الظن أن الاستاذ الاكبر لم يتعارف الى هذا الوسام ، وما
عبأ بتكذيب ما نقل على لسانه من حب المسلمين فرنسا . وكان بعض
جناحة كبار العلماء عاملا قويا في إلقاء الاضطرابات في الازهر ليتوسلوا

بها الى زحزحة الشيخ عن منصبه . ومنهم من كنت أراهم يكثرون
الاختلاف الى داره قبل توليه الرياسة بأعوام ، ولكن من أعتهم مصالحهم
الشخصية لا يراعون في سبيل الحصول عليها قانون الوفاء والولاء .

نظرت مليا في سيرة صديقي فرأيت علمه عدل أخلاقه ، وهذا من
النوادر في هذا العصر . ولو انصرف الى درسه في الجامعة ، وصرف
أيامه في التأليف والتأديب على ما خص به من تقوى ذهن وجلد في البحث
لزاد الانتفاع بما أنتج أضعافا . ولما أخذت السياسة من وقته ما كان
الاحرى صرّفه في خدمة العلم . ومن عانوا السياسة مكرهين أو شبه
مكرهين ، وكانوا على قدمه في التهذيب وطهارة النفس ينفعون في العادة
غيرهم أكثر مما ينتفعون .

ندر في مصر أمثال بيت عبد الرازق ، يجمع أبناءه الى السرواة⁽¹⁾
ثقافة عالية ومكارم أخلاق . والاستاذ فرع هذه الشجرة المباركة ، راموز
تلك البضاعة الجيدة . رحمه الله .

★ ★ ★

(1) سروا (بفتح قضم) : كرم مع شرف .

معروف الرصافي *

١٢٩٤ - ١٣٦٤ هـ

١٨٧٧ - ١٩٤٥ م

كان والد معروف من عشيرة كردية تقطن في نواحي كركوك تسمى الجبارة ، وتدعى هذه العشيرة أنها علوية النسب ، ويسلم لها أهل كردستان بهذه الدعوى . وأمه من عشيرة القراغول ، وهم فيساقيل بطن من شر النازلين في سهول العراق ، درس في طفولته في كتاب ببغداد ، وتعلم القرآن ، ثم دخل مدرسة ابتدائية ، وغادرها قبل أن ينال شهادتها ، فتعذر عليه التوظف ، واتصل بالعلامة محمود شكري الآلوسي ، فتتلمذ له ، ولقبه بلقبه « الرصافي » ، ولازمه اثنتي عشرة سنة ، وقرأ على الشيخين عباس القصاب وقاسم القيسي ، وأولع بدراسة الشواهد وشروحها ، وتدوق ما فيها من بلاغة ، فحفظ منها الشيء الكثير . وكان شيخه الآلوسي يلقيه بالشواهد ، وشواهد النحو كشواهد البيان من أمثال الشعر الجاهلي والاسلامي . وقرض الشعر وهو دون السادسة

* ترجمته في الاعلام ج ٨/١٨٤ ومعجم المؤلفين ج ١٢/٣٠٦ وانظر مقدمة ديوانه ووحى الرسالة ج ٣/٢٦ اعلام الادب والفن ١٩٨/٢ ، معجم المطبوعات ١٣٩ ، تاريخ الادب العربي للفاخوري ١٠٢٩ وتاريخ الشعر العربي الحديث : ٤٠٠ ، دراسات في الشعر العربي المعاصر : ٥٨ ، الرائد : ٧١٦ والترجمة التي اوردها صاحب الاعلام ملخص ترجمته التي تلقاها منه سنة ١٩١٣ .

والفت حوله كتب عديدة منها : ادب الرصافي لمصطفى علي ، ومحاضرات عن معروف الرصافي له ايضا ، ذكرى الرصافي لعبد الحميد الرشودي ، ومعروف الرصافي للدكتور ابراهيم الكيلاني ، معروف الرصافي لبدوي طبانة .

٣٨٤ عشرة . انضم الى سلك التعليم الابتدائي ، ثم فاز بامتحان المسابقة بين الراغبين في التوظف فعين مدرسا في قضاء مندلي ، ومنها نقل الى تدريس آداب اللغة العربية في المدرسة الاعدادية في بغداد ، وبقي في تدريسها الى اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، واشتهر قبيل هذا العهد بما نشرته له الصحف في العراق والشام ومصر ، ولا سيما في مجلة «المقتبس» وجريدة «المؤيد» ، ينظمه في موضوعات اجتماعية وسياسية ، ولقبته في مقالة لي كتبها في جريدة «المؤيد» بالشاعر الاجتماعي ، فأخذني حافظ ابراهيم على تلقيبي له بهذا اللقب ، كأنه يريد أن يختص هو به . وكانت مجلة «المقتبس» في القاهرة ثم في دمشق ، ثم جريدة المقتبس مباءة شعره وقطره أدبه .

ولما ضمن الدستور لأرباب الاقلام في الولايات العربية حرياتهم ، خطا الرصافي خطوة واسعة في منازعه وشعره ، ودخل في حزب الاتحاد والترقي ، واضطر الى أن يساير أصحابه في بعض ما لا ينطبق على الخطة التي سار عليها من قبل ، وبعد أن كان يندب سوء حظ العرب من الاتراك عاد في حزبيته الجديدة يحاول التوفيق بين الترك والعرب ، بل بلغ به التهور الى أن يمدح الترك ويذم العرب ، وأخذ من بيئته في الآستانة وقد أصبح نائبا عن العراق في مجلس النواب يردد أحيانا هذه النعمة التي لم يرض عنها أكثر العرب . قال الاستاذ رضا الشيباني : ان في القصيدة التي هجا بها أهل الشام هجوا مقدعا للعرب لا يقدم عليه من يجري في عروقه دم عربي ، وكان موقفه من الحركة القومية الاصلاحية في الديار الشامية موقف الخصم الشديد ، لا يقل عن موقف تركي معتر بنعته القومية ، فقد أقذع في الهجاء ، ونسب الى العرب ما نسب من المساوي والمعائب التي نسبها اليهم الشعوبيون ، بل أعاد ما قاله الشعوبيون في هذا الباب ، وله في هذا الموضوع عدة قصائد أثارته عليه شباب الامة العربية .

وفي رأينا أما ما بدا من تقلق الرصافي في نزعة القومية يشبه ما
يصب أكثر الشعراء في تلوثهم ومسايرتهم أهواءهم، وتغييرهم مشاربهم
بحسب الزمان. والشعراء في هذا الباب كرجال السياسة، من الصعب
أن تجد واحدا منهم كان في أول عمره ووسطه وآخره نسطا واحدا في
الحكم على المسائل العامة، خصوصا وصاحبنا الرصافي كان يعلق آملا
على الدور الجديد، وتطلع نفسه في أرقى المناسبات، على أنه قد بلغها
بتولي النيابة عن أمته، وتدرسه في أرقى مدارس دار السلطنة.
والغالب أنه كان بطبع في أكثر من ذلك.

قال الرصافي يخاطب المسيحيين (١):

علام التعادي لاختلاف ديانة

وإن التعادي في الديانة عدوان

وماض لو كان التعاون ديننا

فتمتر بلدان وتنا من قطنان

إذا جمعنا وحدة وطنية

فماذا علينا أن تعدد أديان

إذا القوم عتيم أمور ثلاثة

لسان وأوطان وبالله إيمان

فأي اعتقاد مانع من أخوة

بها قال إنجيل كما قال قرآن

كتابان لم ينزلهما الله ربنا

على رسله إلا ليعبد انسان

(١) من قصيدة في ديوانه: ١٣١ مطلعها:

أما أن أن نسي من القوم افسان

فبيني على أس المؤاخاة بيان

فمن قام باسم الدين يدعو مفرقا
فدعواه في أصل الديانة بهتان
أنشقى بأمر الدين وهو سعادة
إذا فاتباع الدين يا قوم خران
ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
إلى كل قول لم يؤيده برهان (١)
فهاموا بتيهاء الأباطيل كالذي
تخبطه من شدة المس شيطان (٢)

ومما جاء فيها:

لقد قيل إن العرب ذو مدينة

فقلت وهل معنى التمدن عدوان؟

وأى فخار كائن في تمدن

إذا لم يقيم في الغرب للعدل ميزان

إذا كانت الأخلاق غير شريفة

فماذا عسى تجدي علوم وعرفان

وقال في الحفلة التي أقيمت لاحد شوقي في مصر (٣):

إذا احتفلت مصر بشوقي فإلها

تقيم على الأحرار في العلم حاجيرا

(١) طحا بهم: ذهب بهم.

(٢) أرض تيهاء: مضلة.

(٣) من قصيدة في ديوانه: ١٣٦ مطلعها:

وما زال ليلى بالعراقين ساهرا

امارس دهرا من جديدي داهرا

وقال في قصيدة عنوانها « حقيقتي السلية » أبان فيها عن آرائه
ومعتقده (١) :

أحبُّ صراحتي قولاً وفعلًا
وأكره أن أميل إلى الرياءِ
فما خادعتُ من أحدٍ بأمرٍ
ولا أضرتُ حسواً في ارتغاءِ (٢)
ولست من الذين يرون خيراً
بإبقاء الحقيقة في الخفاءِ
ولا ممن يرى الأديان قامت
بوحى مُزَلِّلٍ للأبياءِ
ولكن هنَّ وضعٌ وابتداعٌ
من العقلاء أربابِ الدهاءِ
ولست من الأولى وهموا وقالوا
بأن الروح تعرج للساءِ
لأن الأرض تسبح في فضاء
وما تلك الساء سوى الفضاءِ
ولست من الذين يرون فخراً
لمتخبرٍ بإهراقِ الدماءِ
ولا ممن قد ارتبطوا بساؤِ
فعاثوا ينظرون إلى الوراِ

(١) هذه قصيدة كاملة جاءت في ديوانه : ١٨٩ .

(٢) الحسو : الجرعة والارتغاء : الاحتساء . وفي المثل : أسر حسوا

في ارتغاء . لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

فقد استعاضة أمطرت بها
علياً وطه حاصباً متطائرا (١)
فما بال هذا عند في مصر مارقاً
وما بال هذا عند في مصر كافرا
إذا لم تكن الأفكار في مصر حرة
فليس لمصر أن تكترم شاعرا
أترفع قدر العلم ينطق ناطلاً
ويؤضع قدر العلم ينطق نائرا
ويختص بالتجليل من جاء منشداً
ويقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
إلا إن هذا الشعر ليس بطائل
إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
كما أن هذا العلم ليس بنافع
إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
وتكريم رب الشعر ليس بنفخر
لمن كان عن حرية الفكر جائرا
والإفصاح الجاهلية قبلنا
له سبق في تكريم من كان شاعرا

هذه حقيقة خلدها الرصافي . ولا نلزم بأن نتعرف إلى ما يكن ضميره
نحو شوقي وشاعريته ، والشعر هو الذي يعيننا على الأكثر .

(١) يشير إلى ما لاقى صدقي الاستاذ علي عبد الرازق من أجل
كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ، والدكتور طه حسين بسبب كتابه
« الأدب الجاهلي » من محنة واسطهاد . (المؤلف) .

ولا من يرى للناس حكماً
سوى الحكام أرباب القضاء
ولا من نودوا في حضوره
وعند الغيب جاهراً بالعداء
ولا من يرى الأنساب ما
يست به الأنام إلى العلاء
ولا من إذا وثبوا استعاضوا
بنته الدعاء من الوباء
ولا من معتر صلوا وصاموا
لما وعدوه من حسن الجزاء
ولا من يرون الله يجزي
على الصلوات بالحوار الوضاء
ولا من يرى الأشياء تفتي
بعيث تكون من عدم هواء
ولكن هن في جمع وفرق
تبدل منها صور البقاء
ولست من الذين يرون فضلاً
كبيراً للرجال على النساء
ولكن دالت الأيام حتى
تهادن هؤلاء هؤلاء

ويريد الشاعر اجادة في الموضوعات التي تأخذ من قلبه بعض
الشيء كقصيدته « أنا والشعر » (١) :

(١) مطلع قصيدة في ديوانه : ١٩٦ بهذا العنوان .

أرى الشعر أحياناً يجيش بخاطري
ويبدل ما قد عز لي من مصونيه
ويسكن أحياناً فأشجو وإنسا
تحررك شجوي ناشيء من سكونيه
وقد أتوخي الهزل منه مجارياً
لدهر أراه موعلاً في مجونيه
ولكن نفسي وهي نفس حزينة
تسيل إلى المشجي لها من حزنيه

...

لعسرك إن الشعر صمصام حكمة
وإن النشوى معدودة من قيونيه (١)
إذا جنني ليل الشكوك سللته
عليه فقراه بفجر يقينه
وما الشعر إلا مؤنسي عند وحشتي
ومئلي فؤادي عند ورئي شجونيه
تقوم مقام الدمع لي نقاته
إذا الدهر أبكاني بريب منونه

...

والشعر عين لو نظرت بنورها
إلى الغيب لاستشفقت ما في بطونه
وأذن لو استصغيتها نحو كاتم
سعت بها منه حديث قرونيه

(١) النوى : ج نهيبة ، وهي العقل .

ومما قال في الحرية (١) :

إذا لم يمش حراً بوطنه القسي
فَسَمَّ القسي ميتاً وموطينه قَبْرًا
أحرسي إلي اتخذتكَ قبيلةً
أَوْجَهْ وجهي كل يوم لها عَشْرًا
وَأَمَّيْكَ منها الركنَ مستلماً له
وفي ركنها استبدت بالحجرِ الحجراً
إذا كنتَ في قفْرِ تخذتكَ مؤنساً
وإن كنتَ في ليل جعلتك لي بدراً
وإن نابني خَطْبٌ فَسَتَّكَ لائماً
فقبَلتْ منك الصدْرَ والتَّحْرَ والتَّغْرَا
وإن لآمني قومٌ عليك فآنتسي
لَمُتَّيسٍ للقومِ في جهلهم عُدْرَا

وقال في الوطن (٢) :

ألا إننا حرية العيش عادةً
مضى كل نفس وصلها ووفودها
يضىء دُجُنَّات الحياة جبينها
وتبدو المعالي حيث أطلع جيدها (٣)

(١) من قصيدة في ديوانه : ٥٠ عنوانها (في سبيل حرية الفكر)
مطلعها :

كنت لنفسي عهد تحريرها شعرا
واشهدت فيما قد كتبت لها الدهرا
(٢) من قصيدة في ديوانه : ١٠٣ عنوانها (تنبيه النيام) مطلعها :
أما إن أن يفتش البلاد سعودها
ويذهب عن هذي النيام هجودها
(٣) أطلع عنقه : مده متطاولا .

لقد واصلت قوماً وخلصت وراءها
أناساً تنسى الموت لولا وعودوها
وقد مرضت أرواحنا في انتظارها
فما ضرَّها - والفتسا - لو تعودها

وذكر فضل شهر تموز في حرية الشعوب وما وقع للعرب فيه فقال (١) :

وإن تموز شهر قام فيه لنا
على اليفاع لواء العز مركزوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تجيزا
هي المساواة عممتا فما تركت
فضلاً لبعض على بعض وتيسرا
أمست لنا قسمة بالملك عادلة
حكماً وكانت على علائها ضيزي
كنا من الجور عبياتاً وليس لنا
من قائدين ولم نلك عكاكيزا
حتى نهضنا إلى العلياء تقدماً
عصابةً بسررت في المجد تبريزا

وقصائده المطولات كسقايلعه تنطوي على تعليم وحكمة ، ويقبل
غزله ونسيبه ، والاجادة كلها في اجتماعاته ، ولاسيما في النصف الاول
من حياته أيام كان بعيدا عن رجال السياسة التركية ، غير مضطرا الى
مصانعة رجال جمعية الاتحاد والترقي وقد أبدع في قصائده : « المرأة »

(١) من قصيدة في ديوانه : ٢٨٨ بعنوان (تموز الحرية) مطلعها :
إذا انقضى مارت فأكسر خلفه الكوزا واحفل بتموز إن ادركت تموزا

٢٨٨

في الشرق» (١) ، و « التربية والامهات » (٢) ، و « هكذا » (٣) ،
« في ليلة نابعة » (٤) ، « الحق والقوة » (٥) .

ومن سياياته من قصيدة (٦) :

أما فأها على ما كان من شرف
لليعرّيين قد ألقى به القيدم
أيام كانوا وشمل المجد مجتمع
والشعب ملتئم والمثلث منتظم
كانوا أجلّ الوري عزّاً ومقدرة
إذا الخلوب بحبل البغي تحترّم

(١) مطلعها :

الاما لاهل الشرق في برحاء
يمشون في ذل به وشقاء
ديوانه : ٣٤٢ .

(٢) مطلعها :

هي الاخلاق تبت كالنبت
اذا سقيت بماء المكرمات
ديوانه : ٣٤٩ .

(٣) مطلعها :

اصبحت اوسعهم لوما وتثريبا
لما امتطوا غارب الافراط مركوبا
ديوانه : ٤٠٢ .

(٤) مطلعها :

خاض الدجى وظلام الليل مختلف
سوت به الوجه مثل السيف مختلط
ديوانه : ٤٠٥ .

(٥) مطلعها :

ارى الحق لم يقش البلاد وانما
مضى ضاربا في الارض تلفله الطرق
ديوانه : ٤١٣ .

(٦) في ديوانه : ٣٩٩ مطلعها :

هي المتى كنفور القيد تبسم
اذا تطربها الصمصامة الخدم

وأربط الناس جاشاً في مواقفه
من شدة الرعب فيها ترجف اللثم
على الحصافة قد ليئت عمائمهم
وبالحزامة شدت منهم الحزم
قضوا أغاريب أقحاحاً وأعقبهم
خلف هم اليوم لا عرب ولا عجم
جار الزمان عليهم في ثقليه
حتى تبدلت الاخلاق والشيم
دب التباغض في أحشائهم مرصاً
به اثبرت أعظم منهم وجف دم
فأصبح الذل يشي بين أظهرهم
مسي الأمير وهم من حوله خدم

ومن سياياته (١) :

من مبلغ القوم أن المصلحين لهم
أمسوا كمن لبس الجلباب مقلوبا (٢)
ما بالهم وطريق الحق واضحة
لا يسلكون الى الإصلاح ملحوبا (٣)
أفي مصالح دنياهم وهم عرب
جاؤوا على حسب الأديان ترتيبا

(١) من قصيدة في ديوانه : ٤٠٢ عنوانها (ما هكذا) مطلعها :

اصبحت اوسعهم لوما وتثريبا
لما امتطوا غارب الافراط مركوبا

(٢) أي اصبحوا اضحوكة ومثارا للسخرية .

(٣) الطريق اللاحب والمحبوب : الواضح .

ماضهم لو تحسوا في الأمر جامعة
تضي الكنائس عنها والمحاربا
لكنهم أمة نأبى مشاربهم
إلا التعصب للأديان مشروبا
قد حوّلوا الحق واشتطوا بسطلبه
حتى بدا وجهه كالليل غريبا (١)
قد يطلب الحق مياش " فيطلبه
ما كلف طالب حق نال مطلوبها
. . .
قل للأولي نطقوا بالضاد مدغما
لم يدغم الضاد آباء لكم فرطوا (٢)
أبحسن اللحن إذ آباؤكم فصّحوا
أم يحسن العجز إذ آباؤكم نشطوا
فيكم غلو وتقصير" وبينها
ضاع المراد أتم أمة" وسَطُ
إني ابتليت بقوم يتعرون على
أعقابهم وإذا عنفتهم تلتطوا (٣)
شطوا بأقوالهم حتى لقد غضبوا
إذ قلت يا قوم في أقوالكم شططُ

(١) القريب : الأسود .
(٢) هذه الأبيات من القصيدة التي عنوانها (في ليلة نابوية) وردت في ديوانه : ٤٠٥ مطلعيا :
خاس الدجى وظلام الليل مختلف صوت به الوجد مثل السيف مختلط
(٣) يعرون : يرمون برأرهم بعرا ، لظ : سلح سلحا رقيقا . والمراد أنه إذا أبهم لخطا صغير فعلوا ما هو أكبر منه .

فبدّلوا القول إن صحت عزائمكم
فِعْلا" وإلا فإني يائس قنيطُ
قد حرت في الأمر إني حين أسخطهم
يرضون عني وإن أرضيتهم سخيطوا
فاز الذي كان في أحواله وسَطُ
فالمرء يعقني وإن الحلوى يشترطُ (١)
قل للأعاريب قد هانت مكارمكم
حتى ادعأها أناس كلهم تبطُ (٢)
برئت للعرب العرباء من فئة
يُسنون للعرب إلا أنهم سَقَطُ
إن المكارم ان هم أصبحوا عربا
فإنها في طباع العرب تشتترطُ
إن يعطوني لأني جئت أنهضهم
فأي مستهض ذي نجدة غطوا
هم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا
فما هنالك إلا اللغو والغلطُ (٣)
. . .
وقال (٤) :

لهفي على العرب أمست من جنودهم
حتى الجيادات تشكو وهي في ضجر

(١) يعقني : يكره ، يسترط : يتلذذ .
(٢) التبط : جيل من الاعاجم ، ويستعمل لاخلط الناس وغوامهم .
(٣) رطن : تكلم بالاعجمية .
(٤) من قصيدة في ديوانه : ٦٤ عنوانها (سياسة لا حماسة) مطلعيا :
الشعر مفتقر مني لمبتكر ولست للشعر في حال بمفتقر

أين الججاجح من يتسوزن إلى
ذؤابة الشرف الوضاح من مَضَر (١)
قوم هم الشمس كانوا والورى قمر
ولا كرامة لولا الشمس للقمر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقيباً
ناموا عن الأمر تفويضاً الى القدر (٢)
أقول والبرق يري في مراقدهم
يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر

ومن قصيدة « الحق والقوة » (٣) :

يقولون إن الحق في الخلق قوة
تذلل لها الأعناق قهراً وتندق
فما باله يسي ويصبح شاكياً
ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق
إلى الله تشكو الأمر من مديبة
تعارض في أوصافها الكذب والصّدق
وكم قد سعنا ساسة العرب تدعي
بأشياء من بطلانها ضحك الحق
فهم منعوا ريق الأيسر وإننا
أجازوا لهم أن يشمل الأمم الرّيق

(١) الججاجح : السادة .

(٢) الاصل : عن القدر .

(٣) ديوانه : ٤١٣ .

ومن قصيدة (١) :

لا خير في وطن يكون السيف عند
سد جباهه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عند
سد غريبه والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره
ظلماً وآل كثيره لقليله
إني اذا جدد المقال بموقف
فضلت مجملته على تفصيله

وقال (٢) :

لأدرى درة رجال الدين إنهم
قد أظهروا فيه منهم غير ما كتوا (٣)
واستعلوه كما تهوى مآربهم
كانه ليس إلا آلة لهم
تالله ما كان في الإسلام من حرج
على الأنام ولا في نهجه غم (٤)
بل كله جاء تيسيراً وتبصرة
للعاملين وأحكاماً بها حكّم

(١) في ديوانه : ٤٣٣ عنوانها (تجاه الريحاني) مطلعها :

ان العراق بعرضه وبطوله
وبراسديه وباسقات نخيله
يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه
ويبش مبتسما بوجه نزيله

(٢) من قصيدة في ديوانه : ٤٤٥ عنوانها (السجيا فوق العلم) مطلعها :

علم يعززه من دولة علم
في كل عصر به قد سادت الامم

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الاصل : أجل اردت رجال الدين أنهم .

(٤) النعم : إسبال الشعر حتى يضيق الوجه والقفا ، والمراد هنا

ضيق الطريق .

لكننا القوم ظللوا جامدين على
 ما منه قد وهوه بش ما وهوا
 إذا سلكت السى الإصلاح مسلكه
 فانت في رأيهم بالكفر منهم
 وإن تصادمت بالعادات تشكرها
 فانت في زعمهم بالدين تصطدم
 وإن آيت يرهان فأعجزهم
 لم يحنوا الرد بل من عجزهم شتوا
 وإن نفل لهم قولاً لتقنعهم
 شدوا عليك وردوا قبلكا فهوا
 خلاق كظلام الليل من يرها
 يقل بأمال هذي تشخ الأمم

وفي مطلع قصيدة « حكومة الانتداب » (١) :

أنا بالحكومة والسياسة أعرف
 ألام في تنفيذها وأعنف
 سأقول فيها ما أقول ولم أخف
 من أن يقولوا شاعر متطرف
 هذي حكومتنا وكل شوخها
 كذب وكل صنيعها متكلف
 غشت مظاهرها ومثوثة وجهها
 فجميع ما فيها بهارج زيف (٢)

(١) ديوانه : ٤٦١ .

(٢) الاصل : غشت فواهرها .

وجهان فيها : باطن متستر
 للأجنبي وظاهر متكشف
 والباطن المستور فيه تحكم
 والظاهر المكشوف فيه تصانف
 علكم "ودستور" ومجلس أمة
 كل عن المعنى الصحيح محرف
 أسماء ليس لنا سوى الفاظها
 أما معانيها فليست تعرف

٣٦٣

ومن قصيدة (١) :

أيا زعماء الغرب هل من دلالة
 لديكم على غير الخديعة والكذب
 تقولون إن العصر عصر تمدن
 أمن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب
 ألم تبصروا القتلى تسج دماءها
 على الأرض والجرحى ينون في الحرب
 أفي الحق أم في العلم أن لا يسوءكم
 ويخجلكم شن الإغارة للغصب
 وهل أغلقت هذي العلوم قلوبكم
 بأغذية قذرة من الحجر الصلب
 كذبتهم فإن العصر عصر مطامع
 تقدر أها الأوداج بالصارم العضب

(١) في ديوانه : ٤٧٨ عنوانها (الى الحرب) مطالعها :

الانهض وشمرايها الشرق للحرب وقبل تفرار السيف واسل هوى الكتب

وقال من أخرى (١) :

يقولون إن العصر عصر تمدن
فما باله أمسى عن الحق مژوراً
إلى الله أشكو في السورى جاهلية
يعدون فيها من تمدنهم عصراً
أنتا بشوب العلم تشي تبخشراً
إلى الخير لكن قد تأبطت الشرأ
فلا تلتظ في مدحها متظتقأ
فإن أظهور حلوا فقد أبظت مژأ (٢)

وقال في قصيدته « مظاهر التعصب في عصر المدنية » وقد ألقى
الجنرال غورو المقوض السامي الفرنسي في سورية خطاباً افتخر فيه
بأجداده الذين أوقفوا جذوة الحروب الصليبية (٣) :

وقلت عن الإفرنج قومك إنهم
لأبطال هاتيك المعارك أنسال
فحركت حزناً كان في الشرق ساكناً
وجددت عهداً منه في الشرق أوجال
أسات إلينا بالذي قد ذكرته
من الأمر فاستاءت عصور وأجبال

(١) في ديوانه : ٤٨٢ عنوانها (في طرابلس) مطلعها :
هو النصر معقود برايتنا الحمرا على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
(٢) التلمظ والانماط : تتبع الطعم والتدوق ، والنمطق : ان يصوت
الأكل باللسان عند استطابته الماكول .
(٣) مطلع القصيدة في الديوان ٤٣١ :
رويدك غورو أيها الجنيرال
فقد ألمنا من خطابك اقوال

ذكرت من الحرب الصليبية التي

بها اليوم قد تمنت لقومك آمال
وتلك لعمرى قرحة قد نكاتها
بما قلتها فاهتاج بالشرق بلبال (١)

وقال يصف جرائد الأستانة في عهده (٢) :

ولم يكفها هذا الخلاق وإنما
أطافت بنقص للحقيقة زائد (٣)
فما بين مكذوب عليه وكاذب

وما بين مجحود عليه وجاحد
تري في فروق اليوم قراء صحنها

فريقين من ذي حجة ومعاند (٤)
جدال على مر الجديدين دائم
بتفنيد رأي أو بتزييف ناقد (٥)

وقال فيها :

ولم أر شيئاً كالجرائد عندهم
مبادئه متقوضة بالمقاصد (٦)

- (١) بلبال : الخاطر .
(٢) من قصيدته في ديوانه ٢٢٥ عنوانها (الجرائد) مطلعها :
إذا شئت أن تسري بكافرة الصوى
يدوي بقطريها هزيم الرواعد
(٣) الاصل : لم يكفها .
(٤) فروق (بفتح الفاء) من أسماء القسطنطينية .
(٥) الاصل : أو بتفنيد ناقد .
(٦) في الاصل المخطوط : مبادئها ...

يقولون نحن المصلحون ولم نجد
لهم في المجال القول غير المفسد
وكيف يبين الحق من نقاتهم
وكل له في الحق نقشة مارد

• • •

ومن مقطعاته (١) :

لقتت في عصر الشباب حقائقاً
في الدين تقصر دونها الأفهام
ثم انقضى عصر الشباب وطيبه
فإذا الحقائق كلها أوهاام

• • •

لا يخدمك هتاف القوم بالوطن
فالتقوم في السر غير القوم في العلن (٢)
أجولة الدين رككت من تقاد مها
فاعتاض عنها الوري أجولة الوطن

• • •

ووطن حياتك للمكاره وارقب
كدر الموارد إن صفا لك مشرب (٣)
كل الأماكس الأذاه مظيئة
حتى الساء تدب فيها العقرب

• • •

(١) ديوانه : ٥٠١ .

(٢) مطلع مقطعة من خمسة ابيات في ديوانه : ٥٠٧ .

(٣) مقطعة في ديوانه : ٥٠٧ .

أرى أغنياء الناس كالغني لم يروا

شقاء بني غبراء من كل بائس (١)
كأن الغنى والفقر نور وحنديس

ولم ير من في النور من في الحنادس (٢)

• • •

ما أقبح الجهل يبدي عيب صاحبه

للمناظرين وعن عينيه يخفيه (٣)
كذلك الثوم لم يشسه آكله

والناس تشتم تن الريح من فيه

• • •

وتقع له في معظم قصائده أبيات فيها حكمة وعظة وتعليم :

من ليس يبيكه من أبناء جلدته

بكاؤهم فهو من جنس التسايح (٤)

• • •

وما العلم إلا النور يجلو دجى العسى

ولكن تزيغ العين عند انكساره (٥)

• • •

(١) ديوانه : ٥١٣ بعنوان (الأغنياء والفقراء) .

(٢) الحنديس : الظلام الشديد .

(٣) ديوانه : ٥١٤ بعنوان (الجهل فضاح) .

(٤) من قصيدة في ديوانه : ٢١٣ عنوانها (من ريلات الحرب مطلعها :
مرت تقول لا يا رب خذ روجي كي استريح بدوني من تباريحي

(٥) من قصيدة في ديوانه : ٣٦ عنوانها (معتوك الحياة) مطلعها :
هو الدهر لم يترك مشن غواره على سابق من ليله أو نهاره

وهذه رواية الديوان ، وفي الاصل المخطوط : ولكن تزوغ . . .

وقد اعترف لي ذات يوم أنه أسرف على نفسه في الآستانة خلال
أربع سنين ما كان عليه ان يأتيه في أربعين سنة .

ومما خاطب به المسيحيين (١) :

الستم من القوم الذين علاؤهم

تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان (٢)

تستكم إلى المجد المؤثقل تغليب

كما قد تستكم للمكارم غمان

فلا تنكروا عهد الإخاء وقد آتت

تصافحكم فيه نزار وعدنان (٣)

• • •

نشر الرصافي دروسه في علم الادب ، ووضع في آخريات أيامه
رسائل التعليقات دعا فيها الى التصوف . بل الى أبعد من التصوف .
دعا فيها الى وحدة الوجود ، وادعى أنه هو مذهب أرباب الافكار الحرة
والنفوس الزكية الطاهرة . ولا شك أن معروفاً كان في صدر حياته
متشبعاً بمذهب السلف ، المذهب الذي دعا اليه أستاذه الالوسي ، وفيه
ينظر الى الشريعة بعيون أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن قيم الجوزية ،
لا بعيون المبتدعين بما ليس في شيء من الدين ، بعد أن كان يقول عن

(١) من قصيدة في ديوانه : ٤٧ عنوانها (الدهر والحقيقة) مطلعها :

أخواننا المسيحيين (مطلعها) :

أما آن أن تنسى من القوم أضغان

فبينى على أسس المؤاخاة بيان

وانظر ما ورد أيضاً ص ٢ .

(٢) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية .

(٣) في الديوان : لا تنكروا . وما ابتداء من الاصل المخطوط اقرب

الى الصواب .

فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً
وإن كان بحرأ زاخراً من بحاره

• • •

وما كان كذب القوم في القول وحده

ولكنه في كتبهم والمهارق (١)

وأقبح مئين في الزمان خرافة

تخط بها طرساً يراعة نامق (٢)

شلال على مر الجديدين لم تزل

مغارينا من أمره كالمشارق

• • •

هيتك عن هوائك فما انتهت

ولكن قد فعلت كما انتهت (٣)

فيا نسي عن الشهوات كفي

فأنت عليك يا نسي جيت

وما أمارة بالسوء يوماً

سعت في المتكرات كما سعت

• • •

(١) من قصيدة في ديوانه : ٤٧ عنوانها (الدهر والحقيقة) مطلعها :

أوى الدهر لا يالو بستر الحقائق

إذا افتسر عن صبح تلاه بغاسق

والمهاريق : الصحف تتخذ من حرير ابيض مصغ مصقول تكب

عليها الكتب المخددة كالمعاهدات ونحوها .

(٢) المين : الكذب ، ونمق الكتاب : زينته .

(٣) مطلع مقطعة من خمسة ابيات في ديوانه : ٥٤٢ .

قومه في العراق (١) :

يُرَجَّحُونَ من أهل القبور رجاءهم
ومن يحبل الدبوس أو يضرب الدففا

أصبح يقول بالتعوذات الصوفية ، ولكن لم يجد أنصارا يعتضد بهم ، وكان أنصاره فقط من انعموا قبله بهذه الترهات والباطيل ، ولذلك حق لنا القول : ان الرصافي لم يفلح في الدعوة الى التصوف ، كما ان الزهاوي لم يفلح في دعواه [الى] الفلسفة .

حرفته امواج السياسة المتلاطمة بعد اعلان الدستور العثماني كما قال ، وحالت بينه وبين معالجة الموضوعات الاجتماعية وغيرها مما كان يعالجه من قبل ، وبدا التلون في سياسته مع العرب وفي سياسته مع الترك ، واتخب مرات عضوا في مجلس النواب العثماني عن بغداد ، وعضوا في الندوة العراقية بعد انفصال العراق عن الدولة العثمانية ، ودخلت عليه اموال بددها ، فاشتد به العوز حتى اضطر الى الرحيل الى لبنان ثم الى القدس .

وقال قصيدة من الملولات ، كلها آهين وحزن ومنها (٢) :

ويل لبعداد مما سوف تذكره

عني وعنهما الليالي في الدواوين

١١ اخرييت من قصيدته بعد الدستور في ديوانه : ١١٣ ويشير في هذا البيت الى قوم تركوا التصوف الشرعية الداعية الى السعي والاعتماد على النفس ، ولجؤوا الى الاموات او الى من يحملون الدبابيس ويشربون الدفوف والمزاهر .

١٢ من قصيدة في ديوانه : ٤٢٦ : عنوانها (بعد النزوح) مطلعها : هي المرائن ادنياها ونقصيني مثل الحوادث ابلوها وتبلييني

لقد سقيت بفيض الدمع اُرُّ بُعْهًا
على جوانب وادٍ ليس يسقيني
ما كنت احسب اني مذ بكيت بها
قومي بكيت على مَنْ سوف يبكيها
ومنها :

أفي المروءة أن يعتز جاهلها
وأن أكون بها في قبضة التهور
وأن يعيش بها الطرطور ذا شم
وأن أسام بعيشي جدع غير نين (١)
تالله ما كان هذا قط من شبي
ولا الحياة على النكراء من ديني
ولست أبذل عرضي كي أعيش به
ولو تآدمت زقنوما بغسلين (٢)

ما كنت احسب بغداداً تحلكتني
عن ماء دجلتها يوماً وتظئيني (٣)
تالله ما ضاع حقي هكذا أبداً
لو كنت من عجم صهب العتائين (٤)

(١) العرينين : الانف ، وجدعه : قطعه .

(٢) تادم : اتخذ الإدام ، والزقوم : شجرة يطعم منها أهل النار ، والغسلين : ما يسيل من اجسام أهل النار من صديد ونحوه .

(٣) تحلكتني : تمنعني وتطرديني .

(٤) العثون : اللحية ، او ما ثبت على الذقن وتحتة ، والصهب (بفتح الصاد والهاء) حمرة او شقرة في الشعر .

علام أمكث في بغداد مصطبراً
على الضراعة في بجوحة الهون
لأجلن إلى بيروت متسبي
لعمل بيروت بعد اليوم تهديني
خابت ببغداد آمال أوامها
فهل تخيب إذا استذرت بصنين^(١)

وفي هذه الفترة من حياته احتاج إلى نجدة بعض أرباب الأريحية في الشام ، واحتاج إلى أمثالهم في العراق فتقدموا وربطوا له رواتب من صناديقهم الخاصة ، وهو بذلك قد يضطره تطلب بسط الأيدي بالعتاء إلى المبالغة في مديحهم ، واختلاق صفات ليست لهم .

أرسل إليّ في آخر أيامه قصيدة في مدحي قال أنها وجدها بينا كان يفتس أوراقه . والقصيدة نظماً أيام كان شاباً يرأسل « المقتبس » فأعدتها إليه شاكراً وقلت له في الاعتذار : أنا لا أحب أن أمدح ، وإذا كان لي صفات قليلة تخولني المديح فمدحي يحوم حول دوري الأخير بأعالي العلية . فساء هذا وشكاني إلى صديقه وصديقي العلامة طه الراوي ، فأعطاني الحق دونه ولامه على اهسالة ، ولو كان يتوقع مني فائدة لكنت لي في ديوانه قصائد . أما أنا فكنت أنني [علي]^(٢) الشعراء وأنشطهم حتى يأتوا من شعرهم ما ينسنا شعراء الإسفاف والمناسبات ، وليحصروه في نطاق تستفيد منه الأمة كما استفادت من

(١) صنين : اسم جبل في لبنان .

(٢) ليست في الأصل . وزدناها لتستقيم العبارة ، وكان المؤلف قد وضعها بدلاً من عبارة (امدح) ولكنه سها على ما يبدو عن كتابة كلمة (علي) .

شعر معروف وشعر الزهاوي وشعر حافظ وشوقي والبارودي ومطران
وصبري .

قيل : إن للرصافي أشعاراً بديهة في المجون برز فيها على ابن الحجاج^(١) وغيره من شعراء الخلاعة الاقدمين ، وقد طرحه ولم يدونه فأحسن ، لأنه يضر بالعقول والتربية ، وهو الذي نادى طول حياته باستعمال العقل وتحسين الملكات . وربما كان ما قاله في ثورة الشباب فتحامى نشره لما قدّر مضرتة . وإذا كان الرصافي جرؤ على استعمال حرية في الحكم على الأديان وعلى النظم الاجتماعية والسياسة ، فإنه لا يملك حرية افساد الاخلاق ، وتحجيب المجون إلى الناس ، وهم غير محتاجين إلى شعره في هذا الباب .

الرصافي أجاد كل الإجادة في تنوع موضوعات شعره لولا هذه الاماديح التي دار عليها موضوع الشعر العربي منذ عرف ، وشعره سهل جزل تشربه حتى نفوس من لم يدرسوا الادب كثيراً . وهو في شعره يسير مع أكبر الشعراء ان لم يفقههم ، وكأته في شعره ينثر ، وان كان في نشره وكتابته دون شعره . وعهدي طويل بانثر الرصافي من أدبه في النشر ، فلذلك لا يستقيم حكسي عليه في هذا المعنى . أما شعره فقد كان رجال الادب يجمعون على جزالته وسلاسته ، وما يتدفق منه من الافكار الصائبة في الاصلاح واثارة العقول وتربية الوطنية .



(١) هو حسين بن احمد . . . بن الحجاج ، شاعر فحل ، أمير الفحش ، يضرب به المثل في السخف والمداعبة والاهاجي ، وهو من كتاب العصر البويهي ، توفي سنة ٣٩١ هـ ، ١٠٠١ م .

يعقوب صروف *

١٢٦٨ - ١٣٤٦ هـ

١٨٥٢ - ١٩٢٧ م

بعد فترة سنة ١٨٦٠ في الشام قويت عزيمته أصحاب الارساليات
الدينية في العرب على نشر مذاهبها في هذه الديار ، وتنافس دعاة
الكثلكة مع دعاة البرتستانتية ، فأسسوا مدارس مختلفة الصبغات
والدرجات في الساحل الشامي ، ولا سيما في جبل لبنان ، وجعلوا
بيروت ميدان المناقشات المذهبية ، فاستفاد السياسيون اللبنانيون من
ذلك ثقافة جديدة ، وأحكسوا من اللغات العربية الفرنسية والانكليزية .
ومن أعظم المدارس التي كان لها الاثر العظيم في هذه النهضة الجديدة
كلية الاميركان في بيروت ، وهي التي دعيت بعد الجامعة الاميركية
الانجليزية ، فإنها ، الى عنايتها بنشر البرتستانتية ، عنت أيضا بالعلوم
والآداب ، وعلت لأول نشأتها العلوم بالعربية ، فتخرجت فيها طائفة من

نشرت هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٧
من ٣ وترجمته في الاعلام ١٩/٢٦٦ . معجم المؤلفين ١٣/٢٥١ . اعلام
الصحافة العربية من ٩١ لبراهيم عبده ، معجم المطبوعات : ١٢٠٦ . تاريخ
الادب العربي للفاخوري : ١١٢٥ . رجال شرفتهم : ١١٥ . ونقل الزركلي
في الاعلام عن جريدة « اخبار اليوم » المصرية انه اول من دعا الى الاشتراكية
في مصر ، وأول من شرحها للناس ، وطالب الجماهير والحكومات بالاحد
بها . وجوه شرقية وغربية : ١١٥ ، مرآة العصر ٤٤٥ .
وهو يعقوب بن تقولا صروف الدمشقي الاصل . الحموي المنبت .

الشبان الاذكياء ، كان بعضهم فخرا للشام ، ومن جيلتهم يعقوب
صروف .

ولد هذا العالم يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ (مات يوم ٩ تموز ١٩٢٧ م)
في قرية الحدّث (١) من أبوين فقيرين . قيل إن جده كان من أصل
رومي ، وأن الدم العربي قليل في دمه . ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم
في مدرسة سوق العرب البرتستانتية (٢) ، ثم انتقل الى مدرسة عيية
الاميركية . وكفله الاميركان وأخذوا بيده ، فظهر ذكاؤه واجتهاده ، ونال
شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت في سنة ١٨٧٠
ودرّس بعد ذلك سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين ،
وبعدها دغته الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية
والكيمياوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة .

وبدا له خلال التدريس مع تربه فارس نسر أن ينشئ مجلة تبحث
في العلوم المادية ، فاستشارا أستاذها العلامة الدكتور كرنيليوس فاندليك
الاميركاني (٣) صاحب الايادي البيض على العلم والعرب فشجعها على
عملها وسمى مجلتهما « المقتطف » وبدأ يؤازر فيها وينظر فيها يترجمان
ويؤلفان . وصدر « المقتطف » في أول أيار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم
رأيا الانتقال الى مصر ، وأنشأ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية
يومية سميها « المقطّم » تناصر الاحتلال الانجليزي ، وظلّ على
اصدار « المقتطف » و « المقطّم » .

وتقاسم الشريكان العمل ، فانفرد الدكتور نسر بالمقطّم السياسي ،

(١) القرية من بيروت .

(٢) سوق الغرب احدى بلدان جبل لبنان شرقي بيروت .

(٣) انظر ترجمة له ص ٣١١ الترجمة ٣١ .

وانقطع الدكتور صروف لانشاء المقتطف . وينظر صروف أيضا في
المسودات الاخيرة من المقظم ، ولا ينظر نشره في المقتطف قبل نشره ،
وكثيرا ما كان صروف يحذف من المقظم اشياء لاتخلو من مجازفات لا
تتفق مع اعتداله وتفعله ويتحاشى من عواطف المصريين .

وامترح الشريكان حتى كأنها شخص واحد ، فأثريا من معاونة
الانكليز ، ونال المسائر بالجريدة السياسية منها الحظ الاكبر من
مغانمها ما لم يوفق الى مثله أحد من أرباب الاقلام .

وما زال المقتطف ، بفضل منشئه ، يدأب على السير في الخطة التي
رست له ، وجل اعتاده في مادته على المصادر الانكليزية ، يقرب
العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان
الجمهور ، حتى كان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول ،
ومشعلا من نور الغرب يشع بين أبناء هذا الشرق .

وكثير من لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم في المدارس
تلقوها من طريق المقتطف ، ذلك لأن منشئه كان يتوخى السلامة في
التعبير ، ولا ينشر ما يتعب ذهن القارئ ، ويحبب اليه المطالعة . وأذكر
أن أحد معارفي أرسل الي من دمشق بقالة منسقة العبارة . قليلة المعاني ،
وأرادني على ان ادفعها لصاحب المقتطف للنشر ، فنامت عنده حتى فرغ
صيركاتها فأوعز الي بالبحث عما آلت اليه حال مقالته ، فقال لي
صروف : اني اعتدت أن ادفع مقالات المؤازرين الي ابنتي لتقرأها ، فإذا
فهمتها أنشرها ، واعتقد ان القراء يتذوقونها ، وإلا فلا ، ومقالة صاحبك
عبارة عن الغاز ومعينات لم أدرك ما يريد أن يقول ، فبالطبع
على تلك النسبة يكون فهم القراء . وهذا ما حال دون طبعتها .

رُزق صروف رشاقة في بياته ، لا يتكلف فيه ولا يتصنع ، ومهر
في بسط المعاني لقرائه ، وكان من تدرسه في صباه سنين كثيرة عامل مهم
لإدراك حاجة المتعلم والمستمع والقارئ ، ساعده على افهام قرائه وتقريب
الابحاث العلمية من الالذهان بها كانت درجة معرفة المطالع ، وهذه ميزة
فيه قلما داناها فيها أحد ممن أنشؤوا مجالات خاضت الابحاث التي
خاضها أو ما يسائلها . والسر في نجاحه أنه أتقن العربية والانكليزية ،
وأقن العلوم التي توخى نشرها ، وتخرج بعظيم أفاده علما وتديريا .

كان المترجم له يقرأ المقالة الطويلة بالانكليزية فينقلها الى العربية ،
أو يحتذيها ، أو يأخذ بعض معانيها ، وذلك باختصار لا غبار عليه .
يزينها بنا يوضحها ويحليها في العين والذوق . . وكان حسن الاختيار
فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، لا يخوض أبحاثا لم يقع له أن ذاق منها ولو
لمأظات خفيفة ، وإذا اضطر الى أن يعالج موضوعات لم تسبق له تبدو
مقاتله ويظهر ضعفه . عُدَّ عليه هذا في بعض ما كتب وترجم . والتعرب
في مجلته أبدا أكثر من التأليف . وأكثر المقالات المصنفة كانت من أقلام
مؤازريه . ومن قرأ أجزاء المقتطف يسقط فيها على ملخص آراء العلماء
من الانكليز والاميركيين في العلوم وعلى مقالات جادت بها أقلام بعض
أدباء تلك الحقبة من الشاميين والمصريين وغيرهم . ويدرك أن صاحب
هذه الصحيفة كان يسير بها على سنة الترقى ، تزيد كل سنة مادته ،
وتزيد معها معارف قرائه .

ولما كان له من موضوعاته ما لا يستيفه عامة المطالعين في ذلك
الدهر ، ومنها ما يسس الاديان والتقاليد في الاحياء كن منشئها يلتزم
الحياد على الاكثر ، فينقل ويعزو ما ينقل الى مصادر معينة ، ويتسرك
المجال للقارئ ، حتى يفكر بنفسه فيما يتلو ويتدبر . وكان يتعمد ما

أمكن ، الابتعاد عن مزج القديم بالحديث . وما كان ممن يحسن الظن
بمدنية العرب لتسببه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، وساء حكمه
على تلك المدينة بما أبت بيئته الأولى في نفسه من التبرم بحال من شاهد
من أهلها . ومع هذا تشر لمؤازريه أبحاثا مهمة بدون تعليق عليها إلا في
أمور لا تحتلها حوصلته . ويعتقد هو خلافا بحسب ما هداه إليه عمله .
ثم قد تظنره العاطفة الى أن ينوء بمن لا يستحقون التنويه ، فيترجم
لهم ، ويلق لهم أديبا ، ويرغم لهم فضائل ، ويعقل عن ترجمة من لم يشاركوه
في سياسته ، أو من نقدوه وآذوه في نقدهم من علماء العصر وغيرهم .
على أن التسامح العلي باد على أكثر ما كان ينشر ، ولا يحل عطفه
على بعض من حاول رفعهم إلا على خلق تخلقت به بعض الطوائف في
هذا الشرق القريب . فإن الطائفة القليلة العدد تتسلك وتتساند أمام
الطوائف الكبرى ، وبعبارة أصرح انه أصبح من طبيعة المسيحيين فسي
ديارنا أن يسك بعضهم بأيدي بعض ، وينوهوا بأديبائهم ورجالهم ،
ويلفقوا لهم مزايا ، ويخيلوا لهم درجات يرفعونهم إليها . وقد يعد هذا
العمل من باب التشييط اذا لم يعث بالحقيقة .

ومن طالع مجلة المشرق وما كتبه أصحابها من أبناء الرهبانية
اليسوعية في التنويه بأبناء طائفتهم من الباباويين يدهش من هذه الجراءة
على التصنيع والمصانعة . ولو حاول مؤرخ معتدل أن يرد الى الصواب
ما نقلوه ودونوه في أبناء الكاثوليك والموارنة لاقتضى له أن يحذف
منه تسعة أعشاره ، ذلك لانهم خلقوا لمن أرادوا تزيين صورهم شعرا ونثرا
وتأليف وخطبا لو كان هناك انصاف لما قوبلت بغير الطرح في سلة
المهلات ، وقالوا عما نثروا انها كتب وأسفار وأباغوها من عامتهم ،
ونثروها لتأييد دعوتهم فكانت سبة على العرب والعربية ، وعارا على
الحقائق التاريخية .

ففتح «المقتطف» صدره للمناقشات في العقد الاول من حياته ، فنصح
فائديك لمنشئيه بالعدول عنها ، وأثبت له نصيحتة في مجلد السنة الثامنة ،
وقللا بعد ذلك من الاخذ والرد على الاجزاء التالية ، وشغلا صفحاتها
بالمفيد من الابحاث مجردة عن المساحكات ، وراعى المقتطف ذوق الكثرة
الغامرة من قرائه ، وما لا يعود عليه بضرر في تجارته العلمية . ومن مزج
العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة بابا للعلم قد
ينجح في الاعم من حالاته .

وقد اضطر «المقتطف» في الربع الاخير من عمره أن يجاري بعض ٦-٤
المجلات في نشر الابحاث الادبية ، فأجاد في بعض رواياته المترجمة ، ولم
يجد في المختارات الادبية ، فجاء من «المقتطف» صحيفة عامة تبحث في
أمور كثيرة ، ولا تشهد عليها مسحة مجلات الاختصاصيين التي تنصرف
الى علم أو علوم لا تتعدها فتطيل فيها وتتوسع ماشاءت وشاءت أغراضها .
وللسقتطف عذره في ذلك ما دام أهل الإخفاء (١) في الشرق لا يعيشون
من أعلامهم ، وما عم العلم بيننا حتى يخص . ومن كان غرضه تعميم
المعارف بين قرائه كافة ، وإرضائهم على اختلاف أهوائهم وشهواتهم
الادبية لا بد أن يسقط ولو قليلا فيا يدعوهم الخاصة لغوا أو حشوا .
وقد قال لنا منشئه يوما في الكلام على مجلتنا «المقتبس» إننا نلؤها
بالدسم فوق اللازم ، فالأشبه بنا أن نضنها ما تتحض به النفوس
ليشتد قمرها الى العلم .

لا جرم أن المقتطف كان مدة نصف قرن مباءة لنشر الافكار
والعلوم وكان الفضل له بأن حمل زمرة صالحة من رجال النهضة العربية
من أواخر القرن الماضي على البحث والدرس والنشر . وطال عمر مجلته

(١) في القاموس المحيط : اخصى : تعلم علما واحدا .

العاملين نبوغ مثله . رفعة علمه وأدبه ، ورفع هو كثيرين من حلة
الاقلام ، وأرشدتهم وهداهم الى البحث على الطرق العلمية الجديدة ،
وكان أيضا من حلة من لهم فضل عظيم على كاتب هذه السطور بعطفه
عليه وتنويهه به ، وما أخلاه في بداءة عمله من ملاحظاته الرشيدة
وآرائه السديدة . رحمة الله وأجزل ثوابه (١) .



(١) وترجم كتاب (سر النجاح) للدكتور سميلز ، طبعه في بيروت
سنة ١٨٨٠ ثم في مصر ١٨٨٥ وزاد عليه أكثر من ثلثه في الامثال والحكم
والسواهد وترجمة كثيرين من عظماء الشرق من المتقدمين والمحدثين كما
عرب مع زميله الدكتور فارس نمر كتاب (سير الابطال والقدماء العظماء) .

فدعت شيخة المجالات العربية ، وقد سار منشئه فيه بروح الزمن فكانت
مباحته علمية صناعية لأول أمره . ثم أخذ ينغم بأبحاث عربية وما يستهوي
العامة الى مطالعته ، خصوصا عندما انبعثت شعلة الآداب من مصر ،
ونبع من المصريين علماء وأدباء أرقى كعبا ممن تخرجوا في مدارس
المسلمين في الشام ومصر . ذلك لأن الافراد الذين امتازوا من أهل مصر
أخصوا في العلوم ، وأنقصوا العربية ، ومرنوا على الكتابة والترجمة ،
وجهور من درسوا في مدارس المسلمين من المبشرين درسوا أمورا
كلية قصدوا بها تلقف اللغات الاجنبية وقصدتهم الاول التجارة ، وما
عنوا العناية المطلوبة باللغة العربية وآدابها .

ولصروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية
والاسماء الفنية ، تناقلتها الاقلام ، ودخلت في الكتب العلمية الحديثة
الترجمة . وله طريقة في النقل من اللغات الاجنبية جدا لو يسير النقلة
عليها . لانها زبدة تجارب سنين طويلة ، وهي من خير الطرق في النقل و
الاحتذاء . وقد تجلت في شخصه أخلاق العلماء العصامين ، فهضم
ما تعلم . وعلم ما علم ، فرزق الحظوة بما كتب وعرب ، وكثر أحبابه
والمعجبون بنضائه وحزمه من جميع الطبقات والنحل ، واحتفلت مصر
بعيد « المقتطف » الحسيني . فأظهر خاصة العرب ما تكنه قلوبهم من
الحرمة لهذه المجلة وصاحبها . وان واحدا وسبعين مجلدا كتبها صروف
في احدى وخسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية
والرياضية والاقتصادية ، تخلد بين العالمين ذكره ، وتضعه في الصف
الاول بين الرعيل الذي حصل قبس العلم والادب الى عقول العرب في
العهد الحديث ، ولقد كان مثال العامل الشيط الى آخر أيامه ، يلذّه
علمه ويتعمقه ، لذلك أكبر العقلاء المنصية به يوم وفاته . وعده العرب
ركنا عظيما من أركان نهضتهم تداعى وهوى ، ورجلا قل في الرجال

يوجين غريفيني *

GRIFFINI , EUGENIO

١٨٧٦ - ١٩٢٥ م

من علماء المشرقيات المستعربين ، من الطليان . ولد في ميلانو سنة ١٨٧٦ ، وكان يسيل منذ صباه الى اللغة العربية ، فدرسها أولا من دون معلم ، ثم دخل المعهد الشرقي في نابولي ، ونال اجازة بالعربية ، ثم درس الفقه في معهد جانوا ، وسافر بعدها الى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر ، وبعد عودته من سياحته عين أستاذا للعربية في مدرسة فلورنسا الكلية ، غير أنه فضل الإقامة في الشرق ، وسكن مصر ، فعهد اليه الملك فؤاد الاول بترتيب خزائنه الخاصة .

واتفق أن اقتنى تاجر ايطالي في صنعاء اليمن مخطوطات عربية باعها من خزانه الامبروزيانا في ميلانو ، فوضع لها غريفيني فهرسا مستوفى على عادة المستعربين من الاوربيين في وصف الكتب وتقريب طرق الاتقاع بها على المشتغلين وكان من كتبها مجسوع في الفقه منسوب الى زيد بن علي فطبعه وزعم أنه أول كتاب وضع في الفقه ، ورد عليه العلماء لأن أكثر رواياته أو كلها نقلت عن أبي خالد الواسطي ، وهو غير

* ترجمته في « المشرقون » : ٢٧٠ ، وولادته فيه سنة ١٨٧٨ م والاعلام ج ١/٢٧٣ وانظر معجم المطبوعات ، ٤٠٩ ، ٩٨٤ ، ومجلة المجمع مجلد ١ ص ٥٢ ، ١٢٦ ، ٢٨٢/٥ .

ثقة . ولعله كان مما وضعه علماء الزيدية . وعلى كل فني الكتاب فوائد كثيرة في الفقه الزيدي . وهذا لا يقدرح في فضل ناشر الكتاب .

وكان جل اعتساده في التأليف على جزائره المرتبة على الموضوعات ، جعلها في مغلقات خاصة معنونة باسم كل موضوع . فإذا أراد بحثا يرجع الى المغلف الخاص فتجتمتع لديه في الحال المادة اللازمة لمقالة يريد كتابتها . وقد أخذ عنه عشاق الآداب من المصريين طريقتة في وضع جزائره وبطاقاته ، ومنهم صاحب هذا التاريخ .

وتأليف المترجم له كثيرة ، منها كتاب صغير في اللغة الدارجة في طرابلس الغرب ، وهو يحتوي على قاموس ايطالي وعربي . وفي أوله نبذة من قواعد هذه اللهجة .

وعني المترجم بتاريخ علم الفلك عند العرب وبيعض شعرائهم المشهورين ، ونشر ديوان الاخطل ، وقصيدة منسوبة الى امرئ القيس ، وقصيدة قندم بن قادم^(١) ، وقصيدة الاعشى المعروفة بـ « ما البكاء »^(٢) .

وعني أيضا بالعلم ، بأصول التشريع العام وتاريخه في العالم وعند كل أمة ، وذكر أول من جمع فيه من أهل الكتاب ، في الشرق من العرب

(١) ولي من اولياء اليمن ، وتبع من التبابعة تنسب اليه قصيدة نشرها هذا المستشرق وعلق عليها شرحا لغويا واتريا مطولا باللغة الإيطالية . واتبعها بأخبار تتعلق بقبر هذا الولي (مجلة المجمع ١/٥٢) وذكره عبد القادر المغربي في مقال له بعنوان (فصحاء الاعراب) في مناقشة اوردها جرت بين ابي عكرمة الضبي والمبرد (مجلة المجمع المجلد ٩ ص ١١٧) .

(٢) هي اول قصيدة في ديوانه مطلعها :
ما بكاء الكبير بالاطلال
وسؤالي فهل ترد سؤالي
وهي التي مدح بها الاعشى الكبير ميمون بن قيس (ت ٧ هـ ٦٢٩ م)
الاسود بن مندر اللخمي وتعد خمسة وسبعين بيتا .

يوسف هوروفيتز *

HOROVITZ , JOSEPH

١٨٧٤ - ١٩٣١

يوسف هوروفيتز ولد في سنة ١٨٧٨ في ليزيغ في ألمانيا . وبعد أن اخذ العلوم الشرقية في جامعتي ماربورغ وبرلين حاز لقب دكتور في الفلسفة من كلية برلين سنة ١٨٩٨ ، وفي سنة ١٩٠٢ انضم الى جماعة جامعة برلين . وبعد أن أقام في بعض بلاد الشرق القريب نحو سنة تقلد كرسي مدرس الآداب العربية في جامعة علي كره في الهند . وبعد رجوعه الى وطنه أوائل سنة ١٩١٥ عين أستاذ الآلسنة السامية في جامعة فرنكفورت .

ومن تأليفه ما جعله كتباً مستقلة، وما نشره في المجلات العلمية، وأكثر أبحاثه في موضوعات اسلامية ، كبحث في إسرائ الرسول ، والجنة في القرآن ، والأبحاث القرآنية ، والأشعار التي قيلت في الرسول . ونشر كتاب « الهاشميات » للكثير (١) مع ترجمة ألمانية . وصحح الجزء الاول من المجلد الثاني ، والجزء الثاني من المجلد الثالث من كتاب

* ترجمته في (المستشرقون) : ٧٤٣ ومنه اخذنا تاريخي الولادة والوقاة والاول منهما مخالفا لما أورده المؤلف وانظر معجم المطبوعات : ١٥٧ .
(١) يشتمل على جملة قصائد في مدح بني هاشم وآل البيت ، والكثير هر ابن زيد الاسدي (٦٠ - ١٢٦) هـ . اشهر بالتشيع لبني هاشم .

المسلمين أو المسيحيين والسرمان والارمن ويهود العراق ويهود سورية ، أو من الطوائف وأصحاب الديانات الآسيوية والإفريقية . بدأ بحثه من القرن الثالث للميلاد أي من عهد مجموع القوانين الرومانية ، واستتج من مجموع هذه الشرائع أنها كلها جاءت من أصل واحد يتشى عمده في القدم مع تاريخ البشر ، وهي مستقلة بعضها عن بعض من حيث العقائد والأحكام والاصول والتروع ، ذاهبا الى أنه ليس في الدنيا الا بشر واحد ومدنية واحدة وحق واحد وعلم واحد . . ولا اختلاف الا في أساء الاجناس والقبائل والاطنان والاديان .

ونشر غريفي كتاب « لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية » للامير عثمان بن ابراهيم النابلسي من أهل القرن السابع (١) . الى غير ذلك ما نشره بالعربية والاطالية .

اتصلت به مدة في القاهرة فرأيت فيه ساحة العلماء ونعومة المتدنين ، وكان من الرجال الذين وقتوا أنفسهم على خدمة المشتغلين بالآداب من قومه ومن العرب الذين أحبهم وأحب لسانهم .

ولما أنشأت المجمع العلمي العربي ، وكان يومئذ أستاذ العربية في جامعة ميلانو بعث الي بقول : « أملي عظيم بأن تكون هذه النهضة مبدأ توزيع العدل والمعارف النافعة بين أمم البحر المتوسط وفقا لمبادئ الحق والحرية ، حرية الامم والاطنان ، وأن تكون نهضتكم الادبية والعلمية فجر عهد جديد في العالم العربي الاسلامي ، فجر عهد الاحرار في بلادهم ، والكرماء مع ضيوفهم » .

★ ★ ★

(١) من امراء الدولة الايوبية ، تولى النظر في الدواوين المصرية بأمر السلطان نجم الدين ايوب وكان حيا سنة ٦٢٢ هـ ، ١٢٣٥ م (معجم المؤلفين ٢٤٩/٦) .

الفهرست

زنجيا

« الطبقات الكبرى » لابن سعد . وله غير ذلك من الأبحاث الإسلامية
باللغة « (١) » .

★ ★ ★

(١) ذكرت كلها في « المستشرقون » .

المترجمون

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
١	١	ابراهيم الحوراني
١١	٢	ابراهيم اليازجي
٣١	٣	احمد الاسكندري
٣٧	٤	احمد تيسور
٤٨	٥	احمد زكي
٥٩	٦	احمد شوقي
٩٥	٧	احمد فتحي زغلول
١٠١	٨	احمد كمال
١٠٤	٩	ادوار براون
١٠٨	١٠	ادوار موتيه
١١١	١١	اسماعيل صبري
١٣٢	١٢	اجناس كولد صهر
١٣٧	١٣	امين المعلوف
١٣٩	١٤	أنستاس الكرملي
١٤٣	١٥	جرجي زيدان
١٤٧	١٦	جميل صدقي الزهاوي
١٦٢	١٧	حافظ ابراهيم
٢١٠	١٨	حسين والي
٢١٣	١٩	خليل مطران

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
٤٣٤	٤٣	مصطفى عبد الرازق
٤٤٠	٤٤	معروف الرصافي
٤٦٨	٤٥	يعقوب صروف
٤٧٦	٤٦	يوجين غريفيني
٤٧٩	٤٧	يوسف هوروفيتز

* * *

الصفحة	رقم الترجمة	الاسم
٢٢٤	٢٠	رفيق العظم
٢٢٩	٢١	سعيد الشرتوني
٢٣٥	٢٢	سليمان البستاني
٢٤١	٢٣	شلي شيل
٢٤٨	٢٤	شكيب أرسلان
٢٦٨	٢٥	طاهر الجزائري
٢٧٩	٢٦	عبد الرحمن الكواكبي
٢٨٥	٢٧	عمر طوسون
٢٩٠	٢٨	قاسم أمين
٢٩٨	٢٩	كارلو فلينو
٣٠٧	٣٠	كليبات هوار
٣١١	٣١	كورنيليوس فاندريك
٣١٧	٣٢	لويس شيخو
٣٢٢	٣٣	ليون كاتاني
٣٢٧	٣٤	مارتين هوتسا
٣٢٩	٣٥	محجوب ثابت
٣٣٤	٣٦	محمد رشيد رضا
٣٣٨	٣٧	محمد بن ابي شنب
٣٤٣	٣٨	محمد عبده
٣٦٧	٣٩	محمد المبارك
٣٧٣	٤٠	محمد مصطفى المراغي
٣٨٩	٤١	محمود سامي البارودي
٤٢٧	٤٢	محمود شكري الالوسي

الاعلام

(٢)

- اسين بلاسيوس : ٢٢٦
 ابراهيم الاحدب : ٢٢٤
 ابراهيم باشا : ٢٨٩ ، ٥٩
 ابراهيم الحوراني : ٢٢٤ ، ١
 ابراهيم الصفدي : ٢٧٩
 ابراهيم فهمي : ١٦٢
 ابراهيم المويلحي : ١٧٠
 ابراهيم بن هلال الصايغ : ٢٥٧
 ابراهيم اليازجي : ٢١٣ ، ١١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٩
 الايبوردي : ٤٢٣
 اجناس كولد صهر : ١٣٢
 احمد (الرسول) = محمد عبد الله
 احمد ابراهيم : ١٧٠
 احمد الاسكندري : ١٧٠ ، ١٤٥
 احمد ابو خطوة : ١٩٩ ، ٢٠٠
 احمد تيمور : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨
 احمد زكي : ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ١٣٤ ، ١٧٠
 احمد بن حنبل : ٢٢٣ ، ٢٣١
 احمد شفيق : ٥٤
 احمد شوقي : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٩
 ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧
 ١٧٧ - ١٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٣١
 ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣٣٤ ، ٤٦٧
 احمد عباس : ٢٢٤
- احمد عرابي : ٣٥٠
 احمد فارس الشدياق : ١٦ ، ٢٩
 احمد فتحى زغلول : ١٠٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥
 احمد كرد علي : ٢٨٨
 احمد الكواكبي : ٢٧٩
 احمد نامي : ٢٥٨
 ادوار لامبير : ٤٣٥
 الارجاني : ٤٢٣
 بنو اسد : ٢٣٦
 اسكندر : ١٢١
 اسكندر دوماس : ٣٦١
 اسماعيل (الخديوي) : ١٦٩ ، ٣٥٣
 اسماعيل صبري : ١٢٩ ، ٣٨٩ ، ٤٦٧
 الاشعوني : ٢١٠
 الاغشى : ٤٧٧
 الكندرة افيريويه : ١٢٠
 امام العبد : ٢٠٥ ، ٢٠٦
 امرؤ القيس : ١٢٨ ، ٤٧٧
 امين ارسلان : ٢٦٣
 امين الرافعي : ٤٠
 امين شميل : ٢٤١
 اناطول فرانس : ١٧٢ ، ٢٣٧
 الانبائي : ٢١٠
 انتاس الكرملي : ٤٢٣ ، ٤٢٢

انطون الجميل : ١٢٣

اوترخت : ٣٢٨

(ب)

بايان : ١٤٨

ابن باجه : ٣٧٤

باربيه دي مينار : ١٤

باسه : ٣٤١

بالمر : ١٠٤

البحثري : ٦٤ ، ٣٨٩ ، ٤٢٣

٤٢٤

البحيري : ٣٥٥

بديع الزمان الهمداني : ٢٣ ، ٣٦٩

برتول : ٣٠٥

بشار بن برد : ٤٢٣

بشارة زلزل : ١٣

بشر بن غياث المريسي : ١٥١

بطرس البستاني : ٢٩ ، ١٤٢

١٧٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣١٢

بطرس غالي : ٦٦ ، ١٢٧ ، ٢٠١ ، ٤٢٥

بطرس ميخائيل عواد = انتاس

الكرملي

بنيامين جبه : ١٠٤

بهشت حور : ٢٨٥

بوزع : ١٨٠

البيروني : ٣٧٤

(٥)

تغلب (قبيلة) : ٤٦٣

ابو تمام : ٣٨٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤

تمراز (جارية) : ٥٩

توفيق (الخديوي) : ٥٩ ، ٦٠ ، ٣٥٠ - ٣٥٢

٣٥٢ - ٣٥٠

توفيق البكري : ١٧٠

ابن ليمية : ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٤٢٨ ، ٤٦٣

٤٦٣

(ج)

الجاحظ : ١٥١ ، ٣٧٤

جب ، جيمز : ١٠٦

جمال الدين الافغاني : ٢٢٧ ، ٣٤٨

٣٥٩ ، ٣٥١

جميل صدقي الزهاوي : ٤٦٦ ، ٤٦٧

٤٦٧

جميل باشا : ٢٨٠

جنيحة : ٣٤٣

جويلو : ٤٣٥

جويدي : ٣٠٣ ، ٣٠٥

الجزاوي : ٣٤٨

(ح)

حافظ ابراهيم : ٧٠ ، ١١١ ، ١١٢

١٢٢ ، ١٣٠ ، ٢١٥ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠

٤٤١ ، ٤٢٥

ابن الحجاج : ٤٦٧

الحريري : ٥٦ ، ٣٦٩

ابن حزم : ٣٧٤

ابن حسن التاجي : ٣١٢

حسن حني : ٣٨٩

حسن الطويل : ٣٨٠

حسن عاصم : ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢

٤٤١ ، ٤٢٥

حسن عبد الرازق : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٠٢ ، ١٧٠ ، داود بركات :
 ٢٨٧ : الدجوي
 ٢٩٠ : دركور
 ١٣٤ : دربيرغ
 ٢٥٧ ، ٢٤٤ : درويش
 ١٨٠ : دعد
 ٢٤٠ : ابو دلامة
 ١٩٥ : دتلوب
 ١٣١ : دو نوزيو
 ٢٢٧ : ذي خويه
 ٤٣٤ : دير كهنايم

(د)

الرازي : ٢٧٤
 راجب الخالدي : ٢٦٩
 الزياب : ١٨٠
 ربيعة (قبيلة) : ٢٣٦
 ابن رشد : ٣٣٤
 رشيد عطية : ٢٣١
 رضا الشيببي : ٤٤١
 رضوان المخللاتي : ٢٨
 رفيق العظم : ١٤٥ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٨٣
 ابن الرومي : ٤٢٣
 رياض باشا : ٣٤٩
 ربييرا : ٢٧٣ ، ٣٢٦
 ريشر : ٣٠٥
 رينو : ٢٥٦
 رولة (قبيلة) : ٢٣٦

(خ)

ابو خالد الواسطي : ٤٧٦
 ابن الخطيب : ٢٧٤
 ابن خفاجة : ٢٦
 ابن خلدون : ٢٧٤ ، ٢٦
 خليل سعادة : ١٣
 خليل مطران : ١٥ ، ١٢٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٧٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٦٧
 خليل البارجي : ٢١٣ ، ٤٣٤
 الخوارزمي : ٢٣
 خورشيد : ٢٨٠
 ابن الحياض : ٤٢٣

(ذ)

دارون : ٢٤٦
 داود الانطاكي : ٩

(ز)

زكي مبارك : ١٧٢
 ابن زهر : ٣٧٤
 ابن الزيات : ٤٢٣
 زيد بن علي : ٤٧٦
 ابن زيدون : ٦٤

(س)

سانتلانا : ٣٠٥
 ابن سعد : ٤٨٠
 سعد زغلول : ٦١ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٨٩ ، ١٠٠
 سعيد الشرتوني : ١٦
 سبط ابن التعاويدي : ٤٢٣
 سليم البخاري : ٢٢٤
 سليمان البستاني : ٢٠٢
 ابن سنان الخفاجي : ٤٢٣
 السيد البدوي : ٢٠٣ ، ٢٠٤
 سيدليو : ٣٠٩
 ابن سيده : ٣٥٥
 ابن سينا : ٩٢ ، ٣٧٤

(ش)

شبلي شميل : ١٧٠ ، ٢٢٢
 شبلي النعماني : ١٤٥
 الشريمي : ٤٣٤
 الشريف الرضي : ١٢٥ ، ٣٨٩
 شكبير : ١٣١
 شكيب ارسلان : ١٦
 شمر (قبيلة) : ٢٣٦ ، ٤٤٠

(ص)

الصاحب بن عباد : ٢٣
 صردر : ٤٢٣
 صفى الدين الحلبي : ٣٦
 صلاح الدين الايوبي : ٨١ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٦٢

(ط)

طاهر الجزائري : ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٧٢
 طرفة : ٣١٨
 طاهر الجزائري : ٢٨ ، ٤٣ ، ٤٩
 ١٣٢ - ١٣٤
 الطالقاني : ١٥١
 طه : ٦٧
 طه الراوي : ٤٦٦
 الطفراني : ٤٢٣

(ظ)

الظواهري : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٤٣٦

(ع)

عائشة التيمورية : ٢٧
 عائشة : ٣٣٧
 عالي سميت : ٣١٣
 عباس القصاب : ٤٤٠
 عباس (الخديوي) : ٥٨ ، ٦١ ، ٧١٠
 ٩١ ، ١٦٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣
 العباس بن الاحنف : ٤٢٣
 عباس محمود العقاد : ١٢٩ ، ٤٢٢
 العباسي (شيخ الازهر) : ٣٤٨

ليوتي (مارشال) : ١١٠

(م)

الامون : ٤٠ ، ٥٦ ، ١٤٦ ، ٢٢٧
مارتينو : ٢٤١
مارون عبود : ٢٨ ، ٢٢٠
ماسيه : ٢٤١
مايرهوف : ٣٠٥
المتشي : ٦٤ ، ١٢١ ، ١٩٧ ، ٢٨٩
٤٢٣ ، ٤٢٨
محجوب ثابت : ٩١ ، ٩٢
محمد البسيوني : ٥٦
محمد بهجة الاثري : ٤٣١
محمد بيرم : ١٧٠
محمد الخضري : ٩٦
محمد رشيد رضا : ١٧٠ ، ٢٠٢
محمد سعيد باشا : ٢٨٥
محمد بن سليم الخلواني : ٣٦٨
محمد طوسون : ٢٨٥
محمد عابدين : ٢٣٠
محمد بن عبد الله (الرسول) : ٦٣ ،
٨٨ ، ١٠٩ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٣٤٦ ،
٣٥٤ ، ٤٧٩
محمد عبده : ٢٨ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ،
٦١ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ،
١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ،
٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ، ٣٣٥ ،
٣٣٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،
٣٦٢ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ،
٤٣٤
محمد علي الكبير : ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٩ ،
٦٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٩

(ق)

قاسم امين : ٩٩ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥
قاسم الزهير : ٢٣٥
القاضي الفاضل : ٢٥٧
قاسم القيسي : ٤٤٠
قحطان : ٢٦٠
قدم بن قادم : ٤٧٧
القراغول (عشيرة) : ٤٤٠
قسطنطين نعمم الخوري : ٢٢٠
قيصر : ٢١٨
ابن قيم الجوزية : ٣٣٥ ، ٤٦٣

(ك)

كاظم الكواكبي : ٢٨٣
كايتاني : ٣٠٣
كراتشوفسكي : ٣٢٨
كرنكو : ٣٠٥
كرومر : ١٩٥
كسرى : ٢١٨
كعب : ٢٣٦
الكميت بن زيد الاسدي : ٤٧٩
كيتشنر : ١٦٣
كنانة (قبيلة) : ٢٣٦
الكندي : ٤٣٨
كيتسي : ١٣١

(ل)

بنو لام : ٢٣٦
لامنس : ٣٢٨
لويس شيخو : ٢٨ ، ١٤٥

عبد الحميد (السلطان) : ٦١ ، ٩٠ ،
١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ٢٨١
عبد الخالق ثروة : ٦١ ، ٩٥
عبد الرحمن البستاني : ٢٦٨
عبد الرحمن الرافعي : ٣٢٤ ، ٣٥٠ ،
٤٠٠
عبد الرحمن الداخل : ٦٤
عبد الرحمن الفافقي : ٢٢٧
عبد الرحمن الكواكبي : ١٠ ، ٢٠٢
عبد العزيز آل سعود : ٤٢٨
عبد العزيز البشري : ٢١٠
عبد العزيز جاويش : ١٧٠ ، ٢٢٥
عبد العلي الفيصلي الميداني : ٢٢٩ ،
٢٣٣ ، ٢٦٨
عبد القادر الحسني : ٢٦٧ ، ٢٧٢
عبد الله البستاني : ٢٣٤ ، ٢٤٩
عبد الله زاخر : ١٢
عبد الوهاب التجار : ١٧٠
ابو الفناحية : ٤٢٣
عثمان بن ابراهيم النابلسي : ٤٧٨
عثمان غالب : ١٧٠ ، ٢٠١
عجاج نويض : ٢٥٥
عجمان (قبيلة) : ٢٣٦
عدنان : ٤٦٣
عدوي : ٢٨
عفيقة النقيب : ٢٧٩
علي الالوسي : ٤٢٨
علي ابو الفتوح : ١٧٠
علي الجارم : ٣٥
علي يوسف : ١٧٠ ، ٢٠٣
عليش : ٢٤٨
عمارة اليميني : ٤٢٣

(غ)

الغزي : ٤٢٣
غسان : ٤٦٣
غلاستون : ١٩٥
غليوم الثاني (الامبراطور) : ٨١ ،
٢٧١
غورو : ٤٥٨

(ف)

فارس نمر : ٣١٤
فؤاد الاول (ملك) : ٣٤ ، ٤٢ ، ٦٠ ،
٤٣٦ ، ٤٧٦
الفارابي : ٢٧٤ ، ٤٢٨
فارس نمر : ٤٦٩
فاروق (الملك) : ٢٧٩
فانديك : ٢ ، ٤٦٩
فتح الله صبري : ٩٥
فرعون مصر : ٨٥ ، ١٢٣
الفصل بن سهل : ١٩٦
فصيري : ١٣٢
فبيرج : ٣٠٥
فيصل (ملك العراق) : ١٤٢

(و)

والي عكا : ٢٧
ورقيات : ٣١٢
ورش : ٣٦٨
ولادة : ٦٤
ويلمر : ١٤٩

(ي)

يسوع = عيسى

يعقوب صروف : ١٧٠ ، ٢٤٣ ،
٣١٤
يوسفيايوس : ٢٣٣
يوسف (النبي) : ٧٤
يوسف الاسير : ٢٣٤ ، ٣١٢
يوسف بن ايوب = صلاح الدين
الايوبي
يوسف كمال المصري : ٢٢٣
يوسف النبهاني : ٤٣١

★ ★ ★

المندر بن النعمان (ابو قابوس) :

٢٤٨
مهياد الديلمي : ٤٢٣
موسى (النبي) : ٦٧ ، ١٨٧
موسوليني : ٢٥١
موليير : ١٣١
ميخائيل مشاقفة : ١
مير علي : ٢٧٦

(ن)

ناسيف اليجارجي : ١١ ، ١٣ ،
٢٣٤ ، ٣١٢
نامق باتا : ٢٨٠
ابن النبيه : ٤٠١
ابن النديم : ٥٥
نزار : ٤٦٣
النظام : ٣٧٤
نعمان الالوسي : ٤٢٧
ابو نواس : ٤٢٣
نوح (النبي) : ١٨٢
نيرون : ٢١٧ ، ٢١٨

(هـ)

هارتمان : ٣٢٨
هاسم : ٢٦٠
هند : ١٨٠
هوار : ٣٢٨
الهوريني : ٣٨
ابن الهيثم : ٤٣٨
هيلير : ١٣٤

محمد فريد : ٦١ ، ١٧٠
محمد كرد علي : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩
محمد مصطفى المراغي : ٣٤٥ ، ٣٤٧ ،
٣٥٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧
محمد المهدي : ١٧٠ ، ٢٢٥
محمد هلال : ١٧٠
محمود التركي الشقيطي : ٣٨
محمود رشاد : ٤٨ ، ٥٠
محمود سامي البارودي : ١٣٠ ،
٢٠١ ، ٢١١ ، ٤٦٧
محمود شكري الالوسي : ١٣٩ ،
٤٤٠ ، ٤٦٣
محمود العظم : ٢٢٤
محمود نشابة : ٣٣٤
محي الدين اليافي : ١٢
مدحت باتا : ٢٦٩
مرجليوت : ١٠٥
مريم العذراء : ١٨٧
مسلم بن الوليد : ٤٢٣
السيح = عيسى
المصطفى = محمد بن عبد الله
مصطفى كامل : ٦١ ، ١٧٠
مصطفى كمال : ٦١
مصطفى لطفى المنفلوطي : ١٧٠ ،
٤٥٤
ابن المعتز : ٤٢٣
معروف الرصافي : ٢٠٣
المعري (ابو العلاء) : ٩١ ، ١٥٠ ،
٤٢٣
ابن المقفع : ٣٦٩ ، ٣٧٤ ،
٣٧٢
ملحم شميل : ١٤١
ملك بير : ٢٨٥

السليمانية : ٢٣٨ ، ١٤٨
سماوط : ٤٣٤
سهل العمق : ٢٨١
السودان : ١٤٣ ، ١٦٣ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٦ ،
٣٨٧

سورية : ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ١٥٨ ،
٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٣١٢ ، ٤٥٨ ، ٤٧٨
سوق القرب : ٤٦٩
السويد : ٤٢٩ ، ٤٣٠
سويسرا : ٤٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ،
٢٨٥ ، ٣٢٤
سيلان : ٢٩٢ ، ٤٠٤

(ش)

شارع خيرت بالقاهرة : ٢٠٢
الشام : ١٠ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ،
١١١ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،
٣٢٢ ، ٣٥١ ، ٣٩٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ،
٤٤١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ،
شبراخيت : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
شرتون (قرية) : ٢٢٩
شفرمون ببلجيكا : ١٣٩
الشوف : ٢٣٥
الشويقات : ٢٤٨
الشيخ : ٢٣٢
شيراز : ٣٧٤

(ص)

صحراء افريقية : ٧١

دومة : ٢٦٣
الديار الشامية = الشام
دير الطور : ٥٤
دير الكرملين ببغداد : ١٣٩ ، ١٤٢ ،
دير الكرملين ببلجيكا : ١٣٩
دير الكرملين في حيفا : ١٤٢
ديروط : ١٦٢

(د)

راس بيروت : ٣١٥
راشيا : ٢٨٠
رشيد : ٤٨
الرقمطان : ٢٣٦ ، ٢٣٨
روسيا : ٣٩٢

روضة المقياس : ٤٠٤ ، ٤١٣
رومة : ٧٥ ، ٢١٧ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٢٥
الريحانية (قرية) : ٣٧٢
الري : ٣٧٤

(ذ)

زبددين : ٢٦٥
زحلة : ٢١٣
الزقازيق : ٢١٠
الزمالك : ٣٩ ، ٤١
ابو زريعة (في الجزائر) : ٣٣٩
زهاو : ١٤٨

(س)

ساحة البرج ببيروت : ٢٣٢
سنديب : ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١٣

خزانة احمد تيمور : ٣٩ ، ٤٢ ،
٥١ ، ٥٠
خزانة احمد زكي : ٥٠
خزانة الامبروزيانا : ٤٧٦
خزانة ليدن : ٣٢٧
خليج فارس : ٤٥ ، ٣٠٤

(س)

دار الاوبرا بالقاهرة : ٢٠٧
دار العلوم بالقاهرة : ٣١ ، ٣٢ ،
١٠١ ، ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
٣٥٥
دار الكتب القاهرية : ٢٦٩ ، ٢٧٥ ،
٣٦٧
دار الكتب المصرية : ٤٢ ، ٥٠ ،
١٦٤ ، ١٦٥
دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة
(الجزائر) : ٣٣٩
دار الندوة : ٣٥٠
داصل : ٣٧٢
الديبة : ٢٣٥
درب سعادة : ٣٩ ، ٤٦ ،
الدرعية : ٤٢٨
دمشق : ١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٩ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٣٢ ، ٢٠٦ ،
٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ،
٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ،
٣٨٥ ، ٤٤١ ، ٤٧٠ ،
دنشواي : ١٩٣
دقنة : ٣٤٧

جزيرة رودس : ٢٦٦
جزيرة العرب : ٢٣٨ ، ٢٨٢ ، ٣١٥ ،
الجزيرة الفراتية : ٥٩ ، ١٣٧
جسرين : ٢٦٤ ، ٢٦٥
جلق = دمشق
الجمعية العلمية السورية : ١٢
الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة :
٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
جنيف : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٣٦٠ ،
جوة : ٤٧٦
جمعية زهرة الآداب : ٢٣٥
جمعية الثوري الثمانية : ٢٢٥
الجوزاء : ٧
الجيزة : ٢٥٢ ، ٤١٧
جيرة القطاط : ٥١

(ح)

حارة العمروسية : ٢٤٨
الحبة : ٢٨٦ ، ٢٨٢
الحجاز : ٧١ ، ٣٥٠
الحدث (قرية) : ٤٦٩
حطين : ٢٦١ ، ٢٦٣
حلب : ٢٧٩ ، ٢٨٢
الحمية : ٣٩
حلوان : ١٧٤ ، ٣٧٩
حصص : ١١ ، ٢٣
حوران : ٣٧٢

(خ)

الخروب : ٢٣٥
الخرطوم : ٣٨٧

(ج)

لاهاي : ١٨٤
 لبنان : ١ ، ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٣١٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٤
 لندن : ١٠٥
 لوزان : ٣٢٤
 ليزبيرغ : ٤٧٩
 ليبيا : ٣٢٣
 ليدن : ٣٢٧
 ليون : ١٠٨ ، ٤٣٥

(م)

ماردين : ٣١٧
 متحف دمشق : ٤٢
 المتحف المصري : ١٠٢
 مجريط (مدريد) : ٣٢٦
 مجلس الاعيان التركي : ٢٣٨
 مجلس الشيوخ المصري : ٤٢
 مجلس النواب العثماني : ١٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩
 مجلس النواب العراقي : ٤٤١
 المجمع العلمي الايطالي : ٢٩٩ ، ٣٢٤
 المجمع العلمي العربي بدمشق : ٣٦ ، ٤٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٤٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٧٨
 المجمع اللغوي المصري : ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١١١ ، ١٤١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٨٥
 مجمع لنشاي بروما : ٢٩٩

نصر عابدين : ٧١
 قلعة بعلبك : ٢٢٠
 القلمون : ٣٣٤
 قويسنا : ٤٠ - ٤٣
 الفيروان : ٣٧٤

(ك)

كردستان : ٤٤٠
 كركوك : ٤٤٠
 كريت : ١٠٢
 كفر الزيات : ٣١
 كفر شيما : ١١ ، ٢٤١
 كلية الآداب بالقاهرة : ٣٢
 كلية الآداب بالجزائر : ٣٤٠ ، ٣٤١
 كلية أصول الدين - القاهرة : ٣٧٨
 الكلية الامريكية ببيروت : ١٤٣ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩
 الكلية البطريركية للروم الكاثوليك : ٢١٣
 كلية جنيف : ٣٦٠
 كلية العلوم الشرعية - القاهرة : ٣٧٨
 كلية علوم اللغة العربية - مصر : ٣٧٨
 كلية القديس يوسف ببيروت : ٣١٧
 كمبردج : ١٠٥ ، ١٠٧
 كندي (في سرنديب) : ٤١٣
 كنيسة اورين : ٣٤٤
 كنيسة رمس بفرنسا : ١١٦
 الكوفة : ٣٧٤
 كوليج دي فرانس (بباريس) : ١٠٨

(غ)

غزير : ٣١٧
 غوطة دمشق : ٢٦٣

(ف)

فارس = ايران
 فاس : ٣٧٤
 فرساي : ٢٨٦
 فرنسا : ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٢ ، ٤٣٨ ، ٤٣٦
 فرنكفورت : ٤٧٩
 فروق = استانبول
 الفسطاط : ٣٧٤
 فلسطين : ٤٨
 الفيوم : ٣١ ، ٥٤

(ق)

القاهرة : ١٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨
 قبة الفوري (في دار الكتب المصرية) : ٥٠
 القدس : ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٤٦٤
 القسطنطينية = استانبول
 قسنطينة : ٣٤٠
 قصر الحمراء : ١٧٧

سعدة : ٣٧٤
 السميد : ٣٧٧
 سفلية : ٣٠٢ ، ٣٠٢ ، ٣٩٨
 شعاع : ٤٧٦ ، ٣٧٤
 صين : ٤٦٦
 الصومال : ٢٨٢
 سيدا : ٤٦٩
 الصين : ٣٥ ، ٢٨٢

(ص)

الصغير (جبل) : ٢٣٦

(ط)

طرابلس الشام : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٤
 طرابلس الغرب : ١٨٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٣٠١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧
 طنطا : ١٠٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٣٦١

(ع)

عادات : ٤٢٧
 عيبه : ٢٢٩
 العراق : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٨
 عكا : ٣٧
 عين ترار : ٢٢٩
 عين نسي : ٣٩ ، ٤٠ ، ١١١ ، ١٧٠ ، ٢٥٩

مصر : ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٦ ، ٤٧٦

المكتبة الشرقية - بيروت : ٣٢١
ملقة : ٩
المليحة (قرية) : ٢٦٥
المنتفق (على نهر الفرات) : ٢٣٦
مندلسي : ٤٤١
المنصورة : ٣١
المنوفية : ٤٠
المنيا : ١٠٢ ، ٤٣٤
المورة : ٣٩٢
الموصل : ٢٧ ، ٢٧٤ ، ٤٢٨
ميت ابي علي : ٢١٠
ميلانو : ٤٧٦

(ن)
نابل (نابولي) : ٢٩٨ ، ٤٧٦
نجد : ٧١ ، ٤٢٨
النجف : ٣٧٤
النروج : ٤٢٩ ، ٤٣٠
النمسا : ١٣٥
نهر بردى : ٦٨
نهر التاميز : ١٩٦
نهر دجلة : ٢٣٦ ، ٤٦٥
نهر الساجور : ٢٨١
نهر الفرات : ٢٣٦ ، ٤٢٧
نهر النيل : ٦٧ ، ١٢٤ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٤١٣
نيسابور : ٣٧٤

(ه)
هايدلبرغ : ١٠٨

المعهد الادبية : ١٢
المطبعة الامريكية ببيروت : ٢
المطبعة الاميرية بمصر : ٤٩
مطبعة بولاق : ٥٦
مطير : ٢٣٦
معهد جنوة : ٤٧٦
المعهد الديني بالاسكندرية : ٣١
المعهد الشرقي في نابولي : ٤٧٦
معهد طنطا : ٢١٠
المعهد العلمي - فرنسا : ٣٠٧
مقهى ماتاتيا بالقاهرة : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥
مقهى سبلنديد بار : ٢٠٢
المكتبة الخالدية بالقدس : ٢٦٩

مدرسة عبيبة : ١ ، ٤٦٩
مدرسة فلورنسا : ٤٧٦
مدرسة فنطينة : ٣٤٠
مدرسة القضاء الشرعي بمصر : ١٠١ ، ٤٣٤ ، ٢١٠
المدرسة الكواكبية بانطاكية : ٢٧٩
مدرسة اللاهوت الانجيلية - بيروت : ٢
مدرسة اللاهوت البروتستانتية - باريس : ١٠٨
مدرسة اللسان المصري القديم : ١٠٢
مدرسة اللغات الشرقية بباريس : ١٣٤ ، ٣٠٧
مدرسة مارسيل الفرنسية بالقاهرة : ٣٧
مدرسة المتديان بمصر : ١٠٢
مدرسة المدينة بالجزائر : ٣٣٩
مدرسة المعلمين بالفيوم : ٣١
مدرسة المعلمين بالمنصورة : ٣١
المدرسة الوطنية : ٢٣٥ ، ٣٣٤
مدرسة اليسوعيين في بيروت : ١٣٩
مدرسة اليسوعيين في غزير : ٣١٧
المدينة المنورة : ٣٧٤
المدينة : ٣٣٩
مراكش : ١٠٨ ، ١١٠
المركز الفلكي في الجامعة الامريكية - بيروت : ٣١٣
المسجد الحرام : ٢٦٢
مسقط : ٢٨٢
مسينا : ١٨٢
مشفى مار جرجس بيروت : ٣١٣

مجمع المرسلين الامريكان : ٣١٢
محطة العوياطية بدمشق : ٢٧٢
محطة الشويكة بدمشق : ٢٧٢
محطة نصر : ٢٤٢ ، ٢٤٤
المحيط الاطلسي : ٤٥
مدارس العمرة الوثني بمصر : ٢٨٨
مدرسة الآداب العليا بالجزائر : ٣٣٩
مدرسة الإدارة - مدرسة الحقوق بمصر
المدرسة الاعدادية ببغداد : ٤٤١
مدرسة الآلة بمصر : ١٠١ ، ٣٥٥ ، ٣٤٩
مدرسة الاميركان : ١٠ ، ٢٤٨
مدرسة ابنن في بريطانيا : ١٠٤
المدرسة البطريركية الكاثوليكية ببيروت : ٢ ، ١٣ ، ٢٣٠
مدرسة البنات ببيروت : ٢
المدرسة النجيرية بمصر : ١٠٢
مدرسة الجزائر : ٣٤٠
المدرسة الجفتمية بدمشق : ٢٦٨
مدرسة الحرية بالقاهرة : ١٦٢
مدرسة الحكمة المارونية - بيروت : ٢٢٠ ، ٢٤٨
مدرسة الحقوق بمصر : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٩
مدرسة التدروس العالية : ٣٠٧
المدرسة الرشيدية بطرابلس : ٣٣٤
المدرسة السلطانية - بيروت : ٢٤٩ ، ٣٥١
مدرسة سوق الغرب الانجليزية : ٢٢٩
المدرسة الظاهرية بدمشق : ٢٦٩

الكتب والرسائل

- أ
- ارشاد القاصد ، ابن ساعد الانصاري ٢٧٥
- ارجوزة ، ابن سينا : ٢٤٣
- ارشاد الالبا ، طاهر الجزائري : ٢٥٦
- ٢٧٤ ، ٢٧٦
- ارواء الطعام في محاسن القبة الزرقاء
- فانديك : ٣١٣
- الاسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي : ٢٥٨ ، ٣٠٣
- الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية
- محمد عبده : ٣٥٧
- اسواق الذهب ، احمد شوقي : ٦٣
- الاشتقاق ، حسين والي : ٢١١
- اصل كلمة تليس ، ابن ابي شبيب : ٣٤٠
- اشهر مشاهير الاسلام ، رفيق العظم : ٢٢٦
- الاصنام ، ابن الكلبي : ٥٣
- اصول الباثولوجيا الداخلية ، فانديك : ٣١٣
- اصول التشخيص الطبي ، فانديك : ٣١٣
- اصول الجبرية ، فانديك : ٣١٣
- اصول الشرائع ، بنتام : ٩٧
- اصول علم الهيئة ، فانديك : ٣١٣
- اصول الكيمياء ، فانديك : ٣١٣
- الاصول الهندسية ، فانديك : ٣١٣
- الانوار النبوية ، احمد تيمور : ٤٤
- آخر بني سراج ، شكيب ارسلان : ٢٥٦
- آداب الجدل عند الشيعة ، كولد
- سهر : ١٣٢
- الاداب العربية ، هوار : ٣٠٧
- الاداب العربية في القرن ١٩ ، لويس شيخو : ٣١٩
- آصف نامه : ١٣٨
- الايات البيئات في عجائب الارض
- والسماوات ، ابراهيم الحوراني : ٢
- الالات المزمرية ، بنو موسى : ٣١٨
- الالات المنظمة ، مورستس : ١٣٨
- احياء علوم الدين ، الفزالي : ٣٣٤
- الاخلاق ، الجاحظ : ٥٣
- ادب البحث والمناظرة ، حسين والي : ٢١١
- الادب الصغير ، ابن المقفع : ٢٧٥
- الادب العربي في جميع عصوره ، احمد الاسكندري : ٣٤
- الادب والمروءة ، صالح جناح : ٢٧٥
- اراضي الدومين والدائرة السنية ، عمر طوسون : ٢٨٦
- الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج
- الى اقدس مطاف ، شكيب ارسلان : ٢٥٦

وادي اليرموك : ٣٢٢

(ي)

يافا : ٤٨

اليمن : ٥٠ ، ١٥٠

اليونان : ٦٤ ، ٦٤

هرز : ٢٨٢

الهند : ٦٤ ، ٢٣٥ ، ٣٢٢ ، ٣٥١

٤٧٩

عنقاريا : ١٣٢ ، ١٣٥

هولندا : ٢٥٢

(و)

وادي النيل : ٦٣

* * *

الإعداد ، ابن الأباري : ٢٢٧
 الأطلس التاريخي الجغرافي لمصر
 السفلى ، عمر طوسون : ٢٨٦
 أطرب الشعر وأطرب النثر ، لويس
 شيخو : ٢٢٠
 أطواق الذهب ، الزمخشري : ٣٦٨
 الاعتقاد بالأولياء في شمالي أفريقيا ،
 مونتيه : ١٠٨
 أعيان الشرق في القرن الثالث عشر ،
 أحمد تيمور : ٤٤
 الأغاني ، الأسفهاني : ١٧٤
 أغلاق التفويين القدماء ، استناس
 الكرملني : ١٤٠
 أفرب الموارد ، سعيد الشرتوني :
 ١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
 الأكليل ، الهمداني : ١٤٠
 الألفاظ التركية والفارسية في اللغة
 الجزائرية ، ابن أبي شنب : ٣٤١
 الألفاظ الكتابية ، الهمداني : ٣١٨
 الأمام باصول سيرة النبي ، طاهر
 الجزائري : ٢٧٥
 الأباذة هوميروس ، تعريب سليمان
 البستاني : ٢٣٦ ، ٢٣٧
 أم القرى ، عبد الرحمن الكواكبي :
 ٢٨٤ ، ٢٨٤
 أمية الألمي ومنية المدعي ، الرشيد
 الأسواني : ٢٧٥
 أنامل فرانس في مآذله ، تعريب
 شكيب أرسلان : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 أنجيل : ١٢ ، ١٨٤ ، ٤٤٢

الانساب ، فاندريك : ٣١٣

انساب العرب القدماء ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤
 الأهوية والمياه والبلدان ، ابقراط ،
 تعريب شبلي شميل : ٢٤٦

(ب)

الأيواء ، فيكتور هوغو : ١٧٥ ،
 ١٧٦

الباكورة ، شكيب أرسلان : ٢٥٦
 البدء والتاريخ ، مطهر بن طاهر :
 ٣٠٧ ، ٣٠٨

البردة ، البوصيري : ٦٣

البلستان في علماء تلمسان ، ابن مريم
 ٣٤٠

بطولة الأورطة السودانية المصرية في
 حرب المكسيك ، عمر طوسون : ٢٨٧
 البعثات العلمية في عهد محمد علي ،
 عمر طوسون : ٢٨٦

بغية الطالبين في علوم وصنائع
 واحوال قدماء المصريين : ١٠٣

بلوغ الأرب في احوال العرب ،
 الألوسي : ٤٢٩

بجة الرانس والفسادي ، محمد
 المبارك : ٣٦٨

البيان في اسباب التمدن والعمران ،
 رفيق العظم : ٢٢٦

البيان في كيفية انتشار الأديان ، رفيق
 العظم : ٢٢٦

بيروت وأثارها وتاريخها ، لويس
 شيخو : ٣١٩

بيوتات العرب في لبنان ، شكيب
 أرسلان : ٢٥٦

(ت)

تاجر البندقية ، شكسبير ، ترجمة
 خليل مطران : ٢١٥

تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤ ، ١٤٥

تاريخ الأدب العربي في العصر
 العباسي ، أحمد الإسكندري : ٣٤

تاريخ الأدب الفارسي ، أدواربراو
 ١٠٥

تاريخ الإسلام ، كابتاني : ٣٢٢

تاريخ اسماعيل ، محمد عبده : ٣٥٧٠
 تاريخ الإصلاح في القرن السادس
 عشر ، فاندريك : ٣١٣

تاريخ بابل وآشور ، جميل مدور : ١٤٠

تاريخ بغداد ، هوار : ٢٠٨

تاريخ بيروت ، صالح بن يحيى :
 ٣١٨

تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجسي
 زيدان : ١٤٣ ، ١٤٥

تاريخ الجبرتي : ٥٦

تاريخ الرهبانية اليسوعية ، لويس
 شيخو : ٣١٩

تاريخ سعيد بن بطريق : ٣١٨
 تاريخ سكان مقاطعة القو ، مونتيه :
 ١٠٨

تاريخ شاكر بن الراهب القبطي : ٣١٨
 تاريخ شعب إسرائيل من العهد
 القديم ، مونتيه : ١٠٨

تاريخ الطائفة المارونية في القرنين
 ١٦ و ١٧ ، لويس شيخو : ٣١٩

تاريخ الطبري : ٣٢٧

التاريخ العام ، جرجسي زيدان : ١٤٤
 تاريخ العرب ، هوار : ٣٠٧

تاريخ العرب قبل الإسلام ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤

تاريخ اللغة العربية ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤

تاريخ محبوب المنجي : ٣١٨
 تاريخ مديرية خط الاستواء عمر
 طوسون : ٢٨٦

تاريخ المسلمين في صقلية ، أماري :
 ٣٠٢

تاريخ المشرق ، مسبيرو ، ترجمة
 أحمد زكي : ٥٤

تاريخ مصر الحديث ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤

تاريخ الماسونية ، جرجسي زيدان :
 ١٤٤

تاريخ ابن واضح : ٣٢٧
 تاريخ اليونان والرومان ، جرجسي
 زيدان : ١٤٤

التبيان ، طاهر الجزائري : ٢٧٤ ،
 ٢٧٦

تجارب الأمم ، مسكويه : ٣٢٦
 تحبير الموشين ، الفيروزآبادي :
 ٣٤٠

تحرير المرأة ، قاسم أمين : ٨٦ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٥

تحفة الأدب في ميزان اشعار العرب ،
 ابن أبي شنب : ٣٤٠

تدميت التذكير في التانيث والتذكير ،
الجصري : ٢٤٠
التذكرة ، داود الانطاكي : ٩
التذكرة بما صدر عن طوسون ، عمر
طوسون : ٢٨٦
تراجم اميان اوائل القرن الرابع
عشر ، احمد تيمور : ٤٥
تراجم مشاهير الشرق ، جرجي
زيدان : ١٤٤
تسهيل المجاز الى فن المسمى والالغاز ،
طاهر الجزائري : ٢٧٤
تصحیح افلاط القاموس المحيط ،
احمد تيمور : ٤٤
تصحیح افلاط لسان العرب ، احمد
تيمور : ٤٤
تفسير جزء عم ، محمد عبده : ٣٥٧
تفسير سورة العصر محمد عبده :
٣٥٧
تفصيل الثنائين وتحصيل
السعادتین ، الراضب الاصفهاني :
٢٧٥

(ج)

الجامعة الاسلامية واوروبا ، رفيق
العظم : ٢٢٦
جداول جدارية في الخطوط القديمة
والحدیثة ، طاهر الجزائري : ٢٧٤
جلاء الدياتي في الالغاز والمعنیات
والاحاجي ، ابراهيم الحوراني : ٢
الجمال ، الزجاجي : ٣٤١
جوامع الكم : ٩٧
الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية
طاهر الجزائري : ٢٧٤
الجيش المصري البري والبحري في
عهد محمد علي : عمر طوسون : ٢٨٦

(ح)

التقريب ، طاهر الجزائري : ٢٧٤ ،
٢٧٦
تكملة تاريخ ابن خلدون ، شكيب
ارسلان : ٢٥٦
تكملة المعجمات العربية ، دوزي : ١٤
التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ،
مصطفى عبد الرازق : ٤٢٨
تنبیه الافهام الى مطالب الحياة
الاجتماعية في الاسلام ، رفيق العظم
٢٢٦
تهذيب الالفاظ ، ابن السكيت : ٣١٨ ، ١٠٣

الحق اليقين في الرد على مذهب
داروين ، ابراهيم الحوراني : ٢
الحلل السندية في الاخبار والاناير
الاندلسية شكيب ارسلان : ٢٥٥
حماسة البحري : ٣١٨
حواشي محيط المحيط ، ابراهيم
اليازجي : ١٤

(خ)

خلاصة تاريخ العراق ، انستاس
الكرملي : ١٤٠
خطط الشام ، محمد كرد علي : ٣٥٠ ،
٢٨٩ ، ٢٢٣
خطط المقريري : ٣٥
خواطر وسوانح في الاسلام ، دي
كاستري : ٩٧

(د)

دائرة المعارف الاسلامية : ١٣٥ ،
٣٠٨ ، ٣٠٣
دائرة المعارف الايطالية : ٢٩٩
دائرة معارف سليمان البستاني :
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩
دائرة المعارف الفرنسية : ٢٣٣ ،
٣٠٨
الدرة اليتيمة ، ابن المقفع : ١٤ ،
٢٦٥
الدروس الحكمية للناشئة الاسلامية ،
رفيق العظم : ٢٢٦
دروس شرقية ودينية ، مونتيه :
١٠٨
دروس في الاسلام ، جولدتسهر :
١٣٢

(ذ)

الدخيرة السنية في تاريخ الدولة
المرينية ، ابن ابي شنب : ٣٤٠
ذيل تاريخ سعيد بن بطريق ، سعيد
بن يحيى الانطاكي : ٣١٨
ذيل طبقات الاطباء ، احمد تيمور :
٤٤

(ر)

رحلات البستاني : ٢٣٩
رحلة الوثيلاني : ٢٤٠
رحلة الى مراکش ، مدنتيه : ١٠٨

(ز)

شعراء النصرانية في الاسلام ، لويس

شيخو : ٣١٩

شعراء النصرانية في الجاهلية ، لويس

شيخو : ٣١٩

شكوى وامال ، شبلي شميل : ٢٤٦

شرح نهج البلاغة ، محمد عبده : ٣٥٧

الشهاب الثاقب في صناعة الكتاب ،

سعيد الشرتوني : ٢٣٠

الشهب الشواقب ، ابراهيم

الخوراني : ٢

شواعر العرب ، لويس شيخو : ٣١٨

شوقي ، شكيب ارملان : ٢٥٦

(ص)

صحائف قريش ، عبد الرحمن

الكواكبي : ٢٨٤

صحيح البخاري : ١٥٢

الصنائع والمدارس العربية ، عمر

طوسون : ٢٨٦

(ض)

ضوء المشرق في علم المنطق ، ابراهيم

الخوراني : ٢

(ط)

طبائع الاستبداد ، عبد الرحمن

الكواكبي : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤

طبقات الامم ، صاعد : ٣١٨

طبقات علماء افريقية ، ابو ذر

الخشني : ٢٤٠

الطبقات الكبرى ، ابن سعد : ٤٨٠

طبقات المهندسين ، احمد تيمور : ٤٤

الطواسين ، ماسينيون : ١٣٣

زبدة النصر و عمدة النصر ، العماد

الكاتب : ٢٢٧

ريج البتاني : ٣٠١

(س)

سر تقدم الانجليز السكسونيين ، دي

مولين : ٩٧ ، ٩٩

سر تطور الامم ، غوستاف لوبون :

٩٧

السفر الى المؤتمر ، احمد زكي : ٥٣

سلك الدرر ، المرادي : ٤٥

السهم الصائب في تخطئة غيبة

الطالب ، سعيد الشرتوني : ٢٣٠

السيد ، كورني : ٢٥٠

سيرة ابن هشام : ٣٦٨

(ش)

الشاهنامه : ٢٣٧

شرح بختر لمذهب دارون : ٢٤٣

شرح البصائر النصيرية ، محمد

عبده : ٣٥٧

شرح ديوان خطب ابن نباتة ، طاهر

الجزائري : ٢٧٤ ، ٢٧٦

شرح ديوان المتنبي = العرف الطيب

شرح العقائد العضدية : ٣٤٨

شرح القانون المدني ، احمد فتحي

زغلول : ٩٨

شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ،

محمد عبده : ٣٥٧

شرح نظم مثلثات قطرب ، ابن ابي

سنب : ٣٤٠

رسالة في العلم العثماني ، احمد

تيمور : ٤٤

رسالة في قبر السيوطي ، احمد

تيمور : ٤٤

الرسالة القصيرية : ٣٦٨

رسالة في الكتابة العربية المنقحة ،

انساس الكرمللي : ١٤٠

رسالة اللاماسية ، غولد صهر :

١٣٣

رسالة لعب العرب ، احمد تيمور :

٤٤

رسالة في محيط الدائرة في علمي

العروض والقافية ، فانديك : ٣١٣

رسالة في مرض الجدري والحصبة ،

فانديك : ٣١٣

رسالة في النحو ، طاهر الجزائري :

٢٧٤

رسالة المعاطس ، شبلي شميل :

٢٤٦

رسالة نضرة البهار ، محمد المبارك :

٣٦٨

رسالة في البيزدية ، احمد تيمور :

٤٤

رشيد رضا ، شكيب ارسلان : ٢٥٦

الرق في الاسلام ، احمد شفيق : ٥٤

روح الاجتماع ، غوستاف لوبون : ٩٧

الروض الشفيق = ديوان نسيب

ارسلان ،

روضة العقلاء ، ابن جبان

البتي : ٢٧٥

رسائل احمد تيمور : ٤٢

رسائل الصبايى : ٢٥٦

الرسالة ، الفيرواني : ٣٦٨

رسالة في الامثال العامية ، احمد

تيمور : ٤

رسالة الاملاء ، حسين والي : ٢١١

رسالة في البديع ، طاهر الجزائري :

٢٧٤

رسالة في البيان ، طاهر الجزائري :

٢٧٤

رسالة التصوير عند العرب ، احمد

تيمور : ٤٤

رسالة النقية في الاسلام ، غولد صهر :

١٣٣

رسالة التوحيد ، حسين والي : ٢١١

رسالة التوحيد ، محمد عبده : ٢٥٧

رسالة في العروض ، طاهر الجزائري :

٢٧٤

رسالة الفقران ، المعري : ١٤

٢٤٦ ، ١٥٠

رسالة في ابي الغلاء المعري ، احمد

تيمور : ٤٤

رسالة في الالفاظ والرتب ، احمد

تيمور : ٤٤

رسالة في النزوير الخطي ، احمد

نحي زغلول : ٩٨

رسالة في حدوث المذاهب الاربعة ،

احمد تيمور : ٤٤

رسالة في الحلقة المفقودة في تاريخ

مصر ، احمد تيمور : ٤٤

رسالة في الحسين بن منصور

الحلاج ، كولد صهر : ١٣٣

(ع)
 العرف الطيب ، ابراهيم اليازجي : ١٤
 العظمة لله ، عبد الرحمن الكواكبي : ٢٨٤
 عطيل ، شكبير : ٢١٥
 العقدة الثمين في محاسن اخبار
 وبدائع اثار الاقدمين من المصريين ،
 احمد كمال : ١٠٢
 العقدة الفريد ، ابن عبد ربه : ١٧٤
 عمود الدروري شرح شواهد المختصر ،
 شاهين عطية : ١٤
 علم الادب ، لويس شيخو : ٢٢١
 علم القراءة الحديث ، جرجي
 زيدان : ١٤٤
 عنوان الدراية في علماء بجاية ، ابن
 ابي شيب : ٢٤٠
 العهد القديم : ١٠٨
 العين ، الفراهيدي : ١٤٠

(ق)

قاموس الجغرافية القديمة ، احمد
 زكي : ٥٢
 قاموس الكتاب المقدس ، بوست : ٣
 قاموس مقارنة اللغة الهيروغليفية
 باللغة العربية ، احمد كمال : ١٠٣
 القرآن : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ،
 ١٣٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ،
 ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ - ٣٨٤
 ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٧٩
 نصيدة قدم بن قادم : ٤٧٧
 قواعد التصوف ، ابن رزوق : ٣٦٨

(ف)

الفتن والملاحم ، تعيم المروزي : ٥٦
 الفتوحات المكية ، ابن عربي : ٣٦٨
 الفجر الصادق في اثبات الخوارق ،
 الزهاوي : ١٤٩

القول الفصل في رد العاصمي الى
 الاصل ، شكيب ارسلان : ٢٥٦

(ك)

الكائنات ، الزهاوي : ١٤٩ ، ١٥٢
 الكتاب ، ابن درستويه : ٣١٨
 كتاب الاسلام ، مونتيه : ١٠٨ ،
 ١٠٩
 كتاب الخطاطين والمذهبيين في الشرق
 الاسلامي ، هوار : ٣٠٨
 كتاب في الاسلام ، غولد صهر : ١٣٢
 كتاب المطر ، ابو زيد الانصاري :
 ٣١٨
 كتاب الهمز : ٣١٨
 كليلة ودمنة ، ابن المقفع : ١٧٤ ،
 ٣١٨

(ل)

اللباب ، الزهاوي : ١٤٩
 لسان العرب ، ابن منظور : ٥٦
 لغة الجرائد ، ابراهيم اليازجي : ١٣
 لماذا تاخر المسلمون وتقدم غيرهم ،
 شكيب ارسلان : ٢٥٦
 لمع القوانين المضية في دواوين الديار
 المصرية ، عثمان النابلسي : ٤٧٨
 ليالي سطيح ، حافظ ابراهيم :
 ١٧١ ، ٢٠٣

(م)

مالية مصر من عهد الفراعنة الى
 الان ، عمر طوسون : ٢٨٦

مبادئ النحو العربي ، مونتيه : ١٠٨
 المثل السائر ، ابن الاثير : ٣٦٨
 مجاتي الادب لويس شيخو : ٣١٨
 المجمل مما اري ، الزهاوي : ١٤٨
 محاسن المساعي في مناقب الامام
 الازاعي ، الخطيب : ٢٥٥
 الحمامة ، احمد فتحي زغلول : ٩٨
 المحلى ، ابن حزم : ١٣٢
 محيط المحيط ، بطرس البستاني :
 ١٤ ، ١٤٢ ، ٢٣١
 مختصر ادب الكاتب ، طاهر
 الجزائري : ٢٧٤
 مختصر امثال الميداني ، طاهر
 الجزائري : ٢٧٥
 مختصر البيان والتبيين ، طاهر
 الجزائري : ٢٧٥
 مختصر تهذيب الالفاظ ، ابن
 السكيت : ٣١٨

مختصر الجمانة ، ابراهيم اليازجي :
 ١٣
 مختصر نار القسري ، ابراهيم
 اليازجي : ١٣
 مختصر في نحو العبرية والارامية ،
 مونتيه : ١٠٨
 مختصر نحو اللغة الفارسية ، هوار :
 ٣٠٨
 المخصص ، ابن سيده : ٣٥٥
 المخطوطات العربية لكتبة النصرانية :
 لويس شيخو : ٣١٨
 مد الراحة الى اخذ المساحة ، طاهر
 الجزائري : ٢٧٤

مدخل الطلاب التي علم الحساب : معجم الحيوان ، أمين المثلوف : ١٣٧
 طاهر الجزائري : ٢٧٤
 مرآة الأيام في تلخيص التاريخ العام ، معجم الفوائد والبرقيات ، أحمد
 خليل مطران : ٢١٤
 مذكرات جغرافية في عصر العرب ، معرض الخطوط ، لويس شيخو :
 عمر طوسون : ٢٨٧
 مذكرات على فروع النيل ، معلمة الاسلام : ١٣٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ،
 عمر طوسون : ٢٨٧
 مذكرات على تاريخ النيل ، المعلمة الإيطالية : ٢٩٩
 عمر طوسون : ٢٨٧
 مذكرات في صحاري مصر ، المعين في صناعة الانشاء ، سعيد
 عمر طوسون : ٢٨٧
 مذكرات في مسألة السودان ، الشرتوني : ٢٣٠
 عمر طوسون : ٢٨٧
 مقالة في الضوء ، ارسطو : ٣١٨
 مقاصد الشرع ، طاهر الجزائري :
 ٢٧٥
 مقامات ابن نايقا : ٣٠٧
 مقامات بديع الزمان الهمداني : ٣٥٢
 مقامات الحريري : ٣٦٨
 مقدمة الكافي ، طاهر الجزائري :
 ٢٧٤
 المكافاة ، أحمد بن يوسف الكاتب :
 ١٧٤
 مكبث ، شكسبير : ٢١٥
 المكحلة ، أبو محمد الصقلي : ٣١٨
 ملحمة خليل مطران : ٢١٦
 ملحمة دانتى : ٢١٦
 ملحمة ملتون : ٢١٦
 ملحمة هو ميروس : ٢١٦
 المتع في شرح المقنع ، أبو سعيد
 السوسي : ٣٤٠

مناهج الحكماء في مذهب النشوء ، نفع الازهار في منتخبات الاشعار ،
 والارتقاء ، ابراهيم الحوراني : ٢
 جمع شاكر البتلوني : ١٤
 المنقى من الذخيرة ، طاهر الجزائري
 الشرتوني : ٢٣٢
 منية الاذكيا في قصص الانبياء ، نقد الادب الجاهلي ، محمد الفمراوي :
 ٢٥٠
 طاهر الجزائري : ٢٧٤
 المهزلة الالهية ، دانتى : ٣٤١
 الموجز في علم الاقتصاد ، خليل مطران
 الموطا ، مالك بن انس : ٣٤٤

(ن)

نجدة اليراع ، سعيد الشرتوني : ٢٣٠
 نجمة الرائد في المترادف والمتوارد ،
 ابراهيم اليازجي : ١٣
 نخب الذخائر في احوال الجواهر ،
 ابن الاكفاني : ١٤٠
 نخب الملح : ١٤

(هـ)

نزهة القاري ، أحمد الاسكندري :
 ٣٤
 نساء اللغة العربية ونموها واكتمالها
 انستاس الكرملي : ١٤٠
 نظام التربية والتعليم ، محمد عبده :
 ٣٥٧

(و)

الواردات ، محمد عبده : ٣٥٧
 الوسيلة الادبية ، حسين المرصفي :
 ٣٩٠



الإبحاث

الصفحة	الكاتب	عنوان البحث
٣٦	احمد الاسكندري	ابن خلدون
٣٦	احمد الاسكندري	اثر الادب العربي في شعر شوقي
٤٧٩	هوروفيتز	إسراء الرسول
٤٧٩	هوروفيتز	الاشعار النسي قيلت في الرسول
١٣	ابراهيم اليازجي	اغلاط العرب
١٣	ابراهيم اليازجي	اغلاط لسان العرب
١٣	ابراهيم اليازجي	اغلاط المولدين
١٣	ابراهيم اليازجي	امال
١٣	ابراهيم اليازجي	التعريب
٥٤	احمد زكي	تقويم العرب قبل الاسلام
٤٧٩	هوروفيتز	الجنة في القرآن
٥٤	احمد زكي	رسائل اخوان الصفا
١٣	احمد زكي	الشعر
٣٦	احمد الاسكندري	سفي الدين الحلبي
١٣	ابراهيم اليازجي	العلوم عند العرب
١٣	ابراهيم اليازجي	اللغة العامية واللغة الفصحى
١٣٢	كولد صهر	اللغة العربية
١٣	ابراهيم اليازجي	اللغة والعصر
١٣	ابراهيم اليازجي	المجاز
١٣٢	كولد صهر	مذهب داود الظاهري
١٣٢	كولد صهر	المراني عند العرب

★ ★ ★

المجلات والصحف

الانار : ٤٥	الشرق الحديث : ٢٩٩
الاحوال : ٢١٤	الشفاء : ٢٤٣
الاخبار : ٤٠	الشهباء : ٢٨٠
الاعتدال : ٢٨٠	الضياء : ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٣٥٩
الاهرام : ٤٥ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٣٨٢	الطبيب : ١٣
انيس الجليس : ١٢١	العالم الاسلامي : ٣٠٨
البصير : ٢٤٣	العروة الوثقى : ٣٥١
البيان : ١٣ ، ١٢	الفرات : ٢٨٠
تاريخ الاديان : ٣٠٨	لسان الحال : ٢١٣
الجنان : ٢٣٥	المؤيد : ٢٩ ، ٤٥ ، ٢٠٣ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٣٤٧ ، ٤٤١
الجنة : ٢٣٥	المباحث : ١٤٠
الجنينة : ٢٣٥	المجلة الآسيوية : ٣٠٨
الجهاد : ٢٣٥	مجلة الازهر : ٣٧٩
الجوانب : ١٤ ، ٢١٤	المجلة السامية : ٣٠٨
الرئيس : ١٠	مجلة المجمع العلمي بدمشق : ٣٦ ، ٤٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ٢٥٢ ، ٣٠٢
الرسالة : ٤٥	٣٠٧
الزمان : ١٤٣	مجلة مجمع اللغة العربية بمصر :
الزهراء : ٤٥ ، ١٤٠	٣٠٢ ، ١٤٠
الزهور : ١٤٠	
السلفية : ٤٥	

الشعر

عدد الصفحة
الآيات

القافية الشاعر

مطلع البيت

(الهمزة)

٤٤٥	١٩	الرياء معروف الرصافي	احب
٩٣	٧	اسماء احمد شوقي	والفن
٩١	٢	الحكماء احمد شوقي	بينسي
٨١	٣	غرباء احمد شوقي	ففریق
٧٢	٤	الثناء احمد شوقي	خدعوها
٧٣	١٢	والحياء احمد شوقي	ولد الرفق
٤١٦	٩	ارضاء محمود البارودي	كيد الغبي
٦	٢	كهرياء ابراهيم الحوراني	كاني في الهوى
١٧٣	١	الاحياء احمد شوقي	قد كنت
٨٤	١	الآراء احمد شوقي	رتب الشجاعة
١٢١	٥	والذكاء اسماعيل صبري	خبري القوم
١٢٧	٥	الشقاء اسماعيل صبري	مصر انتم
٤١٨	١٢	وفائسي محمود البارودي	اني امرؤ
٨١	٣	الشعراء احمد شوقي	لا تقولوا
١١٥ و ١٣.	٧	اللواء اسماعيل صبري	يا لواء الحسن

المقتبس : ١٠ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ١٤٠ ،
١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٢٤ ،
٤٣١ ، ٤٤١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ،
المقتطف : ١٤ ، ١٦ ، ٤٥ ، ١٤٠ ،
١٤٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٩١ ،
٣١٤ ، ٣٦٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ،
المقطم : ٢٤٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ،
المنار : ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،
النجاح : ١٢ ،
الهلال : ٤٥ ، ١٤٣ ، ٣٠٢ ،
الوقائع المصرية : ٣٤٩ ،
الهندسة : ٤٥ ،

المجلة المصرية : ٢١٤

مجلة المرأة الجديدة : ١٤٠

مجلة المعلمين : ١٤٠

مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق : ١٤٠

مجلة النشرة الاسبوعية : ٣١٤

مجلة النقد : ٣٠٨

المحروسة : ٣

المسرة : ١٤٠

المشرق : ١٤٠ ، ٣١٩ ، ٤٧٢

المشقيات (الإيطالية) : ٣٠٣

★ ★ ★

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
	(الالف)		
وستى الله	زواياها اسماعيل صبري	٣	١١٣
يا اسي الحى	تراها ابراهيم اليازجى	٢	٢٣
	(الباء)		
من مبلغ	مقلوبا معروف الرصافي	٧	٤٥١
من صاحب	الشها محمود البارودي	٩	٤١٢
ترفق	طالبها محمود البارودي	٣	٣٩٩
ولما التقينا	وعتابها اسماعيل صبري	٢	١١٤
اذا رايت	ذهبا احمد شوقي	١	٨٣
لا تعدم	غلبا احمد شوقي	٢	٨٣
مثل القوم	انتسابا احمد شوقي	٣	٨٥
يقولون	تعصب حافظ ابراهيم	٥	١٩٣
نالت منابر	والطرب احمد شوقي	١	٨٩
تنبهوا	الركب ابراهيم اليازجى	١٠	٢١
لم يدبر	شيب اسماعيل صبري	٥	١١٨
سواي	ويعجب محمود البارودي	١١	٣٩٦
الذكر	ونندب حفنى ناصف	٧	٢٠٠
وطن	مشرب معروف الرصافي	٢	٤٦٠
هي الحقيقة	وان جلبوا جميل الزهاوي	٧	١٥٩

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
اقاسم	كاتبه حافظ ابراهيم	٧	١٨٧
ينامون	جانبه حافظ ابراهيم	٢	١٩٨
ايا زعماء	والكذب معروف الرصافي	٦	٤٥٧
وكم ذا بمصر	الطيب حافظ ابراهيم	٣	١٩٧
ان قام	الصخب حافظ ابراهيم	٥	١٨٨
متى ارى	مرتقب حافظ ابراهيم	٥	١٦٨
سفيت	اغتراب حافظ ابراهيم	٤	١٨٧
سكت	اربي حافظ ابراهيم	٩	١٦٩
آذنت	فطيبي حافظ ابراهيم	٤	١٩٩
وما زلت	مع السرب جميل الزهاوي	١	١٥٤
بلوت	حببي جميل الزهاوي	٢	٣٩٩
وعش فردا	واقتراب محمود البارودي	٤	٤١٧
ان سئمت	الاوصاب اسماعيل صبري	٥	١١٧
حف	ذهب احمد شوقي	٤	٧١
	(التاء)		
جهات	نبات احمد شوقي	٢	٧٧
جميع الناس	ماتوا ابراهيم الحوراني	٢	٤
احياؤنا	الاموات حافظ ابراهيم	٦	٢٠٣
يقولون	الحجرات حافظ ابراهيم	٦	١٨٠
سئمت	حياتي جميل الزهاوي	٢	١٥٥
ماذا على	صفحت محمود البارودي	٣	٤٠٢
زمزمي	يامهاتي محمود البارودي	٦	٤١٤
نهيتك	اشتهيت معروف الرصافي	٣	٤٦٣

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
بنات الشعر	العميد حافظ ابراهيم	٣٣	١٩٤
لقد نرحت	سود حافظ ابراهيم	٢	٤٢٦
ابن زين	النادي خليل مطران	٦	٢٠٨
قليل	بعاد محمود البارودي	١٥	٤١٩
واذا النفوس	الاجساد احمد شوقي	١	٧٨
ليس الوقيعة	ندي ابراهيم اليازجي	٢	٢٣
يقول ابي	يهدي ابراهيم الحوراني	٧	٣
هذا جناه	على احد ابو العلاء المعري	١	٩١
الا قل	الخلود ابو العلاء المعري	٢	٦
(السراء)			
اذا احتفلت	حاجرا معروف الرصافي	١٠	٤٤٣
يقولون	مزورا معروف الرصافي	٤	٤٥٨
اذا لم يعش	قبرا معروف الرصافي	٦	٤٤٨
غاض ماء	استماعيل صبري	٩	١١٩
اذا وسع	قفرا خليل مطران	٢	٤٢٥
ان روما	يحصرا خليل مطران	١٥	٢١٧
تعجب قوم	شرا ابراهيم اليازجي	٢	٢٤
وعذاب	تاخرا ابراهيم الحوراني	٢	٤
نصون	ابرارا احمد شوقي	٦	٩٣
ان الذي	والنصارا احمد شوقي	٤	٨٢
آفة النصح	منكرا احمد شوقي	١	٧٩
وتلك جزائر	جهارا احمد شوقي	١	٧٩
انظر الى	ظهر احمد شوقي	٦	٧٧
	ديجور ابن حسن التاجي	٢	٣١٣

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
	(التاء)		
الى الله	وخبيت محمود البارودي	٦	٤١٩
	(الحاء)		
الا يا حمام من لبس	تنوح محمود البارودي	٤	٤١١
	التماسيح معروف الرصافي	١	٤٦١
	(الدال)		
واني على طعنوك	التجددا جميل الزهاوي	٨	١٥٨
قديتك	تردى جميل الزهاوي	٢	١٥٠
اكرمونا	بالفدا الكسندر افيريويه	٢	١٢١
انا لا الوم ومن عبت	الجوادا حافظ ابراهيم	٤	١٩٣
لقد ذل اصبت	تصدى حافظ ابراهيم	٣	١٨٩
ادور بعيني بلاد	وليدا احمد شوقي	١	٧٩
قدم الزمان	الشهدا محمود البارودي	٥	٣٩٨
اذا افتقر	تعدي محمود البارودي	٣	٤١٢
ترجل	العد محمود البارودي	٧	٣٩٤
ما العرت ولم يكفها	وجليد محمود البارودي	٩	٣٩٥
اذا المرء الا انما	اولد ابراهيم الحوراني	٥	٧
	الاباعد محمود البارودي	٤	٣٩٧
	ولا يبدي محمود البارودي	٩	٤٠٣
	لتخليد خليل مطران	١٩	٢١٨
	زائد معروف الرصافي	٧	٤٥٩
	مجده محمود البارودي	٣	٤١١
	روفودها معروف الرصافي	٤	٤٤٨

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	عدد الصفحة
	(الزاي)		
وان تموز	مركوزا معروف الرصافي	٦	٤٤٩
	(السين)		
وعود صفا	المجالس ابراهيم اليازجي	٢	٢٣
رب مال	لمسي جميل الزهاوي	١٠	١٥٧
لموت الفتى	الناس جميل الزهاوي	١٤	١٥٥
دع مجلس	التواعس ابراهيم اليازجي	١٦	١٦
ارى اغنياء	بانس معروف الرصافي	٢	٤٦١
	(الضاد)		
وكم ارض	روض احمد شوقي	١	٧٧
	(الطاء)		
قل للاولى	فرطوا معروف الرصافي	١٣	٤٥٢
	(العين)		
كاشف	الطباعا حافظ ابراهيم	٥	١٦٦
ان الوفاء	اجمعا احمد شوقي	٢	٨٤
كم في الحياة	شرع احمد شوقي	٧	٧٦
ارى بعد	نافع الشريف الرضي	٢	١٢٥
انما الشرق	اصقاعه احمد شوقي	٢	٨٧
نمتك	ومربع حافظ ابراهيم	٢	١٧٩

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	عدد الصفحة
لمسي	فتذكر اسماعيل صبري	٥	١١٤
يا يوم حطين	ينكسر شكيب ارسلان	١٣	٢٦٢
مضى زمن	تسهر حافظ ابراهيم	٥	١٩٠
تسوونا	يفخروا حافظ ابراهيم	٤	١٩٠
تسهم	الخدور حافظ ابراهيم	١٣	١٨١
وانما نحن	البشر ابراهيم اليازجي	٤	٢٥
اذا الشعر	شعر جميل الزهاوي	١	١٥٣
اذا ما شربناها	تدور محمود البارودي	١	٤٠٩
اتاني	تدور اعرابي	١	٤٠٩
نصحت	الامر محمود البارودي	٣	٣٦٣
واتي من القوم	فجر محمود البارودي	٢	٤٢١
ولي شيمة	يمور محمود البارودي	٧	٤٢١
كنا نود	مصانره محمود البارودي	٨	٣٩٣
اذا لم يكن	من عسر احمد شوقي	٦	٧٨
يا واحد	الاشعار احمد شوقي	٢	٩٠
هم فجر	الانار خليل مطران	٣١	٢٢٠
ساعة البين	السعر اسماعيل صبري	٢	١١٥
اذا جاش	البحر محمود البارودي	٤	٤٠٧
ما اطول	آخر محمود البارودي	٨	٣٩٩
يا نفس	واقصري ابراهيم الحوراني	٣	٥
ادك	مكابر اسماعيل صبري	٤	١٢٧
لهفي	شجر معروف الرصافي	٥	٤٥٣
وما العلم	انكساره معروف الرصافي	٢	٤٦١
ان الذي	البحثري احمد شوقي	١	٩٠

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	عدد الصفحة
الام	الاعراق حافظ ابراهيم	١٢	١٨٥
رب خد	يبقي محمود البارودي	٩	٤١٤
ان ابن آدم	اخلاقه محمود البارودي	٧	٤١٠
(الكاف)			
غلب الوجد	فشكا محمود البارودي	٨	٤٠٠
(اللام)			
الاخون	اسماعيل احمد شوقي	٣	٦٠
قم للمعلم	رسولا احمد شوقي	٢	٨٢
لك نصحي	جدالا احمد شوقي	١	٧٩
عليك النصيح	الجدلل احمد شوقي	١	٧٩
وقلت	انسأل معروف الرصافي	٥	٤٥٨
شؤون	اندالها سليمان البستاني	٣	٢٤٠
لمعرك	وزيال محمود البارودي	٣	٤١٠
يموت	قائله دعبل الخزاعي	١	١٣١
فيا وطني	مناهله شكيب ارسلان	٧	٢٦١
نظرت	قبلي سليمان البستاني	٢	٢٤٠
يظهر	بالصقال احمد شوقي	٤	٦١
ان ريت	الرسال حافظ ابراهيم	٣	٢٩٧
كفاف	اجلي	١	٢٢٥

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	عدد الصفحة
وخذ يزمام	متزع حافظ ابراهيم	٧	١٧٩
هل من فتى	بالاجرع محمود البارودي	٨	٤١٥
(الفاء)			
امام الهدى	تعرف حافظ ابراهيم	٣	٢٠٤
يرجون	الدفا معروف الرصافي	١	٤٦٤
لا خير في عقل	عفاف ابراهيم الحوراني	٢	٥
فان السعادة	الترف احمد شوقي	٢	٨٢
انبالحكومة	واعنف معروف الرصافي	٨	٤٥٦
(القاف)			
وما كان	والمبارق معروف الرصافي	٣	٤٦٢
لا تياسوا	ارتقى حافظ ابراهيم	٦	١٨٩
لو ان اطلال	شيق اسماعيل صبري	٥	١٢٦
لا هم	تفرق حافظ ابراهيم	١١	١٨٤
رواة قصالدي	خلق احمد شوقي	١	٨٩
بني سورية	القوا احمد شوقي	١٠	٨٦
يقولون	وتندق معروف الرصافي	٥	٤٥٤
ما كل ذي	اخلاقه ابراهيم الحوراني	٢	٥
ترنم	لمطلق محمود البارودي	٩	٤٠٦
والحب	المشرق محمود البارودي	٣	٤٠٩
رمضان	مشناق احمد شوقي	٦	٨٠

عدد الايات	عدد الصفحة	القافية الشاعر	مطلع البيت
٤	٢	ابراهيم الحوراني	هدب كلامك
٦	٢	ابراهيم الحوراني	في هذه
٧٨	١	احمد شوقي	واذا القلوب
٦٨	٢	احمد شوقي	الدهر
٨٢	١	احمد شوقي	اذا الاحلام
٨٨	٦	احمد شوقي	علمتهم
٩٠	٢	احمد شوقي	وكانه
٩٢	١٠	احمد شوقي	براغيث
١٥٤	١	جميل الزهاوي	الشعر
١٢٢	٢	اسماعيل صبري	اذا خائني
٢٥٩	١٢	شكيب ارسلان	مواطن
٢٦٢	٤٢	شكيب ارسلان	الا قل
٤٥٥	١٠	معروف الرصافي	لا در در
٤٥٠	٩	معروف الرصافي	آها فآها
٤٦٠	٢	معروف الرصافي	لقنت
٤٦٠	٢	معروف الرصافي	لا يخذعنك
٤٦٤	١٢	معروف الرصافي	ويل لبغداد
٤٤٧	١٠	معروف الرصافي	ارى الشعر
٨	٤	ابراهيم الحوراني	لقد هجرت
١٢٨	٤	اسماعيل صبري	يا الب

عدد الايات	عدد الصفحة	القافية الشاعر	مطلع البيت
٣	١٧٦	حافظ ابراهيم	بلفتك
٥	١٧٦	حافظ ابراهيم	سعت
٢٠	٤٠٤	محمود البارودي	يا غاضبين
٢	١٢٨	اسماعيل صبري	في ظل
٧	٤٠٨	محمود البارودي	عصبت
٤	٤٥٥	معروف الرصافي	لا خير
(الميم)			
٥	١٦٨	حافظ ابراهيم	لقد كان
١٢	١٦٧	حافظ ابراهيم	ايها المصلحون
٣	١٨٨	حافظ ابراهيم	سعت
٦	١٨٢	حافظ ابراهيم	عجز الطليان
٣	٨٤	احمد شوقي	ارى وطنا
٣	٨١	احمد شوقي	عظيم
١١	١٩١	حافظ ابراهيم	ايجمل
٥	٣٦٢	محمد عبده	ولست ابالي
٧	١٩	ابراهيم اليازجي	وما العرب
١٣	٢٤	ابراهيم اليازجي	حياة
٢	٦٩	احمد شوقي	نعم الرعية
١	٧٦	احمد شوقي	سطور
٢	٥	ابراهيم الحوراني	اني لا علم

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
وشكا الحوت	للحيتان حافظ ابراهيم	٥	١٨٣
متى ارى	وسنان حافظ ابراهيم	٤	١٩٨
ان يرجع	الميامين اسماعيل صبري	٥	١٢٦
الشعر	والمدن جميل الزهاوي	١	١٥٣
ولي الشباب	اركاني حافظ ابراهيم	٧	١٧٣
نصحت قومي	مظنون محمود البارودي	٥	٣٩٢
ومن شاغب	الدهن محمود البارودي	٧	٤٠٢
محا البين	سني محمود البارودي	٥	٤٠٢
يا بعلبك	والبنيان ابراهيم اليازجي	٢	٢٤
واذكر لنا	بنيانه حافظ ابراهيم	٨	١٧٧
قل للذي	فرسانه حافظ ابراهيم	٣	١٧٨
غراء	جبينها ابراهيم الحوراني	٢	٨
يا موردا	يرويني اسماعيل صبري	٢	١٢٥
لا القوم	واني اسماعيل صبري	١٠	١٢٣

(الهاء)

وسقى الله	زواياها اسماعيل صبري	٣	١١٣
يا آسي الحي	ثراها ابراهيم اليازجي	٢	٢٣
لما تبوا	عليه اسماعيل صبري	٣	١١٦
اهاجرني	لا تنتهي اسماعيل صبري	٣	١٢٢
زمانك	المنتهي الكسندره افيرنيوه	٢	١٢٢

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
	(النون)		
لكن قومي	هانا (قريط بن انيف)	١	٣٦٣
احسن الشعر	ترجمانا جميل الزهاوي	١	١٥٣
ارى الشعر	الادنى جميل الزهاوي	١	١٥٣
يا دواة	فحيننا اسماعيل صبري	٧	١٢٠
اقصر فؤادي	ماكانا اسماعيل صبري	٥	١١٢
يريدون	غنى جميل الزهاوي	١	١٥٨
من خاته	احسانا احمد شوقي	٣	٨٥
جلال الملك	الخالديننا احمد شوقي	٣	٨٥
ليت شعري	الفتانة احمد شوقي	٥	٧٥
نصيحة	وايمان احمد شوقي	٣	٨٧
أمنت بالله	وربحان احمد شوقي	٣	٦٨
بل الشعر	الفن جميل الزهاوي	١	١٥٤
اليوم	كانوا جميل الزهاوي	١٦	١٦٠
أعرض	وادون اسماعيل صبري	٤	١٢٨
قضيت	تدين سليمان البستاني	٢	٢٤٠
أرى مصر	ولدانها احمد شوقي	٧	٨٨
ومحبة	الحزن ابراهيم اليازجي	٢	٢٣
علام التعادي	عدوان معروف الرصافي	١٣	٤٤٢
السم	كيوان معروف الرصافي	٣	٤٦٣

المراجع

- ابراهيم اليازجي ، عيسى ميخائيل سابا ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (٤) دار المعارف بصر ، ١٩٥٥ .
- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٦٠ .
- الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ، ج ١ - ٢ ، المطبعة النموذجية ، مصر ١٩٦٢ .
- أحمد زكي ، أنور الجندي ، سلسلة أعلام العرب رقم ٢٩ لسنة ١٩٦٤ .
- الادب العربي المعاصر في سورية ، سامي الكيالبي ، دار المعارف بصر ، ١٩٥٩ .
- الادب العربي المعاصر في مصر ، شوقي ضيف ، دار المعارف بصر ١٩٥٧ .
- ادباء العرب ، بطرس البستاني ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- اشهر مشاهير ادباء الشرق ج ١ - ٢ ، محمد عبد الفتاح ، مصر .
- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، ط ٣ ، بيروت .

مطلع البيت	القافية الشاعر	عدد الايات	الصفحة
الدين لله	داعيةها احمد شوقي	٧	٧٥
ما اقبل	يخفيه معروف الرصافي	٢	٤٦١
	(الياء)		
يا من تزوج	الهاوية اسماعيل صبري	٢	١٢٥
بني القبط	ثانيا احمد شوقي	٨	٦٦
كم ساعة	القاسية اسماعيل صبري	١٣	١١٦

* * *

— الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ١ — ٣ ، زكي
محمد مجاهد ، دار الطباعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

— اعلام العرب في الادب والسياسة ، فائز سلامة — دمشق —
١٩٣٥ .

— اعلام الصحافة العربية ، ابراهيم عبده ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،
ط ١ ، ١٩٤٨ .

— اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث لاحمد تيمور ط ١
١٩٦٧ دار النصر .

— اعلام الفن والادب ، ادهم الجندي ، دمشق ، مطبعة صوت
سورية ، ١٩٥٤ .

— اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، ادوارد فنديك ، مصر ١٨٩٦ .
— ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، اسماعيل باشا
الباباني البغدادي ج ١ — ٢ ، استانبول ، ١٩٤٥ — ١٩٤٧ .

— تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، دار الهلال ،
القاهرة .

— تاريخ الادب العربي ، حنا فاخوري ، ط ٢ ، ١٩٥٣ .

— تاريخ الشعر العربي الحديث ، احمد قبش ، دمشق ، ١٩٧١ .

— تاريخ الصحافة العربية ، فيليب دي طرازي ، بيروت ، ١٩١٣ —
١٩٣٣ .

— تاريخ الصحافة السورية ١ — ٢ ، شمس الدين الرفاعي ، دار
المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

— تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، دار المعارف
بمصر ، ١٩٥٨ .

— تاريخ محمد عبده ج ١ — ٣ ، محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار
١٣٥٠ هـ .

— تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، انور الجندي
ط ١ — ١٩٧٠ ، مكتبة الانجلو المصرية .

— تراجم اعيان دمشق ، جميل الشنطي ، دمشق ، ١٣٦٧ .

— تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج ١ — ٢ جرجي
زيدان ، ط ٣ ، دار الحياة ، بيروت .

— الجامع في أخبار ابي العلاء المعري ج ١ — ٣ ، محمد سليم
الجندي ، تح عبد الهادي هاشم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

— حاضر العالم الاسلامي ، تأليف ستودارد ، ترجمة عجاج
نويهض ، علق عليه شكيب أرسلان ، ط ١ ، مصر ، ١٣٤٣ .

— حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ج ١ — ٣ ، عبد الرزاق
البيطار ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٦١ .

— الحماسة ، أبو تمام ، مصر ، ١٣٣٥ هـ .

— ديوان محمود سامي البارودي، ط • دار الكتب المصرية، وطبعة
مطبعة الجريدة، ضبط وشرح محمود الامام المنصوري •

— ديوان المعاني، ابو هلال العسكري، مكتبة الاندلس، بغداد •

— ديوان معروف الرصافي، مكتبة الحياة، بيروت، ط ٦،

• ١٩٥٧

— ذكريات، شاهين القز، دار النهار — بيروت — ١٩٨٠ •

— الرائد في الادب العربي، نعيم الحمصي وغيره، دار المأمون

• للتراث، ١٩٧٩ •

— الراحلون، سامي الكيالي، دار الفكر العربي •

— رجال عرفتهم، عباس محمود العقاد، دار الهلال، ١٩٦٢ •

— رواد القومية العربية، انور الجندي •

— رواد النهضة الحديثة، مارون عبود، دار العلم للملايين،

• ١٩٥٥

— روض البشر، في اعيان دمشق في القرن الثالث عشر، محمد

جميل الشطي، دمشق، ١٣٦٧ هـ •

— زعماء الاصلاح في العصر الحديث، احمد امين، مطبعة لجنة

التأليف، ١٩٦٨ •

— زهر الآداب وثمر الالباب، الحصري، مصر، ١٩٥٣ •

— دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، محمد بديع شريف
وغيره، مكتبة الانجلو المصرية، مط • الرسالة •

— دراسات في الشعر العربي المعاصر، شوقي ضيف، دار المعارف

بصر، ط ٤، ١٩٥٩ •

— ديوان اسماعيل صبري، تصحيح احمد الزين، مطبعة لجنة

التأليف، القاهرة، ١٩٣٨ •

— ديوان الاعشى الكبير، شرح وتحقيق محمد حسين، مكتبة

الآداب، القاهرة •

— ديوان البحري ج ١ — ٤، تح حسن الصيرفي، دار المعارف

بصر، ١٩٦٤ •

— ديوان جميل صدقي الزهاوي، المطبعة العربية بصر، ١٩٢٤ •

— ديوان حافظ ابراهيم ج ١ — ٢، مطبعة دار الكتب المصرية،

• ١٩٣٧

— ديوان خليل مطران ج ١ — ٤، دار الهلال، دار المعارف،

• ١٩٤٩ م

— ديوان الشريف الرضي ج ١ — ٢، المطبعة الادبية، بيروت،

• ١٣٠٧

— ديوان شبيب ارسلان، مط • المنار، ١٩٣٥ •

— ساعات بين الكتب ، عباس محمود العقاد ، مكتبة النهضة
المصرية ، ط ١ ، ١٩٤٥ •

— شعر دعبيل الخزاعي ، صنعة عبد الكريم الاشنر ، مطبوعات
مجمع اللغة العربية ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٤ •

— شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، عباس محمود العقاد ،
دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٢ •

— الشوقيات ج ١ — ٤ ، احمد شوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ،
مصر •

— الشوقيات المجهولة ج ١ — ٢ ، احمد شوقي ، اصدار محمد
سبري ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ •

— عصاميون عظماء من الشرق والغرب ، نخبة من الاساتذة ،
اشرف محمد فريد ابو حديد ، دار الهلال بمصر •

— طبقات القراء (غاية النهاية) لابن الجزري ، مصر ، ١٣٥١ •

— العدة ، ابن رشيق القيرواني ، تح محمد محيي الدين عبد
الحديد ط ٢ — مصر — حزيران ١٩٥٥ •

— عيون الاخبار ج ١ — ٤ ، ابن قتيبة طبعة مصورة عن طبعة
دار الكتب المصرية •

— غرائب العرب ج ١ — ٢ ، محمد كرد علي ، المكتبة الاهلية
بمصر ، ط ٣ ، ١٩٢٣ •

— في الادب الحديث ج ١ — ٢ ، عمر الدسوقي ، ط ٧ ، دار
الفكر العربي ، ١٩٦٩ •

— فيض الخاطر ، احمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ •

— قدماء ومعاصرون ، سامي الدهان ، دار المعارف بصر ، ١٩٦١

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ — ٢ ، حاجي
خليفة ، استانبول ، ١٩٤١ •

— كنوز الاجداد ، محمد كرد علي ، دمشق ، ١٩٥٠ •

— اللباب ، للزهاوي ، مط • القرات ، بغداد ، ١٩٢٨ •

— المجددون في الاسلام ، عبد المتعال الصعيدي ، مصر •

— المجمعيون ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق •

— محمود سامي البارودي ، عمر الدسوقي ، سلسلة نوايح الفكر
العربي رقم ٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ •

— مذكرات محمد كرد علي ج ١ — ٤ ، دمشق ١٣٦٧ — ١٣٧٠ هـ

— مرآة العصر في تاريخ الاسلام ورسوم اكابر الرجال بمصر

ج ١ — ٢ ، الياس زخورة ، المطبعة العمومية ، مصر ، ١٨٩٧ •

— المستشرقون ج ١ — ٣ ، نجيب العقيقي ، دار المعارف بصر ،

• ١٩٦٥

— مشاهير شعراء العصر لاحمد عبيد — القسم الاول شعراء مصر

— مط • الترقي — دمشق ١٩٢٢ •

تصويبات

وقعت أثناء الطبع أخطاء لا بد من الإشارة الى الهام منها ،
فيرجى تصحيحها قبل الشروع في قراءة الكتاب .

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١١	الايخبر	٢٧	٢٨
٢٤	٢٠	فتنتني	فتنتني
٤٣	٥	فشاح	فشاء
٦١	٧	للالي	اللالي
٧٢	١٥	والحياء	والحياء
١٣٢	٦	نصيري	نصيري
١٣٤	١٠	هير	هيلر
١٤١	٢٢	التفريط	التفريط
٢٦٤	٢١	خفته	خفته
٢٧٤	الايخبر	١٢٨٧-٦٨٦هـ	١٢٨٧-٦٨٦م
٢٨٢	٤	لغة غربية	لغة غربية
٢٨٢	٨	النافذ	النافذ
٢٨٥	٨	والي مصر	ابن والي مصر
٢٩٢	١	النظر	النظر (١)
٣٠٥	٧	وينبرج	وينبرج
	٢١	(١)	(٢)
٣١٠	٥	لتيسر ...	لتيسر كشف
٣٢٧	١١	ابن واضح	ابن واضح

- معالم واعلام ، القسم الاول ، القطر العربي السوري ، احمد
قدامة ، مطبعة الف باء - الاديب ، ١٩٦٥ .

- معجم المؤلفين ج ١ - ١٥ ، عمر رضا كحالة ، المكتبة العربية
بدمشق ، ١٩٥٧ - ١٩٦١ .

- معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف سر كيس ، مطبعة
سر كيس ، مصر ، ١٩٢٨ .

- مفتاح السعادة ، طاش كبري زاده ، ج ١ - ٣ ، دار الكتب
الحديثة .

- ملوك العرب ج ١ - ٢ ، امين الريحاني ، بيروت ، ١٩٢٩ .

- المنتخب من أدب العرب ج ١ - ٢ ، جمع وشرح طه حسين
وغيره ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣١ .

- الموسوعة العربية الميسرة - بيروت ١٩٥٥ .

- تار الافكار ، نيويورك ١٩١٣ .

- نهر الذهب في تاريخ اعيان حلب ، كامل العزبي ، حلب ١٩٢٦ .

- هدية العارفين ، أساء المؤلفين ، وآثار المصنفين ، اسماعيل
باشا البغدادي ، استانبول ١٩٥٥ .

- وجوه شرقية وغربية ، امين الريحاني ، دار الريحاني للطباعة ،
ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ، مطبعة لجنة التأليف
بمصر ، ١٩٣٦ .

★ ★ ★

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٢٥	٢٢	١٣٥. هـ	١٣٥. م
٢٢٨	٦	المستعرة	المستعمرة
٢٢٨	٨	ابن شنب	ابن ابي شنب
٢٥٠	١٢	محمد عرابي	احمد عرابي
٢٩٠	١٠	حسن المرصفي	حسين المرصفي
٢٦١	٥	بالانصاف	والانصاف
٢٧٥	١٣	على الكتاب	علم الكتاب
٢٨٤	١٥	خطاهم	خطئهم

★ ★ ★

مطبعة دار ابو بكر

١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م

التمن ٢٢ ل.س